مطبوعات دار المأمون
الوقت من ذهب
مكتبة القراءة والثقافة
الأدبية
الدكتور أحمد فريد رفاعي
مدير ادارة الصحافة والنشر والثقافة
المصرية

سلسلة المصادر العربية

نفح الطيب

تأليف العلامة احمد المقري المغربي المالكي الأشعري

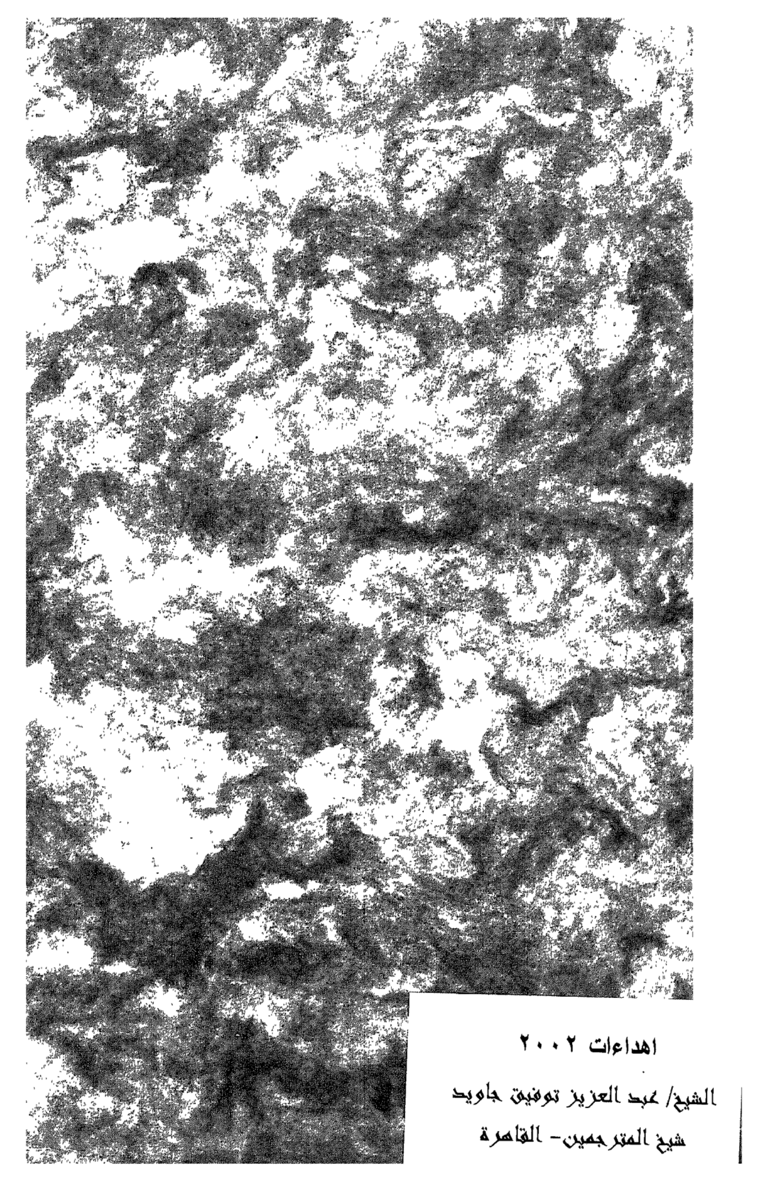
فى عشرين جزءاً

مضبوطة ومشروحة ومعلقاً عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

الجزء الثاني

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر



اهداءات ٢٠٠٢

الشيخ/ عبد العزيز توفيق جاويد

شيخ المترجمين - القاهرة

مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب
مكتبة القراءة والثقافة الأدبية

الدكتور أحمد فريد رفاعي
مدير إدارة الصحافة والنشر والثقافة المصرية

سلسلة المصادر العربية

نفح الطيب

تأليف العلامة أحمد المقري المغربي المالكي الأشعري

في عشرين جزءاً

مضبوطة ومشروحة ومعلقاً عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

الجزء الثاني

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نستعين، وبالصلاة على نبيك نستلهم التوفيق لما يقتضيه الدين. أما بعد فقد قال العماد الأصفهاني:

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر

العماد الأصفهاني

***

الْجُزُرُ بِالأَنْدَلُسِ

« وَأَمَّا اُلْجُزُرُ اُلْبَحْرِيَّةُ بِالْأَنْدَلُسِ » فَمِنْهَا جَزِيرَةُ قَادِسَ ، وَهِيَ مِنْ أَعْمَالِ إِشْبِيلِيَةَ ، وَقَالَ اُبْنُ سَعِيدٍ إِنَّهَا مِنْ كُورَةِ شَرِيشٍ ، وَلَا مُنَافَاةَ لِأَنَّ شَرِيشًا مِنْ أَعْمَالِ إِشْبِيلِيَةَ كَمَا مَرَّ . قَالَ : وَبِيَدِ صَنَمِ قَادِسَ مِفْتَاحٌ ، وَلَمَّا ثَارَ بِقَادِسَ اُبْنُ أُخْتِ اُلْقَائِدِ أَبِي عَبْدِ اُللهِ بْنِ مَيْمُونٍ ، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى قَائِدُ اُلْبَحْرِ بِهَا ظَنَّ أَنَّ تَحْتَ اُلصَّنَمِ مَالًا فَهَدَمَهُ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا . اُنْتَهَى . وَهِيَ — أَعْنِي جَزِيرَةَ قَادِسَ — فِي اُلْبَحْرِ اُلْمُحِيطِ . جزيرة قادس

وَفِي اُلْمُحِيطِ اُلْجَزَائِرُ اُلْخَالِدَاتُ اُلسَّبْعُ ، وَهِيَ غَرْبِيَّ مَدِينَةِ سَلَا ، تَلُوحُ لِلنَّاظِرِ فِي اُلْيَوْمِ اُلصَّاحِي اُلْخَالِي اُلْجَوِّ مِنَ اُلْأَبْخِرَةِ اُلْغَلِيظَةِ ، وَفِيهَا سَبْعَةُ أَصْنَامٍ عَلَى أَمْثَالِ اُلْآدَمِيِّينَ تُشِيرُ أَنْ لَا عُبُورَ وَلَا مَسْلَكَ وَرَاءَهَا . وَفِيهِ بِجِهَةِ اُلشَّمَالِ جَزَائِرُ اُلسَّعَادَاتِ ، وَفِيهَا مِنَ اُلْمُدُنِ وَاُلْقُرَى مَالَا يُحْصَى .

وَمِنْهَا يَخْرُجُ قَوْمٌ يُقَالُ لَهُمُ ٱلْمَجُوسُ عَلَى دِينِ ٱلنَّصَارَى . أَوَّلُهَا جَزِيرَةُ بِرِطَانِيَةَ ، وَهِيَ بِوَسَطِ ٱلْبَحْرِ ٱلْمُحِيطِ بِأَقْصَى شَمَالِيِّ ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَلَا جِبَالَ فِيهَا وَلَا عُيُونَ ، وَإِنَّمَا يَشْرَبُونَ مِنْ مَاءِ ٱلْمَطَرِ وَيَزْرَعُونَ عَلَيْهِ .

****

جزيرة شلطيش

« قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ » : وَفِيهِ جَزِيرَةُ شَلْطِيشَ[1] وَهِيَ آهِلَةٌ وَفِيهَا مَدِينَةٌ ، وَبَحْرُهَا كَثِيرُ ٱلسَّمَكِ ، وَمِنْهَا يُحْمَلُ مُمَلَّحًا إِلَى إِشْبِيلِيَةَ ، وَهِيَ مِنْ كُورَةِ لَبْلَةَ مُضَافَةً إِلَى عَمَلِ أَوْنَبَةَ[2] . ٱنْتَهَى .

« وَقَالَ بَعْضُهُمْ » لَمَّا أَجْرَى ذِكْرَ قَرْطَاجَنَّةَ مِنْ بِلَادِ ٱلْأَنْدَلُسِ : إِنَّ ٱلزَّرْعَ فِي بَعْضِ أَقْطَارِهَا يَكْتَفِي بِمَطْرَةٍ وَاحِدَةٍ ،

---

(١) فى معجم البلدان ج خامس ص ٢٨٨ : شلطيش : بلدة بالأندلس صغيرة فى غربى اشبيلية على البحر (٢) أونبة : قرية فى غربى الأندلس على خليج البحر المحيط كما جاء فى معجم البلدان ج أول ص ٣٧٨ وبها توفى الامام ابن حزم

وَبِهَا أَقْوَاسٌ مِنَ الْحِجَارَةِ الْمُقَرْبَصَةِ(١) ، وَفِيهَا مِنَ التَّصَاوِيرِ وَالتَّمَاثِيلِ وَأَشْكَالِ النَّاسِ وَصُوَرِ الْحَيَوَانَاتِ ، مَا يُحَيِّرُ الْبَصَرَ وَالْبَصِيرَةَ . وَمِنْ أَعْجَبِ بِنَائِهَا الدَّوَامِيسُ(٢)، وَهِيَ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ عَلَى صَفٍّ وَاحِدٍ مِنْ حِجَارَةٍ مُقَرْبَصَةٍ ، طُولُ كُلِّ دَامُوسٍ مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ خُطْوَةً فِي عَرْضِ سِتِّينَ خُطْوَةً ، وَارْتِفَاعُ كُلِّ وَاحِدٍ أَكْثَرُ مِنْ مِائَتَيْ ذِرَاعٍ ، بَيْنَ كُلِّ دَامُوسَيْنِ أَنْقَابٌ(٣) مُحْكَمَةٌ تَتَّصِلُ فِيهَا الْمِيَاهُ مِنْ

(١) أى المنحوتة على هيئة قربوس الفرس ، وللسرج قربوسان فأما القربوس المقدم ففيه العضدان وهما رجلا السرج ويقال لهما حنواه. ولعل الكلمة محرفة عن (مقرنصة) بالنون أو مقرنسة من القرناس وهو شبه الأنف يتقدم من الجبل ، والقرناس صنارة المغزل، ويقال : سقف مقرنس عمل على هيئة السلم . والصاد لغة فيه .وقال بعض الباحثين من الفرنجة : ومن أغرب ما اصطنعوه (أى الأندلسيين) عمل المقرنص فى القباب مؤلفا من عدة قباب صغرى متناسقة بدون أن ترى اللحمة بينها .

قال ياقوت : ولم يكن بقربها عين جارية ولا قناة سارية فجلب عامرها اليها الماء من نواحى القيروان وبينهما مسيرة ثلاثة أيام فى جبال منحازة بعضها من بعض وقد وصل بين تلك الجبال بعقود معقودة وعمد مبنية كالمنابر العالية ، وجعل مجرى الماء فوق ذلك العقود والأزج المحكم المنحوت وأهل تلك البلاد يسمونها الحنايا وهى متون كثيرة (٢) الذى فى اللسان أن الديماس : هو السرب يبنى ويكون مظلما . والداموس القترة كالناموس ، والمدامسة المواراة . والقترة : مكمن الصائد يكمن فيها للصيد

(٣) أنقاب جمع نقب : وهو الثقب والطريق الضيق فى الجبل

بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ فِي الْعُلُوِّ الشَّاهِقِ بِهَنْدَسَةٍ عَجِيبَةٍ وَإِحْكَامٍ بَدِيعٍ . انْتَهَى .

قُلْتُ: أَظُنُّ هٰذَا غَلَطًا ، فَإِنَّ قَرْطَاجَنَّةَ الَّتِي بِهٰذِهِ الصِّفَةِ قَرْطَاجَنَّةُ إِفْرِيقِيَّةَ ، لَا قَرْطَاجَنَّةُ الْأَنْدَلُسِ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

« وَقَالَ صَاحِبُ مَنَاهِجِ الْفِكَرِ » عِنْدَ مَا ذَكَرَ قَرْطَاجَنَّةَ : وَهِيَ عَلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ بَقِيَ مِنْهَا آثَارٌ لَهَا فَحْصٌ[1] طُولُهُ سِتَّةُ أَيَّامٍ وَعَرْضُهُ يَوْمَانِ مَعْمُورٌ بِالْقُرَى. انْتَهَى .

***

جزيرتا ميورقة ومنورقة

وَذَكَرَ قَبْلَ ذٰلِكَ فِي لُورَقَةَ[2] أَنَّ بِنَاحِيَتِهَا يُوجَدُ حَجَرُ اللَّازَوَرْدِ ، وَفِي الْبَحْرِ الشَّامِيِّ الْخَارِجِ مِنَ الْمُحِيطِ جَزِيرَتَيْ مَيُورْقَةَ وَمَنُورَقَةَ وَبَيْنَهُمَا خَمْسُونَ مِيلًا . وَجَزِيرَةُ مَيُورْقَةَ

---

(١) الفحص: كل موضع يسكن، وقال ياقوت : وسألت بعض أهل الأندلس ماتعنون به (أى بالفحص) ؟ فقال كل موضع يسكن سهلا كان أوجبلا بشرط أن يزرع نسميه فحصا ، أى أنهم يعنون به الريف والسواد . وهو فى الأصل اسم لما استوى من الأرض (٢) وفى معجم البلدان ج سابع ص ٣٢٧ لرقة بضم اللام بغير واو :حصن فى شرقى الأندلس ، غربى مرسية وفى ص ٣٤٢ لورقة (بفتح الراء) ويقال لرقة مدينة من أعمال تدمير

مَسَافَةُ يَوْمٍ ، بِهَا مَدِينَةٌ حَسَنَةٌ ، وَتَدْخُلُهَا سَاقِيَةٌ جَارِيَةٌ عَلَى الدَّوَامِ ، وَفِيهَا يَقُولُ ابْنُ اللَّبَّانَةِ :

بَلَدٌ أَعَارَتْهُ الْحَمَامَةُ طَوْقَهَا
وَكَسَاهُ حُلَّةَ رِيشِهِ الطَّاوُوسُ
فَكَأَنَّمَا الْأَنْهَارُ فِيهِ مُدَامَةٌ
وَكَأَنَّ سَاحَاتِ الدِّيَارِ كُؤُوسُ

وَقَالَ يُخَاطِبُ (١) مَلِكَهَا ذَلِكَ الْوَقْتَ :

وَعَمَرْتَ بِالْإِحْسَانِ أَرْضَ مَيُرْقَةٍ
وَبَنَيْتَ مَالَمْ يَبْنِهِ الْإِسْكَنْدَرُ

وَجَزِيرَةُ يَابِسَةَ (٢). وَاسْتِقْصَاءُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْفَصْلِ يَطُولُ ، وَلَوْ تُتُبِّعَ لَكَانَ تَأْلِيفاً مُسْتَقِلًّا ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ خَفَاجَةَ :

(١) ابن اللبانة هو أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمى الدانى ، كان مائلا الى بنى عباد بطبعه، اذ كان المعتمد بن عباد هو الذى جذب بضبعه ، وله فيه المدائح الأنيقة ، وله فى نكبته قصائد تثير العبرات واتصل بعد وفاة المعتمد بملك ميورقة مبشر بن سليمان العامرى الملقب الناصر وفد عليه سنة ٤٨٩ فحظى عنده وله فيه قصائد مختارة ،وتوفى بميورقة سنة ٥٠٧

(٢) جزيرة فى طريق من يقلع من دانية يريد ميروقة ، وهى كثيرة الزبيب

إِنَّ لِلْجَنَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ مُجْتَلَى حُسْنٍ وَرَيَّا نَفَسِ
فَسَنَا[١] صُبْحَتِهَا مِنْ شَنَبٍ[٢] وَدُجَى لَيْلَتِهَا مِنْ لَعَسٍ[٣]
وَإِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ صَبًا صِحْتُ وَاشَوْقِي إِلَى الْأَنْدَلُسِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي طُلَيْطُلَةَ :

زَادَتْ طُلَيْطُلَةُ عَلَى مَا حَدَّثُوا بَلَدٌ عَلَيْهِ نَضْرَةٌ وَنَعِيمُ
اللهُ زَيَّنَهُ فَوَشَّحَ خَصْرَهُ نَهْرُ الْمَجَرَّةِ وَالْغُصُونُ نُجُومُ

وَلَا حَرَجَ إِنْ أَوْرَدْنَا هُنَا مَا خَاطَبَ بِهِ أَدِيبُ الْأَنْدَلُسِ أَبُو بَحْرٍ صَفْوَانُ[٤] ابْنُ إِدْرِيسَ الْأَمِيرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْنَ السُّلْطَانِ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ابْنِ عَلِيٍّ فَإِنَّهُ مُنَاسِبٌ وَنَصُّهُ : مَوْلَايَ أَمْتَعَ اللهُ بِبَقَائِكَ الزَّمَانَ وَأَبْنَاءَهُ ، كَمَا ضَمَّ عَلَى حُبِّكَ أَحْنَاءَهُمْ[٥] وَأَحْنَاءَهُ ، وَأَوْصَلَ لَكَ مَا شِئْتَ مِنَ الْمَنِّ وَالْأَمَانِ ، كَمَا نَظَمَ قَلَائِدَ فَخْرِكَ عَلَى لَبَّةِ[٦] الدَّهْرِ نَظْمَ الْجُمَانِ ، فَإِنَّكَ الْمَلِكُ الْهُمَامُ ، وَالْقَمَرُ التَّمَامُ ، أَيَّامُكَ غُرَرٌ وَحُجُولٌ[٧] ،

---

(١) أى نور صباحها (٢) هو بريق الأسنان (٣) اللعس : حمرة الشفة تضرب الى السواد (٤) توفى سنة ٥٩٨ (٥) أى صدورهم (٦) أى منحر (٧) بياض فى الرجلين والغرة بياض فى الجبهة

وفِرِنْدُ(١) بَهَائِهَا فِي صَفَحَاتِ ٱلدَّهْرِ يَجُولُ ، أَلْبَسْتَ ٱلرَّعِيَّةَ بُرُودَ ٱلتَّأْمِينِ ، فَتَنَافَسَتْ فِيكَ مِنْ نَفِيسٍ ثَمِينٍ ، وَتَلَقَّتْ دَعَوَاتِ خُلْدِكَ(٢) لَهَا بِالْيَمِينِ ، فَكَمْ لِلنَّاسِ ، مِنْ أَمْنٍ بِكَ وَإِينَاسٍ ، وَلِلْأَيَّامِ ، مِنْ لَوْعَةٍ فِيكَ وَهُيَامٍ ، وَلِلْأَقْطَارِ ، مِنْ لُبَانَاتٍ(٣) لَدَيْكَ وَأَوْطَارٍ ، وَلِلْبِلَادِ ، مِنْ قِرَاعٍ عَلَى تَمَلُّكِكَ لَهَا وَجِلَادٍ ، يَتَمَنَّوْنَ شَخْصَكَ ٱلْكَرِيمَ عَلَى ٱللهِ وَيَقْتَرِحُونَ ، وَيَغْتَبِقُونَ(٤) فِي رِيَاضِ ذِكْرِكَ ٱلْعَاطِرِ بِمُدَامِ حُبِّكَ وَيَصْطَبِحُونَ(٥) ، « كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ » ، مَحَبَّةً مِنَ ٱللهِ أَلْقَاهَا لَكَ حَتَّى عَلَى ٱلْجَمَادِ ، وَنَصْرًا مُؤَزَّرًا(٦) تَنْطِقُ بِهِ أَلْسِنَةُ ٱلسُّيُوفِ عَلَى أَفْوَاهِ ٱلْأَغْمَادِ ، وَمَنْ أَسَرَّ سَرِيرَةً أَلْبَسَهُ ٱللهُ رِدَاءَهَا ، وَمَنْ طَوَى حُسْنَ نِيَّةٍ خَتَمَ ٱللهُ لَهُ بِالْجَمِيلِ إِعَادَتَهَا وَإِبْدَاءَهَا ، وَمَنْ قَدَّمَ صَالِحًا فَلَا بُدَّ أَنْ يُوَازِيَهُ ، « وَمَنْ يَفْعَلِ ٱلْخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ » .

---

(١) فرند السيف : ماؤه (٢) الخلد : طول البقاء والدوام (٣) اللبانات والأوطار : الحاجات (٤) الاغتباق : الشرب ليلا (٥) الاصطباح : الشرب صباحا (٦) مؤزرا : قويا بليغا

***

مناظرة بين بلاد الأندلس

وَلَمَّا تَخَاصَمَتْ فِيكَ مِنَ ٱلْأَنْدَلُسِ ٱلْأَمْصَارُ ، وَطَالَ بِهَا ٱلْوُقُوفُ عَلَى حُبِّكَ وَالِاقْتِصَارُ ، كُلُّهَا يُفْصِحُ قَوْلًا ، وَيَقُولُ أَنَا أَحَقُّ وَأَوْلَى ، وَيُصِيخُ إِلَى إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ وَيُصْغِي ، وَيَتْلُو إِذَا بُشِّرَ بِكَ « ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي » ، « تَمَيَّزَتْ[١] حِمْصُ غَيْظًا » وَكَادَتْ تَفِيظُ[٢] فَيْظًا ، وَقَالَتْ : مَالَهُمْ يَزِيدُونَ وَيَنْقُصُونَ ، وَيَطْمَعُونَ وَيَحْرِصُونَ ، « إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ » ، أَلَهُمُ ٱلسَّهْمُ ٱلْأَسَدُّ ؟ ، وَٱلسَّاعِدُ ٱلْأَشَدُّ ؟ ، وَٱلنَّهْرُ ٱلَّذِي يَتَعَاقَبُ عَلَيْهِ ٱلْجَزْرُ وَٱلْمَدُّ ؟ ، أَنَا مِصْرُ ٱلْأَنْدَلُسِ وَٱلنِّيلُ نَهْرِي ، وَسَمَائِي ٱلتَّأَنُّسُ[٣] وَٱلنُّجُومُ زَهْرِي ، إِنْ تَجَارَيْتُمْ فِي ذَلِكَ ٱلشَّرَفِ ، فَحَسْبِي أَنْ أُفِيضَ فِي ذَلِكَ ٱلشَّرَفِ[٤] ، وَإِنْ تَبَجَّحْتُمْ بِأَشْرَفِ ٱللَّبُوسِ ، فَأَيُّ إِزَارٍ ٱشْتَمَلْتُمُوهُ كَشَنْتَبُوسَ[٥] ،

(١) أى تمزقت من الغيظ ، وفى الأصل تنمرت : أى لبست جلد النمر وحمص الأندلس هى اشبيلية (٢) فاظ : مات ، يقال فاضت نفسه وفاظت أى خرجت (٣) التأنس : ضد الوحشة (٤) الشرف من سواد اشبيلية وقد تقدم ذكره (٥) شنتبوس : لعله موضع باشبيلية

لِيَ مَا شِئْتُ مِنْ أَبْنِيَةٍ رِحَابٍ ، وَرَوْضٍ يَسْتَغْنِي بِنُضْرَتِهِ عَنِ السَّحَابِ ، قَدْ مَلَأَتْ زَهَرَاتِي وِهَادًا وَنِجَادًا ، وَتَوَشَّحَ سَيْفُ نَهْرِي بِحَدَائِقِي نِجَادًا ، فَأَنَا أَوْلَى كُمْ بِسَيِّدِنَا الْهُمَامِ وَأَحَقُّ ، الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ . « فَنَظَرَتْهَا قُرْطُبَةُ شَزْرًا[1] » وَقَالَتْ : لَقَدْ كَثَّرْتِ نَزْرًا[2] ، وَبَذَرْتِ فِي الصَّخْرِ الْأَصَمِّ بَذْرًا ، كَلَامُ الْعِدَا[3] ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَيَانِ ، وَإِنِّي لِلْإِيضَاحِ وَالْبَيَانِ : مَتَى اسْتَحَالَ الْمُسْتَقْبَحُ مُسْتَحْسَنًا ، ؟ وَمَنْ أَوْدَعَ أَجْفَانَ الْمَهْجُورِ وَسَنًا[4] ؟ ، « أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا » يَاعَجَبًا لِلْمَرَاكِزِ[5] تُقَدَّمُ عَلَى الْأَسِنَّةِ ، وَلِلْأَثْفَارِ[6] تُفَضَّلُ عَلَى الْأَعِنَّةِ ، إِنِ ادَّعَيْتُمْ سَبْقًا ، « فَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى » ، لِيَ الْبَيْتُ الْمُطَهَّرُ[7] الشَّرِيفُ ، وَالِاسْمُ الَّذِي ضَرَبَ

---

(١) أى نظر غضب (٢) أى قليلا . أى جعلت اليسير كثيرا (٣) كلام العدا ضرب من الهذيان ــ عجز بيت للمتنبى فى مدح كافور الأخشيدى والبيت :

ولله سر فى علاك وانما كلام العدا ضرب من الهذيان

(٤) الوسن : النوم (٥) ركز الرمح يركزه غرزه فى الأرض قائما والموضع مركز (٦) جمع ثفر ، بالتحريك ، وقد يسكن : السير الذى فى مؤخر السرج (٧) مسجد قرطبة الأعظم الذى بناه عبد الرحمن الداخل وكان من أعظم مساجد الاسلام

عَلَيْهِ رُوَاقَهُ ٱلتَّعْرِيفُ ، فِي بَقِيعِي مَحَلُّ ٱلرِّجَالِ ٱلْأَفَاضِلِ ، فَلْيُرْغَمْ أَنفُ ٱلْمُنَاضِلِ ، وَفِي جَامِعِي مَشَاهِدُ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ، فَحَسْبِي مِنْ نَبَاهَةِ ٱلْقَدْرِ ، فَمَا لِأَحَدٍ أَنْ يَسْتَأْثِرَ عَلَيَّ بِهٰذَا ٱلسَّيِّدِ ٱلْأَعْلَى ، وَلَا أَرْضَى لَهُ أَنْ يُوطِئَ غَيْرَ تُرَابِي نَعْلًا ، فَأَقِرُّوا لِي بِٱلْأُبُوَّةِ ، وَٱنْقَادُوا لِي عَلَى حُكْمِ ٱلْبُنُوَّةِ ، « وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ » ، وَكُفُّوا عَنْ تَبَارِيكُمْ ، « ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ » .

« فَقَالَتْ غَرْنَاطَةُ » لِيَ ٱلْمَعْقِلُ[1] ٱلَّذِي يَمْتَنِعُ سَاكِنُهُ مِنَ ٱلنُّجُومِ ، وَلَا تَجْرِي إِلَّا تَحْتَهُ جِيَادُ ٱلْغَيْثِ ٱلسَّجُومِ ، فَلَا يَلْحَقُنِي مِنَ مُعَانِدٍ ضَرَرٌ وَلَا حَيْفٌ ، وَلَا يَهْتَدِي إِلَيَّ خَيَالٌ طَارِقٌ وَلَا طَيْفٌ ، فَٱسْتَسْلِمُوا قَوْلًا وَفِعْلًا ، « فَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَى » ، لِي بِطَاحٌ تَقَلَّدَتْ مِنْ جَدَاوِلِهَا أَسْلَاكًا ، وَأَطْلَعَتْ كَوَاكِبَ زَهْرِهَا فَعَادَتْ أَفْلَاكًا[2] ، وَمِيَاهٌ تَسِيلُ عَلَى أَعْطَافِي كَأَدْمُعِ ٱلْعُشَّاقِ ، وَبَرْدُ نَسِيمٍ يَرُدُّ ذَمَاءَ[3] ٱلْمُسْتَجِيرِ

(١) كانت غرناطة من أحصن مدن الأندلس (٢) السلك: الخيط ، والفلك: مدار النجوم ، والبطاح: جمع أبطح وهو مسيل واد واسع فيه دقاق الحصى
(٣) الذماء بقية الروح والنفس ، وفي الأصل دماء وهو تحريف

بِالِانْتِشَاقِ ، فَحُسْنِي لَا يُطْمَعُ فِيهِ وَلَا يُحْتَالُ ، فَدَعُونِي فَكُلٌّ ذَاتِ ذَيْلٍ تَخْتَالُ(١) ، فَأَنَا أَوْلَى بِهٰذَا السَّيِّدِ الْأَعْدَلِ ، وَمَالِي بِهِ مِنْ عِوَضٍ وَلَا بَدَلٍ ، وَلِمَ لَا يَعْطِفُ عَلَيَّ عِنَانَ مَجْدِهِ وَيَثْنِي ، وَإِنْ أَنْشَدَ يَوْمًا فَإِيَّايَ يَعْنِي :

بِلَادٌ بِهَا عَقَّ(٢) الشَّبَابُ تَمَائِمِي

وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا

فَمَالَكُمْ تَعْتَزُونَ(٣) لِفَخْرِي وَتَنْتَمُونَ ، وَتَتَأَخَّرُونَ فِي مَيْدَانِي وَتَتَقَدَّمُونَ ؟ تَبَرَّأُوا إِلَيَّ مِمَّا تَزْعُمُونَ ، « ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

« فَقَالَتْ مَالَقَةُ » : أَتَتْرُكُونِي بَيْنَكُمْ هَمَلًا ، ؟ وَلَمْ تُعْطُونِي فِي سَيِّدِنَا أَمَلًا ؟ ، وَلِمَ وَلِيَ الْبَحْرُ الْعَجَّاج ؟ وَالْجَنَّاتُ الْأَثِيرَةُ ، وَالْفَوَاكِهُ الْكَثِيرَةُ ، لَدَيَّ مِنَ الْبَهْجَةِ مَا تَسْتَغْنِي بِهِ الْحَمَامُ عَنِ الْهَدِيلِ ، وَلَا تَجْنَحُ الْأَنْفُسُ الرِّقَاقُ الْحَوَاشِي إِلَى تَعْوِيضٍ عَنْهُ وَلَا تَبْدِيلٍ ، فَمَالِي لَا أُعْطَى فِي نَادِيكُمْ كَلَامًا ، وَلَا أَنْشُرُ فِي جَيْشِ فَخَارِكُمْ أَعْلَامًا ، ؟ فَكَأَنَّ

(١) مثل يضرب لمن يتباهى بما اختص به ويفتخر بما يجعله أهلا للفخر من ثروة أو جمال (٢) عق : قطع ، . والبيت كناية عن الوطن والمنشأ
(٣) اعتزى : انتسب

ٱلْأَمْصَارَ نَظَرَتْهَا ٱزْدِرَاءً ،فَلَمْ تَرَ لِحَدِيثِهَا فِي مَيْدَانِ ٱلذِّكْرِ إِجْرَاءً، لِأَنَّهَا مَوْطِنٌ لَا يُحْلَى(١) مِنْهُ بِطَائِلٍ ، وَنَظُنُّ ٱلْبِلَادَ تَأَوَّلَتْ فِيهَا قَوْلَ ٱلْقَائِلِ :

إِذَا نَطَقَ ٱلسَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ ... فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ ٱلسُّكُوتُ

« فَقَالَتْ مُرْسِيَةُ » : أَمَامِي تَتَعَاطَوْنَ ٱلْفَخْرَ ، وَبِحَضْرَةِ ٱلدُّرِّ تُنَفِّقُونَ(٢) ٱلصَّخْرَ ، إِنْ عُدَّتِ ٱلْمَفَاخِرُ ، فَلِي مِنْهَا ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ، أَيْنَ أَوْشَالُكُمْ(٣) مِنْ بَحْرِي ، وَخَرَزُكُمْ مِنْ لُؤْلُؤِ نَحْرِي ، وَجَعْجَعَتُكُمْ(٤) مِنْ نَفَثَاتِ(٥) سِحْرِي ، فَلِيَ

(١) يقال : ماحلى منه بطائل ، أى مافاز بغناء ولم يستفد كبير فائدة ، وما حليت منه حليا أى ما أصبت ، وهو من معنى الحلى والحلية لأن النفس تعتد الحلية ظفرا (٢) نفق الشيء : روجه (٣) الوشل : الماء القليل (٤) الجعجعة : صوت الرحا ونحوها . يراد بها هنا الكلام الذى لا طائل تحته وفى المثل : أسمع جعجعة ولا أرى طحنا ، يضرب لمن يكثر الكلام ولا يعمل ، ولمن يعد ولا يفعل (٥) جمع نفثة . ومن ضرب السحر مايتلوه الساحر أو المشعوذ على الخيط ، وكلما تلا شعبذته عقد عقدة وتفل عليها من ريقه . ودرجات البصاق فى اللغة على الترتيب الآتى : أوله البزق . ثم التفل وهو أقل منه . ثم النفث . ثم النفخ بلا ريق : وفى التنزيل « ومن شر النفاثات فى العقد » والمراد بنفثات السحر هنا الكلام البليغ قوى التأثير فى النفوس ، وتقول : هذا من نفاثات فلان أى من جيد شعره

ٱلرَّوْضُ ٱلنَّضِيرُ ، وَٱلْمَرْأَى ٱلَّذِى مَالَهُ مِنْ نَظِيرٍ ، وَرَتَقَاتِى(١) ٱلَّتِى سَارَ مَثَلُهَا فِى ٱلْآفَاقِ ، وَتَبَرْقَعَ وَجْهُ جَمَالِهَا بِغُرَّةِ ٱلْإِصْفَاقِ . فَمِنْ دَوْحَاتٍ ، كَمْ لَهَا مِنْ بُكُورٍ وَرَوْحَاتٍ ، وَمِنْ أَرْجَاءٍ ، إِلَيْهَا تُمَدُّ أَيْدِى ٱلرَّجَاءِ ، فَأَبْنَائِى فِيهِ فِى ٱلْجَنَّةِ ٱلدُّنْيَوِيَّةِ مُودَعُونَ(٢) ، يَتَنَعَّمُونَ فِيمَا يَأْخُذُونَ وَيَدَعُونَ ، وَلَهُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِى أَنْفُسُهُمْ وَلَهُمْ فِيهَا مَا يَدَّعُونَ ، فَٱنْقَادُوا لِأَمْرِى وَحَاذِرُوا ٱصْطِلَاءَ جَمْرِى ، وَخَلُّوا بَيْنِى وَبَيْنَ سَيِّدِنَا أَبِى زَيْدٍ

---

(١) الرتقة : الفروج بين الأصابع — وكأن المراد النواحى الفضائية غير المسكونة على المجاز . وقد يكون رنقاتى (بالنون) من الرونق وهو الصفاء والحسن . والترنيق من الأضداد يكون تكديرا او يكون تصفية ، يقال : رنق الله قذاتك أى صفاها ، و رنق القوم بالمكان أقاموا به . وأصفقوا على كذا : أجمعوا عليه واتفقوا مطبقين (٢) وكانت مرسية ذات أشجار وحدائق محدقة بها كثيرة المنازه والبساتين والمناظر البديعة التى تسرح فيها العيون . و بها كان منزل الأمير أبى عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش صاحب شرق الاندلس مرسية وما انضاف اليها (المتوفى سنة ٥٦٧) وعمرت فى زمانه حتى صارت قاعدة الأندلس

وَإِلَّا ضَرَبْتُكُمْ ضَرْبَ زَيْدٍ(١) ، فَأَنَا أَوْلَاكُمْ بِهٰذَا الْمَلِكِ الْمُسْتَأْثِرِ بِالتَّعْظِيمِ ، « وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » .

« فَقَالَتْ بَلَنْسِيَةُ » : فِيمَ الْجِدَالُ وَالْقِرَاعُ ؟ وَعَلَامَ الِاسْتِهَامُ(٢) وَالِاقْتِرَاعُ(٣) ؟ وَإِلَامَ التَّعْرِيضُ(٤) وَالتَّصْرِيحُ ؟ ، وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ(٥) اللَّبَنُ الصَّرِيحُ ، أَنَا أَحُوزُهُ مِنْ دُونِكُمْ ،

(١) يريد زيد الخيل بن مهلهل بن زيد الطائى النبهانى سمى زيد الخيل لشجاعته ، وسماه النبى صلى الله عليه وسلم زيد الخير وأثنى عليه . ولعله يشير الى المثال الذى تداوله النحاة وهو قولهم ضرب زيد عمرا (يجعلون زيدا ضاربا أبدا وعمرا مضروبا دائما) حتى ضرب الأدباء الأمثال بذلك ــ وللأديب نظام الدين أبى الحسن على بن محمد بن يوسف بن مسعود القيسى القرطبي المعروف بابن خروف الشاعر المشهور رسالة ظريفة يصف فيها فروة يقول منها : لا كطيلسان ابن حرب ، ولا جلد عمرو الممزق بالضرب (٢)،(٣) استهم القوم واقترعوا : عملوا القرعة . كأن يضعوا سهامهم فى جعبة ويغمض الآخذ عينيه مثلا فمن أخذ سهما مخصوصا متفقا عليه فاز والا خاب . وفى التنزيل « اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم » وهى السهام فكان الفائز زكريا عليه السلام (٤) التعريض : الايماء الى الشىء فى عرض الكلام بدون ذكره ، والتصريح ذكره باسمه معينا (٥) أى أن الحق وراء ماتذكرون ، ومستور وراء ظواهر مابه تتفاضلون ، كما أن رغوة اللبن تعلوه ولكن الخالص منه تحت هذه الرغوة وهو مثل يضرب للأمر تظهر حقيقته بعد خفائها ، وأصله لعامر بن الظرب قال : ان لكل عام طعاما ، ولكل راع مرعى ، ولكل مراح مريحا ، وتحت الرغوة اللبن الفصيح الخ وقال نضلة السلمى :

رأوه فازدروه وهو خرق ... وينفع أهله الرجل القبيح
فلم يخشوا مصالته عليهم ... وتحت الرغوة اللبن الفصيح

ويروى اللبن الصريح

فَأَخْمِدُوا نَارَىْ تَحَرُّكِكُمْ وَهُدُونِكُمْ(١) ، فَلِي الْمَحَاسِنُ الشَّامِخَةُ الْأَعْلَامِ ، وَالْجَنَّاتُ الَّتِي تُلْقِي إِلَيْهَا الْآفَاقُ يَدَ الِاسْتِسْلَامِ(٢) ، وَبِرُصَافَتِي وَجِسْرِي أُعَارِضُ مَدِينَةَ السَّلَامِ(٣) فَأَجْمِعُوا عَلَى الِانْقِيَادِ لِي وَالسَّلَامُ ، وَإِلَّا فَعَضُّوا بَنَانًا ، وَاقْرَعُوا(٤) أَسْنَانًا ، فَأَنَا حَيْثُ لَا تُدْرِكُونَ وَأَنَّى ، وَمَوْلَانَا لَا يُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا .

« فَعِنْدَ ذَلِكَ أَرْتَمَتْ جَمْرَةُ تُدْمِيرَ بِالشَّرَارِ » وَاسْتَدَّتْ(٥) أَسْهُمُهَا لِنُحُورِ الشِّرَارِ ، وَقَالَتْ : عِشْ رَجَبًا(٦) تَرَ عَجَبًا ، أَبَعْدَ الْعِصْيَانِ وَالْعُقُوقِ ، تَتَهَيَّأَنِ(٧) لِرُتَبِ ذَوِي الْحُقُوقِ ، هٰذِهِ

(١) أى سكونكم . وأصل الهدنة السكون بعد الهيج (٢) الانقياد (٣) هى بغداد، ورصافتها وجسرها يتغنى بهما الشعراء، فهذا على بن الجهم يقول:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى
أعدن لى الشوق القديم ولم أكن سلوت ولكن زدن جمرا على جمر
سلمن وأسلمن القلوب كأنما تشاك بأطراف المثقفة السمر

(٤) قرع سنه : ندم وتحسر وعض على يده غيظا (٥) أى فوقت سهامها (٦) يضرب مثلا فى تحول الدهر وتقلبه واتيان كل يوم بما يتعجب منه وأول من قاله الحرث بن عباد بن قيس بن ثعلبة (٧) فى بعض النسخ تتهيئين خطاب لمرسية ، والكلام بعده يرجح ذلك لأنه خطاب لواحدة

سَمَاءِ ٱلْفَخْرِ فَمَنْ ضَمَّكِ(١) أَنْ تَعْرُجِي، لَيْسَ بِعُشِّكِ(٢)، فَادْرُجِي، لَكِ ٱلْوَصَبُ(٣) وَٱلْخَبْلُ(٤) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتِ قَبْلُ، أَيَّتُهَا ٱلصَّانِعَةُ ٱلْفَاعِلَةُ(٥)، مَنْ أَدْرَاكِ أَنْ تَضْرِبِي(٦) وَمَا أَنْتِ فَاعِلَةٌ، مَا ٱلَّذِي يُجْدِيكِ ٱلرَّوْضُ وَٱلزَّهْرُ؟، أَمْ مَا يُفِيدُكِ ٱلْجَدْوَلُ وَٱلنَّهْرُ؟، وَهَلْ يُصْلِحُ ٱلْعَطَّارُ مَا أَفْسَدَ(٧) ٱلدَّهْرُ؟. هَلْ أَنْتِ إِلَّا مَحَطُّ رَحْلِ ٱلنِّفَاقِ، وَمَنْزِلٌ مَا لِسُوقِ ٱلْخِصْبِ فِيهِ مِنْ نَفَاقٍ(٨). ذَرَاكِ(٩) لَا يَكْتَحِلُ ٱلطَّرْفُ فِيهِ بِهُجُوعٍ،

(١) أظنها محرفه عن ضمنك (٢) مثل يقال لمن يتقدم فى مقام ليس له بأهل ولمن يرفع نفسه فوق قدره أى ليس مما ينبغى لك فزل عنه، وليس هذا من الأمر الذى لك فيه حق فدعيه — ودرج: مشى ومضى فى تقارب خطو وضعف مشى (٣) الوصب: العذاب المؤلم (٤) الخبل: الجنون، والخبل: الفساد، وأصله فساد الأعضاء حتى لا يدرى كيف يمشى، وخيله الحزن والداء (٥) أى الفاجرة، والفاعل الأجير أيضا. ويقولون: هو فاعل تارك لمن تكثر ذنوبه، قال نور الدين العسيلى:

يتركنى ذنبا ولا ذنب لى — فاعجب لهذا الفاعل التارك

(٦) نكتة نحوية: فى قولك: ضربت زينب: زينب فاعلة للفعل ضرب (٧) مثل. يضرب لمن شوهه الكبر والهرم ويحاول بالصباغ أن يظهر بمظهر الشباب، قال الشاعر:

عجوز تمنت أن تكون فتية — وقد لحب الجنبان واحدودب الظهر
تروح الى العطار تبغى صلاحها — وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟

(٨) أى رواج (٩) الذرا — بفتح الذال: فناء الدار ونواحيها. وكل ما استترت به، يقال أنا فى ظل فلان وفى ذراه أى فى كنفه، والذرى كل ما أكن من الريح الباردة من حائط أو شجر. والهجوع النوم

وَقِرَاكِ(١) « لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ » ، فَإِلَامَ تَبْرُزُ الْإِمَاءُ(٢) فِي مَنَصَّةِ الْعَقَائِلِ(٣) ؟ ، وَلَكِنِ أُذَكِّرِي قَوْلَ الْقَائِلِ :

بَلَنْسِيَةٌ بِينِي(٤) عَنِ الْقَلْبِ سَلْوَةً
فَإِنَّكِ رَوْضٌ لَا أَحِنُّ لِزَهْرِكِ
وَكَيْفَ يُحِبُّ الْمَرْءُ دَارًا تَقَسَّمَتْ
عَلَى صَارِمَيْ جُوعٍ وَفِتْنَةِ مُشْرِكِ

بَيْدَ أَنِّي أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُوقِدَ مِنْ تَوْفِيقِكِ(٥) مَا خَمَدَ ، وَيُسِيلَ مِنْ تَسْدِيدِكِ مَا جَمَدَ ، وَلَا يُطِيلَ عَلَيْكِ فِي الْجَهَالَةِ الْأَمَدَ . وَإِيَّاهُ سُبْحَانَهُ نَسْأَلُ أَنْ يَرُدَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا إِلَى أَفْضَلِ عَوَائِدِهِ ، وَيَجْعَلَ مَصَائِبَ أَعْدَائِهِ

(١) هو ما يقدم للضيف من طعام (٢) جمع أمة : الجارية المملوكة (٣) المنصة بفتح الميم : الحجلة تعد للعروس ، والمنصة بكسر الميم : الكرسى وشبهه من نحو سرير تظهر عليه العروس ، والماشطة تنص العروس فتقعدها على المنصة لترى من بين النساء ، والعقائل : جمع عقيلة : أى السيدة الشريفة الكريمة المخدرة (٤) أى ابعدى (٥) كناية عن ردها الى حظيرة ملوك الاسلام وكان الروم قد ملكوها سنة ٤٨٧ واستردها الملثمون الذين كانوا ملوكا بالمغرب قبل عبد المؤمن بن على سنة ٤٩٥ . فالظاهر أنها تدعو لها بصلاح حالها ، وعودة الرشد اليها ، وكأنها تعرض بها أنها فقدت منزلتها وساءت بعد صلاحها

مِنْ فَوَائِدِهِ ، وَيُمَكِّنَ حُسَامَهُ مِنْ رِقَابِ الْمُشَغِّبِينَ[١] ، وَيُبْقِيَهُ «وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» ؛ وَيَصِلَ لَهُ تَأْيِيدًا وَتَأْيِيدًا ، وَيُمَهِّدَ لَهُ الْأَيَّامَ حَتَّى تَكُونَ الْأَحْرَارُ لِعَبِيدِ عَبِيدِهِ عَبِيدًا ، وَيَمُدَّ عَلَى الدُّنْيَا بِسَاطَ سَعْدِهِ ، وَيَهَبَ لَهُ مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ :

آمِينَ آمِينَ لَا أَرْضَى بِوَاحِدَةٍ
حَتَّى أُضِيفَ إِلَيْهَا أَلْفَ آمِينَا

ثُمَّ السَّلَامُ الَّذِي يَتَأَنَّقُ عَبَقاً[٢] وَنَشْرًا ، وَيَتَأَلَّقُ رَوْنَقاً[٣] وَبِشْرًا ، عَلَى حَضْرَتِهِمُ الْعَلِيَّةِ ، وَمَطَالِعِ أَنْوَارِهِمُ السَّنِيَّةِ الْجَلِيَّةِ ، وَرَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ . انْتَهَى .

***

ابن بطوطة الرحالة

وَلَمَّا أَلَمَّ[٤] الرَّحَّالَةُ ابْنُ بَطُّوطَةَ فِي رِحْلَتِهِ بِدُخُولِهِ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ ، أَعَادَهَا اللهُ تَعَالَى لِلْإِسْلَامِ ، قَالَ : فَوَصَلْتُ إِلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ - حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى - حَيْثُ الْأَجْرُ مَوْفُورٌ لِلسَّاكِنِ ، وَالثَّوَابُ مَذْخُورٌ[٥] لِلْمُقِيمِ وَالظَّاعِنِ ، إِلَى أَنْ

(١) الذين يسارعون الى الشغب والثورة (٢) العبق والنشر : الرائحة الذكية
(٣) أى يضىء حسنا وفرحا ويشرق ببهجة ونضرة (٤) ألم به : نزل
(٥) ذخر الشىء اتخذه واختاره ، وذخر لنفسه حديثا حسنا أبقاه

قَالَ عِنْدَ ذِكْرِهِ غَرْنَاطَةَ مَا نَصُّهُ :

قَاعِدَةُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَعَرُوسُ مُدُنِهَا ، وَخَارِجُهَا[1] لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَهُوَ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ مِيلًا يَخْتَرِقُهُ نَهْرُ شِنِيلَ الْمَشْهُورُ ، وَسِوَاهُ مِنَ الْأَنْهَارِ الْكَثِيرَةِ ، وَالْبَسَاتِينِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْجَنَّاتِ وَالرِّيَاضَاتِ وَالْقُصُورِ . وَالْكُرُومُ مُحْدِقَةٌ بِهَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ . وَمِنْ عَجِيبِ مَوَاضِعِهَا : عَيْنُ الدَّمْعِ وَهُوَ جَبَلٌ فِيهِ الرِّيَاضَاتُ وَالْبَسَاتِينُ لَا مِثْلَ لَهُ بِسِوَاهَا . انْتَهَى .

« وَقَالَ الشَّقَنْدِيُّ » : غَرْنَاطَةُ دِمَشْقُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، وَمَسْرَحُ الْأَبْصَارِ وَمَطْمَحُ الْأَنْفُسِ ، وَلَمْ تَخْلُ مِنْ أَشْرَافٍ أَمَاثِلَ ، وَعُلَمَاءَ أَكَابِرَ ، وَشُعَرَاءَ أَفَاضِلَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بِهَا إِلَّا مَا خَصَّهَا اللّٰهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ كَوْنِهَا قَدْ نَبَغَ فِيهَا النِّسَاءُ الشَّوَاعِرُ كَنَزْهُونَ الْقَلْعِيَّةِ وَالرَّكُونِيَّةِ وَغَيْرِهِمَا ، وَنَاهِيكَ بِهِمَا فِي الظَّرْفِ وَالْأَدَبِ[2] . انْتَهَى

(١) أى ضواحيها (٢) نسبة الى القلعة وهى اقليم من كورة قبرة بالأندلس ونزهة الوهيبة جارية الكاتب أبى عبد الله محمد بن وهب الحميرى كانت احدى عجائب القيان حذقا وطبعا وحسنا وظرفا وحفصة الركونية توفيت سنة ٥٨٦

وَلِبَعْضِهِمْ يَتَشَوَّقُ إِلَى غَرْنَاطَةَ فِيمَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ، وَالصَّوَابُ أَنَّ الْأَبْيَاتَ قِيلَتْ فِي قُرْطُبَةَ كَمَا مَرَّ ، وَاللهُ أَعْلَمُ

أَغَرْنَاطَةُ الْغَرَّاءُ هَلْ لِي أَوْبَةٌ
إِلَيْكِ وَهَلْ يَدْنُو لَنَا ذٰلِكَ الْعَهْدُ
سَقَى الْجَانِبَ الْغَرْبِيَّ مِنْكِ غَمَامَةٌ
وَقَعْقَعَ فِي سَاحَاتِ رَوْضَتِكِ الرَّعْدُ
لَيَالِيكِ أَسْحَارٌ وَأَرْضُكِ جَنَّةٌ
وَتُرْبُكِ فِي اسْتِنْشَاقِهَا عَنْبَرٌ وَرْدُ(١)

وَقَالَ ابْنُ مَالِكٍ الرُّعَيْنِيُّ :

رَعَى اللهُ بِالْحَمْرَاءِ(٢) عَيْشًا قَطَعْتُهُ
ذَهَبْتُ بِهِ لِلْأُنْسِ وَاللَّيْلُ قَدْ ذَهَبْ
تَرَى الْأَرْضَ مِنْهَا فِضَّةً فَإِذَا اكْتَسَتْ
بِشَمْسِ الضُّحَى عَادَتْ سَبِيكَتُهَا ذَهَبْ

(١) الورد : الأحمر الضارب الى الصفرة ـ ومن كلام نافع بن الأزرق : وقتلته وأنا على برذون ورد (٢) الحمراء : اسم لمدينة لبلة بالأندلس وهى مدينة قديمة كان بها آثار عجيبة ، وقصر الحمراء مشهور وتسمى حمراء غرناطة سميت الحمراء لاحمرار جدرانها وللون التربة التى قامت عليها فى سفح جبل غرناطة

وَهُوَ ٱلْقَائِلُ :

لَا تَظُنُّوا أَنَّ شَوْقِي خَمَدَا   بَعْدَكُمْ أَوْ أَنَّ دَمْعِي جَمَدَا
كَيْفَ أَسْلُو عَنْ أُنَاسٍ مِثْلَهُمْ   قَلَّ أَنْ تُبْصِرَ عَيْنِي أَحَدَا

« وَغَرْنَاطَةُ » مِنْ أَحْسَنِ بِلَادِ ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَتُسَمَّى بِدِمَشْقِ ٱلْأَنْدَلُسِ لِأَنَّهَا أَشْبَهُ شَيْءٍ بِهَا، وَيَشُقُّهَا نَهْرُ حَدْرَة[1] ، وَيُطِلُّ عَلَيْهَا ٱلْجَبَلُ ٱلْمُسَمَّى بِشُلَيْرَ ، ٱلَّذِي لَا يَزُولُ ٱلثَّلْجُ عَنْهُ شِتَاءً وَصَيْفاً ، وَيَجْمُدُ عَلَيْهِ حَتَّى يَصِيرَ كَالْحَجَرِ ٱلصَّلْدِ، وَفِي أَعْلَاهُ ٱلْأَزَاهِرُ ٱلْكَثِيرَةُ ، وَأَجْنَاسُ ٱلْأَفَاوِيهِ ٱلرَّفِيعَةِ ، وَنَزَلَ بِهَا أَهْلُ دِمَشْقَ لَمَّا جَاءُوا إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ لِأَجْلِ ٱلشَّبَهِ ٱلْمَذْكُورِ . وَقُرَى غَرْنَاطَةَ ـ فِيمَا ذَكَرَ بَعْضُ ٱلْمُتَأَخِّرِينَ ـ مِائَتَانِ وَسَبْعُونَ قَرْيَةً

***

« وَقَالَ ٱبْنُ جُزَيٍّ » مُرَتِّبُ رِحْلَةِ ٱبْنِ بَطُّوطَةَ بَعْدَ ذِكْرِ كَلَامِهِ مَا نَصُّهُ : قَالَ ٱبْنُ جُزَيٍّ : لَوْلَا خَشْيَةُ أَنْ أُنْسَبَ   ابن جزى

(١) قال ياقوت فى وصف غرناطة : ويشقها النهر المعروف بنهر قلوم فى القديم ويعرف الآن بنهر حدارة يلقط منه سحالة الذهب الخالص وعليه أرحاء كثيرة فى داخل المدينة وقد اقتطع منه ساقية كبيرة تخترق نصف المدينه فتعم حماماتها وساقياتها وكثيرا من دور الكبراء الخ

إِلَى ٱلْعَصَبِيَّةِ لَأَطَلْتُ ٱلْقَوْلَ فِي وَصْفِ غَرْنَاطَةَ فَقَدْ وَجَدْتُ مَكَانَهُ، وَلَٰكِنْ مَا ٱشْتَهَرَ كَاشْتِهَارِهَا لَا مَعْنَى لِإِطَالَةِ ٱلْقَوْلِ فِيهِ ، وَلِلّٰهِ دَرُّ شَيْخِنَا أَبِي بَكْرِ ٱبْنِ مُحَمَّدِ بْنِ شِيرِينَ ٱلسَّبْتِيِّ[1] نَزِيلِ غَرْنَاطَةَ حَيْثُ يَقُولُ :

رَعَى ٱللّٰهُ مِنْ غَرْنَاطَةٍ مُتَبَوَّأً[2]
يَسُرُّ حَزِينًا أَوْ يُجِيرُ طَرِيدَا
تَبَرَّمَ مِنْهَا صَاحِبِي عِنْدَمَا رَأَى
مَسَارِحَهَا بِالثَّلْجِ عُدْنَ جَلِيدَا
هِيَ ٱلثَّغْرُ صَانَ ٱللّٰهُ مَنْ أَهَلَتْ[3] بِهِ
وَمَا خَيْرُ ثَغْرٍ لَا يَكُونُ بَرُودَا[4]؟!

وَقَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ عِنْدَمَا أَجْرَى ذِكْرَ قَرْيَةِ نَارِجَةَ ـ وَهِيَ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ تُضَاهِي ٱلْمُدُنَ، قَدْ أَحْدَقَتْ بِهَا ٱلْبَسَاتِينُ ، وَلَهَا نَهْرٌ يَفْتِنُ ٱلنَّاظِرِينَ ، وَهِيَ مِنْ أَعْمَالِ مَالَقَةَ : إِنَّهُ ٱجْتَازَ مَرَّةً عَلَيْهَا مَعَ وَالِدِهِ أَبِي عِمْرَانَ مُوسَى ، وَكَانَ ذٰلِكَ زَمَانَ

(١) أبو بكر محمد بن شيرين المؤرخ الكاتب توفى سنة ٧٤٧ (٢) أى مقاما ومنزلا (٣) أهل المكان : عمر (٤) البرود : البارد : وفى الكلام تورية لا تخفى

صِبَاغَةِ اُلْحَرِيرِ عِنْدَهُمْ ، وَقَدْ ضَرَبُوا فِي بَطْنِ اُلْوَادِي بَيْنَ مُقَطَّعَاتِهِ خِيَمًا ، وَبَعْضُهُمْ يَشْرَبُ ، وَبَعْضُهُمْ يُغَنِّي وَيَطْرَبُ ، وَسَأَلُوا : بِمَ يُعْرَفُ ذَلِكَ اُلْمَوْضِعُ ؟ فَقَالُوا اُلطِّرَازُ(١)، فَقَالَ وَالِدِي: اُسْمٌ طَابَقَ مُسَمَّاهُ ، وَلَفْظٌ وَافَقَ مَعْنَاهُ .

وَقَدْ وَجَدْتُ مَكَانَ اُلْقَوْلِ(٢) ذَاسَعَةٍ

فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلِ

ثُمَّ قَالَ أَجِزْ(٣) :

بِنَارِجَةٍ حَيْثُ اُلطِّرَازُ اُلْمُنَمْنَمُ

فَقُلْتُ : أَقِمْ فَوْقَ نَهْرٍ ثَغْرُهُ يَتَبَسَّمُ

فَقَالَ : وَسَمْعُكَ نَحْوَ اُلْهَاتِفَاتِ(٤) فَإِنَّهَا

فَقُلْتُ : لِمَا أَبْصَرَتْ مِنْ بَهْجَةٍ تَتَرَنَّمُ

فَقَالَ : أَيَا جَنَّةَ اُلْفِرْدَوْسِ لَسْتُ بِآدَمٍ

---

(١) الطراز فى الأصل الموضع الذى تنسج فيه الثياب الجيدة . والطراز الجيد فى كل شىء (٢) البيت للمتبنى : أى وجدت مقاما يستدعى قولا فان واتتك البلاغة فقل (٣) الاجازة فى الشعر : الاتيان بمصراع يكمل المصراع الأول ، وأن ينظم الشاعر على شعر غيره فى معناه ما يكون به تمامه وكماله ، وهى مشتقة من الاجازة فى السقى يقال : أجاز فلان فلانا اذا سقاه أو سقى له (٤) أى الحمائم ، وهتافها : تغريدها وترجيعها .

فقُلْتُ : فَلا يَكُ حَظِّى مِنْ جَنَاكِ ٱلتَّنَدُّمُ

فَقَالَ : يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَزُورَكِ مِثْـلَ مَا

فَقُلْتُ : يَزُورُ خَيَالٌ مِنْ سُلَيْمَى مُسَلِّمُ

فَقَالَ : فَلَوْ أَنَّنِي أُعْطَى ٱلْخِيَارَ لَمَا عَدَتْ

فَقُلْتُ : مَحَلَّكِ لِي عَيْنٌ بِمَرْآكِ تَنْعَمُ

فَقَالَ : بِحَيْثُ ٱلصَّبَا وَٱلطَّلُّ مِنْ نَفَثَاتِهَا

فَقُلْتُ : وَقَتْ لَسْعَ رَوْضٍ فِيهِ لِلنَّهْرِ أَرْقَمُ(١)

فَقَالَ : فَوَا أَسَفَا إِنْ لَمْ تَـكُنْ لِيَ عَوْدَةٌ

فَقُلْتُ : فَـكُنْ مَالِـكًا(٢) إِنِّي عَلَيْكَ مُتَمِّمُ

فَقَالَ : فَأَحْسِبُ هٰذَا آخِرَ ٱلْعَهْدِ بَيْنَنَا

(١) شبه تجعد ماء النهر بظهر الحية الرقطاء فى مشيها كما يقولون : والمياه تنساب فى جداولها انسياب الأراقم (٢) أى ان لم تكن لى عودة فسيطول أسفى وحزنى وبكائى عليك ، بل ستكون منى بمنزلة مالك من أخيه متمم بن نويره : فقد بكى متمم أخاه مالكا حتى دمعت عينه العوراء ، ورثاه بمراث خالدة ، وفيه يقول أكثم بن صيفى : فتى ولا كمالك ، ومن كلام متمم :

وقالوا أتبكى كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوا فالدكادك

فقلت لهم ان الأسى يبعث الأسى دعونى فهذا كله قبر مالك

فَقُلْتُ : وَقَدْ يَلْحَظُ ٱلرَّحْمٰنُ شَوْقِى فَيَرْحَمُ

فَقَالَ : سَلَامٌ سَلَامٌ لَا يَزَالُ مُرَدَّدًا

فَقُلْتُ : عَلَيْكِ وَلَا زَالَتْ بِكِ ٱلسُّحْبُ تَسْجُمُ

***

« وَقَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ » : إِنَّ كُورَةَ بَلَنْسِيَةَ مِنْ شَرْقِيِّ ٱلْأَنْدَلُسِ، يَنْبُتُ بِهَا ٱلزَّعْفَرَانُ، وَتُعْرَفُ بِمَدِينَةِ ٱلتُّرَابِ، وَبِهَا كُمَّثْرَى تُسَمَّى ٱلْأُرْزَةَ فِي قَدْرِ حَبَّةِ ٱلْعِنَبِ، قَدْ جَمَعَ مَعَ حَلَاوَةِ ٱلطَّعْمِ ذَكَاءَ ٱلرَّائِحَةِ، إِذَا دَخَلَ دَارًا عُرِفَ بِرِيحِهِ . وصف بلنسية

وَيُقَالُ إِنَّ ضَوْءَ بَلَنْسِيَةَ يَزِيدُ عَلَى ضَوْءِ سَائِرِ بِلَادِ ٱلْأَنْدَلُسِ . وَبِهَا مَنَازِهُ وَمَسَارِحُ، وَمِنْ أَبْدَعِهَا وَأَشْهَرِهَا الرُّصَافَةُ وَمُنْيَةُ ٱبْنِ أَبِي عَامِرٍ . وَقَالَ ٱلشَّرَفُ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ مَسْعَدَةَ ٱلْغَرْنَاطِيُّ مِنْ أَبْيَاتٍ فِيهَا :

هِيَ ٱلْفِرْدَوْسُ فِي ٱلدُّنْيَا جَمَالًا

لِسَاكِنِهَا، وَكَارِهُهَا ٱلْبَعُوضُ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِيهَا :

ضَاقَتْ بَلَنْسِيَةٌ بِي وَذَادَ عَنِّي غُمُوضِي

رَقْصُ الْبَرَاغِيثِ فِيهَا　　عَلَى غِنَاءِ الْبَعُوضِ

وَفِيهَا لِابْنِ الزَّقَّاقِ[1] الْبَلَنْسِيِّ :

بَلَنْسِيَةٌ إِذَا فَكَّرْتُ فِيهَا　　وَفِي آيَاتِهَا أَسْنَى[2] الْبِلَادِ

وَأَعْظَمُ شَاهِدِي مِنْهَا عَلَيْهَا　　وَأَنَّ جَمَالَهَا لِلْعَيْنِ بَادِي

كَسَاهَا رَبُّهَا دِيبَاجَ حُسْنٍ　　لَهَا عَلَمَانِ مِنْ بَحْرٍ وَوَادِي

« وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ أَيْضًا » : أَنْشَدَنِي وَالِدِي ، قَالَ أَنْشَدَنِي مَرْوَانُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَلِكُ بَلَنْسِيَةَ لِنَفْسِهِ بِمَرَّاكُشَ قَوْلَهُ :

كَأَنَّ بَلَنْسِيَةً كَاعِبٌ[3]　　وَمَلْبَسُهَا سُنْدُسٌ أَخْضَرُ

إِذَا جِئْتَهَا سَتَرَتْ نَفْسَهَا[4]　　بِأَكْمَامِهَا[5] فَهْيَ لَا تَظْهَرُ

---

(١) هو أبو الحسن على بن عطية توفى سنة ٥٣٠ھ (٢) من السنا: مقصورا: وهو النور أى أكثر البلاد نورا (٣) الكاعب: الفتاة برز نهدها، والبيتان ينسبان لأبى العباس أحمد بن الزقاق يصف بلنسية ويذكر أن البساتين محفوفة بها (٤) ويروى سترت وجهها (وهو ألطف) (٥) الكم : ماتفتح عن الثمرة وكم القميص معروف ، والكمة كل ظرف غطيت به شيئا وألبسته اياه فصار كالغلاف له ففى أكمام فى البيت تورية وفى البيتين حسن تعليل بديع : أى أنها محوطة بالأشجار فلا تظهر مبانيها لوفرة ما يكتنفها من الشجر

وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ عَيَّاشٍ : «بَلَنْسِيَةٌ بِينِي[١]»، الْبَيْتَيْنِ وَقَدْ سَبَقَا فَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ إِنَّ ذٰلِكَ حَيْثُ صَارَتْ ثَغْرًا يُصَابِحُهَا الْعَدُوُّ وَيُمَاسِيهَا . انْتَهَى .

« وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ حَرِيقٍ[٢] » يُجَاوِبُ ابْنَ عَيَّاشٍ :

بَلَنْسِيَةٌ قَرَارَةُ كُلِّ حُسْنٍ ... حَدِيثٌ صَحَّ فِي شَرْقٍ وَغَرْبِ

فَإِنْ قَالُوا مَحَلُّ غَلَاءِ سِعْرٍ ... وَمَسْقَطُ دِيمَتَيْ طَعْنٍ وَضَرْبِ

فَقُلْ هِيَ جَنَّةٌ حُفَّتْ رُبَاهَا

بِمَكْرُوهَيْنِ[٣] مِنْ جُوعٍ وَحَرْبِ

وَقَالَ الرُّصَافِيُّ[٤] فِي رُصَافَتِهَا :

وَلَا كَالرُّصَافَةِ مِنْ مَنْزِلٍ

سَقَتْهُ السَّحَائِبُ صَوْبَ الْوَلِيِّ[٥]

---

(١) فى قوله فيما تقدم :

بلنسية بينى عن القلب سلوة ... فانك روض لا أحن لزهرك الخ

(٢) توفى على بن حريق سنة ٦٢٢ (٣) يشير الى الحديث المأثور : حفت الجنة بالمكاره (٤) هو أبو عبد الله محمد بن غالب الرفاء الأندلسى البلنسى الرصافى توفى سنة ٥٧٢ بمدينة مالقة (٥) الولى من المطر : ماجاء بعد الوسمى : والمطر بعد المطر : والوسمى : مطر الربيع الأول سمى به لأنه يسم الأرض بالنبات ، أصاب الأرض الوسمى

أَحِنُّ إِلَيْهَا وَمَنْ لِي بِهَـا ؟
وَأَيْنَ ٱلسَّرِيُّ(١) مِنَ ٱلْمَوْصِلِ

« وَقَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ » : وَبِرُصَافَةِ بَلَنْسِيَةَ مناظِرُ وَبَسَاتِينُ وَمِيَاهٌ ، وَلَا نَعْلَمُ فِي ٱلْأَنْدَلُسِ مَا يُسَمَّى بِهٰذَا ٱلِاسْمِ إِلَّا هٰذِهِ وَرُصَافَةَ قُرْطُبَةَ(٢) . انْتَهَى .

***

قرية المنصف — وَمِنْ أَعْمَالِ بَلَنْسِيَةَ قَرْيَةُ ٱلْمَنْصَفِ ٱلَّتِي مِنْهَا ٱلْفَقِيهُ ٱلزَّاهِدُ أَبُو عَبْدِ ٱللهِ ٱلْمَنْصَفِيُّ ، وَقَبْرُهُ كَانَ بِسَبْتَةَ يُزَارُ ، رَحِمَهُ ٱللهُ تعالَى . وَمِنْ نَظْمِهِ :

قَالَتْ لِيَ ٱلنَّفْسُ أَتَاكَ ٱلرَّدَى(٣)
وَأَنْتَ فِي بَحْرِ ٱلْخَطَايَا مُقِيمْ
فَمَا ٱدَّخَرْتَ ٱلزَّادَ ، قُلْتُ ٱقْصِرِي
هَلْ يُحْمَلُ ٱلزَّادُ لِدَارِ ٱلْكَرِيمْ ؟

(١) يريد الشاعر المشهور أبا الحسن السرى بن أحمد بن السرى الكندى الرفاء الموصلى ، اتصل بعد أن جاد شعره ومهر فيه بسيف الدولة بن حمدان فى حلب ومدحه وأقام عنده مدة ، و بعد وفاة سيف الدولة انتقل الى بغداد ومدح الوزير المهلبى وجماعة من رؤسائها حتى توفى بها سنة ٣٦٦ (٢) مدينة أنشأها عبد الرحمن الداخل وسماها الرصافة تشبيها برصافة جده هشام بن عبد الملك فى الشام (٣) أى الموت .

وَمِنْ عَمَلِ بَلَنْسِيَةَ قَرْيَةُ بَطَرْنَةَ وَهِيَ ٱلَّتِي كَانَتْ فِيهَا ٱلْوَقْعَةُ ٱلْمَشْهُورَةُ لِلنَّصَارَى عَلَى ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَفِيهَا يَقُولُ أَبُو إِسْحَقَ بْنُ يَعْلَى ٱلطَّرَسُونِيُّ[1] :

لَبِسُوا ٱلْحَدِيدَ إِلَى ٱلْوَغَى وَلَبِسْتُمُ
حُلَلَ ٱلْحَرِيرِ[2] عَلَيْكُمُ أَلْوَانَا
مَا كَانَ أَقْبَحَهُمْ وَأَحْسَنَكُمْ بِهَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ بِبَطَرْنَةٍ مَا كَانَا

وَمِنْ عَمَلِ بَلَنْسِيَةَ مَنِيطَةُ ٱلَّتِي نُسِبَ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْأُدَبَاءِ . وَمِنْ عَمَلِ بَلَنْسِيَةَ مَدِينَةُ أُنْدَةَ ٱلَّتِي فِي جَبَلِهَا مَعْدِنُ ٱلْحَدِيدِ ـ وَأَمَّا رُنْدَةُ[3] بِالرَّاءِ فَهِيَ فِي مُتَوَسَّطِ ٱلْأَنْدَلُسِ ـ وَلَهَا حِصْنٌ يُعْرَفُ بِأُنْدَةَ أَيْضًا ، وَفِي إِشْبِيلِيَةَ ـ أَعَادَهَا ٱللهُ ـ مِنَ ٱلْمُتَفَرَّجَاتِ وَٱلْمُتَنَزَّهَاتِ كَثِيرٌ ، وَمِنْ ذَلِكَ مَدِينَةُ طَرْيَانَةَ ، فَإِنَّهَا مِنْ مُدُنِ إِشْبِيلِيَةَ وَمُتَنَزَّهَاتِهَا ،

(١) طرسونة : مدينة بالقرب من تطيلة (٢) فى قوله : ولبستم حلل الحرير مع انكسارهم معنى التقريع (٣) رندة : معقل حصين بين اشبيلية ومالقة

وَكَذَلِكَ تَيْطَلُ فَقَدْ ذَكَرَ ٱبْنُ سَعِيدٍ جَزِيرَةَ تَيْطَلَ فِي ٱلْمُتَفَرَّجَاتِ(١)

« وَقَالَ أَبُو عِمْرَانَ » مُوسَى بْنُ سَعِيدٍ فِي جَوَابِهِ لِأَبِي يَحْيَى صَاحِبِ سَبْتَةَ لَمَّا ٱسْتَوْزَرَهُ مُسْتَنْصِرُ(١) بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ، وَكَتَبَ إِلَى ٱلْمَذْكُورِ يُرَغِّبُهُ فِي ٱلنُّقْلَةِ عَنِ ٱلْأَنْدَلُسِ إِلَى مَرَّاكُشَ مَا نَصُّ مَحَلِّ ٱلْحَاجَةِ مِنْهُ :

وَأَمَّا مَا ذَكَرَ سَيِّدِي مِنَ ٱلتَّخْيِيرِ بَيْنَ تَرْكِ ٱلْأَنْدَلُسِ وَبَيْنَ ٱلْوُصُولِ إِلَى حَضْرَةِ مَرَّاكُشَ ، فَكَفَى ٱلْفَهْمَ ٱلْعَالِيَ مِنَ ٱلإِشَارَةِ قَوْلُ ٱلْقَائِلِ :

وَٱلْعِزُّ مَحْمُودٌ وَمُلْتَمَسٌ   وَأَلَذُّهُ مَا كَانَ فِي ٱلْوَطَنِ

فَإِذَا نِلْتُ بِكَ ٱلسَّمَاءَ فِي تِلْكَ ٱلْحَضْرَةِ، فَعَلَى مَنْ أَسُودُ فِيهَا ؟ وَمَنْ ذَا أُضَاهِي بِهَا ؟

لَا رَقَتْ بِي هِمَّةٌ إِنْ لَمْ أَكُنْ   فِيكَ قَدْ أَمَّلْتُ كُلَّ ٱلْأَمَلِ

(١) أى المتنزهات (٢) هو أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن بن على ولد سنة ٥٩٤ وولى الأمر سنة ٦١٦ وتوفى سنة ٦٢٠

وَبَعْدُ فَكَيْفَ أُفَارِقُ الْأَنْدَلُسَ ؟ وَقَدْ عَلِمَ سَيِّدِى أَنَّهَا جَنَّةُ الدُّنْيَا بِمَا حَبَاهَا اللهُ بِهِ مِنَ اعْتِدَالِ الْهَوَاءِ ، وَعُذُوبَةِ الْمَاءِ ، وَكَثَافَةِ الْأَفْيَاءِ(١) ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَبْرَحُ فِيهَا بَيْنَ قُرَّةِ عَيْنٍ وَقَرَارِ نَفْسٍ(٢) :

هِيَ الْأَرْضُ لَا وِرْدٌ لَدَيْهَا مُكَدَّرٌ
وَلَا ظِلٌّ مَقْصُورٌ وَلَا رَوْضٌ مُجْدِبُ

أُفُقٌ صَقِيلٌ، وَبِسَاطٌ مُدَبَّجٌ، وَمَاءٌ سَائِحٌ ، وَطَائِرٌ مُتَرَنِّمٌ وَهَوَاءٌ بَلِيلٌ، وَكَيْفَ يَعْدِلُ الْأَدِيبُ عَنْ أَرْضٍ عَلَى هٰذِهِ الصِّفَةِ ؟! فَيَا سَمَوْءَلَ(٣) الْوَفَاءِ ، وَيَا حَاتِمَ(٤) السَّمَاحِ، وَيَا جَذِيمَةَ(٥) الصَّفَاءِ،

(١) جمع فيء ، وهو الظل (٢) يريد السرور ورخاء البال (٣) السموأل ابن عادياء الاسرائيلي : استودعه امرؤ القيس دروعه وذهب عنه وجاء أعداء امرىء القيس يطلبون تلك الدروع وقد اختطفوا ابنا للسموأل فلما أطل عليهم من حصنه الأبلق خيروه بين أن يدفع اليهم الدروع والسلاح أو يقتلوا ابنه ، فأبى أن يخفر ذمته وسلم فى قتل ابنه فتضرب به المثل فى الوفاء (٤) هو حاتم الطائى أشهر من أن يعرف ، بل صار اسمه علما على الكرم الذى لاغاية له (٥) هو جذيمة الأبرش أحد ملوك العرب الذين سالمتهم الأيام واتخذ له نديمين لشرابه وفيهما يقول متمم بن نويرة فى رثاء أخيه :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن تتقطعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

كَمَلٍّ لِمَنْ أَمَّلَكَ ٱلنِّعْمَةَ بِتَرْكِهِ فِي مَوْطِنِهِ ، غَيْرَ مُكَدِّرٍ لِخَاطِرِهِ بِالتَّحَرُّكِ مِنْ مَعْدِنِهِ ، مُتَلَفِّتًا إِلَى قَوْلِ ٱلْقَائِلِ :

وَسَوَّلَتْ لِيَ نَفْسِي أَنْ أُفَارِقَهَا
وَٱلْمَاءُ فِي ٱلْمُزْنِ(١) أَصْفَى مِنْهُ فِي ٱلْغُدُرِ(٢)

فَإِنْ أَغْنَاهُ ٱهْتِمَامُ مُؤَمِّلِهِ عَنِ ٱرْتِيَادِ ٱلْمَرَادِ(٣) ، وَبَلَّغَهُ دُونَ أَنْ يَشُدَّ قَتَبًا وَلَا أَنْ يُنْضِيَ(٤) عِيسًا غَايَةَ ٱلْمُرَادِ ، أَنْشَدَ نَاجِحَ ٱلْمَرْغُوبِ ، بَالِغَ ٱلْمَطْلُوبِ :

وَلَيْسَ ٱلَّذِي يَتَتَبَّعُ ٱلْوَبْلَ رَائِدًا
كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ ٱلْوَبْلِ

وَرُبَّ قَائِلٍ إِذَا سَمِعَ هَذَا ٱلتَّبَسُّطَ عَلَى ٱلْأَمَانِيِّ : مَا لَهُ تَشَطَّطَ(٥) ؟ ، وَعَدَلَ عَنْ سَبِيلِ ٱلتَّأَدُّبِ وَٱلتَّبَسُّطِ . وَلَا جَوَابَ عِنْدِي إِلَّا قَوْلُ ٱلْقَائِلِ :

---

(١) جمع مزنة : وهى السحابة : وفى التنزيل « أأنتم أنزلتموه من المزن »
(٢) جمع غدير : ويجمع أيضا على غدران : ماء غامر غير جار نبتت فيه الأعشاب (٣) من راد المكان يروده اذا خرج يطلب مواضع الكلأ ومساقط الغيث (٤) ينضى : يجهد ويتعب (٥) أى تجاوز الحد

فَهَذِهِ خُطَّةٌ مَا زِلْتُ أَرْقُبُهَا

فَالْيَوْمَ أَبْسُطُ آمَالِي وَأَحْتَكِمُ

وَمَالِيَ لَا أُنْشِدُ مَا قَالَهُ ٱلْمُتَنَبِّي فِي سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ :

وَمَنْ كُنْتَ بَحْرًا لَهُ يَاعَلِيُّ م لَمْ يَقْبَلِ ٱلدُّرَّ إِلَّا كِبَارًا

انْتَهَى ٱلْمَقْصُودُ مِنْهُ. « وَقَالَ ٱلْحِجَّارِيُّ » : إِنَّ مَدِينَةَ شَرِيشٍ بِنْتُ إِشْبِيلِيَةَ ، وَوَادِيهَا ٱبْنُ وَادِيهَا ، مَاأَشْبَهَ سُعْدَى(١) بِسَعِيدٍ، وَهِيَ مَدِينَةٌ جَلِيلَةٌ ضَخْمَةُ ٱلْأَسْوَاقِ ، لِأَهْلِهَا هِمَمٌ وَظَرْفٌ فِي ٱللِّبَاسِ وَإِظْهَارِ ٱلرَّفَاهِيَةِ ، وَتَخَلُّقٌ بِالْآدَابِ ، وَلَا تَكَادُ تَرَى بِهَا إِلَّا عَاشِقًا أَوْ مَعْشُوقًا ، وَلَهَا مِنَ ٱلْفَوَاكِهِ مَا يَعُمُّ وَيَفْضُلُ، وَمِمَّا ٱخْتُصَّتْ بِهِ إِحْسَانُ ٱلصَّنْعَةِ فِي ٱلْمُجَبَّنَاتِ(٢) وَطِيبُ جُبْنِهَا يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ ، وَيَقُولُ أَهْلُ ٱلْأَنْدَلُسِ : مَنْ دَخَلَ شَرِيشَ وَلَمْ يَأْكُلْ بِهَا ٱلْمُجَبَّنَاتِ فَهُوَ مَحْرُومٌ . ٱنْتَهَى. وَٱلْمُجَبَّنَاتُ نَوْعٌ مِنَ ٱلْقَطَائِفِ يُضَافُ إِلَيْهَا ٱلْجُبْنُ فِي عَجِينِهَا وَتُقْلَى بِالزَّيْتِ ٱلطَّيِّبِ . وَفِي شِلْبٍ يَقُولُ ٱلْفَاضِلُ ٱلْكَاتِبُ أَبُو عَمْرِو بْنُ مَالِكِ بْنِ سَيْدَمِيرَ

(١) قد تكون محرفة عن : ماأشبه سعدا بسعيد (بالتصغير) ــ اشارة للمثل المشهور :أسعد أم سعيد، وهما ابناضبة بن أد(٢)الفطائر المخصوصة التي وصفها

أَشَجَاكَ ٱلنَّسِيمُ حِينَ يَهُبُّ ؟
أَمْ سَنَا ٱلْبَرْقِ إِذْ يَخُبُّ(١) وَيَخْبُو
أَمْ هَتُوفٌ(٢) عَلَى ٱلْأَرَاكَةِ تَشْدُو
أَمْ هَتُونٌ(٣) مِنَ ٱلْغَمَامَةِ سَكْبُ
كُلُّ هَـذَاكَ لِلصَّبَابَةِ دَاعٍ
أَىُّ صَبٍّ دُمُوعُهُ لَا تُصَبُّ ؟
أَنَا لَوْلَا ٱلنَّسِيمُ وَٱلْبَرْقُ وَٱلْوُرْ(٤)
قُ وَصَوْبُ ٱلْغَمَامِ مَا كُنْتُ أَصْبُو
ذَكَّرَتْنِي شِلْبًا وَهَيْهَاتَ مِنِّي
بَعْدَ مَا ٱسْتَحْكَمَ ٱلتَّبَاعُدُ شِلْبُ

وَتُسَمَّى أَعْمَالُ شِلْبٍ كُورَةَ أَشْكُونِيَةَ ، وَهِيَ مُتَّصِلَةٌ بِكُورَةِ أَشْبُونَةَ ، وَهِيَ - أَعْنِي أَشْكُونِيَةَ - قَاعِدَةٌ جَلِيلَةٌ لَهَا مُدُنٌ وَمَعَاقِلُ(٥) ، وَدَارُ مُلْكِهَا قَاعِدَةُ شِلْبٍ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ

(١) يسرع فى الاشعاع ثم يطفأ (٢) حمامة كثيرة الهتاف ، وتهتف : تنوح وتصوت وتحن . والأراكة : نوع من الشجر - وشد الطائر : غرد وغنى (٣) سحابة دائمة المطر (٤) جمع ورقاء : نوع من الحمام (٥) حصون

قُرْطُبَةَ سَبْعَةُ أَيَّامٍ . وَلَمَّا صَارَتْ لِبَنِي عَبْدِ ٱلْمُؤْمِنِ مُلُوكِ مَرَّاكُش أَضَافُوهَا إِلَى كُورَةِ إِشْبِيلِيَةَ . وَتَفْتَخِرُ شِلْبُ بِكَوْنِ ذِي ٱلْوِزَارَتَيْنِ ٱبْنِ عَمَّارٍ مِنْهَا ـ سَامَحَهُ ٱللهُ ـ وَمِنْهَا ٱلْقَائِدُ أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ بَدْرَانَ ـ وَرُبَّمَا قِيلَ ٱبْنُ بَدْرُونَ(١) ـ ٱلْأَدِيبُ ٱلْمَشْهُورُ شَارِحُ قَصِيدَةِ ٱبْنِ عَبْدُونَ(٢) ٱلَّتِي أَوَّلُهَا :

ٱلدَّهْرُ يُفْجِعُ(٣) بَعْدَ ٱلْعَيْنِ بِٱلْأَثَرِ
فَمَا ٱلْبُكَاءُ عَلَى ٱلْأَشْبَاحِ وَٱلصُّوَرِ؟

وَهَذَا ٱلشَّرْحُ شَهِيرٌ بِهَذِهِ ٱلْبِلَادِ ٱلْمَشْرِقِيَّةِ . وَمِنْ نَظْمِ ٱبْنِ بَدْرُونَ ٱلْمَذْكُورِ قَوْلُهُ :

ٱلْعِشْقُ لَذَّتُهُ ٱلتَّعْنِيقُ وَٱلْقُبَلُ
كَمَا مُنَغِّصُهُ(٤) ٱلتَّثْرِيبُ(٥) وَٱلْعَذَلُ

(١) هو الامام الفقيه الكاتب الأديب الوزير أبو مروان عبد الملك بن عبد الله بن بدرون الحضرمي البستي في القرن السادس الهجري (٢) هو عبد المجيد بن عبدون بن محمد الفهري الأديب الشاعر توفي سنة ٥٢٠ (٣) يفجع: يوجع ويؤلم باصابة الدواهي (٤) منغصه :مكدره (٥) التثريب : اللوم . وثرب عليه فعله : عابه وذمه

يَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ يُقْضَى وِصَالُكُمُ؟
لَوْلَا ٱلْمُنَى لَمْ يَكُنْ ذَا ٱلْعُمْرُ يَتَّصِلُ

وَمِنْهَا نَحْوِيُّ زَمَانِهِ وَعَلَّامَتُهُ ، أَبُو مُحَمَّدٍ(١) بْنُ عَبْدِ ٱللهِ ٱبْنُ ٱلسِّيدِ ٱلْبَطَلْيُوْسِيُّ ، فَإِنَّ شِلْبًا بَيْضَتُهُ(٢) ، وَمِنْهَا كَانَتْ حَرَكَتُهُ وَنَهْضَتُهُ ، كَمَا فِي ٱلذَّخِيرَةِ ، وَهُوَ ٱلْقَائِلُ :

إِذَا سَأَلُونِيَ عَنْ حَالَتِي ... وَحَاوَلْتُ عُذْرًا فَلَمْ يُمْكِنِ
أَقُولُ بِخَيْرٍ وَلٰكِنَّهُ ... كَلَامٌ يَدُورُ عَلَى ٱلْأَلْسُنِ
وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ... وَيَعْلَمُ خَائِنَةَ(٣) ٱلْأَعْيُنِ

وَقَالَ ٱلْوَزِيرُ أَبُو عَمْرِو بْنُ ٱلْغَلَّاسِ يَمْدَحُ بَطَلْيُوْسَ بِقَوْلِهِ :

بَطَلْيُوْسُ لَا أَنْسَاكِ مَا ٱتَّصَلَ ٱلْبُعْدُ
فَلِلّٰهِ غَوْرٌ فِي جَنَابِكِ أَوْ نَجْدُ
وَلِلّٰهِ دَوْحَاتٌ تَحُفُّكِ يُنَّعًا
تَفَجَّرَ وَادِيهَا كَمَا شُقِّقَ ٱلْبُرْدُ

(١) هو عبد الله بن محمد بن السيد عالم أديب شاعر توفى سنة ٥٢١ (٢) أى أصله
(٣) الأعين الخائنة : التى تنظر خلسة الى محرم نظر ريبة ، وعجز البيت اقتباس من القرآن الكريم

وَبَنُو ٱلْغَلَّاسِ مِنْ أَعْيَانِ حَضْرَةِ بَطَلْيَوْسَ ، وَأَبُو عَمْرٍو ٱلْمَذْكُورُ أَشْهَرُهُمْ ، وَهُوَ مِنْ رِجَالِ ٱلذَّخِيرَةِ وَٱلْمُسْهِبِ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى . ، وَفِي شَاطِبَةَ يَقُولُ بَعْضُهُمْ :

نِعْمَ مُلْقَى[1] ٱلرَّحْلِ شَاطِبَةٌ لِفَتًى طَالَتْ بِهِ ٱلرِّحَلُ
بَلْدَةٌ أَوْقَاتُهَا سَحَرٌ وَصَبًا فِي ذَيْلِهِ بَلَلُ
وَنَسِيمٌ عَرْفُهُ أَرِجٌ وَرِيَاضٌ غُصْنُهَا[2] ثَمِلُ
وَوُجُوهٌ كُلُّهَا غُرَرٌ وَكَلَامٌ كُلُّهُ مَثَلُ

وَفِي بَرْجَةَ يَقُولُ بَعْضُهُمْ :

إِذَا جِئْتَ بَرْجَةَ مُسْتَوْفِزًا[3] فَخُذْ فِي ٱلْمُقَامِ وَخَلِّ ٱلسَّفَرْ
فَكُلُّ مَكَانٍ بِهَا جَنَّةٌ وَكُلُّ طَرِيقٍ إِلَيْهَا سَقَرْ

وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْأَنْدَلُسِ مِنَ ٱلْفَضْلِ سِوَى كَوْنِهَا مَلَاعِبَ ٱلْجِيَادِ لِلْجِهَادِ لَكَانَ كَافِيًا ، وَيَرْحَمُ ٱللهُ لِسَانَ ٱلدِّينِ بْنَ ٱلْخَطِيبِ حَيْثُ كَتَبَ عَلَى لِسَانِ سُلْطَانِهِ إِلَى بَعْضِ ٱلْعُلَمَاءِ ٱلْعَامِلِينَ مَا فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى بَعْضِ ذَلِكَ

(١) أى نعم المقام (٢) غصنها ثمل : أى يتمايل تمايل الثمل « السكران »
(٣) أى متحفزا للرحيل

مَا نَصَّهُ : مِنْ أَمِيرِ ٱلْمُسْلِمِينَ فُلَانٍ إِلَى ٱلشَّيْخِ كَذَا ٱبْنِ ٱلشَّيْخِ كَذَا ، وَصَلَ ٱللّٰهُ لَهُ سَعَادَةً تَجْذِبُهُ ، وَعِنَايَةً إِلَيْهِ تُقَرِّبُهُ ، وَقَبُولًا مِنْهُ يَدْعُوهُ إِلَى خَيْرِ مَا عِنْدَ ٱللّٰهِ وَيَنْدُبُهُ ، سَلَامٌ كَرِيمٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ ٱللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ . أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ ٱللّٰهِ ٱلْمُرْشِدِ ٱلْمُثِيبِ ، ٱلسَّمِيعِ ٱلْمُجِيبِ ، مُعَوِّدِ ٱللُّطْفِ ٱلْخَفِيِّ وَٱلصُّنْعِ ٱلْعَجِيبِ ، ٱلْمُتَكَفِّلِ بِإِنْجَازِ وَعْدِ ٱلنَّصْرِ ٱلعَزِيزِ وَٱلْفَتْحِ ٱلْقَرِيبِ ، وَٱلصَّلَاةِ وَٱلسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ ذِي ٱلْقَدْرِ ٱلرَّفِيعِ ، وَٱلْعِزِّ ٱلْمَنِيعِ ، وَٱلْجَنَابِ ٱلرَّحِيبِ ، ٱلَّذِي بِهِ نَرْجُو ظُهُورَ عَبَدَةِ ٱللّٰهِ عَلَى عَبَدَةِ ٱلصَّلِيبِ ، وَنَسْتَظْهِرُ(١) مِنْهُ عَلَى ٱلْعَدُوِّ بِٱلْحَبِيبِ ، وَنَعُدُّهُ عُدَّتَنَا لِلْيَوْمِ ٱلْعَصِيبِ ، وَٱلرِّضَا عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ ٱلَّذِينَ فَازُوا مِنْ مُشَاهَدَتِهِ بِأَوْفَى ٱلنَّصِيبِ ، وَرَمَوْا إِلَى هَدَفِ مَرْضَاتِهِ بِالسَّهْمِ ٱلْمُصِيبِ ، فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ — كَتَبَ ٱللّٰهُ تَعَالَى لَكُمْ عَمَلًا صَالِحًا يَخْتِمُ ٱلْجِهَادُ صَحَائِفَ

(١) أي ونستعين

بِرِّهِ ، وَتَتَمَخَّضُ(١) لِأَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ ٱللهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا
جَوَامِعُ أَمْرِهِ ، وَجَعَلَكُمْ مِمَّنْ تَهَنَّى فِي ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي فُتِحَ
فِيهَا أَبْوَابُ ٱلْجَنَّةِ مُدَّةَ عُمُرِهِ ـ مِنْ حَمْرَاءِ غَرْنَاطَةَ ـ حَرَسَهَا
ٱللهُ تَعَالَى ـ وَلُطْفُ ٱللهِ هَامِي ٱلسَّحَابِ ، وَصُنْعُهُ رَائِقُ
ٱلْجَنَابِ ، وَٱللهُ يَصِلُ لَنَا وَلَكُمْ مَا عَوَّدَهُ مِنْ صِلَةِ لُطْفِهِ ،
عِنْدَ ٱنْبِتَاتِ(٢) ٱلْأَسْبَابِ . وَإِلَى هَذَا أَيُّهَا ٱلْمَوْلَى ٱلَّذِي هُوَ
بَرَكَةُ ٱلْمَغْرِبِ ٱلْمُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ ، وَوَاحِدُهُ فِي رِفْعَةِ
ٱلشَّانِ ، ٱلْمُؤْثِرُ مَا عِنْدَ ٱللهِ عَلَى ٱلزُّخْرُفِ ٱلْفَتَّانِ ،
ٱلْمُتَقَلِّلُ مِنَ ٱلْمَتَاعِ ٱلْفَانِ(٣) ، ٱلْمُسْتَشْرِفُ إِلَى مَقَامِ ٱلْعِرْفَانِ ،
مِنْ دَرَجِ ٱلْإِسْلَامِ وَٱلْإِيمَانِ وَٱلْإِحْسَانِ ، فَإِنَّنَا لِمَا نُؤْثِرُهُ
مِنْ بِرِّكُمُ ٱلَّذِي نَعُدُّهُ مِنَ ٱلْأَمْرِ ٱلْأَكِيدِ ، وَنُضْمِرُهُ مِنْ
وُدِّكُمُ ٱلَّذِي نُحِلُّهُ مَحَلَّ ٱلْكَنْزِ ٱلْعَتِيدِ(٤) ، وَنَلْتَمِسُهُ مِنْ
دُعَائِكُمُ ٱلْتِمَاسَ ٱلْعُدَّةِ وَٱلْعَدِيدِ ، لَا نَزَالُ نَسْأَلُ عَنْ

---

(١) أي تنجلي ، وقد تكون (تتمحص) من المحص وهو خلوص الشيء ونقاؤه . وتمحصت الظلماء : تكشفت . أو (وتمحض) أي تخلص (٢) أي انقطاعها (٣) الفاني (٤) الكنز العتيد : الحاضر المهيأ

أَحْوَالِكُمُ ٱلَّتِي تَرَقَّتْ فِي أَطْوَارِ ٱلسَّعَادَةِ ، وَوَصَلَتْ جَنَابَ ٱلْحَقِّ بِهَجْرِ ٱلْعَادَةِ ، وَأَلْقَتْ إِلَى يَدِ ٱلتَّسْلِيمِ لِلَّهِ وَٱلتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ بِالْمَقَادَةِ ، فَنَسُرُّ بِمَا هَيَّأَ ٱللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ مِنَ ٱلْقَبُولِ ، وَبَلَّغَكُمْ مِنَ ٱلْمَأْمُولِ ، وَأَلْهَمَكُمْ مِنَ ٱلْكَلَفِ(١) بِالْقُرْبِ إِلَيْهِ وَٱلْوُصُولِ ، وَٱلْفَوْزِ بِمَا لَدَيْهِ وَٱلْحُصُولِ. وَعِنْدَ مَا رَدَّ ٱللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا مُلْكَنَا ٱلرَّدَّ ٱلْجَمِيلَ ، وَأَنَالَنَا ٱلْفَضْلَ ٱلْجَزِيلَ ، وَكَانَ لِعِثَارِنَا ٱلْمُقِيلَ(٢) ، خَاطَبْنَاكُمْ بِذَلِكَ لِمَكَانِكُمْ مِنْ وِدَادِنَا ، وَمَحَلِّكُمْ مِنْ حُسْنِ ٱعْتِقَادِنَا ، وَوَجَّهْنَا إِلَى وِجْهَةِ دُعَائِكُمْ وَجْهَ ٱعْتِدَادِنَا ، وَٱللَّهُ يَنْفَعُنَا بِجَمِيلِ ٱلظَّنِّ فِي دِينِكُمُ ٱلْمَتِينِ ، وَفَضْلِكُمُ ٱلْمُبِينِ ، وَيَجْمَعُ ٱلشَّمْلَ بِكُمْ فِي ٱلْجِهَادِ عَنِ ٱلدِّينِ ؛ وَتَعَرَّفْنَا ٱلْآنَ بِمَنْزِلَهُ بِأَنْبَائِكُمُ ٱعْتِنَاؤُهُ ، وَعَلَى جَلَالِكُمْ حَمْدُهُ وَثَنَاؤُهُ ، وَلِجَنَابِ وُدِّكُمُ ٱعْتِزَاؤُهُ وَٱنْتِمَاؤُهُ ، بِتَجَاوُلِ(٣) عَزْمِكُمْ بَيْنَ حَجٍّ مَبْرُورٍ تَرْغَبُونَ مِنْ أَجْرِهِ فِي ٱزْدِيَادٍ ، وَتُجَدِّدُونَ ٱلْعَهْدَ مِنْهُ

---

(١) الكلف : الولوع بالشيء أو الحب المفرط (٢) المقيل من العثرة : الذى يرفع من السقوط (٣) التجاول : التردد ، ويقال للمتشاورين : أجالوا الرأى فيما بينهم ، أى أداروه وقلبوه على وجوهه

بِأَلِيفِ اُعْتِيَادٍ ، وَبَيْنَ رِبَاطٍ فِي سَبِيلِ اللهِ وَجِهَادٍ ، وَتَوْثِيرِ[1] مِهَادٍ بَيْنَ رُبًّا أَثِيرَةٍ[2] عِنْدَ اللهِ وَوِهَادٍ ، يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَدَاؤُهَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ الصَّادِقِينَ ، حَيْثُ لَا غَارَةَ لِغَيْرِ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ تُتَّقَى ، إِلَّا لِابْتِغَاءِ مَا لَدَى اللهِ تُرْتَقَى ، حَيْثُ رَحْمَةُ اللهِ قَدْ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ، وَحُورُ الْجِنَانِ قَدْ زُيِّنَتْ أَتْرَابُهَا ، دَارُ الْعُرْبِ الَّذِينَ قَرَعُوا بَابَ الْفَتْحِ ، وَفَازُوا بِجَزِيلِ الْمَنْحِ ، وَخَلَّدُوا الْآثَارَ وَأَرْغَمُوا الْكُفَّارَ ، وَأَقَالُوا الْعِثَارَ ، وَأَخَذُوا الثَّارَ ، وَأَمِنُوا مِنْ لَفْحِ جَهَنَّمَ بِمَا عَلَا عَلَى وُجُوهِهِمْ مِنْ ذَلِكَ الْغُبَارِ ، فَكَتَبْنَا إِلَيْكُمْ هٰذَا نُقَوِّي بَصِيرَتَكُمْ عَلَى جِهَةِ الْجِهَادِ مِنَ الْعَزْمَيْنِ ، وَنَهَبُ[3] بِكُمْ إِلَى إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ، وَالصُّبْحُ غَيْرُ خَافٍ عَلَى ذِي عَيْنَيْنِ ، وَالْفَضْلُ ظَاهِرٌ لِإِحْدَى الْمَنْزِلَتَيْنِ ؛ فَإِنَّكُمْ إِنْ حَجَجْتُمْ أَعَدْتُمْ فَرْضًا أَدَّيْتُمُوهُ ،

---

(١) أى تمهيد فراش وتوطيئه (٢) أثيرة : عظيمة الأثر وذات منزلة
(٣) لعلها ونهيب بكم : أى نناديكم وندعوكم

وَفَضْلًا ٱرْتَدَيْتُمُوهُ ، فَائِدَتُهُ عَلَيْكُمْ مَقْصُورَةٌ ، وَقَضِيَّتُهُ فِيكُمْ مَحْصُورَةٌ ؛ وَإِذَا أَقَمْتُمُ ٱلْجِهَادَ جَلَبْتُمْ إِلَى حَسَنَاتِكُمْ عَمَلًا غَرِيبًا ، وَٱسْتَأْنَفْتُمْ مِنَ ٱللهِ سَعْيًا قَرِيبًا ، وَتَعَدَّتِ ٱلْمَنْفَعَةُ إِلَى أُلُوفٍ مِنَ ٱلنُّفُوسِ ، ٱلْمُسْتَشْعِرَةِ لِبَاسَ ٱلْبُوسِ ؛ وَلَوْ كَانَ ٱلْجِهَادُ بِحَيْثُ يَخْفَى عَلَيْكُمْ فَضْلُهُ لَأَطْنَبْنَا(١) ، وَأَعِنَّةَ ٱلِاسْتِدْلَالِ أَرْسَلْنَا . هٰذَا لَوْ قَدِمْتُمْ عَلَى هٰذَا ٱلْوَطَنِ وَفَضْلُكُمْ(٢) غُفْلٌ مِنَ ٱلِاشْتِهَارِ ، وَمَنْ بِهِ لَا يُوجِبُ لَكُمْ تَرْفِيعَ ٱلْمِقْدَارِ ، فَكَيْفَ وَفَضْلُكُمْ أَشْهَرُ مِنْ مُحَيَّا ٱلنَّهَارِ ، وَلِقَاؤُكُمْ أَشْهَى ٱلْآمَالِ وَآثَرُ ٱلْأَوْطَارِ ، فَإِنْ قَوِيَ عَزْمُكُمْ ـ وَٱللهُ يُقَوِّيهِ ، وَيُعِينُنَا مِنْ بِرِّكُمْ عَلَى مَا نَنْوِيهِ ـ فَٱلْبِلَادُ بِلَادُكُمْ وَمَا فِيهَا طَرِيفُكُمْ(٣) وَتِلَادُكُمْ(٤) ، وَكُهُولُهَا إِخْوَانُكُمْ ، وَأَحْدَاثُهَا أَوْلَادُكُمْ ، وَنَرْجُو أَنْ تَجِدُوا لِذِكْرِكُمُ ٱللهَ فِي رُبَاهَا حَلَاوَةً زَائِدَةً ، وَلَا تَعْدَمُوا مِنْ رَوْحِ ٱللهِ فِيهَا فَائِدَةً ، وَتَتَكَيَّفَ نَفْسُكُمْ فِيهَا تَكَيُّفَاتٍ

(١) أى أطلنا ، ولعلها الأصل مراعاة للسجع (٢) غفل : خال (٣) أى جديدكم (٤) أى قديمكم .

تَقْصُرُ عَنْهَا خَلَوَاتُ ٱلسُّلُوكِ ، إِلَى مَلِكِ ٱلْمُلُوكِ ، حَتَّى تَغْتَبِطُوا بِفَضْلِ ٱللهِ ٱلَّذِي يُولِيكُمْ ، وَتَرَوْا أَثَرَ رَحْمَتِهِ فِيكُمْ ، وَتُخَلِّفُوا فَخْرَ هٰذَا ٱلِانْقِطَاعِ إِلَى ٱللهِ فِي قَبِيلِكُمْ وَبَنِيكُمْ ، وَتَخْتِمُوا ٱلْعُمْرَ ٱلطَّيِّبَ بِالْجِهَادِ ٱلَّذِي يُعْلِيكُمْ ، وَمِنَ ٱللهِ تَعَالَى يُدْنِيكُمْ . فَنَبِيُّكُمُ ٱلْعَرَبِيُّ ـ صَلَوَاتُ ٱللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ ـ نَبِيُّ ٱلرَّحْمَةِ وَٱلْمَلَاحِمِ (١) ، وَمُعْمِلُ ٱلصَّوَارِمِ ، وَبِجِهَادِ ٱلْفِرَنْجِ خَتَمَ عَمَلَ جِهَادِهِ وَٱلْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِمِ ، هَذَا عَلَى بُعْدِ بِلَادِهِمْ مِنْ بِلَادِهِ ، وَأَنْتُمْ أَحَقُّ ٱلنَّاسِ بِاقْتِفَاءِ جِهَادِهِ ، وَٱلِاسْتِبَاقِ إِلَى آمَادِهِ . هٰذَا مَا عِنْدَنَا حَثَثْنَاكُمْ عَلَيْهِ ، وَنَدَبْنَاكُمْ إِلَيْهِ ، وَأَنْتُمْ فِي إِيثَارِ هٰذَا ٱلْجِوَارِ ، وَمُقَارَضَةِ مَا عِنْدَنَا بِقُدُومِكُمْ عَلَى بِلَادِنَا مِنَ ٱلِاسْتِبْشَارِ ، بِحَسَبِ مَا يَخْلُقُ عِنْدَكُمْ مَنْ بِيَدِهِ مَقَادَةُ ٱلِاخْتِيَارِ ، وَتَصْرِيفُ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ، وَتَقْلِيبُ ٱلْقُلُوبِ وَإِجَالَةُ ٱلْأَفْكَارِ ، وَإِذَا تَعَارَضَتِ

(١) الملاحم: جمع ملحمة: الموقعة الحربية الكثيرة القتل، مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسدى، وفي قولهم: (نبي الملحمة) تفسيران: أحدهما نبي الجهاد، والثاني نبي الصلاح وتأليف الناس وجمع أمور الأمة، من لحم الأمر اذا أحكمه وأصلحه.

ٱلْحُظُوظُ فَمَا عِنْـدَ ٱللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ، وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ دَارُ ٱلْقَرَارِ ، وَخَيْرُ ٱلْأَعْمَالِ عَمَلٌ أَوْصَلَ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَبَاعَدَ مِنَ ٱلنَّارِ ، . وَلْتَعْلَمُوا أَنَّ نُفُوسَ أَهْلِ ٱلْكَشْفِ وَٱلِاطِّلَاعِ ، بِهَذِهِ ٱلْأَرْجَاءِ(١) وَٱلْأَصْقَاعِ ، قَدِ ٱتَّفَقَتْ أَخْبَارُهَا ، وَٱتَّحَدَتْ أَسْرَارُهَا ، عَلَى ٱلْبِشَارَةِ بِفَتْحٍ قَرُبَ أَوَانُهُ ، وَأَظَلَّ زَمَانُهُ ؛ فَنَرْجُو ٱللهَ أَنْ تَكُونُوا مِمَّنْ يَحْضُرُ مَدْعَاهُ ، وَيَكْرُمُ فِيهِ مَسْعَاهُ ، وَيُسْلِفُ(٢) فِيهِ ٱلْعَمَلَ ٱلَّذِي يَشْكُرُهُ ٱللهُ وَيَرْعَاهُ . وَٱلسَّلَامُ ٱلْكَرِيمُ يَخُصُّكُمْ ، وَرَحْمَةُ ٱللهِ وَبَرَكَاتُهُ . ٱنْتَهَى .

وَلَمَّا دَخَلَ ٱلْأَنْدَلُسَ أَمِيرُ ٱلْمُسْلِمِينَ عَلِيُّ ٱبْنُ أَمِيرِ ٱلْمُسْلِمِينَ يُوسُفَ بْنِ تَاشِفِينَ ٱللَّمْتُونِيُّ(٣) مَلِكُ ٱلْمَغْرِبِ وَٱلْأَنْدَلُسِ ، وَأَمْعَنَ ٱلنَّظَرَ فِيهَا وَتَأَمَّلَ وَصْفَهَا وَحَالَهَا قَالَ : إِنَّهَا تُشْبِهُ عُقَابًا(٤) مَخَالِبُهُ طُلَيْطُلَةُ ، وَصَدْرُهُ قَلْعَةُ رَبَاحٍ(٥) وَرَأْسُهُ جَيَّانُ(٦) ، وَمِنْقَارُهُ غَرْنَاطَةُ ، وَجَنَاحُهُ ٱلْأَيْمَنُ

---

(١) الأرجاء : النواحى . والأصقاع : جمع صقع وهى القرى والجهات
(٢) يسلف : يقدم (٣) فى الأصل الملتونى وهو تحريف ، ولمتونة من قبائل البربر (٤) العقاب طائر من الجوارح حاد البصر جبان (٥) مدينة من أعمال طليطلة الى الغرب منها (٦) مدينة لها كورة واسعة شرقى قرطبة

بَاسِطٌ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَجَنَاحُهُ الْأَيْسَرُ بَاسِطٌ إِلَى الْمَشْرِقِ ، فِي خَبَرٍ طَوِيلٍ لَمْ يَحْضُرْنِي الْآنَ ، إِذْ تَرَكْتُهُ مَعَ كُتُبِي بِالْمَغْرِبِ ـ جَمَعَنِي اللهُ بِهَا عَلَى أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ ـ . وَمَعَ كَوْنِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ سُبَّاقَ حَلْبَةِ الْجِهَادِ ، مُهْطِعِينَ[1] إِلَى دَاعِيهِ مِنَ الْجِبَالِ وَالْوِهَادِ ، فَكَانَ لَهُمْ فِي التَّرَفِ وَالنَّعِيمِ وَالْمُجُونِ وَمُدَارَاةِ الشُّعَرَاءِ خَوْفَ الْهِجَاءِ مَحَلٌّ وَثِيرُ الْمِهَادِ . وَسَيَأْتِي فِي الْبَابِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا الْقِسْمِ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي . وَلَكِنْ سَنَحَ لِي أَنْ أَذْكُرَ هُنَا حِكَايَةَ أَبِي بَكْرٍ الْمَخْزُومِيِّ الْهَجَّاءِ الْمَشْهُورِ ، الَّذِي قَالَ فِيهِ لِسَانُ الدِّينِ بْنُ الْخَطِيبِ فِي الْإِحَاطَةِ : إِنَّهُ كَانَ أَعْمَى شَدِيدَ الشَّرِّ مَعْرُوفًا بِالْهِجَاءِ مُسَلَّطًا عَلَى الْأَعْرَاضِ ، سَرِيعَ الْجَوَابِ ، ذَكِيَّ الذِّهْنِ ، فَطِنًا لِلْمَعَارِيضِ[2] ، سَابِقًا

(١) مهطعين : مسرعين (٢) المعاريض : من الكلام ما عرض به ولم يصرح : والتورية بالشيء عن الشيء ، وفي الأثر : « ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب » أي سعة ، (ومفرد معاريض معراض ، وهو من التعريض خلاف التصريح) وفي حديث ابن عباس : « ماأحب بمعاريض الكلام حمر النعم » .

فِي مَيْدَانِ ٱلْهِجَاءِ ، فَإِذَا مَدَحَ ضَعُفَ شِعْرُهُ . « وَٱلْحِكَايَةُ » هِيَ مَا حَكَاهُ أَبُو ٱلْحَسَنِ بْنُ سَعِيدٍ فِي ٱلطَّالِعِ ٱلسَّعِيدِ ، إِذْ قَالَ حِكَايَةً عَنْ أَبِيهِ فِيمَا أَظُنُّ : قَدِمَ ٱلْمَذْكُورُ – يَعْنِي ٱلْمَخْزُومِيَّ – عَلَى غَرْنَاطَةَ أَيَّامَ وِلَايَةِ أَبِي بَكْرِ أبْنِ سَعِيدٍ ، وَنَزَلَ قَرِيبًا مِنِّي ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ بِهِ بِنَارٍ صَاعِقَةٍ يُرْسِلُهَا ٱللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، ثُمَّ رَأَيْتُ أَنْ أَبْدَأَهُ بِالتَّأْنِيسِ وَٱلْإِحْسَانِ فَاسْتَدْعَيْتُهُ بِهٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتِ :

يَا ثَانِيًا لِلْمَعَرِّي فِي حُسْنِ نَظْمٍ وَنَثْرِ
وَفَرْطِ ظَرْفٍ وَنُبْلٍ وَغَوْصِ فَهْمٍ وَفِكْرِ
صِلْ ثُمَّ وَاصِلْ حَفِيًّا(١) بِكُلِّ بِرٍّ وَشُكْرِ
وَلَيْسَ إِلَّا حَدِيثٌ كَمَا زَهَا عِقْدُ دُرِّ
وَشَادِنٌ يَتَغَنَّى عَلَى رَبَابٍ وَزَمْرِ
وَمَا يُسَامِحُ فِيهِ ٱلْ غَفُورُ مِنْ كَأْسِ خَمْرِ
وَبَيْنَنَا عَهْدُ حِلْفٍ(٢) لِيَاسِرٍ حِلْفَ كُفْرِ

(١) حفيا : برا مبالغا في الكرامة ، والحفي أيضا اللطيف بك يبرك و يلاطفك و يحتفي بك ، وحفي بفلان حفاوة اذا قام في حاجته وأحسن مثواه و بالغ في اكرامه (٢) حلف : عهد ، والحلف الصديق يحلف لصاحبه أنه لا يغدر به

نَعَمْ فَجَدِّدْهُ عَهْدًا بِطِيبِ شُكْرٍ وَيُسْرِ
وَالْكَاسُ مِثْلُ رَضَاعٍ وَمَنْ كَمِثْلِكَ يَدْرِى؟

وَوَجَّهَ لَهُ الْوَزِيرُ أَبُو بَكْرِ بْنُ سَعِيدٍ عَبْدًا صَغِيرًا قَادَهُ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَجْلِسُ وَأَفْعَمَتْهُ[1] رَوَائِحُ النَّدِّ وَالْعُودِ وَالْأَزْهَارِ ، وَهَزَّتْ عِطْفَهُ الْأَوْتَارُ ، قَالَ :

دَارُ السَّعِيدِيِّ ذِى أَمْ دَارُ رِضْوَانِ
مَا تَشْتَهِى النَّفْسُ فِيهَا حَاضِرٌ دَانِى؟
سَقَتْ أَبَارِيقَهَا لِلنَّدِّ سُحْبُ نَدًى
تُحْدَى بِرَعْدٍ لِأَوْتَارٍ وَعِيدَانِ
وَالْبَرْقُ مِنْ كُلِّ دَنٍّ[2] سَاكِبٌ مَطَرًا
يُحْيِي بِهِ مَيْتَ أَفْكَارٍ وَأَشْجَانِ
كَذَا النَّعِيمُ الَّذِى كُنَّا نُحَدَّثُهُ
وَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَّا بِآذَانِ

فَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ سَعِيدٍ وَالِى الْآنَ لَا سَبِيلَ لَهُ[3] ،

---

(١) ملأته ، وأفعم المسك البيت : طيبه وملأ أنفه برائحته الذكية : وفغمة الطيب (بالغين المعجمة) سد خياشيمه ، وأفغمه : ملأه ، وفغمة الطيب وفغوته : رائحته ،والفغم :الأنف لأن الرائحة تفغمه (٢) أى خابية الخمر (٣) يعرض به وأنه أعمى

إِلَّا بِالْآذَانِ ، فَقَالَ: حَتَّى يَبْعَثَ اللّٰهُ وَلَدَ زِنًى كُلَّمَا أُنْشِدَتْ هٰذِهِ الْأَبْيَاتُ قَالَ إِنَّهَا لِأَعْمَى، فَقَالَ أَمَّا أَنَا فَلَا أَنْطِقُ بِحَرْفٍ، فَقَالَ: مَنْ صَمَتَ نَجَا . وَكَانَتْ نَزْهُونُ بِنْتُ الْقِلَاعِيِّ حَاضِرَةً فَقَالَتْ : وَتَرَاكَ يَا أُسْتَاذُ قَدِيمَ النِّعْمَةِ بِمَجْمَرِ نَدٍّ وَغِنَاءٍ وَشَرَابٍ ، فَتَعْجَبُ مِنْ تَأَتِّيهِ وَتُشَبِّهُهُ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ وَتَقُولُ : مَا كَانَ يُعْلَمُ إِلَّا بِالسَّمَاعِ وَلَا يُبْلَغُ إِلَيْهِ بِالْعِيَانِ ، وَلٰكِنْ مَنْ يَجِيءُ مِنْ حِصْنِ الْمُدَوَّرِ ، وَيَنْشَأُ بَيْنَ تُيُوسٍ وَبَقَرٍ ، مِنْ أَيْنَ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِمَجَالِسِ النَّعِيمِ ؟ ! فَلَمَّا اسْتَوْفَتْ كَلَامَهَا تَنَحْنَحَ الْأَعْمَى ، فَقَالَتْ لَهُ: ذُبَحَةٌ(١) . فَقَالَ: مَنْ هٰذِهِ الْفَاضِلَةُ(٢)؟ فَقَالَتْ عَجُوزٌ مَقَامَ أُمِّكَ ، فَقَالَ كَذَبْتِ مَا هٰذَا صَوْتُ عَجُوزٍ، إِنَّمَا هٰذِهِ نَغْمَةُ قَحْبَةٍ(٣) مُحْتَرِقَةٍ(٤) تَشَمُّ رَوَائِحَ هٰهُنَا عَلَى

(١) الذبحة : وجع فى الحلق . دعاء عليه (٢) قد يكون : الفاعلة (٣) أصل القحب فى اللغة من يأخذه السعال كثيرا ، والقحبة الفاسدة الجوف من داء ، وقيل للبغى قحبة لأنها كانت فى الجاهلية تؤذن طلابها بقحابها وهو سعالها ترمز به . أو القحبة بهذا المعنى كلمة مولدة ، قال بعض ذوى المجون :

وقحبة اذا رأى جمالها العلق سجد

(٤) قد تكون : محترفة ، أو محترقة ، ومنه الحارقة وهى المرأة الضيقة الملاقى ، والتى تضم الشىء لضيقها وتغمزه فعل من يحرق أسنانه ، والتى تغلبها الشهوة حتى تحرق أنيابها بعضها على بعض اشفاقا من أن تبلغ الشهوة بها النخير أو الشهيق فتستحى من ذلك

فَرَاسِخَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا أُسْتَاذُ هٰذِهِ نَزْهُونُ بِنْتُ ٱلْقِلاعِيِّ ٱلشَّاعِرَةُ ٱلْأَدِيبَةُ ، فَقَالَ سَمِعْتُ بِهَا ـ لَا أَسْمَعَهَا ٱللّٰهُ خَيْرًا ، وَلَا أَرَاهَا إِلَّا أَيْرًا ـ فَقَالَتْ لَهُ : يَاشَيْخَ سُوْءٍ[1] تَنَاقَضْتَ وَأَيُّ خَيْرٍ لِلْمَرْأَةِ مِثْلُ مَا ذَكَرْتَ ؟ فَفَكَّرَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ :

عَلَى وَجْهِ نَزْهُونٍ مِنَ ٱلْحُسْنِ مَسْحَةٌ[2]
وَإِنْ كَانَ قَدْ أَمْسَى مِنَ ٱلضَّوْءِ عَارِيَا
قَوَاصِدُ نَزْهُونٍ تَوَارِكُ غَيْرِهَا
وَمَنْ قَصَدَ ٱلْبَحْرَ ٱسْتَقَلَّ ٱلسَّوَاقِيَا[3]

فَأَعْمَلَتْ فِكْرَهَا ثُمَّ قَالَتْ :

قُلْ لِلْوَضِيعِ مَقَالًا ... يُتْلَى إِلَى حِينِ يُحْشَرْ
مِنَ ٱلْمُدَوَّرِ أُنْشِئْــتَ ... وَٱلْخَرَا مِنْهُ أَعْطَرْ
حَيْثُ ٱلْبَدَاوَةُ أَمْسَتْ ... فِي مَشْيِهَا تَتَبَخْتَرْ
لِذَاكَ أَمْسَيْتَ صَبًّا ... بِكُلِّ شَيْءٍ مُدَوَّرْ
خُلِقْتَ أَعْمَى وَلٰكِنْ ... تَهِيمُ فِي كُلِّ أَعْوَرْ[4]

(١) ياشيخ سوء : أى يامن يعمل عمل سوء (٢) مسحة : أى أثر ظاهر
(٣) نقل كلام أبى الطيب الى هجو لاذع للسيدة ، وتعريض خفى
(٤) فيه تورية لاتخفى ، وهى على قبحها حسنة

جَازَيْتُ شِعْرًا بِشِعْرٍ   فَقُلْ لَعَمْرِي مَنَ أَشْعَرْ ؟
إِنْ كُنْتُ فِي الْخَلْقِ أُنْثَى   فَإِنَّ شِعْرِي مُذَكَّرْ

فَقَالَ لَهَا اسْمَعِي :

أَلا قُلْ لِنَزْهُونَةٍ مَالَهَا   تَجُرُّ مِنَ التِّيهِ أَذْيَالَهَا ؟
وَلَوْ أَبْصَرَتْ فَيْشَةً[1] شَمَّرَتْ   ـ كَمَا عَوَّدَتْنِي سِرْبَالَهَا

فَحَلَفَ أَبُو بَكْرِ بْنُ سَعِيدٍ أَلَّا يَزِيدَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ فِي هَجْوٍ كَلِمَةً

« فَقَالَ الْمَخْزُومِيُّ » أَكُونُ هَجَّاءَ الْأَنْدَلُسِ وَأَكُفُّ عَنْهَا دُونَ شَيْءٍ ؟ فَقَالَ أَنَا أَشْتَرِي مِنْكَ عِرْضَهَا فَاطْلُبْ ، فَقَالَ بِالْعَبْدِ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ فَقَادَنِي إِلَى مَنْزِلِكَ فَإِنَّهُ لَيِّنُ الْيَدِ رَقِيقُ الْمَشْيِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَوْلَا كَوْنُهُ صَغِيرًا كُنْتُ أُبْلِغُكَ بِهِ مُرَادَكَ وَأَهَبُهُ لَكَ ، فَفَهِمَ قَصْدَهُ وَقَالَ : أَصْبِرُ عَلَيْهِ حَتَّى يَكْبَرَ ، وَلَوْ كَانَ كَبِيرًا مَا آثَرْتَنِي بِهِ عَلَى نَفْسِكَ . فَضَحِكَ أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ : إِنْ لَمْ تَهْجُ نَظْمًا هَجَوْتَ نَثْرًا ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ .

(١) الفيشة: رأس القضيب

وَانْفَصَلَ(١) الْمَخْزُومِيُّ بِالْعَبْدِ بَعْدَ مَا أَصْلَحَ الْوَزِيرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَزْهُونَ . انْتَهَى .

وَفِي كِتَابِ « الدُّرِّ الْمُنَضَّدِ » فِي وَفَيَاتِ أَعْيَانِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ . تَأْلِيفِ الْإِمَامِ صَارِمِ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ دُقْمَاقٍ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ خَلَفٍ : كَانَ - يَعْنِي الْمَخْزُومِيَّ الْمَذْكُورَ - حَيًّا بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . انْتَهَى

وَنَقَلْتُ مِنْ كِتَابِ قُطْبِ السُّرُورِ ، لِابْنِ الرَّقِيقِ الْمَغْرِبِيِّ مَا مُلَخَّصُهُ :

***

عبد الوهاب الحاجب

وَمِمَّنْ أَدْرَكْتُهُ وَعَاشَرْتُهُ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ حُسَيْنِ ابْنِ جَعْفَرٍ الْحَاجِبُ ، وَذَكَرْتُهُ هُنَا لِأَنَّهُ مُلْحَقٌ بِالْأُمَرَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ غَيْرُ خَارِجٍ مِنْهُمْ وَلَا مُقَصِّرٍ عَنْهُمْ ، بَلْ كَانَ وَاحِدَ عَصْرِهِ فِي الْغِنَاءِ الرَّائِقِ ، وَالْأَدَبِ الرَّائِعِ ، وَالشِّعْرِ الرَّقِيقِ ، وَاللَّفْظِ الْأَنِيقِ ، وَرِقَّةِ الطَّبْعِ ، وَإِصَابَةِ النَّادِرِ ، وَالتَّشْبِيهِ الْمُصِيبِ ، وَالْبَدِيهَةِ الَّتِي لَا يُلْحَقُ

---

(١) انفصل : خرج

فِيهَا ، مَعَ شَرَفِ النَّفْسِ وعُلُوِّ الْهِمَّـةِ ؛ وَكَانَ قَدْ قَطَعَ عُمْرَهُ ، وَأَفْنَى دَهْرَهُ ، فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ ، وَالْفُكَاهَةِ[1] وَالطَّرَبِ ، وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِضَرْبِ الْعُودِ وَاخْتِلَافِ طَرَائِقِهِ وَصَنْعَةِ اللُّحُونِ ، وَكَثِيرًا مَا يَقُولُ الْمَعَانِيَ اللَّطِيفَةَ فِي الْأَبْيَاتِ الْحَسَنَةِ ، وَيَصُوغُ عَلَيْهَا الْأَلْحَانَ[2] الْمُطْرِبَةَ الْبَدِيعَةَ الْمُعْجِبَةَ اخْتِرَاعًا مِنْهُ وَحِذْقًا ، وَكَانَتْ لَهُ فِي ذَلِكَ قَرِيحَةٌ وَطَبْعٌ ، وَكَانَ إِذَا لَمْ يَزُرْهُ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِهِ أَحْضَرَ مَائِدَتَهُ وَشَرَابَهُ عَشَرَةً مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مِنْهُمْ وَلَدُهُ وَعَبْدُ اللهِ ابْنُ أَخِيهِ وَبَعْضُ غِلْمَانِهِ ، وَكُلُّهُمْ يُغَنِّي فَيُجِيدُ ، فَلَا يَزَالُونَ يُغَنُّونَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى يَطْرَبَ فَيَدْعُوَ بِالْعُودِ وَيُغَنِّيَ لِنَفْسِهِ وَلَهُمْ . وَكَانَ بِشَارَةُ الزَّامِرُ الَّذِي يَزْمِرُ عَلَيْهِ مِنْ حُذَّاقِ زَمَرَةِ الْمَشْرِقِ ، وَكَانَ بَعِيدَ الْهِمَّةِ سَمْحًا بِمَا يَجِدُ ، تُغِلُّ[3] عَلَيْهِ ضِيَاعُهُ كُلَّ عَامٍ أَمْوَالًا جَلِيلَةً ، فَلَا تَحُولُ السَّنَةُ حَتَّى يَنْفَدَ جَمِيعُ

(١) الفكاهة: المزاح ، لانبساط النفس بها (٢) الألحان : جمع لحن ، وهو من الأصوات المصوغة الموضوعة (٣) تغل : تعطى الغلة ـ أى الدخل

ذَلِكَ وَيَسْتَسْلِفَ غَيْرَهُ ، فَكَانَ لَا يَطْرَأُ مِنَ الْمَشْرِقِ مُغَنٍّ إِلَّا سَأَلَ مَنْ يَقْصِدُ بِهَذَا الشَّأْنِ فَيُدَلُّ عَلَيْهِ ، فَمَنْ وَصَلَهُ مِنْهُمْ اسْتَقْبَلَهُ بِصُنُوفِ الْبِرِّ وَالْإِكْرَامِ ، وَكَسَاهُ وَخَلَطَهُ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَدَعْهُ إِلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، فَلَا يَزَالُ مَعَهُ فِي صَبُوحٍ(١) وَغَبُوقٍ وَهُوَ مُجَدِّدٌ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ كَرَامَةً ، حَتَّى يَأْخُذَ جَمِيعَ مَا مَعَهُ مِنْ صَوْتٍ مُطْرِبٍ أَوْ حِكَايَةٍ نَادِرَةٍ . وَجَلَسَ يَوْمًا وَقَدْ زَارَهُ رَجُلَانِ مِنْ إِخْوَانِهِ وَحَضَرَ أَقْرِبَاؤُهُ فَطَعِمُوا وَشَرِبُوا وَأَخَذُوا فِي الْغِنَاءِ، فَارْتَجَّ الْمَجْلِسُ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ غِلْمَانِهِ فَقَالَ :

***

مغن حاذق بِالْبَابِ رَجُلٌ غَرِيبٌ عَلَيْهِ ثِيَابُ السَّفَرِ ذَكَرَ أَنَّهُ ضَيْفٌ ، فَأَمَرَ بِإِدْخَالِهِ ، فَإِذَا رَجُلٌ أَسْمَرُ سِنَاطٌ(٢) رَثُّ الْهَيْئَةِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، قَالَ : أَيْنَ بَلَدُ الرَّجُلِ ؟ قَالَ الْبَصْرَةُ ، فَرَحَّبَ بِهِ وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ مَعَ الْغِلْمَانِ فِي صُفَّةٍ(٣)، وَأُتِيَ بِطَعَامٍ

(١) الصبوح : شراب الغداة ، والغبوق شراب العشى (٢) لاينبت شعر لحيته وقد سنط (مثل كرم وفرح) اذا لم تكن له لحية . والسناط يوصف به الواحد والجمع (٣) الصفة : البيت الصيفى والموضع المظلل

فَأَكَلَ وَسُقِيَ أَقْدَاحًا ، وَدَارَ الْغِنَاءُ فِي الْمَجْلِسِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِهِمْ ، فَلَمَّا سَكَتُوا انْدَفَعَ يُغَنِّي بِصَوْتٍ نَدِيٍّ وَطَبْعٍ حَسَنٍ :

أَلَا يَا دَارُ مَا الْهَجْرُ   لِسُكَّانِكِ مِنْ شَانِي
سُقِيتِ الْغَيْثَ مِنْ دَارٍ   وَإِنْ هَيَّجْتِ أَشْجَانِي
وَلَوْ شِئْتُ لَمَا اسْتَسْقَيْـ   ـتُ غَيْثًا غَيْرَ أَجْفَانِي
بِنَفْسِي حَلَّ أَهْلُوكِ   وَإِنْ بَانُوا بِسُلْوَانِي
وَمَا الدَّهْرُ بِمَأْمُونٍ   عَلَى تَشْتِيتِ خُلَّانِي

فَطَرِبَ عَبْدُ الْوَهَّابِ وَصَاحَ ، وَتَبَيَّنَ الْحِذْقَ فِي إِشَارَتِهِ وَالطِّيبَ فِي طَبْعِهِ ، وَقَالَ يَاغُلَامُ خُذْ بِيَدِهِ إِلَى الْحَمَّامِ ، وَعَجِّلْ عَلَيَّ بِهِ ، فَأُدْخِلَ الْحَمَّامَ وَنُظِّفَ ، ثُمَّ دَعَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بِخِلْعَةٍ مِنْ ثِيَابِهِ فَأُلْقِيَتْ عَلَيْهِ وَرَفَعَهُ فَأَجْلَسَهُ عَنْ يَسَارِهِ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَبَسَطَهُ فَغَنَّى لَهُ :

قُومِي امْزِجِي التِّبْرَ[1] بِاللُّجَيْنِ   وَاحْتَمِلِي الرِّطْلَ بِالْيَدَيْنِ
وَاغْتَنِمِي غَفْلَةَ اللَّيَالِي   فَرُبَّمَا أَيْقَظَتْ لِحَيْنِ[2]

(١) أي الخمر الصفراء بالماء الصافي.(٢) الحين : الهلاك

فَقَـــدْ لَعَمْرِى أَقَرَّ مِنَّا هِلَالُ[1] شَوَّالَ كُلَّ عَيْنِ
ذَاتُ ٱلْخَلَاخِيلِ أَبْصَرَتْهُ كَنِصْفِ خَلْخَالِهَا ٱللُّجَيْنِ[2]

فَطَرِبَ وَشَرِبَ وَٱسْتَزَادَهُ فَغَنَّاهُ :

مَنْ لِى عَلَى رَغْمِ ٱلْحَسُودِ بِقَهْوَةٍ
بِكْرٍ رَبِيبَةِ حَانَةٍ عَــذْرَاءِ ؟
مَوْجٌ مِنَ ٱلذَّهَبِ ٱلْمُذَابِ تَضُمُّهُ
كَأْسٌ كَقِشْرِ ٱلدُّرَّةِ ٱلْبَيْضَاءِ
وَٱلنَّجْمُ فِى أُفُقِ ٱلسَّمَاءِ كَأَنَّهُ
عَيْنٌ تُخَالِسُ غَفْـلَةَ ٱلرُّقَبَاءِ

فَشَرِبَ عَبْدُ ٱلْوَهَّابِ، ثُمَّ قَالَ زِدْنِى، فَغَنَّاهُ :

وَأَنْتَ ٱلَّذِى أَشْرَقْتَ عَيْنِى بِمَائِهَا
وَعَلَّمْتَهَا بِالْهَجْرِ أَنْ تَهْجُرَ ٱلْغُمْضَا[3]
وَأَغْرَقْتَهَا بِالدَّمْعِ حَتَّى جُفُونُهَا
لَيُنْكِرُ مِنْ فَقْدِ ٱلْكَرَى بَعْضُهَا بَعْضَا

فَمَرَّ يَوْمٌ مِنْ أَحْسَنِ ٱلْأَيَّامِ وَأَطْيَبِهَا ، وَوَصَلَهُ وَأَحْسَنَ

(١) أى ذهب شهر الصوم (٢) اللجين : الفضة (٣) الغمض : أى النوم

إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ مُقَرَّبًا مُكَرَّمًا ، وَكَانَ خَلِيعًا(١) مَاجِنًا مُشْتَهِرًا بِالنَّبِيذِ فَخَلَّاهُ وَمَا أَحَبَّ ، ثُمَّ وَصَفَ لَهُ ٱلْأَنْدَلُسَ وَطِيبَهَا وَكَثْرَةَ خُمُورِهَا فَمَضَى إِلَيْهَا وَمَاتَ بِهَا . وَعَلَى نَحْوِ هٰذِهِ الْحَالِ كَانَ يَفْعَلُ بِكُلِّ طَارِئٍ يَطْرَأُ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ ، وَلَوْ ذَكَرْتُهُمْ لَطَالَ بِهِمُ ٱلْكِتَابُ . ٱنْتَهَى

وَغَرَضِي مِنْ إِيرَادِ هٰذِهِ ٱلْحِكَايَةِ هُنَا كَوْنُهُ وَصَفَ لِلْمَشْرِقِيِّ الْأَنْدَلُسَ وَطِيبَهَا ، وَذٰلِكَ أَمْرٌ لَا يُشَكُّ فِيهِ وَلَا يُرْتَابُ ، وَٱللّٰهُ ٱلْمَسْئُولُ فِي حُسْنِ ٱلْمَتَابِ . وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ تَارِيخِ ٱلْأَنْدَلُسِ فِي تَرْجَمَةِ ٱلسُّلْطَانِ بَادِيسَ الصِّنْهَاجِيِّ صَاحِبِ غَرْنَاطَةَ(٢) : مَا نَصُّهُ . وَهُوَ ٱلَّذِي أَكْمَلَ

---

(١) الخليع : المتهتك المستخف . والماجن : الذى لايبالى ماصنع وماقيل له

(٢) أول من سكن مدينة غرناطة سكنى استبداد وصيرها دار ملكه ومقر أمره الحاجب المنصو رأبو مثنى زيرى بن مناد لما تغلب جيش البربر مع أميرهم سليمان بن الحكم على قرطبة واستولى على كثير من كور الأندلس سنة ٤٠٣ فما بعد ها ، ثم اجتاز البحر الى افر يقية بعد أن ملك غرناطة سبع سنين واستخلف ابن أخيه حيوس ابن ماكس وكان حازما داهية الى أن توفى سنة ٤٢٩ وتولى بعده حفيده عبد الله بن بلكين بن باديس الى أن خلع سنة ٤٨٣ وصار أمرها الى يوسف بن تاشفين

تَرْتِيبَ قَصَبَةِ مَالَقَةَ وَكَانَ أَفْرَسَ ٱلنَّاسِ وَأَنْبَلَهُمْ ، ذَا مُرُوءَةٍ وَنَجْدَةٍ ، وَقَصْرُهُ بِغَرْنَاطَةَ لَيْسَ بِبِلَادِ ٱلإِسْلَامِ وَٱلْكُفْرِ مِثْلُهُ فِيمَا قِيلَ . انْتَهَى ،

***

قصر عبد الوهاب

وَهٰذَا ٱلْقَصْرُ هُوَ ٱلَّذِي عَنَاهُ لِسَانُ ٱلدِّينِ بْنُ ٱلْخَطِيبِ فِي قَصِيدَتِهِ ٱلسِّينِيَّةِ ٱلْمَذْكُورَةِ فِي ٱلْبَابِ ٱلْخَامِسِ مِنَ ٱلْقِسْمِ ٱلثَّانِي مِنْ هٰذَا ٱلْكِتَابِ فَلْتُرَاجَعْ ثَمَّةَ .

***

عجائب سرقسطة

وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ ٱلْمُحَدِّثِينَ وَٱلْمُؤَرِّخِينَ أَنَّ مَدِينَةَ سَرَقُسْطَةَ لَا يَدْخُلُهَا ٱلثُّعْبَانُ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ ، وَإِذَا أَدْخَلَهُ أَحَدٌ لَمْ يَتَحَرَّكْ . وَنَظِيرُ هَذَا ٱلْمَعْنَى فِي بَعْضِ ٱلْحَيَوَانَاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِ ٱلْبِلَادِ كَثِيرٌ وَذَلِكَ بِرَصَدٍ أَوْ طِلَّسْمٍ (١) ، وَقَدِ ٱسْتَطْرَدَ بَعْضُ عُلَمَاءِ أُصُولِ ٱلدِّينِ ذَلِكَ عِنْدَ مَا تَكَلَّمُوا عَلَى ٱلسِّحْرِ حَسْبَمَا قُرِّرَ فِي مَحَلِّهِ

(١) الطلسم : عبارة عن تمزيج القوى السماوية الفعالة بالقوى الأرضية المنفعلة بواسطة خطوط مخصوصة ، يستخدمها من يتعاطى هذا الفن ليدفع كل مؤذ . كلمة يونانية

وَاللّٰهُ أَعْلَمُ . هٰكَذَا رَأَيْتُ فِي كَلَامِ بَعْضِ عُلَمَاءِ الْمَشَارِقَةِ . وَالَّذِي رَأَيْتُهُ لِبَعْضِ مُؤَرِّخِي الْمَغْرِبِ فِي سَرَقُسْطَةَ أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا عَقْرَبٌ وَلَا حَيَّةٌ إِلَّا مَاتَتْ مِنْ سَاعَتِهَا ، وَيُؤْتَى بِالْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبِ إِلَيْهَا حَيَّةً فَبِنَفْسِ مَا تَدْخُلُ إِلَى جَوْفِ الْبَلَدِ تَمُوتُ ، قَالَ وَلَا يَتَسَوَّسُ[١] فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الطَّعَامِ وَلَا يَعْفَنُ ، وَيُوجَدُ فِيهَا الْقَمْحُ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ ، وَالْعِنَبُ الْمُعَلَّقُ مِنْ سِتَّةِ أَعْوَامٍ ، وَالتِّينُ وَالْخَوْخُ وَحَبُّ الْمُلُوكِ وَالتُّفَّاحُ وَالْإِجَّاصُ[٢] الْيَابِسَةُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَعْوَامٍ ، وَالْفُولُ وَالْحِمَّصُ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً ، وَلَا يُسَوِّسُ فِيهَا خَشَبٌ وَلَا ثَوْبٌ كَانَ صُوفًا أَوْ حَرِيرًا أَوْ كَتَّانًا ، وَلَيْسَ فِي بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ أَكْثَرُ فَاكِهَةً مِنْهَا وَلَا أَطْيَبُ طَعْمًا وَلَا أَكْبَرُ جِرْمًا ، وَالْبَسَاتِينُ مُحْدِقَةٌ بِهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ثَمَانِيَةَ أَمْيَالٍ ، وَلَهَا أَعْمَالٌ كَثِيرَةٌ : مُدُنٌ وَحُصُونٌ وَقُرًى مَسَافَةَ أَرْبَعِينَ مِيلًا ،

---

(١) ساس الطعام يساس ، وأساس ، وسوس ، واستاس ، وتسوس : اذا وقع فيه السوس (٢) الاجاص : ثمر وشجره معروف ، الواحدة إجاصة . وهو دخيل .

وَهِيَ تُضَاهِي مُدُنَ ٱلْعِرَاقِ فِي كَثْرَةِ ٱلْأَشْجَارِ وَٱلْأَنْهَارِ. وَبِالْجُمْلَةِ: فَأَمْرُهَا عَظِيمٌ وَقَدْ أَسْلَفْنَا ذِكْرَهَا.

***

فراء السمور

وَٱعْلَمْ أَنَّ بِأَرْضِ ٱلْأَنْدَلُسِ مِنَ ٱلْخِصْبِ وَٱلنُّضْرَةِ وَعَجَائِبِ ٱلصَّنَائِعِ وَغَرَائِبِ ٱلدُّنْيَا مَا لَا يُوجَدُ مَجْمُوعُهُ غَالِبًا فِي غَيْرِهَا، فَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ ٱلْحِجَارِيُّ فِي ٱلْمُسْهِبِ أَنَّ ٱلسَّمُّورَ(١) ٱلَّذِي يُعْمَلُ مِنْ وَبَرِهِ ٱلْفِرَاءُ ٱلرَّفِيعَةُ يُوجَدُ فِي ٱلْبَحْرِ ٱلْمُحِيطِ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ جِهَةِ جَزِيرَةِ بِرْطَانِيَةَ وَيُجْلَبُ إِلَى سَرَقُسْطَةَ وَيُصْنَعُ بِهَا، وَلَمَّا ذَكَرَ ٱبْنُ غَالِبٍ وَبَرَ ٱلسَّمُّورِ ٱلَّذِي يُصْنَعُ بِقُرْطُبَةَ، قَالَ هَـذَا ٱلسَّمُّورُ ٱلْمَذْكُورُ هُنَا لَمْ أَتَحَقَّقْ مَا هُوَ؟ وَلَا مَا عُنِيَ بِهِ إِنْ كَانَ هُوَ نَبَاتًا عِنْدَهُمْ أَوْ وَبَرَ ٱلدَّابَّةِ ٱلْمَعْرُوفَةِ، فَإِنْ كَانَتِ ٱلدَّابَّةَ ٱلْمَعْرُوفَةَ فَهِيَ دَابَّةٌ تَكُونُ فِي ٱلْبَحْرِ

(١) السمور: حيوان بري يشبه السنور، ويقرب من النمس وهو جريء حذر. تتخذ من جلوده الفراء الثمينة للينها وخفتها وحسنها ودفئها. قال مجاهد: رأيت على الشعبي قباء سمور

وَتَخرُجُ إِلَى ٱلْبَرِّ وَعِنْـدَهَا قُوَّةُ مَيْزٍ[1] . وَقَالَ حَامِدُ بْنُ سَمْحُونَ ٱلطَّبِيبُ صَاحِبُ كِتَابِ ٱلْأَدْوِيَةِ ٱلْمُفْرَدَةِ : هُوَ حَيَوَانٌ يَكُونُ فِي بَحْرِ ٱلرُّومِ وَلَا يُحْتَاجُ مِنْـهُ إِلَّا إِلَى خُصَاهُ فَيَخْرُجُ ٱلْحَيَوَانُ مِنَ ٱلْبَحْرِ فِي ٱلْبَرِّ فَيُؤْخَذُ وَتُقْطَعُ خصَاهُ وَيُطْلَقُ ، فَرُبَّمَا عَرَضَ لِلْقَنَّاصِينَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَإِذَا أَحَسَّ بِهِمْ وَخَشِيَ أَلَّا يَفُوتَهُمْ ٱسْتَلْقَى عَلَى ظَهْرِهِ ، وَفَرَّجَ بَيْنَ فَخِذَيْهِ ، لِيُرَى مَوْضِعُ خُصْيَيْهِ خَالِيًا ، فَإِذَا رَآهُ ٱلْقَانِصُونَ كَذَلِكَ تَرَكُوهُ . قَالَ ٱبْنُ غَالِبٍ وَيُسَمَّى هَذَا ٱلْحَيَوَانُ أَيْضًا ٱلْجُنْدَبَادَسْتَر ، وَٱلدَّوَاءُ ٱلَّذِى يُصْنَعُ مِنْ خُصْيَيْهِ مِنَ ٱلْأَدْوِيَةِ ٱلرَّفِيعَةِ وَمَنَافِعُهُ كَثِيرَةٌ وَخَاصِّيَّتُهُ فِي ٱلْعِلَلِ ٱلْبَارِدَةِ ، وَهُوَ حَارٌّ يَابِسٌ فِي ٱلدَّرَجَةِ ٱلرَّابِعَةِ .

***

منافع القنلية

وَٱلْقَنْلِيَةُ حَيَوَانٌ أَدَقُّ مِنَ ٱلْأَرْنَبِ وَأَطْيَبُ فِي ٱلطَّعْمِ وَأَحْسَنُ وَبَرًا ، وَكَثِيرًا مَا يُلْبَسُ فِرَاؤُهَا ، وَيَسْتَعْمِلُهَا أَهْلُ ٱلْاندَلُسِ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلنَّصَارَى ، وَلَا تُوجَدُ فِي بَرِّ

---

(١) أى تميز وادراك

ٱلْبَرْبَرِ إِلَّا مَا جُلِبَ مِنْهَا إِلَى سَبْتَةَ فَنَشَأَ فِي جَوَانِبِهَا ، قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ: وَقَدْ جُلِبَتْ فِي هَـٰذِهِ ٱلْمُدَّةِ إِلَى تُونُسَ حَضْرَةِ إِفْرِيقِيَّةَ .

***

وحوش الأندلس وطيورها

وَيَكُونُ بِالْأَنْدَلُسِ مِنَ ٱلْغَزَالِ وَٱلْأُيَّلِ(١) وَحِمَارِ ٱلْوَحْشِ وَبَقَرِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُوجَدُ فِي غَيْرِهَا كَثِيرًا . وَأَمَّا ٱلْأَسَدُ فَلَا يُوجَدُ فِيهَا أَلْبَتَّةَ ، وَلَا ٱلْفِيلُ وَٱلزَّرَافَةُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَكُونُ فِي أَقَالِيمِ ٱلْحَرَارَةِ ، وَلَهَا سَبُعٌ يُعْرَفُ بِاللُّبِّ أَكْبَرُ بِقَلِيلٍ مِنَ ٱلذِّئْبِ فِي نِهَايَةٍ مِنَ ٱلْقِحَةِ(٢) ، وَقَدْ يَفْتَرِسُ ٱلرَّجُلَ إِذَا كَانَ جَائِعًا . وَبِغَالُ ٱلْأَنْدَلُسِ فَارِهَةٌ(٣) وَخَيْلُهَا ضَخْمَةُ ٱلْأَجْسَامِ حُصُونٌ لِلْقِتَالِ لِحَمْلِهَا ٱلدُّرُوعَ وَثِقَالَ ٱلسِّلَاحِ وَٱلْعَدْوُ فِي خَيْلِ ٱلْبَرِّ ٱلْجَنُوبِيِّ . وَلَهَا مِنَ ٱلطُّيُورِ ٱلْجَوَارِحِ وَغَيْرِهَا مَا يَكْثُرُ ذِكْرُهُ وَيَطُولُ . وَكَذَلِكَ حَيَوَانُ ٱلْبَحْرِ وَدَوَابُّ

---

(١) الأيل : الذكر من الأوعال. (٢) أي الجرأة وعدم المبالاة (٣) فارهة : ماهرة نشيطة خفيفة : جمع فاره

بَحْرِهَا الْمُحِيطِ فِي نِهَايَةٍ مِنَ الطُّولِ وَالْعَرْضِ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : عَايَنْتُ مِنْ ذَلِكَ الْعَجَبَ ، وَالْمُسَافِرُونَ فِي الْبَحْرِ يَخَافُونَ مِنْهَا لِئَلَّا تَقْلِبَ الْمَرَاكِبَ فَيَقْطَعُونَ الْكَلَامَ ، وَلَهَا نَفْخٌ بِالْمَاءِ مِنْ فِيهَا يَقُومُ فِي الْجَوِّ ذَا ارْتِفَاعٍ مُفْرِطٍ .

***

أفاويه الأندلس

وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ: قَالَ الْمَسْعُودِيُّ فِي مُرُوجِ الذَّهَبِ : فِي الْأَنْدَلُسِ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَفَاوِيهِ[1] خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ صِنْفًا ، مِنْهَا السُّنْبُلُ ، وَالْقَرَنْفُلُ ، وَالصَّنْدَلُ، وَالْقِرْفَةُ ، وَقَصَبُ الذَّرِيرَةِ[2] وَغَيْرُ ذَلِكَ . وَذَكَرَ ابْنُ غَالِبٍ أَنَّ الْمَسْعُودِيَّ قَالَ : أُصُولُ الطِّيبِ خَمْسَةُ أَصْنَافٍ : الْمِسْكُ وَالْكَافُورُ وَالْعُودُ وَالْعَنْبَرُ وَالزَّعْفَرَانُ ، وَكُلُّهَا مِنْ أَرْضِ الْهِنْدِ إِلَّا الزَّعْفَرَانَ وَالْعَنْبَرَ

---

(١) الأفاويه : ما يعالج به الطيب وما أعد له من الرياحين، كأن التوابل ماتعالج به الأطعمة ، يقال فوه ، وأفواه ، وجمع الجمع أفاويه . وقد تكون الأفواه من البقول ، قال جميل :

بها قضب الريحان تندى وحنوة   ومن كل أفواه البقول بها بقل

(٢) الذريرة : ماانتحت من قصب الطيب ، وقيل هو مجموع أخلاط و به فسر حديث عائشة رضى الله عنها : طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحرامه بذريرة

فَإِنَّهُمَا مَوْجُودَانِ فِي أَرْضِ ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَيُوجَدُ ٱلْعَنْبَرُ فِي أَرْضِ ٱلشِّحْرِ (١) ، قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ : وَقَدْ تَكَلَّمُوا فِي أَصْلِ ٱلْعَنْبَرِ فَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ عُيُونٌ تَنْبُعُ فِي قَعْرِ ٱلْبَحْرِ يَصِيرُ مِنْهَا مَا تَبْلَعُهُ ٱلدَّوَابُّ وَتَقْذِفُهُ . قَالَ ٱلْحِجَارِيُّ : وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : إِنَّهُ نَبَاتٌ فِي قَعْرِ ٱلْبَحْرِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُ ٱلرَّازِي : إِنَّ ٱلْمَحْلَبَ وَهُوَ ٱلْمُقَدَّمُ فِي ٱلْأَفَاوِيهِ ، وَٱلْمُفَضَّلُ فِي أَنْوَاعِ ٱلْأُشْنَانِ ، لَا يُوجَدُ فِي شَيْءٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِٱلْهِنْدِ وَٱلْأَنْدَلُسِ. قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ : وَفِي ٱلْأَنْدَلُسِ مَوَاضِعُ ذَكَرُوا أَنَّ ٱلنَّارَ إِذَا أُطْلِقَتْ فِيهَا فَاحَتْ بِرَوَائِحِ ٱلْعُودِ وَمَا أَشْبَهَهُ ، وَفِي جَبَلِ شُلَيْرٍ (٢) أَفَاوِيهُ هِنْدِيَّةٌ .

---

(١) الشحر وعمان ببلاد العرب (٢) جبل شلير (بالتصغير) من أعمال البيرة لايفارقه الثلج . قال بعض المغاربة وقد مر بشلير فوجد ألم البرد القارس :

يحل لنا ترك الصلاة بأرضكم ... وشرب الحميا وهو شيء محرم
فرارا الى نار الجحيم فانها ... أخف علينا من شلير وأرحم
اذاهبت الريح الشمال بأرضكم ... فطوبى لعبد فى لظى يتنعم
أقول ولا ألحى على ماأقوله ... كما قال قبلى شاعر متقدم
فان كان يوما مدخلى فى جهنم ... ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

***

ثمار الأندلس

قَالَ وَأَمَّا الثِّمَارُ وَأَصْنَافُ الفَوَاكِهِ فَالأَنْدَلُسُ أَسْعَدُ بِلَادِ اللهِ بِكَثْرَتِهَا ، وَيُوجَدُ فِي سَوَاحِلِهَا قَصَبُ السُّكَّرِ وَالْمَوْزُ ، وَيُوجَدَانِ فِي الأَقَالِيمِ البَارِدَةِ ، وَلَا يُعْدَمُ مِنْهَا إِلَّا التَّمْرُ ، وَلَهَا مِنْ أَنْوَاعِ الفَوَاكِهِ مَا يُعْدَمُ فِي غَيْرِهَا أَوْ يَقِلُّ ، كَالتِّينِ القُوطِيِّ وَالتِّينِ السَّفَرِيِّ بِإِشْبِيلِيَةَ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَهٰذَانِ صِنْفَانِ لَمْ تَرَ عَيْنِي وَلَمْ أَذُقْ لَهُمَا مُنْذُ خَرَجْتُ مِنَ الأَنْدَلُسِ مَا يَفْضُلُهُمَا ، وَكَذٰلِكَ التِّينُ المَالَقِيُّ وَالزَّبِيبُ المُنَكَّبِيُّ(١) ، وَالزَّبِيبُ العَسَلِيُّ ، وَالرُّمَّانُ السَّفَرِيُّ وَالخَوْخُ وَالجَوْزُ وَاللَّوْزُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُ .

***

معادن الأندلس

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ سَعِيدٍ أَيْضًا أَنَّ الأَرْضَ الشَّمَالِيَّةَ المَغْرِبِيَّةَ فِيهَا المَعَادِنُ السَّبْعَةُ ، وَأَنَّهَا فِي الأَنْدَلُسِ الَّتِي هِيَ بَعْضُ تِلْكَ الأَرْضِ . وَأَعْظَمُ مَعْدِنٍ لِلذَّهَبِ بِالأَنْدَلُسِ فِي جِهَةِ شَنْتِ يَاقُورَ

(١) نسبة الى المنكب : بلد على ساحل جزيرة الأندلس من أعمال البيرة بينه و بين غرناطة ٤٠ ميلا

قَاعِدَةِ ٱلْجَلَالِقَةِ عَلَى ٱلْبَحْرِ ٱلْمُحِيطِ ، وَفِي جِهَةِ قُرْطُبَةَ ٱلْفِضَّةُ وَٱلزِّئْبَقُ ؛ وَٱلنُّحَاسُ فِي شَمَالِيِّ ٱلْأَنْدَلُسِ كَثِيرٌ ، وَٱلصُّفْرُ(١) ٱلَّذِي يَكَادُ يُشْبِهُ ٱلذَّهَبَ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ ٱلْمَعَادِنِ ٱلْمُتَفَرِّقَةِ فِي أَمَاكِنِهَا ، وَٱلْعَيْنُ ٱلَّتِي يَخْرُجُ مِنْهَا ٱلزَّاجُ(٢) فِي لَيْلَةٍ مَشْهُورَةٍ ، وَهُوَ كَثِيرٌ مُفَضَّلٌ فِي ٱلْبِلَادِ مَنْسُوبٌ لِجَبَلِ طُلَيْطُلَةَ جَبَلِ ٱلطَّفْلِ ٱلَّذِي يُجَهَّزُ إِلَى ٱلْبِلَادِ وَيُفَضَّلُ عَلَى كُلِّ طَفْلٍ بِٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ .

***

رخام الأندلس

وَبِٱلْأَنْدَلُسِ عِدَّةُ مَقَاطِعَ لِلرُّخَامِ ، وَذَكَرَ ٱلرَّازِيُّ أَنْ بِجَبَلِ قُرْطُبَةَ مَقَاطِعَ ٱلرُّخَامِ ٱلْأَبْيَضِ ٱلنَّاصِعِ ٱللَّوْنِ وَٱلْخَمْرِيِّ وَفِي نَاشِرَةَ(٣) مَقْطَعٌ عَجِيبٌ لِلْعُمُدِ ؛ وَبِبَاغَةَ مِنْ مَمْلَكَةِ غَرْنَاطَةَ مَقَاطِعُ لِلرُّخَامِ كَثِيرَةٌ غَرِيبَةٌ مُوَشَّاةٌ فِي حُمْرَةٍ وَصُفْرَةٍ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ ٱلْمَقَاطِعِ ٱلَّتِي بِٱلْأَنْدَلُسِ مِنَ ٱلرُّخَامِ ٱلْحَالِكِ وَٱلْمُجَزَّعِ(٤) . وَحَصَى ٱلْمَرِيَّةِ يُحْمَلُ إِلَى

(١) هو معدن أصفر ، أو هو النحاس الجيد (٢) الزاج : ملح يصبغ به — معرب زاك بالفارسية (٣) لعلها (ناجرة) مدينة فى شرقى الأندلس من أعمال تطيلة . و (باشك) ناحية من الأندلس من أعمال طلبيرة بفتح الطاء واللام، التى هى من أعمال طليطلة ، (يابرة) بلد فى غربى الأندلس (٤) المجزع : ما فيه سواد و بياض

ٱلْبِلَادِ ، فَإِنَّهُ كَالدُّرِّ فِي رَوْنَقِهِ ، وَلَهُ أَلْوَانٌ عَجِيبَةٌ ، وَمِنْ عَادَاتِهِمْ أَنْ يَضَعُوهُ فِي كِيزَانِ ٱلْمَاءِ .

***

أمنان الأندلس

وَفِي ٱلْأَنْدَلُسِ مِنَ ٱلْأَمْنَانِ(١) ٱلَّتِي تَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ ٱلْقِرْمِزُ ٱلَّذِي يَنْزِلُ عَلَى شَجَرَةِ ٱلْبَلُّوطِ ، فَيَجْمَعُهُ ٱلنَّاسُ زَمَنَ ٱلشِّعْرَى(٢) فَيَصْبُغُونَ بِهِ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱللَّوْنُ ٱلْأَحْمَرُ ٱلَّذِي لَا تَفُوقُهُ حُمْرَةٌ .

***

مصنوعات الأندلس

قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ : وَإِلَى مَصْنُوعَاتِ ٱلْأَنْدَلُسِ يَنْتَهِي ٱلتَّفْضِيلُ وَلِلْمُتَعَصِّبِينَ لَهَا فِي ذَلِكَ كَلَامٌ كَثِيرٌ ، فَقَدِ ٱخْتَصَّتِ ٱلْمَرِيَّةُ وَمَالَقَةُ وَمُرْسِيَةُ بِالْمُوَشَّى ٱلْمُذَهَّبِ ٱلَّذِي يَتَعَجَّبُ مِنْ حُسْنِ صَنْعَتِهِ أَهْلُ ٱلْمَشْرِقِ إِذَا رَأَوْا مِنْهُ شَيْئًا ،

(١) الأمنان : جمع من : كل طل ينزل من السماء على شجر أو حجر و يحلو و ينعقد عسلا و يجف جفاف الصمغ كالشير خشت والترنجبين ــ والمعروف بالمن : ماوقع على شجر البلوط (٢) الشعرى : الكوكب الذى يطلع فى الجوزاء فى شدة الحر ، و يقال له الشعرى اليمانية . وكوكب آخر يطلع فى الذراع و يقال له الشعرى الشامية

وَفِي نَنْتَالَةَ مِنْ عَمَلِ مُرْسِيَةَ تُعْمَلُ ٱلْبُسُطَ ٱلَّتِي يُغَالَى[1] فِي ثَمَنِهَا بِالْمَشْرِقِ ، وَيُصْنَعُ فِي غَرْنَاطَةَ وَبَسْطَةَ مِنْ ثِيَابِ ٱللِّبَاسِ ٱلْمُحَرَّرَةِ ٱلصِّنْفُ ٱلَّذِي يُعْرَفُ بِالْمُلَبَّدِ ٱلْمُخَتَّمِ ، ذُو ٱلْأَلْوَانِ ٱلْعَجِيبَةِ ، وَيُصْنَعُ فِي مُرْسِيَةَ مِنَ ٱلْأَسِرَّةِ ٱلْمُرَصَّعَةِ وَٱلْحُصْرِ ٱلْفَتَّانَةِ ٱلصَّنْعَةِ ، وَآلَاتِ ٱلصُّفْرِ وَٱلْحَدِيدِ مِنَ ٱلسَّكَاكِينِ وَٱلْأَمْقَاصِ[2] ٱلْمُذَهَّبَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آلَاتِ ٱلْعَرُوسِ وَٱلْجُنْدِيِّ مَا يَبْهَرُ ٱلْعَقْلَ ، وَمِنْهَا تُجَهَّزُ هَذِهِ ٱلْأَصْنَافُ إِلَى بِلَادِ إِفْرِيقِيَّةَ وَغَيْرِهَا ، وَيُصْنَعُ بِهَا وَبِالْمَرِيَّةِ وَمَالَقَةَ ٱلزُّجَاجُ ٱلْغَرِيبُ ٱلْعَجِيبُ وَفَخَّارٌ مُزَجَّجٌ مُذَهَّبٌ ، وَيُصْنَعُ بِالْأَنْدَلُسِ نَوْعٌ مِنَ ٱلْمُفَضَّضِ ٱلْمَعْرُوفِ فِي ٱلْمَشْرِقِ بِالْفُسَيْفِسَاءِ . وَنَوْعٌ يُبْسَطُ بِهِ قَاعَاتُ دِيَارِهِمْ يُعْرَفُ بِالزُّلَيْجِيِّ يُشْبِهُ ٱلْمُفَضَّضَ ، وَهُوَ ذُو أَلْوَانٍ عَجِيبَةٍ ، يُقِيمُونَهُ مَقَامَ ٱلرُّخَامِ ٱلْمُلَوَّنِ ٱلَّذِي

(١) يغالى فى ثمنها : أى تشترى بثمن غال (٢) جمع مقص ، والقياس جمعه على مقاص

يَصْرِفُهُ أَهْلُ ٱلْمَشْرِقِ فِي زَخْرَفَةِ بُيُوتِهِمْ كَالشَّاذَرْوَانِ[1] وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ .

***

صنع آلات الحرب

وَأَمَّا آلَاتُ ٱلْحَرْبِ مِنَ ٱلتِّرَاسِ وَٱلرِّمَاحِ وَٱلسُّرُوجِ وَٱلْأَلْجُمِ وَٱلدُّرُوعِ وَٱلْمَغَافِرِ[2] فَأَكْثَرُهُمْ أَهْلِ ٱلْأَنْدَلُسِ — فِيمَا حَكَى ٱبْنُ سَعِيدٍ — كَانَتْ مَصْرُوفَةً إِلَى هَذَا ٱلشَّأْنِ ، وَيُصْنَعُ مِنْهَا فِي بِلَادِ ٱلْكُفْرِ مَا يَبْهَرُ ٱلْعُقُولَ . قَالَ : وَٱلسُّيُوفُ ٱلْبَرْذِلِيَّاتُ مَشْهُورَةٌ بِالْجَوْدَةِ ، وَبَرْذِيلُ[3] آخِرُ بِلَادِ ٱلْأَنْدَلُسِ مِنْ جِهَةِ ٱلشَّمَالِ وَٱلْمَشْرِقِ ، وَٱلْفُولَاذُ ٱلَّذِي بِإِشْبِيلِيَةَ إِلَيْهِ ٱلنِّهَايَةُ ، وَفِي إِشْبِيلِيَةَ مِنْ دَقَائِقِ ٱلصَّنَائِعِ مَا يَطُولُ ذِكْرُهُ ، وَقَدْ أَفْرَدَ

(١) لعله : الذى يسمى التخت بوش. وقال الشهاب الخفاجى فى شفاء الغليل : الشاذروان من جدار البيت الحرام ، وهو الذى ترك من عرض الأساس خارجا ، و يسمى تأزيرا لأنه كالازار للبيت ، وهو لفظ دخيل

(٢) المغفر والمغفرة : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة : وقيل فوق البيضة ، وقيل حلق يجعلها الرجل أسفل البيضة تسبغ على العنق فتقيه (٣) برذيل و برذال (بالدال والذال فيهما) هى (بوردو) وقد سماها العرب بحسب التسمية اللاتينية

ابْنُ غَالِبٍ فِي «فَرْحَةِ الْأَنفُسِ» لِلْآثَارِ الْأَوَّلِيَّةِ الَّتِي بِالْأَنْدَلُس مِنْ كِتَابِهِ مَكَانًا فَقَالَ :

***

جلب الماء بالأندلس

مِنْهَا مَا كَانَ مِنْ جَلْبِهِمُ الْمَاءَ مِنَ الْبَحْرِ الْمِلْحِ إِلَى الْأَرْحِي[1] الَّتِي بِطَرَّكُونَةَ عَلَى وَزْنٍ لَطِيفٍ وَتَدْبِيرٍ مُحْكَمٍ ، حَتَّى طَحَنَتْ بِهِ ، وَذَلِكَ مِنْ أَعْجَبِ مَا صُنِعَ ، وَمِنْ ذَلِكَ مَاصَنَعَهُ الْأُوَلُ أَيْضًا مِنْ جَلْبِ الْمَاءِ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ إِلَى جَزِيرَةِ قَادِسَ مِنَ الْعَيْنِ الَّتِي فِي إِقْلِيمِ الْأَصْنَامِ ، جَلَبُوهُ فِي جَوْفِ الْبَحْرِ فِي الصَّخْرِ الْمُجَوَّفِ ذَكَرًا فِي أُنْثَى وَشَقُّوا بِهِ الْجِبَالَ ، فَإِذَا وَصَلُوا بِهِ إِلَى الْمَوَاضِعِ الْمُنْخَفِضَةِ بَنَوْا لَهُ قَنَاطِرَ عَلَى حَنَايَا[2] ، فَإِذَا جَاوَزَهَا وَاتَّصَلَ بِالْأَرْضِ الْمُعْتَدِلَةِ رَجَعُوا إِلَى الْبُنْيَانِ الْمَذْكُورِ ، فَإِذَا صَادَفَ سَبَخَةً[3] بُنِيَ لَهُ رَصِيفٌ وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ هٰكَذَا إِلَى أَنِ انْتَهَى

(١) أى أنهم أداروا الأرحاء بقوة دفع الماء ، وهذا وإن عد عجيبا فى عصرهم فهو الآن من أبسط الأمور (٢) الحنايا : جمع حنية : ما كان من البناء منحنيا كالقوس (٣) السبخة : أرض ذات نز وملح

بِهِ إِلَى ٱلْبَحْرِ ثُمَّ دُخِلَ بِهِ فِي ٱلْبَحْرِ وَأُخْرِجَ فِي جَزِيرَةِ قَادِسَ ، وَٱلْبُنْيَانُ ٱلَّذِي دَخَلَ عَلَيْهِ ٱلْمَاءُ فِي ٱلْبَحْرِ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ . قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ : إِلَى وَقْتِنَا هَـذَا ،

***

رصيف الأندلس

وَمِنْهَا ٱلرَّصِيفُ ٱلْمَشْهُورُ بِالْأَنْدَلُسِ . قَالَ فِي بَعْضِ أَخْبَارِ رُومِيَةَ إِنَّهُ لَمَّا وَلِيَ بُو لِيشُ ٱلْمَعْرُوفُ بِجَاشِرَ ، وَٱبْتَدَأَ بِتَذْرِيعِ ٱلْأَرْضِ وَتَكْسِيرِهَا كَانَ ٱبْتِدَاؤُهُ بِذَلِكَ مِنْ مَدِينَةِ رُومِيَةَ إِلَى ٱلْمَشْرِقِ مِنْهَا وَإِلَى ٱلْمَغْرِبِ وَإِلَى ٱلشَّمَالِ وَإِلَى ٱلْجَنُوبِ ، ثُمَّ بَدَأَ بِفَرْشِ ٱلْمُبْطَلَةِ وَأَقْبَلَ بِهَا عَلَى وَسَطِ دَائِرَةِ ٱلْأَرْضِ إِلَى أَنْ بَلَغَ بِهَا أَرْضَ ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَرَكَزَهَا(١) شَرْقِيَّ قُرْطُبَةَ بِبَابِهَا ٱلْمُتَطَامِنِ(٢) ٱلْمَعْرُوفِ بِبَابِ عَبْدِ ٱلْجَبَّارِ ، ثُمَّ ٱبْتَدَأَهَا مِنْ بَابِ ٱلْقَنْطَرَةِ قِبْلِيَّ قُرْطُبَةَ إِلَى شَقَنْدَةَ إِلَى إِسْتِجَةَ إِلَى قَرْمُونَةَ إِلَى ٱلْبَحْرِ ، وَأَقَامَ عَلَى كُلِّ مِيلٍ سَارِيَةً قَدْ نُقِشَ عَلَيْهَا ٱسْمُهُ مِنْ مَدِينَةِ رُومِيَةَ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَرَادَ تَسْقِيفَهَا فِي بَعْضِ ٱلْأَمَاكِنِ رَاحَةً لِلْخَاطِرِينَ مِنْ وَهَجِ ٱلصَّيْفِ وَهَوْلِ ٱلشِّتَاءِ ، ثُمَّ تَوَقَّعَ

---

(١) ركزها : ثبتها في محلها (٢) المتطامن : المنحنى .

أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فَسَادًا فِي ٱلْأَرْضِ وَتَغْيِيرًا لِلطُّرُقِ عِنْدَ ٱنْتِشَارِ ٱللُّصُوصِ وَأَهْلِ ٱلشَّرِّ فِيهَا فِي ٱلْمَوَاضِعِ ٱلْمُنْقَطِعَةِ ٱلنَّائِيَةِ عَنِ ٱلْعُمْرَانِ ، فَتَرَكَهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ . وَذَكَرَ فِي هَذِهِ ٱلْآثَارِ صَنَمَ قَادِسَ ٱلَّذِي لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ إِلَّا ٱلصَّنَمَ ٱلَّذِي بِطَرَفِ جِلِّيقِيَّةَ ، وَذَكَرَ قَنْطَرَةَ طُلَيْطُلَةَ وَقَنْطَرَةَ ٱلسَّيْفِ وَقَنْطَرَةَ مَارِدَةَ وَمَلْعَبَ مَرْبَيْطَرَ

***

عجائب الأندلس

« قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ » : وَفِي ٱلْأَنْدَلُسِ عَجَائِبُ مِنْهَا ٱلشَّجَرَةُ ٱلَّتِي لَوْلَا كَثْرَةُ ذِكْرِ ٱلْعَامَّةِ لَهَا بِالْأَنْدَلُسِ مَا ذَكَرْتُهَا ، فَإِنَّ خَبَرَهَا عِنْدَهُمْ شَائِعٌ مُتَوَاتِرٌ ، وَقَدْ رَأَيْتُ مَنْ يَشْهَدُ بِخَبَرِهَا وَرُؤْيَتِهَا وَهُمْ جَمٌّ غَفِيرٌ ، وَهِيَ شَجَرَةُ زَيْتُونٍ تَصْنَعُ ٱلْوَرَقَ وَٱلنَّوْرَ وَٱلثَّمَرَ مِنْ يَوْمٍ وَاحِدٍ مَعْلُومٍ عِنْدَهُمْ مِنْ أَيَّامِ ٱلسَّنَةِ ٱلشَّمْسِيَّةِ ، وَمِنَ ٱلْعَجَائِبِ : ٱلسَّارِيَةُ ٱلَّتِي بِغَرْبِي ٱلْأَنْدَلُسِ، يَزْعُمُ ٱلْجُمْهُورُ أَنَّ أَهْلَ ذَلِكَ ٱلْمَكَانِ إِذَا أَحَبُّوا ٱلْمَطَرَ أَقَامُوهَا فَيُمْطِرُ ٱللهُ جِهَتَهُمْ ، وَمِنْهَا صَنَمُ

قَادِسَ، طُولَ مَا كَانَ قَائِمًا كَانَ يَمْنَعُ ٱلرِّيحَ أَنْ تَهُبَّ فِي ٱلْبَحْرِ ٱلْمُحِيطِ، فَلَا تَسْتَطِيعُ ٱلْمَرَاكِبُ ٱلْكِبَارُ عَلَى ٱلْجَرْيِ فِيهِ، فَلَمَّا هُدِمَ فِي أَوَّلِ دَوْلَةِ بَنِي عَبْدِ ٱلْمُؤْمِنِ صَارَتِ ٱلسُّفُنُ تَجْرِي فِيهِ، وَبِكُورَةِ قَبْرَةَ[1] مَغَارَةٌ ذَكَرَهَا ٱلرَّازِيُّ، وَحَكَى أَنَّهُ يُقَالُ: إِنَّهَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ ٱلرِّيحِ لَا يُدْرَكُ لَهَا قَعْرٌ، وَذَكَرَ ٱلرَّازِيُّ أَنَّ فِي جِهَةِ قَلْعَةِ وَرْدٍ جَبَلًا فِيهِ شَقٌّ فِي صَخْرَةٍ دَاخِلَ كَهْفٍ فِيهِ فَأْسُ حَدِيدٍ مُتَعَلِّقٌ مِنَ ٱلشَّقِّ ٱلَّذِي فِي ٱلصَّخْرَةِ تَرَاهُ ٱلْعُيُونُ وَتَلْمُسُهُ ٱلْيَدُ وَمَنْ رَامَ إِخْرَاجَهُ لَمْ يُطِقْ ذَلِكَ، وَإِذَا رَفَعَتْهُ ٱلْيَدُ، ٱرْتَفَعَ وَغَابَ فِي شَقِّ ٱلصَّخْرَةِ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى حَالَتِهِ. وَأَمَّا مَا أَوْرَدَهُ ٱبْنُ بَشْكُوَالَ مِنَ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱلْآثَارِ فِي شَأْنِ فَضْلِ ٱلْأَنْدَلُسِ وَٱلْمَغْرِبِ فَقَدْ ذَكَرَهَا ٱبْنُ سَعِيدٍ فِي كِتَابِهِ ٱلْمُغْرِبِ، وَلَمْ أَذْكُرْهَا أَنَا، وَٱللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ أَمْرِهَا. وَكَذَلِكَ مَاذَكَرَهُ ٱبْنُ بَشْكُوَالَ مِنْ أَنَّ فَتْحَ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

(١) قبرة : كورة من أعمال الأندلس تتصل بأعمال قرطبة من جنوبيها .

إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ قِبَلِ ٱلْأَنْدَلُسِ ، قَالَ وَذَكَرَهُ سَيْفٌ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ . وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّةِ ذَلِكَ. وَلَعَلَّ ٱلْمُرَادَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ رُومِيَةُ. وَٱللَّهُ أَعْلَمُ

قَالَ سَيْفٌ : وَذَلِكَ أَنَّ عُثْمَانَ نَدَبَ جَيْشًا مِنَ ٱلْقَيْرَوَانِ إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ وَكَتَبَ لَهُمْ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فَتْحَ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ قِبَلِ ٱلْأَنْدَلُسِ ، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَتَحْتُمُوهَا كُنْتُمُ ٱلشُّرَكَاءَ فِي ٱلْأَجْرِ وَٱلسَّلَامُ . ٱنْتَهَى . قُلْتُ عُهْدَةُ هَذِهِ ٱلْأُمُورِ عَلَى نَاقِلِهَا وَأَنَا بَرِيءٌ مِنْ عُهْدَتِهَا ، وَإِنْ ذَكَرَهَا ٱبْنُ بَشْكُوَالَ وَصَاحِبُ ٱلْمُغْرِبِ وَغَيْرُ وَاحِدٍ فَإِنَّهَا عِنْدِي لَا أَصْلَ لَهَا . وَأَيُّ وَقْتٍ بَعَثَ عُثْمَانُ إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ مَعَ أَنَّ فَتْحَهَا بِالِاتِّفَاقِ إِنَّمَا كَانَ زَمَانَ ٱلْوَلِيدِ ؟ وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هَذَا لِلتَّنْبِيهِ عَلَيْهِ لَا غَيْرُ . وَٱللَّهُ أَعْلَمُ .

***

وصف آخر للأندلس

« قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ » : وَمِيزَانُ وَصْفِ ٱلْأَنْدَلُسِ أَنَّهَا جَزِيرَةٌ قَدْ أَحْدَقَتْ بِهَا ٱلْبِحَارُ فَأَكْثَرَتْ فِيهَا ٱلْخِصْبَ

وَالْعِمَارَةَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، فَمَتَى سَافَرْتَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ لَا تَكَادُ تَنْقَطِعُ مِنَ الْعِمَارَةِ مَا بَيْنَ قُرًى وَمِيَاهٍ وَمَزَارِعَ ، وَالصَّحَارَى فِيهَا مَعْدُومَةٌ . وَمِمَّا اخْتُصَّتْ بِهِ أَنَّ قُرَاهَا فِي نِهَايَةٍ مِنَ الْجَمَالِ لِتَصَنُّعِ أَهْلِهَا فِي أَوْضَاعِهَا وَتَبْيِيضِهَا لِئَلَّا تَنْبُوَ الْعُيُونُ عَنْهَا ، فَهِيَ كَمَا قَالَ الْوَزِيرُ ابْنُ الْحَمَّارَةِ فِيهَا:

لَاحَتْ قُرَاهَا بَيْنَ خُضْرَةِ أَيْكِهَا(١)

كَالدُّرِّ بَيْنَ زَبَرْجَدٍ مَكْنُونِ

وَلَقَدْ تَعَجَّبْتُ لَمَّا دَخَلْتُ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ مِنْ أَوْضَاعِ قُرَاهَا الَّتِي تُكَدِّرُ الْعَيْنَ بِسَوَادِهَا ، وَيَضِيقُ الصَّدْرُ بِضِيقِ أَوْضَاعِهَا . وَفِي الْأَنْدَلُسِ جِهَاتٌ تَقْرُبُ فِيهَا الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ الْمُمَصَّرَةُ مِنْ مِثْلِهَا ، وَالْمِثَالُ فِي ذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا تَوَجَّهْتَ مِنْ إِشْبِيلِيَةَ فَعَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَبَعْضِ آخَرَ مَدِينَةُ شَرِيشٍ ، وَهِيَ فِي نِهَايَةٍ مِنَ الْحَضَارَةِ وَالنَّضَارَةِ ، ثُمَّ يَلِيهَا الْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ كَذَلِكَ ، ثُمَّ مَالَقَةُ ، وَهَذَا

---

(١) الأيك : الشجر الملتف الكثير ــ الواحدة أيكة

كَثِيرٌ فِي ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَلِهَذَا كَثُرَتْ مُدُنُهَا . وَأَكْثَرُهَا مُسَوَّرٌ مِنْ أَجْلِ ٱلِاسْتِعْدَادِ لِلْعَدُوِّ ، فَحَصَلَ لَهَا بِذَلِكَ ٱلتَّشْيِيدُ وَٱلتَّزْيِينُ ، وَفِي حُصُونِهَا مَا يَبْقَى فِي مُحَارَبَةِ ٱلْعَدُوِّ مَا يُنِيفُ عَلَى عِشْرِينَ سَنَةً لِامْتِنَاعِ مَعَاقِلِهَا وَدُرْبَةِ (١) أَهْلِهَا عَلَى ٱلْحَرْبِ ، وَاعْتِيَادِهِمْ لِمُجَاوَرَةِ ٱلْعَدُوِّ بِالطَّعْنِ وَٱلضَّرْبِ ، وَكَثْرَةِ مَا تَنْخَزِنُ ٱلْغَلَّةُ فِي مَطَامِيرِهَا (٢) ، فَمِنْهَا مَا يَطُولُ صَبْرُهُ عَلَيْهَا نَحْوًا مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ . قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ : وَلِذَلِكَ أَدَامَهَا ٱللّٰهُ تَعَالَى مِنْ وَقْتِ ٱلْفَتْحِ إِلَى ٱلْآنَ ، وَإِنْ كَانَ ٱلْعَدُوُّ قَدْ نَقَصَهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَشَارَكَ فِي أَوْسَاطِهَا فَفِي ٱلْبَقِيَّةِ مَنَعَةٌ عَظِيمَةٌ ، فَأَرْضٌ بَقِيَ فِيهَا مِثْلُ إِشْبِيلِيَةَ وَغَرْنَاطَةَ وَمَالَقَةَ وَٱلْمَرِيَّةِ وَمَا يَنْضَافُ إِلَى هَذِهِ ٱلْحَوَاضِرِ ٱلْعَظِيمَةِ ٱلْمُمَصَّرَةِ ، ٱلرَّجَاءُ فِيهَا قَوِيٌّ بِحَوْلِ ٱللّٰهِ وَقُوَّتِهِ . ٱنْتَهَى . قُلْتُ : قَدْ خَابَ ذَلِكَ

---

(١) الدربة : المران (٢) هي أوعية عظيمة تختزن فيها الغلال، وحفيرة تحت الأرض توسع أسافلها تخبأ فيها الحبوب . وطمر الشيء :دفنه وأخفاه . وطمر المطمورة:ملأها

ٱلرَّجَا ، وَصَارَتْ تِلْكَ ٱلْأَرْجَاءُ لِلْـكُفْرِ مَعْرَجًا(١) ، وَنَسْأَلُ ٱللّٰهَ تَعَالَى ٱلَّذِى جَعَلَ لِلْهَمِّ فَرَجًا ، وَلِلضِّيقِ مَخْرَجًا ، أَنْ يُعِيدَ إِلَيْهَا كَلِمَةَ ٱلْإِسْلَامِ حَتَّى يَسْتَنْشِقَ أَهْلُهُ مِنْهُ فِيهَا أَرَجَا ، آمِينَ .

***

غرائب الأندلس

« وَمِنْ غَرَائِبِ ٱلْأَنْدَلُسِ » : ٱلْبَيْلَتَانِ ٱللَّتَانِ بِطُلَيْطُلَةَ ، صَنَعَهُمَا عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ لَمَّا سَمِعَ بِخَبَرِ ٱلطِّلَّسْمِ(٢) ٱلَّذِى بِمَدِينَةِ أَرِينَ مِنْ أَرْضِ ٱلْهِنْدِ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ٱلْمَسْعُودِيُّ ، وَأَنَّهُ يَدُورُ بِإِصْبَعِهِ مِنْ طُلُوعِ ٱلْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ ٱلشَّمْسِ ، فَصَنَعَ هُوَ هَاتَيْنِ ٱلْبَيْلَتَيْنِ خَارِجَ طُلَيْطُلَةَ فِي بَيْتٍ مُجَوَّفٍ فِي جَوْفِ ٱلنَّهْرِ ٱلْأَعْظَمِ فِي ٱلْمَوْضِعِ ٱلْمَعْرُوفِ بِبَابِ ٱلدَّبَّاغِينَ ،

(١) عرج فى الدرجة وعلى السلم : ارتقى ، والمعارج : المصاعد والدرج

(٢) الطلسم ، وطلسم : قال فى السر المكتوم : هو عبارة عن علم بأحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية لأجل التمكن من اظهار ما يخالف العادة والمنع مما يوافقها اهوهو لفظ غير عربى . وقيل هو عربى مأخوذ من قولهم . طلسم وطرسم اذا أطرق ، والصوفية تستعمله بمعنى السر المكتوم فيقولون سر مطلسم ، وحجاب مطلسم . ولابن الرومى :

وفى لطفك طلسم لحالى أى طلسم

وَمِنْ عَجَبِهِمَا أَنَّهُمَا يَمْتَلِئَانِ وَيَنْحَسِرَانِ مَعَ زِيَادَةِ الْقَمَرِ وَنُقْصَانِهِ ، وَذٰلِكَ أَنَّ أَوَّلَ انْهِلَالِ[1] الْهِلَالِ يَخْرُجُ فِيهِمَا يَسِيرُ مَاءٍ ، فَإِذَا أَصْبَحَ كَانَ فِيهِمَا سُبْعُهُمَا مِنَ الْمَاءِ ، فَإِذَا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ كَمُلَ فِيهِمَا نِصْفُ سُبْعٍ ، وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ بَيْنَ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ نِصْفُ سُبْعٍ حَتَّى يَكْمُلَ مِنَ الشَّهْرِ سَبْعَةُ أَيَّامٍ وَسَبْعُ لَيَالٍ فَيَكُونَ فِيهِمَا نِصْفُهُمَا ، وَلَا تَزَالُ كَذٰلِكَ الزِّيَادَةُ نِصْفَ سُبْعٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ حَتَّى يَكْمُلَ امْتِلَاؤُهُمَا بِكَمَالِ الْقَمَرِ ، فَإِذَا كَانَ فِي لَيْلَةِ خَمْسَةَ عَشَرَ وَأَخَذَ الْقَمَرُ فِي النُّقْصَانِ نَقَصَتَا بِنُقْصَانِ الْقَمَرِ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ نِصْفَ سُبْعٍ ، فَإِذَا كَانَ تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ مِنَ الشَّهْرِ لَا يَبْقَى فِيهِمَا شَيْءٌ مِنَ الْمَاءِ ، وَإِذَا تَكَلَّفَ أَحَدٌ حِينَ يَنْقُصَانِ أَنْ يَمْلَأَهُمَا وَجَلَبَ لَهُمَا الْمَاءَ ابْتَلَعَتَا ذٰلِكَ مِنْ حِينِهِمَا ، حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهِمَا إِلَّا مَا كَانَ فِيهِمَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ، وَكَذَا لَوْ تَكَلَّفَ عِنْدَ امْتِلَائِهِمَا إِفْرَاغَهُمَا وَلَمْ يُبْقِ مِنْهُمَا شَيْئًا ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ عَنْهُمَا خَرَجَ فِيهِمَا مِنَ الْمَاءِ مَا يَمْلَؤُهُمَا فِي

(١) أي بدوه وظهوره

ٱلْحِينِ ، وَهُمَا أَعْجَبُ مِنْ طِلَّسْمِ ٱلْهِنْدِ ، لِأَنَّ ذٰلِكَ فِي نُقْطَةِ ٱلِاعْتِدَالِ حَيْثُ لَا يَزِيدُ ٱللَّيْلُ عَلَى ٱلنَّهَارِ ، وَأَمَّا هَاتَانِ فَلَيْسَتَا فِي مَكَانِ ٱلِاعْتِدَالِ ، وَلَمْ تَزَالَا فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ حَتَّى مَلَكَ ٱلنَّصَارَى ـ دَمَّرَهُمُ ٱللهُ ـ طُلَيْطُلَةَ ، فَأَرَادَ ٱلْفُنْشُ(١) أَنْ يَعْلَمَ حَرَكَاتِهِمَا فَأَمَرَ أَنْ تُقْلَعَ ٱلْوَاحِدَةُ مِنْهُمَا لِيَنْظُرَ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي إِلَيْهِمَا ٱلْمَاءُ ؟ وَكَيْفَ ٱلْحَرَكَةُ فِيهِمَا فَقُلِعَتْ فَبَطَلَتْ حَرَكَتُهُمَا وَذَلِكَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَقِيلَ إِنَّ سَبَبَ فَسَادِهِمَا حُنَيْنٌ ٱلْيَهُودِيُّ ٱلَّذِي جَلَبَ حَمَامَ ٱلْأَنْدَلُسِ كُلِّهَا إِلَى طُلَيْطُلَةَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ وَذَلِكَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَهُوَ ٱلَّذِي أَعْلَمَ ٱلْفُنْشَ أَنَّ وَلَدَهُ سَيَدْخُلُ قُرْطُبَةَ وَيَمْلِكُهَا ، فَأَرَادَ أَنْ يَكْشِفَ حَرَكَةَ ٱلْبِيلَتَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنَا أَقْلَعُهُمَا وَأَرُدُّهُمَا أَحْسَنَ مِمَّا كَانَتَا ، وَذَلِكَ أَنِّي أَجْعَلُهُمَا تَمْتَلِئَانِ بِالنَّهَارِ وَتَحْسِرَانِ(٢) فِي ٱللَّيْلِ ، فَلَمَّا قُلِعَتْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى رَدِّهَا . وَقِيلَ: إِنَّهُ قَلَعَ وَاحِدَةً لِيَسْرِقَ مِنْهَا ٱلصَّنْعَةَ ، فَبَطَلَتْ

(١) الفونش : ملك الفرنجة المتغلب (٢) تحسران : ينضب ماؤهما ويغور

وَلَمْ تَزَلِ ٱلْأُخْرَى تُعْطِى حَرَكَتَهَا . وَٱللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ ٱلْحَالِ .

***

وصف اشبيلية

« وَقَالَ بَعْضُهُمْ » فِي إِشْبِيلِيَةَ : إِنَّهَا قَاعِدَةُ بِلَادِ ٱلْأَنْدَلُسِ وَحَاضِرَتُهَا ، وَمَدِينَةُ ٱلْأَدَبِ ، وَٱللَّهْوِ وَٱلطَّرَبِ ، وَهِيَ عَلَى ضَفَّةِ ٱلنَّهْرِ ٱلْكَبِيرِ ، عَظِيمَةُ ٱلشَّانِ ، طَيِّبَةُ ٱلْمَكَانِ لَهَا ٱلْبَرُّ ٱلْمَدِيدُ ، وَٱلْبَحْرُ ٱلسَّاكِنُ ، وَٱلْوَادِي ٱلْعَظِيمُ ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ ٱلْبَحْرِ ٱلْمُحِيطِ ، إِلَى أَنْ قَالَ : وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مِنَ ٱلشَّرَفِ إِلَّا مَوْضِعُ ٱلشَّرَفِ[1] ٱلْمُقَابِلِ لَهَا ٱلْمُطِلِّ عَلَيْهَا ٱلْمَشْهُورِ بِالزَّيْتُونِ ٱلْكَثِيرِ ٱلْمُمْتَدِّ فَرَاسِخَ فِي فَرَاسِخَ لَكَفَى . وَبِهَا مَنَارَةٌ فِي جَامِعِهَا بَنَاهَا يَعْقُوبُ ٱلْمَنْصُورُ لَيْسَ فِي بِلَادِ ٱلْإِسْلَامِ أَعْظَمُ بِنَاءً مِنْهَا ، وَعَسَلُ ٱلشَّرَفِ يَبْقَى

(١) يريد جبل الشرف ، وهو جبل كثير الشجر والزيتون وسائر الفواكه ، ومما كانت تفوق به اشبيلية غيرها من نواحى الأندلس زراعة القطن فانها يحمل منها الى جميع بلاد الأندلس والمغرب . والشرف أيضا بلد من سواد اشبيلية يحتوى على قرى كثيرة .

حِينًا لَا يَتَرَمَّلُ وَلَا يَتَبَدَّلُ(١) ، وَكَذَلِكَ ٱلزَّيْتُ وَٱلتِّينُ . وَقَالَ ٱبْنُ مُفْلِحٍ : إِنَّ إِشْبِيلِيَةَ عَرُوسُ بِلَادِ ٱلْأَنْدَلُسِ لِأَنَّ تَاجَهَا ٱلشَّرَفُ(٢) ، وَفِي عُنُقِهَا سِمْطُ ٱلنَّهْرِ ٱلْأَعْظَمِ ، وَلَيْسَ فِي ٱلْأَرْضِ أَتَمُّ حُسْنًا مِنْ هٰـذَا ٱلنَّهْرِ ، يُضَاهِي دَجْلَةَ وَٱلْفُرَاتَ وَٱلنِّيلَ ، تَسِيرُ ٱلْقَوَارِبُ فِيـهِ لِلنُّزْهَةِ وَٱلسَّيْرِ وَٱلصَّيْدِ تَحْتَ ظِلَالِ ٱلثِّمَارِ وَتَغْرِيدِ ٱلْأَطْيَارِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ مِيلًا، وَيَتَعَاطَى ٱلنَّاسُ ٱلسَّرْحَ مِنْ جَانِبَيْهِ عَشَرَةَ فَرَاسِخَ فِي عِمَارَةٍ مُتَّصِلَةٍ وَمَنَارَاتٍ مُرْتَفِعَةٍ ، وَأَبْرَاجٍ مُشَيَّدَةٍ ، وَفِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ ٱلسَّمَكِ مَا لَا يُحْصَى . وَبِٱلْجُمْلَةِ فَهِيَ قَدْ حَازَتْ ٱلْبَرَّ وَٱلْبَحْرَ وَٱلزَّرْعَ وَٱلضَّرْعَ(٣) ، وَكَثْرَةَ ٱلثِّمَارِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ ، وَقَصَبَ ٱلسُّـكَّرِ ، وَيُجْمَعُ مِنْهَا ٱلْقِرْمِزُ(٤) ٱلَّذِي هُوَ

---

(١) لايتغير بطول المدة (٢) كان أهل اشبيلية اذا أرادوا الافتخار بمدينتهم قالوا : الشرف تاجها ، وذلك لكثرة خيراته كما تقدم (٣) أي المواشي والأنعام . والضرع للماشية كالثدي للمرأة (٤) صبغ أحمر ، قيل هو كالعدس محبب يقع على نوع من شجر البلوط في شهر أذار

أَجَلُّ مِنَ ٱللَّكِّ[1] ٱلْهِنْدِيِّ ، وَزَيْتُونُهَا يُخْزَنُ تَحْتَ ٱلْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، ثُمَّ يُعْتَصَرُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ أَكْثَرُ مِمَّا يَخْرُجُ مِنْهُ وَهُوَ طَرِيٌّ . انْتَهَى مُلَخَّصًا

وَلَمَّا ذَكَرَ ٱبْنُ ٱلْيَسَعِ ٱلْأَنْدَلُسَ قَالَ : لَا يَتَزَوَّدُ فِيهَا أَحَدٌ مَا حَيْثُ سَلَكَ ، لِكَثْرَةِ أَنْهَارِهَا وَعُيُونِهَا ، وَرُبَّمَا لَقِيَ ٱلْمُسَافِرُ فِيهَا فِي ٱلْيَوْمِ ٱلْوَاحِدِ أَرْبَعَ مَدَائِنَ ، وَمِنَ ٱلْمَعَاقِلِ وَٱلْقُرَى مَا لَا يُحْصَى ، وَهِيَ بِطَاحٌ خُضْرٌ وَقُصُورٌ بِيضٌ . قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ : وَأَنَا أَقُولُ كَلَامًا فِيهِ كِفَايَةٌ ، مُنْذُ خَرَجْتُ مِنْ جَزِيرَةِ ٱلْأَنْدَلُسِ وَطُفْتُ فِي بَرِّ ٱلْعُدْوَةِ وَرَأَيْتُ مُدُنَهَا ٱلْعَظِيمَةَ كَمَرَّاكُشَ وَفَاسٍ وَسَلَا[2] وَسَبْتَةَ ثُمَّ طُفْتُ فِي إِفْرِيقِيَّةَ وَمَا جَاوَرَهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ٱلْأَوْسَطِ ، فَرَأَيْتُ بِجَايَةَ وَتُونُسَ . ثُمَّ دَخَلْتُ ٱلدِّيَارَ ٱلْمِصْرِيَّةَ فَرَأَيْتُ ٱلِاسْكَنْدَرِيَّةَ وَٱلْقَاهِرَةَ وَٱلْفُسْطَاطَ ، ثُمَّ دَخَلْتُ ٱلشَّامَ فَرَأَيْتُ دِمَشْقَ وَحَلَبًا وَمَا بَيْنَهُمَا ، لَمْ أَرَ مَا يُشْبِهُ رَوْنَقَ

(١) اللك : صبغ أحمر يصبغ به جاود المعز وغيره (٢) مدينة بأقصى المغرب بالقرب من البحر المحيط ، وهى من مراكش غربية جنوبية

ٱلْأَنْدَلُسِ فِي مِيَاهِهَا وَأَشْجَارِهَا إِلَّا مَدِينَةَ فَاسٍ بِالْمَغْرِبِ ٱلْأَقْصَى وَمَدِينَةَ دِمَشْقَ بِالشَّامِ ، وَفِي حَمَاةَ مَسْحَةٌ أَنْدَلُسِيَّةٌ وَلَمْ أَرَ مَا يُشْبِهُهَا فِي حُسْنِ ٱلْمَبَانِي وَٱلتَّشْيِيدِ وَٱلتَّصْنِيعِ ، إِلَّا مَا شُيِّدَ بِمَرَّاكُشَ فِي دَوْلَةِ بَنِي عَبْدِ ٱلْمُؤْمِنِ[1] وَبَعْضِ أَمَاكِنَ فِي تُونِسَ ، وَإِنْ كَانَ ٱلْغَالِبُ عَلَى تُونِسَ ٱلْبِنَاءُ بِالْحِجَارَةِ كَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَلَكِنَّ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةَ أَفْسَحُ شَوَارِعَ وَأَبْسَطُ وَأَبْدَعُ ، وَمَبَانِي حَلَبَ دَاخِلَةٌ فِيمَا يُسْتَحْسَنُ لِأَنَّهَا مِنْ حِجَارَةٍ صُلْبَةٍ ، وَفِي وَضْعِهَا وَتَرْتِيبِهَا إِتْقَانٌ . ٱنْتَهَى .

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا جَاءَ مِنَ ٱلنَّظْمِ فِي ٱلْأَنْدَلُسِ قَوْلُ ٱبْنِ سَفَرٍ ٱلْمَرِينِيِّ ـ وَٱلْإِحْسَانُ لَهُ عَادَةٌ ـ :

(١) هو عبد المؤمن بن على القيسى الكومى ، ملك مراكش وبلاد المغرب سنة ٥٤٢ وأسس دولة الموحدين واستوثق له الأمر وامتد ملكه الى المغرب الأقصى والأدنى وكثير من بلاد الأندلس ، وتسمى بأمير المسلمين وقصده الشعراء ومدحوه بأطيب المدائح . ولما تمهدت له القواعد وانتهت أيامه خرج من مراكش الى مدينة سلا فأصابه بها مرض شديد ، وتوفى سنة ٥٥٨

فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ تُلْتَذُّ(١) نَعْمَاءُ
وَلَا يُفَارِقُ فِيهَا ٱلْقَلْبَ سَرَّاءُ

وَلَيْسَ فِي غَيْرِهَا بِالْعَيْشِ مُنْتَفَعٌ
وَلَا تَقُومُ بِحَقِّ ٱلْأُنْسِ صَهْبَاءُ(٢)

وَأَيْنَ يُعْدَلُ عَنْ أَرْضٍ تَحُضُّ بِهَا
عَلَى ٱلْمُدَامَةِ أَمْوَاهٌ وَأَفْيَاءُ(٣)

وَكَيْفَ لَا يُبْهِجُ ٱلْأَبْصَارَ رُؤْيَتُهَا
وَكُلُّ رَوْضٍ بِهَا فِي ٱلْوَشْيِ صَنْعَاءُ(٤)؟

أَنْهَارُهَا فِضَّةٌ وَٱلْمِسْكُ تُرْبَتُهَا
وَٱلْخَزُّ(٥) رَوْضَتُهَا وَٱلدُّرُّ حَصْبَاءُ(٦)

---

(١) لذ بالشيء ولذه والتذه واستلذه: عدّه لذيذا (٢) اسم من أسماء الخمر (٣) جمع فيء: هو الظل اذا رجع (٤) صنعاء: اسم موضعين أحدهما باليمن وهي العظمى وكانت قصبة اليمن وأحسن بلادها وكانت تشبه بدمشق لكثرة فواكهها وحسن الطبيعة فيها، وأخرى قريبة بالغوطة من دمشق. وصنعاء في الأصل منسوبة الى جودة الصنعة في ذاتها كقولهم امرأة حسناء وعجزاء، وشهلاء و (صنعاء) في البيت يحتمل كل معانيها فيكون فيه تورية (٥) أي الحرير، والخز من الثياب ماينسج من صوف وابريسم (٦) الحصباء: الحصا

وَلِلْهَوَاءِ بِهَا لُطْفٌ يَرِقُّ بِهِ
مَنْ لَا يَرِقُّ وَتَبْدُو مِنْهُ أَهْوَاءُ
لَيْسَ ٱلنَّسِيمُ ٱلَّذِي يَهْفُو(١) بِهَا سَحَرًا
وَلَا ٱنْتِثَارُ لَآلِي ٱلطَّلِّ أَنْدَاءُ
وَإِنَّمَا أَرَجُ ٱلنَّدِّ ٱسْتَثَارَ بِهَا
فِي مَاءِ وَرْدٍ فَطَابَتْ مِنْهُ أَرْجَاءُ
وَأَيْنَ يَبْلُغُ مِنْهَا مَا أُصَنِّفُهُ
وَكَيْفَ يَحْوِي ٱلَّذِي حَازَتْهُ إِحْصَاءُ؟؟
قَدْ مُيِّزَتْ مِنْ جِهَاتِ ٱلْأَرْضِ حِينَ بَدَتْ
فَرِيدَةً وَتَوَلَّى مَيْزَهَا ٱلْمَاءُ
دَارَتْ عَلَيْهَا نِطَاقًا أَبْحُرٌ خَفَقَتْ
وَجْدًا بِهَا إِذْ تَبَدَّتْ وَهِيَ حَسْنَاءُ
لِذَاكَ يَبْسِمُ فِيهَا ٱلزَّهْرُ مِنْ طَرَبٍ
وَٱلطَّيْرُ يَشْدُو(٢) وَلِلْأَغْصَانِ إِصْغَاءُ

(١) هفا : مشى خفيفا مسرعا ، وهفت الريح بالثوب حركته وذهبت به، وقد تكون (استثار) في البيت بعده محرفة عن (استثير) (٢) أي يغرد. وفي البيت حسن تعليل بديع ، كما في غيره من أبيات القصيدة، وهو نوع بديعي أكثر منه الأندلسيون وأحسنوا التصرف فيه وأتوا من فنونه بما يدل على سلامة ذوق وسمو خيال

فِيهَا خَلَعْتُ عِذَارِى(١) مَا بِهَا عِوَضٌ
فَهْىَ ٱلرِّيَاضُ وَكُلُّ ٱلْأَرْضِ صَحْرَاءُ

وَلِلّٰهِ دَرُّ ٱبْنِ خَفَاجَةَ حَيْثُ يَقُولُ :

إِنَّ لِلْجَنَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ مُجْتَلَى مَرْأًى وَرَيَّا(٢) نَفَسِ
فَسَنَا(٣) صُبْحَتِهَا مِنْ شَنَبٍ(٤) وَدُجَى ظُلْمَتِهَا مِنْ لَعَسِ(٥)
فَإِذَا مَا هَبَّتِ ٱلرِّيحُ صَبًا صِحْتُ وَاشَوْقِى إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ

وَقَدْ تَقَدَّمَتْ هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتُ . قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ : قَالَ ٱبْنُ خَفَاجَةَ هَذِهِ ٱلْأَبْيَاتَ وَهُوَ بِالْمَغْرِبِ ٱلْأَقْصَى فِى بَرِّ ٱلْعُدْوَةِ ، وَمَنْزِلُهُ فِى شَرْقِىِّ ٱلْأَنْدَلُسِ بِجَزِيرَةِ شَقْرَ(٦) . وَقَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ فِى ٱلْمُغْرِبِ مَا نَصُّهُ : قَوَاعِدُ مِنْ كِتَابِ ٱلشُّهُبِ ٱلثَّاقِبَةِ فِى ٱلْإِنْصَافِ بَيْنَ ٱلْمَشَارِقَةِ وَٱلْمَغَارِبَةِ ، أَوَّلُ مَا نُقَدِّمُ ٱلْكَلَامُ عَلَى قَاعِدَةِ ٱلسَّلْطَنَةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَنَقُولُ : إِنَّهَا مَعَ

---

(١) يقال : خلع فلان عذاره اذا تشاطر وأقبل على اللهو والخلاعة غير مبال يضرب للشاب المنهمك فى غيه ، يقال ألقى عنه جلباب الحياء كما خلع الفرس العذار فجمع وطمح (٢) أى رائحة هواء ذكية (٣) أى نور (٤) هو بريق الأسنان وصفاؤها ونقاؤها (٥) اللعس : لون الشفة اذا كانت تضرب الى السمرة قليلا ، وذلك مما يستملحه الذوق العربى (٦) فى شرقى الأندلس وكانت من أنزه بلاد الله وأكثرها روضة و ماء وشجرا . وقد يقال فيها جزيرة شكر

مَا بِأَيْدِى عُبَّادِ الصَّلِيبِ مِنْهَا أَعْظَمُ سَلْطَنَةٍ كَثُرَتْ مَمَالِكُهَا ، وَتَشَعَّبَتْ فِى وُجُوهِ الِاسْتِظْهَارِ لِلسُّلْطَانِ إِعَانَتُهَا ، وَنَدَعُ كَلَامَنَا فِى هٰذَا الشَّأْنِ ، وَنَنْقُلُ مَا قَالَهُ ابْنُ حَوْقَلٍ النَّصِيبِىُّ فِى كِتَابِهِ لَمَّا دَخَلَهَا فِى مُدَّةِ خِلَافَةِ بَنِى مَرْوَانَ بِهَا فِى الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا وَصَفَهَا قَالَ : وَأَمَّا جَزِيرَةُ الْأَنْدَلُسِ فَجَزِيرَةٌ كَبِيرَةٌ ، طُولُهَا دُونَ الشَّهْرِ فِى عَرْضِ نَيِّفٍ وَعِشْرِينَ مَرْحَلَةً ، تَغْلِبُ عَلَيْهَا الْمِيَاهُ الْجَارِيَةُ وَالشَّجَرُ وَالثَّمَرُ وَالرُّخْصُ وَالسَّعَةُ فِى الْأَحْوَالِ ، مِنَ الرَّقِيقِ الْفَاخِرِ ، وَالْخِصْبِ الظَّاهِرِ ، إِلَى أَسْبَابِ التَّمَلُّكِ الْفَاشِيَةِ فِيهَا ، وَلِمَا هِىَ بِهِ مِنْ أَسْبَابِ رَغَدِ الْعَيْشِ وَسَعَتِهِ وَكَثْرَتِهِ يَمْلِكُ ذَلِكَ مِنْهُمْ مَهِينُهُمْ(١) وَأَرْبَابُ صَنَائِعِهِمْ لِقِلَّةِ مُؤْنَتِهِمْ ، وَصَلَاحِ مَعَاشِهِمْ وَبِلَادِهِمْ . ثُمَّ أَخَذَ فِى عِظَمِ سُلْطَانِهَا وَوَصَفَ وُفُورَ جِبَايَاتِهِ(٢) وَعِظَمَ مَرَافِقِهِ ، وَقَالَ فِى أَثْنَاءِ ذَلِكَ : وَمِمَّا يُدَلُّ بِالْقَلِيلِ مِنْهُ عَلَى كَثِيرِهِ ، أَنَّ سِكَّةَ(٣) دَارِ ضَرْبِهِ عَلَى

(١) حقيرهم وخادمهم (٢) ما يجبى من الضرائب للحكومة (٣) السكة بكسر السين : حديدة منقوشة كتب عليها تضرب عليها الدراهم ومنه الحديث انه نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الا من بأس ، أراد بها الدرهم والدينار المضروبين سمى كلا منهما السكة لأنه طبع بالحديدة المعلمة له

ٱلدَّرَاهِمِ وَٱلدَّنَانِيرِ دَخْلُهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَتَا أَلْفِ دِينَارٍ ، وَصَرْفُ ٱلدِّينَارِ سَبْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا ، هَـذَا إِلَى صَدَقَاتِ ٱلْبَلَدِ وَجِبَايَاتِهِ وَخَرَاجَاتِهِ ، وَأَعْشَارِهِ وَضَمَانَاتِهِ ، وَٱلْأَمْـوَالِ ٱلْمَرْسُومَةِ عَلَى ٱلْمَرَاكِبِ ٱلْوَارِدَةِ وَٱلصَّادِرَةِ وَغَيْرِ ذَٰلِكَ .

***

الأندلس فى أيام عبد الرحمن الناصر

وَذَكَرَ ٱبْنُ بَشْكُوَالَ : أَنَّ جِبَايَةَ ٱلْأَنْدَلُسِ بَلَغَتْ فِي مُدَّةِ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلنَّاصِرِ خَمْسَةَ آلَافِ أَلْفِ دِينَارٍ وَأَرْبَعَمِائَةِ أَلْفٍ وَثَمَانِينَ أَلْفًا مِنَ ٱلسُّوقِ ، وَٱلْمُسْتَخْلَصُ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ وَخَمْسَةٌ وَسِتُّونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، ثُمَّ قَالَ ٱبْنُ حَوْقَلٍ : وَمِنْ أَعْجَبِ مَا فِي هَذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ بَقَاؤُهَا عَلَى مَنْ هِيَ فِي يَدِهِ ، مَعَ صِغَرِ أَحْلَامِ أَهْلِهَا ، وَضَعَةِ نُفُوسِهِمْ ، وَنَقْصِ عُقُولِهِمْ وَبُعْدِهِمْ مِنَ ٱلْبَأْسِ وَٱلشَّجَاعَةِ وَٱلْفُرُوسِيَّةِ وَٱلْبَسَالَةِ ، وَلِقَاءِ ٱلرِّجَالِ ، وَمِرَاسِ (١) ٱلْأَنْجَادِ وَٱلْأَبْطَالِ ، مَعَ عِلْمِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِمَحَلِّهَا فِي نَفْسِهَا ، وَمِقْدَارِ جِبَايَاتِهَا ، وَمَوَاقِعِ نِعَمِهَا وَلَذَّاتِهَا . قَالَ عَلِيُّ ٱبْنُ سَعِيدٍ مُكَمِّلُ هَٰذَا ٱلْكِتَابِ : لَمْ أَرَ بُدًّا مِنْ إِثْبَاتِ هَذَا ٱلْفَصْلِ ، وَإِنْ

(١) أى مجالدة الشجعان، والأنجاد جمع نجد : الشجاع الماضى فيما يعجز عنه غيره والشديد البأس سريع الاجابة الى مايدعى اليه

كَانَ عَلَى أَهْلِ بَلَدِى فِيهِ مِنَ ٱلظُّلْمِ وَٱلتَّعَصُّبِ مَالَا يَخْفَى ، وَلِسَانُ ٱلْحَالِ فِي ٱلرَّدِّ أَنْطَقُ مِنْ لِسَانِ ٱلْبَلَاغَةِ ، وَلَيْتَ شِعْرِى إِذَا سَلَبَ أَهْلَ ٱلْجَزِيرَةِ ٱلْعُقُولَ وَٱلْآرَاءَ وَٱلْهِمَمَ وَٱلشَّجَاعَةَ ، فَمِنَ ٱلَّذِينَ دَبَّرُوهَا بِآرَائِهِمْ وَعُقُولِهِمْ ؟ مَعَ مُرَاصَدَةِ[١] أَعْدَائِهَا ٱلْمُجَاوِرِينَ لَهَا مِنْ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ وَنَيِّفٍ؟ وَمِنَ ٱلَّذِينَ حَمَوْهَا بِبَسَالَتِهِمْ مِنَ ٱلْأُمَمِ ٱلْمُتَّصِلَةِ بِهِمْ فِي دَاخِلِهَا وَخَارِجِهَا نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فِي نُصْرَةِ ٱلصَّلِيبِ ؟ وَإِنِّى لَأَعْجَبُ مِنْهُ إِذْ كَانَ فِي زَمَانٍ قَدْ دَلَفَتْ[٢] فِيهِ عُبَّادُ ٱلصَّلِيبِ إِلَى ٱلشَّامِ وَٱلْجَزِيرَةِ ، وَعَاثُوا[٣] كُلَّ ٱلْعَيْثِ فِي بِلَادِ ٱلْإِسْلَامِ حَيْثُ ٱلْجُمْهُورُ وَٱلْقُبَّةُ ٱلْعُظْمَى ، حَتَّى إِنَّهُمْ دَخَلُوا مَدِينَةَ حَلَبٍ وَمَا أَدْرَاكَ ؟ وَفَعَلُوا فِيهَا مَا فَعَلُوا ، وَبِلَادُ ٱلْإِسْلَامِ مُتَّصِلَةٌ بِهَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا هُوَ مَسْطُورٌ فِي كُتُبِ ٱلتَّوَارِيخِ . وَمِنْ أَعْظَمِ

(١) مراقبته وحسن الاستعداد له (٢) الدلف : المشى الرويد كما تدلف الكتيبة نحو الكتيبة فى الحرب وتتقدم نحوها (٣) أى أفسدوا

ذَلِكَ وَأَشَدِّهِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَغَلَّبُونَ عَلَى الْحِصْنِ مِنْ حُصُونِ الْإِسْلَامِ الَّتِي يَتَمَكَّنُونَ بِهَا مِنْ بَسَائِطِ بِلَادِهِمْ فَيَسْبُونَ وَيَأْسِرُونَ، فَلَا تَجْتَمِعُ هِمَمُ الْمُلُوكِ الْمُجَاوِرَةِ عَلَى حَسْمِ الدَّاءِ فِي ذَلِكَ، وَقَدْ يَسْتَعِينُ بِهِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَيَتَمَكَّنُ مِنْ ذَلِكَ الدَّاءِ الَّذِي لَا يُطَبُّ. وَقَدْ كَانَتْ جَزِيرَةُ الْأَنْدَلُسِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بِالضِّدِّ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي تَرَكَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي تَارِيخِ ابْنِ حَيَّانَ وَغَيْرِهِ، وَإِنَّمَا كَانَتِ الْفِتْنَةُ بَعْدَ ذَلِكَ. الْأَعْلَامُ بَيِّنَةٌ، وَالطَّرِيقُ وَاضِحٌ[1]، فَلْنَرْجِعْ إِلَى مَا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ

***

تاريخ الحكم في الأندلس

كَانَتْ سَلْطَنَةُ الْأَنْدَلُسِ فِي صَدْرِ الْفَتْحِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ اخْتِلَافِ الْوُلَاةِ عَلَيْهَا مِنْ سَلَاطِينِ إِفْرِيقِيَّةَ ـ وَاخْتِلَافُ الْوُلَاةِ دَاعٍ إِلَى الِاضْطِرَابِ وَعَدَمِ تَأَثُّلِ[2] الْأَحْوَالِ وَتَرْبِيَةِ الضَّخَامَةِ فِي الدَّوْلَةِ ـ. وَلَمَّا صَارَتِ الْأَنْدَلُسُ لِبَنِي أُمَيَّةَ وَتَوَارَثُوا مَمَالِكَهَا، وَانْقَادَ إِلَيْهِمْ كُلُّ أَبِيٍّ فِيهَا، وَأَطَاعَهُمْ

(١) مثلان ضربهما لظهور الفرق بين حال الأندلس والشام ووضوحه .

(٢) أي ثباتها واستقرارها . والمجد المؤثل الذي رسخت أصوله وقدم عهده

كُلُّ عَصِيٍّ عَظُمَتِ الدَّوْلَةُ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَكَبُرَتِ الْهِمَمُ ، وَتَرَتَّبَتِ(١) الْأَحْوَالُ وَتَرَتَّبَتِ(٢) الْقَوَاعِدُ . وَكَانُوا صَدْرًا مِنْ دَوْلَتِهِمْ يَخْطُبُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بِأَبْنَاءِ الْخَلَائِفِ ، ثُمَّ خَطَبُوا لِأَنْفُسِهِمْ بِالْخِلَافَةِ ، وَمَلَكُوا مِنْ بَرِّ الْعُدْوَةِ مَا ضَخُمَتْ بِهِ دَوْلَتُهُمْ . وَكَانَتْ قَوَاعِدُهُمْ إِظْهَارَ الْهَيْبَةِ ، وَتَمَكُّنَ النَّامُوسِ(٣) مِنْ قُلُوبِ الْعَالَمِ ، وَمُرَاعَاةَ أَحْوَالِ الشَّرْعِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ، وَتَعْظِيمَ الْعُلَمَاءِ وَالْعَمَلَ بِأَقْوَالِهِمْ ، وَإِحْضَارَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ وَاسْتِشَارَتَهُمْ ، وَلَهُمْ حِكَايَاتٌ فِي تَارِيخِ ابْنِ حَيَّانَ: مِنْهَا مَاهُوَ مَذْكُورٌ مِنْ تَوَجُّهِ الْحُكْمِ عَلَى خَلِيفَتِهِمْ ، أَوْ عَلَى ابْنِهِ ، أَوْ أَحَدِ حَاشِيَتِهِ الْمُخْتَصِّينَ ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي نِهَايَةٍ مِنَ الِانْقِيَادِ إِلَى الْحَقِّ لَهُمْ أَوْ عَلَيْهِمْ ، وَبِذَلِكَ انْضَبَطَ لَهُمْ أَمْرُ الْجَزِيرَةِ . وَلَمَّا خَرَقُوا هَذَا النَّامُوسَ كَانَ أَوَّلَ

(١) أى انتظمت واستقرت (٢) أى ثبتت ورسخت ، وقد يكون أحد الفعلين (تربيت) بالباء الموحدة ، من رب القوم اذا ساسهم ، ورب الشيء أصلحه ، ودبره ورب الصبي: حفظه وراعاه وأحسن القيام عليه وقواه (٣) أى هيبة السلطان. ومن معانى الناموس المكر والخداع ، والحاذق الفطن ، ومن يلطف مدخله فى الأمور بلطف احتيال ، ويستعمل الآن بمعنى القانون والنظام

ما تهتَّكَ أَمْرُهُمْ ثُمَّ اُضْمَحَلَّ . وَكَانَتْ أَلْقَابُ الْأُوَلِ مِنْهُمْ ، الْأُمَرَاءِ أَبْنَاءِ اُلْخَلَائِفِ ، ثُمَّ اُلْخُلَفَاءِ أُمَرَاءِ اُلْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى أَنْ وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بِحَسَدِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ ، وَاُبْتِغَاءِ اُلْخِلَافَةِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهَا اُلَّذِي رُتِّبَتْ عَلَيْــهِ ، فَاسْتَبَدَّتْ مُلُوكُ اُلْمَمَالِكِ اُلْأَنْدَلُسِيَّةِ بِبِلَادِهَا ، وَسُمُّوا بِمُلُوكِ اُلطَّوَائِفِ ، وَكَانَ فِيهِمْ مَنْ خَطَبَ لِلْخُلَفَاءِ اُلْمَرْوَانِيِّينَ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ خِلَافَةٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَطَبَ لِلْخُلَفَاءِ اُلْعَبَّاسِيِّينَ اُلْمُجْمَعِ عَلَى إِمَامَتِهِمْ ، وَصَارَ مُلُوكُ اُلطَّوَائِفِ يَتَبَاهَوْنَ فِي أَحْوَالِ اُلْمُلْكِ حَتَّى فِي اُلْأَلْقَابِ ، فَآلَ أَمْرُهُمْ إِلَى أَنْ تَلَقَّبُوا بِنُعُوتِ اُلْخُلَفَاءِ ، وَتَرَفَّعُوا إِلَى طَبَقَاتِ اُلسَّلْطَنَةِ اُلْعُظْمَى ، وَذَلِكَ بِمَا فِي جَزِيرَتِهِمْ مِنْ أَسْبَابِ اُلتَّرَفُّهِ وَاُلضَّخَامَةِ اُلَّتِي تَتَوَزَّعُ عَلَى مُلُوكٍ شَتَّى فَتَكْفِيهِمْ وَتَنْهَضُ بِهِمْ لِلْمُبَاهَاةِ ، وَلِأَجْلِ تَوَثُّبِهِمْ عَلَى اُلنُّعُوتِ اُلْعَبَّاسِيَّةِ قَالَ اُبْنُ رَشِيقٍ اُلْقَيْرَوَانِيُّ :

مِمَّا يُزَهِّدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ
تَلْقِيبُ مُعْتَضِدٍ فِيهَا وَمُعْتَمِدِ
أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا
كَالْهِرِّ يَحْكِي انْتِفَاخًا صَوْلَةَ الْأَسَدِ

وَكَانَ عَبَّادُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ، قَدْ تَلَقَّبَ بِالْمُعْتَضِدِ وَاقْتَفَى سِيرَةَ الْمُعْتَضِدِ الْعَبَّاسِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَلَقَّبَ ابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ بِالْمُعْتَمِدِ، وَكَانَتْ لِبَنِي عَبَّادٍ مَمْلَكَةُ إِشْبِيلِيَةَ، ثُمَّ انْضَافَ إِلَيْهَا غَيْرُهَا. وَكَانَ خُلَفَاءُ بَنِي أُمَيَّةَ يَظْهَرُونَ لِلنَّاسِ فِي الْأَحْيَانِ عَلَى أُبَّهَةِ الْخِلَافَةِ وَقَانُونٍ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٍ، إِلَى أَنْ كَانَتِ الْفِتْنَةُ، فَازْدَرَتِ الْعُيُونُ ذَلِكَ النَّامُوسَ وَاسْتَخَفَّتْ بِهِ، وَقَدْ كَانَ بَنُو حَمُّودٍ مِنْ وَلَدِ إِدْرِيسَ الْعَلَوِيِّ الَّذِينَ تَوَثَّبُوا عَلَى الْخِلَافَةِ فِي أَثْنَاءِ الدَّوْلَةِ الْمَرْوَانِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ يَتَعَاظَمُونَ وَيَأْخُذُونَ أَنْفُسَهُمْ بِمَا يَأْخُذُهَا خُلَفَاءُ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَكَانُوا إِذَا حَضَرَهُمْ

مُنشِدٌ لِمَدْحٍ أَوْ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى ٱلْكَلَامِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَتَكَلَّمُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَٱلْحَاجِبُ وَاقِفٌ عِنْدَ ٱلسِّتْرِ يُجَاوِبُ بِمَا يَقُولُ لَهُ ٱلْخَلِيفَةُ. وَلَمَّا حَضَرَ ٱبْنُ مَقَانَا (١) ٱلْأَشْبُونِيُّ أَمَامَ حَاجِبِ إِدْرِيسَ بْنِ يَحْيَى ٱلْحَمُّودِيِّ ٱلَّذِي خُطِبَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فِي مَالَقَةَ وَأَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ ٱلْمَشْهُورَةَ ٱلنُّونِيَّةَ ٱلَّتِي مِنْهَا قَوْلُهُ:

وَكَأَنَّ ٱلشَّمْسَ لَمَّا أَشْرَقَتْ
فَانْثَنَتْ عَنْهَا عُيُونُ ٱلنَّاظِرِينْ
وَجْهُ إِدْرِيسَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَلِيِّ م بْنِ حَمُّودٍ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينْ

وَبَلَغَ فِيهَا إِلَى قَوْلِهِ:

أُنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ إِنَّهُ مِنْ نُورِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينْ

رَفَعَ ٱلْخَلِيفَةُ ٱلسِّتْرَ بِنَفْسِهِ وَقَالَ: أُنْظُرْ كَيْفَ شِئْتَ، وَٱنْبَسَطَ مَعَ ٱلشَّاعِرِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ. وَلَمَّا جَاءَ مُلُوكُ ٱلطَّوَائِفِ صَارُوا يَنْبَسِطُونَ لِلْخَاصَّةِ وَكَثِيرٍ مِنَ ٱلْعَامَّةِ، وَيُظْهِرُونَ مُدَارَاةَ ٱلْجُنْدِ وَعَوَامِّ ٱلْبِلَادِ، وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ يُحَاضِرُ

---

(١) هو الأديب أبوزيد عبد الرحمن بن مقانا الأندلسى الأشبونى

ٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْأُدَبَاءِ ، وَيُحِبُّ أَنْ يُشْهَرَ عَنْهُ ذَلِكَ عِنْدَ مبَادِيهِ فِي ٱلرِّيَاسَةِ .

***

قيام دولة ابن هود

وَمُذْ وَقَعَتِ ٱلْفِتْنَةُ بِالْأَنْدَلُسِ اُعْتَادَ أَهْلُ ٱلْمَمَالِكِ ٱلْمُتَفَرِّقَةِ الِاسْتِبْدَادَ عَنْ إِمَامِ ٱلْجَمَاعَةِ ، وَصَارَ فِي كُلِّ جِهَةٍ مَمْلَكَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ ، يَتَوَارَثُ أَعْيَانُهَا ٱلرِّيَاسَةَ كَمَا يَتَوَارَثُ مُلُوكُهَا ٱلْمُلْكَ ، وَمَرَنُوا عَلَى ذَلِكَ فَصَعُبَ ضَبْطُهُمْ إِلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ ، وَتَمَكَّنَ ٱلْعَدُوُّ مِنْهُمْ بِالتَّفَرُّقِ ، وَعَدَاوَةِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ بِقَبِيحِ ٱلْمُنَافَسَةِ وَٱلطَّمَعِ ، إِلَى أَنِ اُنْقَادُوا إِلَى عَبْدِ ٱلْمُؤْمِنِ وَبَنِيهِ ، وَتِلْكَ ٱلْقَوَاعِدُ فِي رُءُوسِهِمْ كَامِنَةٌ ، وَٱلثُّوَّارُ فِي ٱلْمَعَاقِلِ تَثُورُ وَتَرُومُ ٱلْكَرَّةَ ، إِلَى أَنْ ثَارَ ٱبْنُ هُودٍ وَتَلَقَّبَ بِالْمُتَوَكِّلِ ، وَوَجَدَ ٱلْقُلُوبَ مُنْحَرِفَةً عَنْ دَوْلَةِ بَرِّ ٱلْعُدْوَةِ ، مُهَيَّأَةً لِلِاسْتِبْدَادِ ، فَمَلَكَهَا بِأَيْسَرِ مُحَاوَلَةٍ ، مَعَ ٱلْجَهْلِ ٱلْمُفْرِطِ وَضَعْفِ ٱلرَّأْيِ ، وَكَانَ مَعَ ٱلْعَامَّةِ كَأَنَّهُ صَاحِبُ شَعْوَذَةٍ[1] ، يَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ

---

(١) الشعوذة والشعبذة: ضرب من السحر وان لم يكن هو، وتصوير الباطل في صورة الحق

وَيَضْحَكُ فِي وُجُوهِهِمْ وَيُبَادِرُهُمْ بِالسُّؤَالِ ، وَجَاءَ لِلنَّاسِ مِنْهُ مَا لَمْ يَعْتَادُوهُ مِنْ سُلْطَانٍ ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ سُفَهَاءَ النَّاسِ وَعَامَّتَهُمُ الْعَمْيَاءَ ، وَكَانَ كَمَا قِيلَ:

أُمُورٌ يَضْحَكُ السُّفَهَاءُ مِنْهَا وَيَبْكِي مِنْ عَوَاقِبِهَا الْحَلِيمُ

فَآلَ ذَلِكَ إِلَى تَلَفِ الْقَوَاعِدِ الْعَظِيمَةِ ، وَتَمَلُّكِ الْأَمْصَارِ الْجَلِيلَةِ ، وَخُرُوجِهَا مِنْ يَدِ الْإِسْلَامِ .

***

فروق بين الماضي والحاضر

وَالضَّابِطُ فِيمَا يُقَالُ فِي شَأْنِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي السُّلْطَانِ ، أَنَّهُمْ إِذَا وَجَدُوا فَارِسًا يَبْرَعُ[1] الْفُرْسَانَ ، أَوْ جَوَادًا يَبْرَعُ الْأَجْوَادَ ، تَهَافَتُوا فِي نُصْرَتِهِ وَنَصَبُوهُ مَلِكًا مِنْ غَيْرِ تَدْبِيرٍ فِي عَاقِبَةِ الْأَمْرِ إِلَامَ يَئُولُ ؟ ، وَبَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْمُلْكُ فِي مَمْلَكَةٍ قَدْ تُوُورِثَتْ وَتُدُووِلَتْ ، وَيَكُونَ فِي تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ قَائِدٌ مِنْ قُوَّادِهَا قَدْ شُهِرَتْ عَنْهُ وَقَائِعُ فِي الْعَدُوِّ ، وَظَهَرَ مِنْهُ كَرَمُ نَفْسٍ لِلْأَجْنَادِ وَمُرَاعَاةٌ ، قَدَّمُوهُ مَلِكًا فِي حِصْنٍ مِنَ الْحُصُونِ ، وَرَفَضُوا عِيَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ — إِنْ كَانَ لَهُمْ ذَلِكَ — بِكُرْسِيِّ

(١) أي يفوقهم ويغلبهم ، يقال برعه وفرعه اذا علاه وفاقه

ٱلْمُلْكِ ، وَلَمْ يَزَالُوا فِي جِهَادٍ وَإِتْلَافِ أَنْفُسٍ حَتَّى يَظْفَرَ صَاحِبُهُمْ بِطَلِبَتِهِ . وَأَهْلُ ٱلْمَشْرِقِ أَصْوَبُ رَأْيًا مِنْهُمْ فِي مُرَاعَاةِ نِظَامِ ٱلْمُلْكِ وَٱلْمُحَافَظَةِ عَلَى نِصَابِهِ ، لِئَلَّا يَدْخُلَ ٱلْخَلَلُ ٱلَّذِي يَقْضِي بِاخْتِلَالِ ٱلْقَوَاعِدِ ، وَفَسَادِ ٱلتَّرْبِيَةِ ، وَحَلِّ ٱلْأَوْضَاعِ .

***

دولة ابن الأحمر

وَنَحْنُ نُمَثِّلُ فِي ذٰلِكَ بِمَا شَاهَدْنَاهُ . لَمَّا كَانَتْ هٰذِهِ ٱلْفِتْنَةُ ٱلْأَخِيرَةُ بِالْأَنْدَلُسِ تَمَخَّضَتْ عَنْ رَجُلٍ مِنْ حِصْنٍ يُقَالُ لَهُ أَرْجُونَةُ[1] ، وَيُعْرَفُ ٱلرَّجُلُ بِابْنِ ٱلْأَحْمَرِ ، كَانَ يُكْثِرُ مُغَاوَرَةَ[2] ٱلْعَدُوِّ مِنْ حِصْنِهِ ، وَظَهَرَتْ لَهُ مَخَايِلُ وَشَوَاهِدُ عَلَى ٱلشَّجَاعَةِ ، إِلَى أَنْ طَارَ ٱسْمُهُ فِي ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَآلَ ذٰلِكَ إِلَى أَنْ قَدَّمَهُ أَهْلُ حِصْنِهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، ثُمَّ نَهَضَ فَمَلَكَ قُرْطُبَةَ ٱلْعُظْمَى ، وَمَلَكَ إِشْبِيلِيَةَ ، وَقَتَلَ مَلِكَهَا ٱلْبَاجِيَّ ، وَمَلَكَ جَيَّانَ أَحْصَنَ بَلَدٍ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَجَلَّهُ قَدْرًا فِي ٱلِامْتِنَاعِ ، وَمَلَكَ غَرْنَاطَةَ وَمَالَقَةَ ، وَسَمَّوْهُ بِأَمِيرِ

---

(١) أرجونة : بلد من ناحية جيان (٢) أي الإغارة ، وفي حديث قيس بن عاصم « كنت أغاورهم في الجاهلية » أي أغير عليهم ويغيرون على

ٱلْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ ٱلْآنَ ٱلْمُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَنْدَلُسِ وَٱلْمُعْتَمَدُ عَلَيْهِ.

***

وَأَمَّا قَاعِدَةُ ٱلْوِزَارَةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَإِنَّهَا كَانَتْ فِي مُدَّةِ الوزارة بالأندلس
بَنِي أُمَيَّةَ مُشْتَرَكَةً فِي جَمَاعَةٍ يُعَيِّنُهُمْ صَاحِبُ ٱلدَّوْلَةِ لِلْإِعَانَةِ
وَٱلْمُشَاوَرَةِ ، وَيَخُصُّهُمْ بِالْمُجَالَسَةِ ، وَيَخْتَارُ مِنْهُمْ شَخْصًا
لِمَكَانِ ٱلنَّائِبِ ٱلْمَعْرُوفِ بِالْوَزِيرِ فَيُسَمِّيهِ بِالْحَاجِبِ ،
وَكَانَتْ هٰذِهِ ٱلْمَرَاتِبُ لِضَبْطِهَا عِنْدَهُمْ كَالْمُتَوَارَثَةِ فِي
ٱلْبُيُوتِ ٱلْمَعْلُومَةِ لِذَلِكَ ، إِلَى أَنْ كَانَتْ مُلُوكُ ٱلطَّوَائِفِ ،
فَكَانَ ٱلْمَلِكُ مِنْهُمْ لِعِظَمِ ٱسْمِ ٱلْحَاجِبِ فِي ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَرْوَانِيَّةِ
وَأَنَّهُ كَانَ نَائِبًا عَنْ خَلِيفَتِهِمْ يُسَمَّى بِالْحَاجِبِ ، وَيَرَى أَنَّ
هٰذِهِ ٱلسِّمَةَ أَعْظَمُ مَا تُنُوفِسَ فِيهِ وَظُفِرَ بِهِ ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ
فِي أَمْدَاحِ شُعَرَائِهِمْ وَتَوَارِيخِهِمْ ، وَصَارَ ٱسْمُ ٱلْوِزَارَةِ عَامًّا
لِكُلِّ مَنْ يُجَالِسُ ٱلْمُلُوكَ وَيَخْتَصُّ بِهِمْ ، وَصَارَ ٱلْوَزِيرُ ٱلَّذِي
يَنُوبُ عَنِ ٱلْمَلِكِ يُعْرَفُ بِذِي ٱلْوِزَارَتَيْنِ ، وَأَكْثَرُ
مَا يَكُونُ فَاضِلًا فِي عِلْمِ ٱلْأَدَبِ ، وَقَدْ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ
بَلْ عَالِمًا بِأُمُورِ ٱلْمُلْكِ خَاصَّةً .

***

الكتابة بالأندلس

وَأَمَّا ٱلْكِتَابَةُ فَهِيَ عَلَى ضَرْبَيْنِ : أَعْلَاهُمَا كَاتِبُ ٱلرَّسَائِلِ ، وَلَهُ حَظٌّ فِي ٱلْقُلُوبِ وَٱلْعُيُونِ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَأَشْرَفُ أَسْمَائِهِ ٱلْكَاتِبُ ، وَبِهٰذِهِ ٱلسِّمَةِ(١) يَخُصُّهُ مَنْ يُعَظِّمُهُ فِي رِسَالَةٍ . وَأَهْلُ ٱلْأَنْدَلُسِ كَثِيرُو ٱلِانْتِقَادِ عَلَى صَاحِبِ هٰذِهِ ٱلسِّمَةِ ، لَا يَكَادُونَ يَغْفُلُونَ عَنْ عَثَرَاتِهِ لَحْظَةً ، فَإِنْ كَانَ نَاقِصًا عَنْ دَرَجَاتِ ٱلْكَمَالِ لَمْ يَنْفَعْهُ جَاهُهُ وَلَا مَكَانُهُ مِنْ سُلْطَانِهِ مِنْ تَسَلُّطِ ٱلْأَلْسُنِ فِي ٱلْمَحَافِلِ، وَٱلطَّعْنِ عَلَيْهِ وَعَلَى صَاحِبِهِ . وَٱلْكَاتِبُ ٱلْآخَرُ كَاتِبُ ٱلزِّمَامِ ، هٰكَذَا يُعَرِّفُونَ كَاتِبَ ٱلْجِهْبِذَةِ(٢) ، وَلَا يَكُونُ بِٱلْأَنْدَلُسِ وَبَرِّ ٱلْعُدْوَةِ لَا نَصْرَانِيًّا وَلَا يَهُودِيًّا أَلْبَتَّةَ ، إِذْ هٰذَا ٱلشُّغْلُ نَبِيهٌ، يَحْتَاجُ إِلَى صَاحِبِهِ عُظَمَاءُ ٱلنَّاسِ وَوُجُوهُهُمْ

***

صاحب الاشغال الخراجية

وَصَاحِبُ ٱلْأَشْغَالِ ٱلْخَرَاجِيَّةِ فِي ٱلْأَنْدَلُسِ أَعْظَمُ مِنَ ٱلْوَزِيرِ،

(١) السمة : العلامة والصفة (٢) الجهبذ : النقاد الخبير بغوامض الأمور، البارع العارف بطرق النقد . وهو لفظ معرب

وَأَكْثَرُ أَتْبَاعًا وَأَصْحَابًا، وَأَجْدَى مَنْفَعَةً، فَإِلَيْهِ تَمِيلُ الْأَعْنَاقُ، وَنَحْوَهُ تُمَدُّ الْأَكُفُّ، وَالْأَعْمَالُ مَضْبُوطَةٌ بِالشُّهُودِ وَالنُّظَّارِ، وَمَعَ هٰذَا إِنْ تَأَثَّلَتْ[1] حَالَتُهُ، وَاغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْبِنَاءِ وَالِاكْتِسَابِ، نُكِبَ وَصُودِرَ، وَهٰذَا رَاجِعٌ إِلَى تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ وَكَيْفِيَّةِ السُّلْطَانِ.

***

القضاء بالأندلس

وَأَمَّا خُطَّةُ الْقَضَاءِ بِالْأَنْدَلُسِ فَهِيَ أَعْظَمُ الْخُطَطِ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، لِتَعَلُّقِهَا بِأُمُورِ الدِّينِ، وَكَوْنِ السُّلْطَانِ لَوْ تَوَجَّهَ عَلَيْهِ حُكْمٌ حَضَرَ بَيْنَ يَدَيِ الْقَاضِي. هٰذَا وَصْفُهَا فِي زَمَانِ بَنِي أُمَيَّةَ وَمَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ، وَلَا سَبِيلَ أَنْ يَتَّسِمَ بِهٰذِهِ السِّمَةِ إِلَّا مَنْ هُوَ وَالٍ لِلْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ فِي مَدِينَةٍ جَلِيلَةٍ، وَإِنْ كَانَتْ صَغِيرَةً فَلَا يُطْلَقُ عَلَى حَاكِمِهَا إِلَّا مُسَدَّدٌ خَاصَّةً، وَقَاضِي الْقُضَاةِ يُقَالُ لَهُ قَاضِي الْقُضَاةِ وَقَاضِي الْجَمَاعَةِ.

***

الشرطة بالأندلس

وَأَمَّا خُطَّةُ الشُّرْطَةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَإِنَّهَا مَضْبُوطَةٌ

(١) أي أثرى وكانت له مكانة

إِلَى ٱلْآنَ ، مَعْرُوفَةٌ بِهٰذِهِ ٱلسِّمَةِ ، وَيُعْرَفُ صَاحِبُهَا فِي أَلْسُنِ ٱلْعَامَّةِ بِصَاحِبِ ٱلْمَدِينَةِ وَصَاحِبِ ٱللَّيْلِ ، وَإِذَا كَانَ عَظِيمَ ٱلْقَدْرِ عِنْدَ ٱلسُّلْطَانِ كَانَ لَهُ ٱلْقَتْلُ لِمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ دُونَ ٱسْتِئْذَانِ ٱلسُّلْطَانِ ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي حَضْرَةِ ٱلسُّلْطَانِ ٱلْأَعْظَمِ ، وَهُوَ ٱلَّذِي يَحُدُّ عَلَى ٱلزِّنَا وَشُرْبِ ٱلْخَمْرِ ، وَكَثِيرٌ مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلشَّرْعِيَّةِ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ، قَدْ صَارَتْ تِلْكَ عَادَةً تَقَرَّرَ عَلَيْهَا رِضَا ٱلْقَاضِي ، وَكَانَتْ خُطَّةُ ٱلْقَاضِي أَوْقَرَ وَأَتْقَى عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ .

***

الاحتساب بالأندلس

وَأَمَّا خُطَّةُ ٱلِاحْتِسَابِ فَإِنَّهَا عِنْدَهُمْ مَوْضُوعَةٌ فِي أَهْلِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْفِطَنِ ، وَكَأَنَّ صَاحِبَهَا قَاضٍ ، وَٱلْعَادَةُ فِيهِ أَنْ يَمْشِيَ بِنَفْسِهِ رَاكِباً عَلَى ٱلْأَسْوَاقِ ، وَأَعْوَانُهُ مَعَهُ ، وَمِيزَانُهُ ٱلَّذِي يَزِنُ بِهِ ٱلْخُبْزَ فِي يَدِ أَحَدِ ٱلْأَعْوَانِ ، لِأَنَّ ٱلْخُبْزَ عِنْدَهُمْ مَعْلُومُ ٱلْأَوْزَانِ ، لِلرُّبْعِ مِنَ ٱلدِّرْهَمِ رَغِيفٌ عَلَى وَزْنٍ مَعْلُومٍ ، وَكَذَلِكَ لِلثُّمُنِ ، وَفِي ذَلِكَ مِنَ ٱلْمَصْلَحَةِ

أَنْ يُرْسِلَ ٱلْمُبْتَاعُ ٱلصَّبِيَّ ٱلصَّغِيرَ أَوِ ٱلْجَارِيَةَ ٱلرَّعْنَاءَ(١) ، فَيَسْتَوِيَانِ فِيمَا يَأْتِيَانِ بِهِ مِنَ ٱلسُّوقِ مَعَ ٱلْحَاذِقِ فِي مَعْرِفَةِ ٱلْأَوْزَانِ ، وَكَذَلِكَ ٱللَّحْمُ تَكُونُ عَلَيْهِ وَرَقَةٌ بِسِعْرِهِ، وَلَا يَجْسُرُ ٱلْجَزَّارُ أَنْ يَبِيعَ بِأَكْثَرَ أَوْ دُونِ مَا حَدَّ لَهُ ٱلْمُحْتَسِبُ فِي ٱلْوَرَقَةِ ، وَلَا يَكَادُ تَخْفَى خِيَانَتُهُ ، فَإِنَّ ٱلْمُحْتَسِبَ يَدُسُّ عَلَيْهِ صَبِيًّا أَوْ جَارِيَةً يَبْتَاعُ أَحَدُهُمَا مِنْهُ، ثُمَّ يَخْتَبِرُ ٱلْوَزْنَ ٱلْمُحْتَسِبُ ، فَإِنْ وَجَدَ نَقْصًا قَاسَ عَلَى ذَلِكَ حَالَهُ مَعَ ٱلنَّاسِ ، فَلَا تَسْأَلْ عَمَّا يَلْقَى ، وَإِنْ كَثُرَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَلَمْ يَتُبْ بَعْدَ ٱلضَّرْبِ وَٱلتَّجْرِيسِ(٢) فِي ٱلْأَسْوَاقِ ، نُفِيَ مِنَ ٱلْبَلَدِ ، وَلَهُمْ فِي أَوْضَاعِ ٱلِاحْتِسَابِ قَوَانِينُ يَتَدَاوَلُونَهَا وَيَتَدَارَسُونَهَا كَمَا تُتَدَارَسُ أَحْكَامُ ٱلْفِقْهِ، لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ تَدْخُلُ فِي جَمِيعِ ٱلْمُبْتَاعَاتِ ، وَتَتَفَرَّعُ إِلَى مَا يَطُولُ ذِكْرُهُ .

(١) الرعونة : الخفة والطيش والجهل والحمق، والأرعن : الأهوج في منطقة المسترخي (٢) أي الفضيحة والتشهير والتسميع به والتنديد ، والاسم الجرسة. وهو مأخوذ من الجرس ، كأنما علق في عنقه جرس يصوت ليسمع الناس خبره فيكون ذلك أشق عليه وأجلب لفضيحته وأشهر

***

الدرابون بالأندلس

وَأَمَّا خُطَّةُ الطَّوَافِ بِاللَّيْلِ وَمَا يُقَابِلُ مِنَ الْمَغْرِبِ أَصْحَابَ أَرْبَاعٍ فِي الْمَشْرِقِ، فَإِنَّهُمْ يُعْرَفُونَ فِي الْأَنْدَلُسِ بِالدَّرَّابِينَ، لِأَنَّ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ لَهَا دُرُوبٌ بِأَغْلَاقٍ تُغْلَقُ بَعْدَ الْعَتَمَةِ، وَلِكُلِّ زُقَاقٍ بَائِتٌ فِيهِ، لَهُ سِرَاجٌ مُعَلَّقٌ، وَكَلْبٌ يَسْهَرُ، وَسِلَاحٌ مُعَدٌّ. وَذَلِكَ لِشَطَارَةِ عَامَّتِهَا، وَكَثْرَةِ شَرِّهِمْ، وَإِعْيَائِهِمْ فِي أُمُورِ التَّلَصُّصِ، إِلَى أَنْ يَظْهَرُوا(١) عَلَى الْمَبَانِي الْمُشَيَّدَةِ، وَيَفْتَحُوا الْأَغْلَاقَ الصَّعْبَةَ، وَيَقْتُلُوا صَاحِبَ الدَّارِ خَوْفَ أَنْ يُقِرَّ عَلَيْهِمْ أَوْ يُطَالِبَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَلَا تَكَادُ فِي الْأَنْدَلُسِ تَخْلُو مِنْ سَمَاعِ «دَارُ فُلَانٍ دُخِلَتِ الْبَارِحَةَ، وَفُلَانٌ ذَبَحَهُ اللُّصُوصُ عَلَى فِرَاشِهِ» وَهَذَا يَرْجِعُ التَّكْثِيرُ مِنْهُ وَالتَّقْلِيلُ إِلَى شِدَّةِ الْوَالِي وَلِينِهِ، وَمَعَ إِفْرَاطِهِ فِي الشِّدَّةِ، وَكَوْنِ سَيْفِهِ يَقْطُرُ دَمًا فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُعْدَمُ، وَقَدْ آلَ

(١) يتسوروا، والشاطر من أعيا أهله ومؤدبه خبثا ومكرا. وهو مأخوذ من شطر عنهم اذا نزح وتركهم مراغما أو مخالفا، أو سمى شاطرا لأنه آخذ فى نحو غير الاستواء متباعدا عنه، أو لأنه يشطر الجيوب. وقيل هو بهذا المعنى مولد

الْحَالُ عِنْدَهُمْ إِلَى أَنْ قَتَلُوا عَلَى عُنْقُودٍ سَرَقَهُ شَخْصٌ مِنْ كَرْمٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ وَلَمْ يَنْتَهِ اللُّصُوصُ .

***

طريقة الدين بالأندلس

وَأَمَّا قَوَاعِدُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي دِيَانَتِهِمْ فَإِنَّهَا تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْأَوْقَاتِ وَالنَّظَرِ إِلَى السَّلَاطِينِ ، وَلَكِنَّ الْأَغْلَبَ عِنْدَهُمْ إِقَامَةُ الْحُدُودِ ، وَإِنْكَارُ التَّهَاوُنِ بِتَعْطِيلِهَا ، وَقِيَامُ الْعَامَّةِ فِي ذَلِكَ وَإِنْكَارُهُ إِنْ تَهَاوَنَ فِيهِ أَصْحَابُ السُّلْطَانِ ، وَقَدْ يَلِجُّ السُّلْطَانُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا يُنْكِرُهُ ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِ قَصْرَهُ الْمَشِيدَ، وَلَا يَعْبَأُونَ بِخَيْلِهِ (١) وَرَجِلِهِ ، حَتَّى يُخْرِجُوهُ مِنْ بَلَدِهِمْ ، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي أَخْبَارِهِمْ . وَأَمَّا الرَّجْمُ بِالْحَجَرِ لِلْقُضَاةِ وَالْوُلَاةِ لِلْأَعْمَالِ إِذَا لَمْ يَعْدِلُوا فَكُلَّ يَوْمٍ .

وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْفُقَرَاءِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الشَّرْقِ فِي الدَّوْرَةِ الَّتِي تُكْسِلُ عَنِ الْكَدِّ ، وَتُخْرِجُ الْوُجُوهَ لِلطَّلَبِ فِي الْأَسْوَاقِ ؛ فَمُسْتَقْبَحَةٌ عِنْدَهُمْ إِلَى النِّهَايَةِ ، فَإِذَا رَأَوْا شَخْصًا

(١) أى بقوته وأعوانه . وقوله تعالى : وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ، أى بفرسانك ورجالتك

صَحِيحًا قَادِرًا عَلَى ٱلْخِدْمَةِ يَطْلُبُ سَبُّوهُ وَأَهَانُوهُ ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَتَصَدَّقُوا عَلَيْهِ ، فَلَا تَجِدُ بِالْأَنْدَلُسِ سَائِلًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ عُذْرٍ .

***

الثقافة بالأندلس

وَأَمَّا حَالُ أَهْلِ ٱلْأَنْدَلُسِ فِي فُنُونِ ٱلْعُلُومِ فَتَحْقِيقُ ٱلْإِنْصَافِ فِي شَأْنِهِمْ فِي هَذَا ٱلْبَابِ أَنَّهُمْ أَحْرَصُ ٱلنَّاسِ عَلَى ٱلتَّمَيُّزِ ، فَٱلْجَاهِلُ ٱلَّذِي لَمْ يُوَفِّقْهُ ٱللهُ لِلْعِلْمِ يَجْهَدُ أَنْ يَتَمَيَّزَ بِصَنْعَةٍ ، وَيَرْبَأُ بِنَفْسِهِ أَنْ يُرَى فَارِغًا عَالَةً عَلَى ٱلنَّاسِ ، لِأَنَّ هَذَا عِنْدَهُمْ فِي نِهَايَةِ ٱلْقُبْحِ ، وَٱلْعَالِمُ عِنْدَهُمْ مُعَظَّمٌ مِنَ ٱلْخَاصَّةِ وَٱلْعَامَّةِ ، يُشَارُ إِلَيْهِ وَيُحَالُ عَلَيْهِ ، وَيَنْبُهُ قَدْرُهُ وَذِكْرُهُ عِنْدَ ٱلنَّاسِ ، وَيُكْرَمُ فِي جِوَارٍ أَوِ ٱبْتِيَاعِ حَاجَةٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَٰلِكَ ، وَمَعَ هَٰذَا فَلَيْسَ لِأَهْلِ ٱلْأَنْدَلُسِ مَدَارِسُ تُعِينُهُمْ عَلَى طَلَبِ ٱلْعِلْمِ ، بَلْ يَقْرَأُونَ جَمِيعَ ٱلْعُلُومِ فِي ٱلْمَسَاجِدِ بِأُجْرَةٍ ، فَهُمْ

يَقْرَأُونَ لِأَنْ يُعَلِّمُوا لَا لِأَنْ يَأْخُذُوا جَارِيًا[١] ، فَالْعَالِمُ مِنْهُمْ بَارِعٌ لِأَنَّهُ يَطْلُبُ ذٰلِكَ الْعِلْمَ بِبَاعِثٍ مِنْ نَفْسِهِ يَحْمِلُهُ عَلَى أَنْ يَتْرُكَ الشُّغْلَ الَّذِي يَسْتَفِيدُ مِنْهُ وَيُنْفِقَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى يَعْلَمَ، وَكُلُّ الْعُلُومِ لَهَا عِنْدَهُمْ حَظٌّ وَاعْتِنَاءٌ ، إِلَّا الْفَلْسَفَةَ وَالتَّنْجِيمَ فَإِنَّ لَهُمَا حَظًّا عَظِيمًا عِنْدَ خَوَاصِّهِمْ، وَلَا يُتَظَاهَرُ بِهَا خَوْفَ الْعَامَّةِ ، فَإِنَّهُ كُلَّمَا قِيلَ فُلَانٌ يَقْرَأُ الْفَلْسَفَةَ أَوْ يَشْتَغِلُ بِالتَّنْجِيمِ أَطْلَقَتْ عَلَيْهِ الْعَامَّةُ اسْمَ زِنْدِيقٍ ، وَقَيَّدَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسَهُ ، فَإِنْ زَلَّ فِي شُبْهَةٍ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ أَوْ حَرَّقُوهُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ أَمْرُهُ لِلسُّلْطَانِ ، أَوْ يَقْتُلُهُ السُّلْطَانُ تَقَرُّبًا لِقُلُوبِ الْعَامَّةِ ، وَكَثِيرًا مَا يَأْمُرُ مُلُوكُهُمْ بِإِحْرَاقِ كُتُبِ هٰذَا الشَّأْنِ إِذَا وُجِدَتْ ، وَبِذَلِكَ تَقَرَّبَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ لِقُلُوبِهِمْ أَوَّلَ نُهُوضِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ خَالٍ مِنَ الِاشْتِغَالِ بِذَلِكَ فِي الْبَاطِنِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْحِجَارِيُّ ، وَاللّٰهُ أَعْلَمُ .

(١) أى مرتبا ووظيفة ، والجارية النعمة من الله تعالى على عباده ، الجراية الجارى من الوظائف ،وجرى له الشيء دام ، وصدقة جارية : دارة متصلة، وأجرى عليه كذا : أدامه له

***

القرآن والعلوم الشرعية بالأندلس

وَقِرَاءَةُ ٱلْقُرْآنِ بِالسَّبْعِ ، وَرِوَايَةُ ٱلْحَدِيثِ عِنْدَهُمْ رَفِيعَةٌ ، وَلِلْفِقْهِ رَوْنَقٌ وَوَجَاهَةٌ ، وَلَا مَذْهَبَ لَهُمْ إِلَّا مَذْهَبَ مَالِكٍ ، وَخَوَاصُّهُمْ يَحْفَظُونَ مِنْ سَائِرِ ٱلْمَذَاهِبِ مَا يُبَاحِثُونَ بِهِ بِمَحَاضِرِ مُلُوكِهِمْ ذَوِي ٱلْهِمَمِ فِي ٱلْعُلُومِ . وَسِمَةُ ٱلْفَقِيهِ عِنْدَهُمْ جَلِيلَةٌ ، حَتَّى إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ كَانُوا يُسَمُّونَ ٱلْأَمِيرَ ٱلْعَظِيمَ مِنْهُمْ ٱلَّذِي يُرِيدُونَ تَنْوِيهَهُ بِالْفَقِيهِ ، وَهِيَ ٱلْآنَ بِالْمَغْرِبِ بِمَنْزِلَةِ ٱلْقَاضِي بِالْمَشْرِقِ ، وَقَدْ يَقُولُونَ لِلْكَاتِبِ وَٱلنَّحْوِيِّ وَٱللُّغَوِيِّ فَقِيهٌ ، لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ أَرْفَعُ ٱلسِّمَاتِ . وَعِلْمُ ٱلْأُصُولِ عِنْدَهُمْ مُتَوَسِّطُ ٱلْحَالِ . وَٱلنَّحْوُ عِنْدَهُمْ فِي نِهَايَةٍ مِنْ عُلُوِّ ٱلطَّبَقَةِ ، حَتَّى إِنَّهُمْ فِي هَذَا ٱلْعَصْرِ فِيهِ كَأَصْحَابِ عَصْرِ ٱلْخَلِيلِ وَسِيبَوَيْهِ ، لَا يَزْدَادُ مَعَ هَرَمِ ٱلزَّمَانِ إِلَّا جِدَّةً وَهُمْ كَثِيرُو ٱلْبَحْثِ فِيهِ ، وَحِفْظِ مَذَاهِبِهِ كَمَذَاهِبِ ٱلْفِقْهِ ، وَكُلُّ عَالِمٍ فِي أَيِّ عِلْمٍ لَا يَكُونُ مُتَمَكِّنًا مِنْ عِلْمِ ٱلنَّحْوِ بِحَيْثُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ ٱلدَّقَائِقُ فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ بِمُسْتَحِقٍّ

لِلتَّمْيِيزِ، وَلَاسَالِمٍ مِنَ ٱلِازْدِرَاءِ ، مَعَ أَنَّ كَلَامَ أَهْلِ ٱلْأَنْدَلُسِ ٱلشَّائِعَ فِي ٱلْخَوَاصِّ وَٱلْعَوَامِّ كَثِيرُ ٱلِانْحِرَافِ عَمَّا تَقْتَضِيهِ أَوْضَاعُ ٱلْعَرَبِيَّةِ ، حَتَّى لَوْ أَنَّ شَخْصًا مِنَ ٱلْعَرَبِ سَمِعَ كَلَامَ ٱلشَّلَوْبِينِيِّ (١) أَبِي عَلِيٍّ ٱلْمُشَارِ إِلَيْهِ بِعِلْمِ ٱلنَّحْوِ فِي عَصْرِنَا ٱلَّذِي غَرَّبَتْ تَصَانِيفُهُ وَشَرَّقَتْ وَهُوَ يُقْرِئُ دَرْسَهُ لَضَحِكَ بِمِلْءِ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ ٱلتَّحْرِيفِ ٱلَّذِي فِي لِسَانِهِ ، وَٱلْخَاصُّ مِنْهُمْ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْإِعْرَابِ وَأَخَذَ يَجْرِي عَلَى قَوَانِينِ ٱلنَّحْوِ ٱسْتَثْقَلُوهُ وَٱسْتَبْرَدُوهُ ، وَلَٰكِنَّ ذَٰلِكَ مُرَاعًى عِنْدَهُمْ فِي ٱلْقِرَاءَاتِ وَٱلْمُخَاطَبَاتِ فِي ٱلرَّسَائِلِ . وَعِلْمُ ٱلْأَدَبِ ٱلْمَنْثُورِ (٢) مِنْ حِفْظِ ٱلتَّارِيخِ وَٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ وَمُسْتَطْرَفَاتِ ٱلْحِكَايَاتِ أَنْبَلُ عِلْمٍ عِنْدَهُمْ ، وَبِهِ يُتَقَرَّبُ مِنْ مَجَالِسِ مُلُوكِهِمْ وَأَعْلَامِهِمْ ، وَمَنْ لَا يَكُونُ فِيهِ أَدَبٌ مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَهُوَ غُفْلٌ (٣)

---

(١) هو الامام عمر بن محمد بن عبدالله الأزدى ، كان نابغة فى النحو خبيرا بدقائقه ـ ولد باشبيلية سنة ٥٦٢ وتوفى بها سنة ٦٤٥ . وهناك آخر يعرف بالشلوبين الصغير ، وهو محمد بن على بن محمد بن ابراهيم الأنصارى المالقى . توفى سنة ٦٦٠ (٢) قد تكون محرفة عن والمأثور (٣) أى مهمل لاقيمة له ، والغفل من لايرجى خيره ولايخشى شره فهو كالمقيد الذى أغفل ، والغفل من الرجال من لاحسب له ، ومن لم يجرب الأمور

مُسْتَثْقَلٌ. وَالشِّعْرُ عِنْدَهُمْ لَهُ حَظٌّ عَظِيمٌ ، وَلِلشُّعَرَاءِ مِنْ مُلُوكِهِمْ وَجَاهَةٌ ، وَلَهُمْ عَلَيْهِمْ حَظٌّ وَوَظَائِفُ(١) ، وَالْمُجِيدُونَ مِنْهُمْ يُنْشِدُونَ فِي مَجَالِسِ عُظَمَاءِ مُلُوكِهِمُ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَيُوَقَّعُ لَهُمْ بِالصِّلَاتِ عَلَى أَقْدَارِهِمْ ، إِلَّا أَنْ يَخْتَلَّ الْوَقْتُ وَيَغْلِبَ الْجَهْلُ فِي حِينٍ مَا ، وَلَكِنَّ هَذَا الْغَالِبُ وَإِذَا كَانَ الشَّخْصُ بِالأَنْدَلُسِ نَحْوِيًّا أَوْ شَاعِرًا فَإِنَّهُ يَعْظُمُ فِي نَفْسِهِ لَا مَحَالَةَ ، وَيَسْخُفُ وَيُظْهِرُ الْعُجْبَ ، عَادَةٌ قَدْ جُبِلُوا عَلَيْهَا .

***

زي أهل الأندلس

وَأَمَّا زِيُّ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ ، فَالْغَالِبُ عَلَيْهِمْ تَرْكُ الْعَمَائِمِ وَلَاسِيَّمَا فِي شَرْقِيِّ الأَنْدَلُسِ ، فَإِنَّ أَهْلَ غَرْبِيِّهَا لَا تَكَادُ تَرَى فِيهِمْ قَاضِيًا وَلَا فَقِيهًا مُشَارًا إِلَيْهِ إِلَّا وَهُوَ بِعِمَامَةٍ ، وَقَدْ تَسَامَحُوا بِشَرْقِيِّهَا فِي ذَلِكَ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَزِيزَ بْنَ خَطَّابٍ(٢) أَكْبَرَ عَالِمٍ بِمُرْسِيَةَ حَضْرَةِ السُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ الأَوَانِ ـ وَإِلَيْهِ

(١) الوظيفة: مايقدر للعامل فى زمان معين من مال أو طعام أو رزق ونحوه
(٢) هو أبو بكر عزيز بن عبد الملك بن محمد بن خطاب رئيس مرسية كان متفننا فى العلوم مع بلاغة فى النظم والنثر ، ولى أمر مرسية فلم تحمد سيرته فصرف عنها، ثم صارت اليه رياستها أخيرا فدبرها ودعا لنفسه وقتل فى سنة ٦٣٦

ٱلْإِشَارَةُ ، وَقَدْ خُطِبَ لَهُ بِالْمُلْكِ فِي تِلْكَ ٱلْجِهَةِ - وَهُوَ حَاسِرُ ٱلرَّأْسِ ، وَشَيْبُهُ قَدْ غَلَبَ عَلَى سَوَادِ شَعْرِهِ . وَأَمَّا ٱلْأَجْنَادُ وَسَائِرُ ٱلنَّاسِ فَقَلِيلٌ مِنْهُمْ مَنْ تَرَاهُ بِعِمَّةٍ فِي شَرْقٍ مِنْهَا أَوْ فِي غَرْبٍ ، وَٱبْنُ هُودٍ ٱلَّذِي مَلَكَ ٱلْأَنْدَلُسَ فِي عَصْرِنَا رَأَيْتُهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ بِبِلَادِ ٱلْأَنْدَلُسِ وَهُوَ دُونَ عِمَامَةٍ ، وَكَذَلِكَ ٱبْنُ ٱلْأَحْمَرِ ٱلَّذِي مُعْظَمُ ٱلْأَنْدَلُسِ ٱلْآنَ فِي يَدِهِ . وَكَثِيرًا مَا يَتَزَيَّا سَلَاطِينُهُمْ وَأَجْنَادُهُمْ بِزِيِّ ٱلنَّصَارَى ٱلْمُجَاوِرِينَ لَهُمْ ، فَسِلَاحُهُمْ كَسِلَاحِهِمْ ، وَأَقْبِيَتُهُمْ مِنَ ٱلْإِشْكِرْلَاطِ(١) وَغَيْرِهِ كَأَقْبِيَتِهِمْ . وَكَذَلِكَ أَعْلَامُهُمْ وَسُرُوجُهُمْ ، وَمُحَارَبَتُهُمْ بِالتِّرَاسِ وَٱلرِّمَاحِ ٱلطَّوِيلَةِ لِلطَّعْنِ ، وَلَا يَعْرِفُونَ ٱلدَّبَابِيسَ وَلَا قِسِيَّ(٢) ٱلْعَرَبِ ، بَلْ يُعِدُّونَ قِسِيَّ ٱلْإِفْرَنْجِ لِلْمُحَاصَرَاتِ فِي ٱلْبِلَادِ ، أَوْ تَكُونُ لِلرَّجَّالَةِ عِنْدَ ٱلْمُصَافَفَةِ(٣) لِلْحَرْبِ ، وَكَثِيرًا مَا تَصْبِرُ ٱلْخَيْلُ عَلَيْهِمْ أَوْ تُمْهِلُهُمْ لِأَنْ

(١) نوع من لباس الجند (٢) قسى : جمع قوس (٣) صف الجيش وصافه مصافة : اذا رتب صفوفه فى مقابل صفوف العدو والادغام هنا واجب ، ولكنه كثيرا ما يفك مثله

يُؤْثِرُوهَا . وَلَا تَجِدُ فِي خَوَاصِّ الْأَنْدَلُسِ وَأَكْثَرِ عَوَامِّهِمْ مَنْ يَمْشِي دُونَ طَيْلَسَانٍ[١] إِلَّا أَنَّهُ لَا يَضَعُهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْهُمْ إِلَّا الْأَشْيَاخُ الْمُعَظَّمُونَ ، وَغَفَائِرُ[٢] الصُّوفِ كَثِيرًا مَا يَلْبَسُونَهَا حُمْرًا وَخُضْرًا ، وَالصُّفْرُ مَخْصُوصَةٌ بِالْيَهُودِ ، وَلَا سَبِيلَ لِيَهُودِيٍّ أَنْ يَتَعَمَّمَ الْبَتَّةَ ، وَالذُّؤَابَةُ لَا يُرْخِيهَا إِلَّا الْعَالِمُ ، وَلَا يَصْرِفُونَهَا بَيْنَ الْأَكْتَافِ ، وَإِنَّمَا يَسْدُلُونَهَا مِنْ تَحْتِ الْأُذُنِ الْيُسْرَى . وَهَذِهِ الْأَوْضَاعُ الَّتِي بِالْمَشْرِقِ فِي الْعَمَائِمِ لَا يَعْرِفُهَا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ ، وَإِنْ رَأَوْا فِي رَأْسِ مَشْرِقِيٍّ دَاخِلٍ إِلَى بِلَادِهِمْ شَكْلًا مِنْهَا أَظْهَرُوا التَّعَجُّبَ وَالِاسْتِطْرَافَ[٣] ، وَلَا يَأْخُذُونَ أَنْفُسَهُمْ بِتَعْلِيمِهَا ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْتَادُوا وَلَمْ يَسْتَحْسِنُوا غَيْرَ

(١) الطيلسان مثلث اللام : كساء مدور أخضر ، لا أسفل له تعريب تالسان أو تالشان بالفارسية ، ومن المجاز قولهم فى الشتم : يابن الطيلسان ، أى أنه أعجمى لأن العجم هم الذين يتطيلسون (٢) الغفيرة والغفارة : مايغطى العنق والقفاء ، والغفارة تنسج على قدر الرأس تلبس تحت القلنسوة وتسبغ على العنق . وربما جعلت من ديباج أو خز تحت البيضة . (٣) أى عدوه حسنا ، أو الاستطراف (بالطاء المهملة) وهو عد الشىء طريفا غريبا ، واستطرف الشىء : استحدثه

أَوْضَاعِهِمْ ، وَكَذَلِكَ فِي تَفْصِيلِ الثِّيَابِ . وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ أَشَدُّ خَلْقِ اللهِ اعْتِنَاءً بِنَظَافَةِ مَا يَلْبَسُونَ وَمَا يَفْرُشُونَ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِمْ ، وَفِيهِمْ مَنْ لَا يَكُونُ عِنْدَهُ إِلَّا مَا يَقُوتُهُ يَوْمَهُ فَيَطْوِيهِ صَائِمًا وَيَبْتَاعُ صَابُونًا يَغْسِلُ بِهِ ثِيَابَهُ ، وَلَا يَظْهَرُ فِيهَا سَاعَةً عَلَى حَالَةٍ تَنْبُو(١) الْعَيْنُ عَنْهَا .

***

تدبير أهل الأندلس

وَهُمْ أَهْلُ احْتِيَاطٍ وَتَدْبِيرٍ فِي الْمَعَاشِ وَحِفْظٍ لِمَا فِي أَيْدِيهِمْ خَوْفَ ذُلِّ السُّؤَالِ ، فَلِذَلِكَ قَدْ يُنْسَبُونَ لِلْبُخْلِ ، وَلَهُمْ مُرُوءَاتٌ عَلَى عَادَةِ بِلَادِهِمْ لَوْ فَطِنَ لَهَا حَاتِمٌ لَفَضَّلَ دَقَائِقَهَا عَلَى عَظَائِمِهِ ، وَلَقَدِ اجْتَزْتُ مَعَ وَالِدِي عَلَى قَرْيَةٍ مِنْ قُرَاهَا وَقَدْ نَالَ مِنَّا الْبَرْدُ وَالْمَطَرُ أَشَدَّ النَّيْلِ ، فَأَوَيْنَا إِلَيْهَا - وَكُنَّا عَلَى حَالِ تَرَقُّبٍ مِنَ السُّلْطَانِ وَخُلُوٍّ مِنَ الرَّفَاهِيَةِ(٢) - فَنَزَلْنَا فِي بَيْتِ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِهَا مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ ، فَقَالَ لَنَا : إِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ مَا أَشْتَرِي لَكُمْ فَحْمًا تَسْخُنُونَ

(١) أى ترتد العين عنها ازدراء . ونبت صورته : قبحت فلم تقبلها العين

(٢) الرفاهية : التمدين والرغد والزينة

بِهِ فَإِنِّي أَمْضِي فِي حَوَائِجِكُمْ ، وَأَجْعَلُ عِيَالِي يَقُومُونَ بِشَأْنِكُمْ ، فَأَعْطَيْنَاهُ مَا اشْتَرَى بِهِ فَحْماً ، فَأَضْرَمَ نَارًا ، فَجَاءَ ابْنٌ لَهُ صَغِيرٌ لِيَصْطَلِيَ فَضَرَبَهُ ، فَقَالَ لَهُ وَالِدِي : لِمَ ضَرَبْتَهُ ؟ فَقَالَ : يَتَعَلَّمُ اسْتِغْنَامَ أَمْوَالِ النَّاسِ وَالضَّجَرَ لِلْبَرْدِ مِنَ الصِّغَرِ ، ثُمَّ لَمَّا جَاءَ النَّوْمُ قَالَ لِابْنِهِ : أَعْطِ هٰذَا الشَّابَّ كِسَاءَكَ الْغَلِيظَةَ يَزِيدُهَا عَلَى ثِيَابِهِ ، فَدَفَعَ كِسَاءَهُ إِلَيَّ ، ثُمَّ لَمَّا قُمْنَا عِنْدَ الصَّبَاحِ ، وَجَدْتُ الصَّبِيَّ مُنْتَبِهًا وَيَدُهُ فِي الْكِسَاءِ ، فَقُلْتُ ذَلِكَ لِوَالِدِي ، فَقَالَ : هٰذِهِ مُرُوءَاتُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ، وَهٰذَا احْتِيَاطُهُمْ ، أَعْطَاكَ الْكِسَاءَ وَفَضَّلَكَ عَلَى نَفْسِهِ ، ثُمَّ أَفْكَرَ فِي أَنَّكَ غَرِيبٌ لَا يَعْرِفُ هَلْ أَنْتَ ثِقَةٌ أَوْ لِصٌّ ؟ فَلَمْ يَطِبْ لَهُ مَنَامٌ حَتَّى يَأْخُذَ كِسَاءَهُ خَوْفاً مِنَ انْفِصَالِكَ(١) بِهَا وَهُوَ نَائِمٌ ، وَعَلَى هٰذَا الشَّيْءِ الْحَقِيرِ فَقِسِ الشَّيْءَ الْجَلِيلَ . انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ سَعِيدٍ فِي الْمُغْرِبِ بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ .

***

كتاب المغرب لابن سعيد

وَلِلّٰهِ دَرُّهُ فَإِنَّهُ أَبْدَعَ فِي هٰذَا الْكِتَابِ مَاشَاءَ ، وَقَسَّمَهُ إِلَى

(١) أي خروجك

أَقْسَام :مِنْهَا كِتَابُ وَشْيِ الطِّرْسِ، فِي حِلَى جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ ، وَهُوَ يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ كُتُبٍ : الْكِتَابُ الْأَوَّلُ كِتَابُ حُلَى الْعُرْسِ فِي حِلَى غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ ، الْكِتَابُ الثَّانِي كِتَابُ الشِّفَاهِ اللُّعْسِ فِي حِلَى مُوَسَّطَةِ(١) الْأَنْدَلُسِ . الْكِتَابُ الثَّالِثُ كِتَابُ الْأُنْسِ فِي حِلَى(٢) شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ. الْكِتَابُ الرَّابِعُ كِتَابُ لَحَظَاتِ الْمُرِيبِ فِي ذِكْرِ مَا حَمَاهُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ عُبَّادُ الصَّلِيبِ . وَالْقِسْمُ الثَّانِي كِتَابُ الْأَلْحَانِ الْمُسَلِّيَةِ فِي حِلَى جَزِيرَةِ صِقِلِّيَةَ ، وَهُوَ أَيْضًا ذُو أَنْوَاعٍ . وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ كِتَابُ الْغَايَةِ الْأَخِيرَةِ فِي حِلَى الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ، وَهُوَ أَيْضًا ذُو أَقْسَامٍ . وَصَوَّرَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أَجْزَاءَ الْأَنْدَلُسِ فِي كِتَابِ وَشْيِ الطِّرْسِ ، وَقَالَ أَيْضًا : إِنَّ كُلًّا مِنْ شَرْقِيِّ الْأَنْدَلُسِ وَغَرْبِيِّهَا وَوَسَطِهَا يَقْرُبُ فِي قَدْرِ الْمَسَاحَةِ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ ، وَلَيْسَ فِيهَا جُزْءٌ يُجَاوِزُ طُولُهُ عَشَرَةَ أَيَّامٍ ، لِيَصْدُقَ التَّثْلِيثُ فِي الْقِسْمَةِ ، وَهَذَا دُونَ مَا بَقِيَ

(١) يريد الأندلس الوسطى (٢) الحلى (بالفتح) مايزين به ، وكذلك الحلية وجمعها حلى (بالكسر والضم)والحلية (بالكسر)الخلقةوالصورة والصفة ، وجمعه حلى (بالكسر ويضم)

بِأَيْدِى اُلنَّصَارَى . وَقَدَّمَ ـ رَحِمَهُ اُللهُ ـ كِتَابَ حُلَى اُلْعُرْسِ فِى حِلَى غَرْبِ اُلْأَنْدَلُسِ ، لِكَوْنِ قُرْطُبَةَ قُطْبَ اُلْخِلَافَةِ اُلْمَرْوَانِيَّةِ ، وَإِشْبِيلِيَةُ اُلَّتِى مَا فِى اُلْأَنْدَلُسِ أَجْمَلُ مِنْهَا فِيهِ ، وَقَسَّمَهُ إِلَى سَبْعَةِ كُتُبٍ ، كُلُّ كِتَابٍ مِنْهَا يَحْتَوِى عَلَى مَمْلَكَةٍ مُنْحَازَةٍ عَنِ اُلْأُخْرَى ، اُلْكِتَابُ اُلْأَوَّلُ كِتَابُ اُلْحُلَّةِ اُلْمُذَهَّبَةِ فِى حِلَى مَمْلَكَةِ قُرْطُبَةَ ، اُلْكِتَابُ اُلثَّانِى كِتَابُ اُلذَّهَبِيَّةِ اُلْأَصِيلِيَّةِ فِى حِلَى اُلْمَمْلَكَةِ اُلْإِشْبِيلِيَةِ ، اُلْكِتَابُ اُلثَّالِثُ كِتَابُ خُدَعِ اُلْمُمَالَقَةِ فِى حِلَى مَمْلَكَةِ مَالَقَةَ ، اُلْكِتَابُ اُلرَّابِعُ كِتَابُ اُلْفِرْدَوْسِ فِى حِلَى مَمْلَكَةِ بَطَلْيَوْسَ ، اُلْكِتَابُ اُلْخَامِسُ كِتَابُ اُلْخِلْبِ[1] فِى حِلَى مَمْلَكَةِ شِلْبٍ . اُلْكِتَابُ اُلسَّادِسُ كِتَابُ اُلدِّيبَاجَةِ فِى حِلَى مَمْلَكَةِ بَاجَةَ . اُلْكِتَابُ اُلسَّابِعُ كِتَابُ اُلرِّيَاضِ اُلْمَصُونَةِ فِى حِلَى مَمْلَكَةِ أَشْبُونَةَ . وَقَدْ ذَكَرَ ـ رَحِمَهُ اُللهُ تَعَالَى ـ فِى كُلِّ قِسْمٍ مَا يَلِيقُ بِهِ ، وَصَوَّرَ

(١) الخلب : حجاب القلب ، أو حجاب مابين القلب والكبد ، ومنه قيل للرجل الذى يخلب النساء : خلب نساء يحبهن للهو والحديث ويحببنه لذلك ـ ، وكسر شين (شلب) أكثر من فتحها

أَجْزَاءِهُ عَلَى مَا يَنْبَغِى ، فَاللهُ يُجَازِيهِ خَيْرًا . وَالْكَلَامُ فِي الْأَنْدَلُسِ طَوِيلٌ عَرِيضٌ .

***

الأندلس فى نظر بعض المؤرخين

وَقَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ : طُولُ الْأَنْدَلُسِ ثَلَاثُونَ يَوْمًا وَعَرْضُهَا تِسْعَةُ أَيَّامٍ ، وَيَشُقُّهَا أَرْبَعُونَ نَهَرًا كِبَارًا ، وَبِهَا مِنَ الْعُيُونِ وَالْحَمَّامَاتِ وَالْمَعَادِنِ مَا لَا يُحْصَى ، وَبِهَا ثَمَانُونَ مَدِينَةً مِنَ الْقَوَاعِدِ الْكِبَارِ ، وَأَزْيَدُ مِنْ ثَلَثِمِائَةٍ مِنَ الْمُتَوَسِّطَةِ ، وَفِيهَا مِنَ الْحُصُونِ وَالْقُرَى وَالْبُرُوجِ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً ، حَتَّى قِيلَ : إِنَّ عَدَدَ الْقُرَى الَّتِي عَلَى نَهْرِ إِشْبِيلِيَةَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ قَرْيَةٍ ، وَلَيْسَ فِي مَعْمُورِ الْأَرْضِ صُقْعٌ يَجِدُ الْمُسَافِرُ فِيهِ ثَلَاثَ مُدُنٍ وَأَرْبَعًا مِنْ يَوْمِهِ إِلَّا بِالْأَنْدَلُسِ . وَمِنْ بَرَكَتِهَا : أَنَّ الْمُسَافِرَ لَا يُسَافِرُ فِيهَا فَرْسَخَيْنِ دُونَ مَاءٍ أَصْلًا ، وَحَيْثُمَا سَارَ مِنَ الْأَقْطَارِ يَجِدُ الْحَوَانِيتَ فِي الْفَلَوَاتِ وَالصَّحَارَى وَالْأَوْدِيَةِ وَرُؤُوسِ الْجِبَالِ لِبَيْعِ الْخُبْزِ وَالْفَوَاكِهِ وَالْجُبْنِ وَاللَّحْمِ وَالْحُوتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضُرُوبِ الْأَطْعِمَةِ . وَذَكَرَ صَاحِبُ

اَلْجُغْرَافِيَا : أَنَّ جَزِيرَةَ ٱلْأَنْدَلُسِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا طُولًا فِي ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا عَرْضًا ، وَهُوَ مُخَالِفٌ لِمَا سَبَقَ . وَقَالَ ٱبْنُ سِيدَهْ : أَخَذَتِ ٱلْأَنْدَلُسُ فِي عَرْضِ ٱلْإِقْلِيمَيْنِ ٱلْخَامِسِ وَٱلسَّادِسِ مِنَ ٱلْبَحْرِ ٱلشَّامِيِّ فِي ٱلْجَنُوبِ إِلَى ٱلْبَحْرِ ٱلْمُحِيطِ فِي ٱلشَّمَالِ ، وَبِهَا مِنَ ٱلْجِبَالِ سَبْعَةٌ وَثَمَانُونَ جَبَلًا ٱنْتَهَى . وَلِبَعْضِهِمْ :

لِلّٰهِ أَنْدَلُسٌ[1] وَمَا جَمَعَتْ بِهَا
مِنْ كُلِّ مَا ضَمَّتْ[2] لَهَا ٱلْأَهْوَاءُ

فَكَأَنَّمَا تِلْكَ ٱلدِّيَارُ كَوَاكِبٌ
وَكَأَنَّمَا تِلْكَ ٱلْبِقَاعُ سَمَاءُ

وَبِكُلِّ قُطْرٍ جَدْوَلٌ فِي جَنَّةٍ
وَلِعَتْ بِهِ ٱلْأَفْيَاءُ[3] وَٱلْأَنْدَاءُ[4]

وَقَالَ غَيْرُهُ :

فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ تُلْتَذُّ نَعْمَاءُ
وَلَا يُفَارِقُ فِيهَا ٱلْقَلْبَ سَرَّاءُ

(١) يعجب من حسن الأندلس وما جمعت من كل ماتصبو اليه الأهواء
(٢) قد يكون محرفا عن (ضمنت) (٣) أى الظلال (٤) جمع ندى

وَلَيْسَ فِي غَيْرِهَا بِالْعَيْشِ مُنْتَفَعٌ
وَلَا تَقُومُ بِحَقِّ ٱلْأُنْسِ صَهْبَاءُ
وَأَيْنَ يُعْدَلُ عَنْ أَرْضٍ يَحُضُّ بِهَا
عَلَى ٱلشَّهَادَةِ أَزْوَاجٌ وَأَبْنَاءُ؟
وَأَيْنَ يُعْدَلُ عَنْ أَرْضٍ تَحُثُّ بِهَا
عَلَى ٱلْمُدَامَةِ أَمْوَاهٌ وَأَفْيَاءُ؟
وَكَيْفَ لَا تُبْهِجُ ٱلْأَبْصَارَ رُؤْيَتُهَا
وَكُلُّ أَرْضٍ بِهَا فِي ٱلْوَشْيِ صَنْعَاءُ؟
أَنْهَارُهَا فِضَّةٌ وَٱلْمِسْكُ تُرْبَتُهَا
وَٱلْخَزُّ رَوْضَتُهَا وَٱلدُّرُّ حَصْبَاءُ
وَلِلْهَوَاءِ بِهَا لُطْفٌ يَرِقُّ بِهِ
مَنْ لَا يَرِقُّ وَتَبْدُو مِنْهُ أَهْوَاءُ
لَيْسَ ٱلنَّسِيمُ ٱلَّذِي يَهْفُو بِهَا سَحَرًا
وَلَا ٱنْتِشَارُ لَآلِي ٱلطَّلِّ أَنْدَاءُ(١)

(١) يريد أن ما يتحرك فى ليلها ليس نسيما ، وما ينتثر من طلها ليس ندى ، وإنما ذلك ما أتى به فى البيت بعده ، وفيه حسن تعليل بديع

وَإِنَّمَا أَرَجُ النَّــدِّ اسْتَثَارَ(١) بِهَا

فِي مَاءِ وَرْدٍ فَطَابَتْ مِنْهُ أَرْجَاءُ

وَأَيْنَ يَبْلُغُ مِنْهَا مَا أُصَنِّفُهُ؟

وَكَيْفَ يَحْوِي الَّذِي حَازَتْهُ إِحْصَاءُ؟

قَدْ مُيِّزَتْ مِنْ جِهَاتِ الْأَرْضِ ثُمَّ بَدَتْ

فَرِيدَةً وَتَوَلَّى مَيْزَهَا الْمَــــاءُ

دَارَتْ عَلَيْهَا نِطَاقًا أَبْحُرٌ خَفَقَتْ

وَجْدًا بِهَا إِذْ تَبَدَّتْ وَهْيَ حَسْنَاءُ

لِذَاكَ يَبْسِمُ فِيهَا الزَّهْرُ مِنْ طَرَبٍ

وَالطَّيْرُ يَشْدُو وَلِلْأَغْصَانِ إِصْغَاءُ

فِيهَا خَلَعْتُ عِذَارِي مَا بِهَا عِوَضٌ

فَهِيَ الرِّيَاضُ وَكُلُّ الْأَرْضِ صَحْرَاءُ

وَقَدْ تَقَدَّمَتْ هٰذِهِ الْقَصِيدَةُ

(١) لعله استثير لأن الفعل متعد ، الا أن يكون الأسناد مجازيا .

وَقَالَ آخَرُ :

حَبَّذَا أَنْدَلُسٌ مِنْ بَلَدٍ لَمْ تَزَلْ تُنْتِجُ لِي كُلَّ سُرُورْ
طَائِرٌ شَادٍ وَظِلٌّ وَارِفٌ وَمِيَاهٌ سَائِحَاتٌ وَقُصُورْ

وَقَالَ آخَرُ :

يَا حُسْنَ أَنْدَلُسٍ وَمَا جَمَعَتْ لَنَا
فِيهَا مِنَ ٱلْأَوْطَارِ وَٱلْأَوْطَانِ
تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةُ لَسْتُ أُنْسَى حُسْنَهَا
بِتَعَاقُبِ ٱلْأَحْيَانِ وَٱلْأَزْمَانِ
نَسَجَ ٱلرَّبِيعُ نَبَاتَهَا مِنْ سُنْدُسٍ(١)
مَوْشِيَّةً بِبَدَائِعِ ٱلْأَلْوَانِ
وَغَدَا ٱلنَّسِيمُ بِهَا عَلِيلًا هَائِمًا
بِرُبُوعِهَا وَتَلَاطَمَ ٱلْبَحْرَانِ
يَا حُسْنَهَا وَٱلطَّلُّ يَنْثُرُ فَوْقَهَا
دُرَرًا خِلَالَ ٱلْوَرْدِ وَٱلرَّيْحَانِ

(١) السندس : رقيق الديباج ورفيعه

وَسَوَاعِدُ الْأَنْهَارِ قَدْ مُدَّتْ إِلَى

نُدَمَائِهَا بِشَقَائِقِ النُّعْمَانِ

وَتَجَاوَبَتْ فِيهَا شَوَادِي طَيْرِهَا

وَالْتَفَّتِ الْأَغْصَانُ بِالْأَغْصَانِ

مَا زُرْتُهَا إِلَّا وَحَيَّانِي بِهَا

حَدَقُ الْبَهَارِ وَأَنْمُلُ السُّوسَانِ(١)

(١) حدق البهار وما بعده من اضافة المشبه به الى المشبه . والبهار نبت طيب الريح ، وهو العرار ويسمى عين البقر أو هو النرجس البرى — ولهذا حسن تشبيه العيون به . وهونبت جعد له فقاحة صفراء تنبت أيام الربيع . والسوسن هو الزهر المعروف ، ووقع فى كلام بعض المولدين بالألف كما فى هذه الأبيات وكما فى قول ابن النبيه :

رضابك راحى، آس صدغيك ريحانى شقيقى جنى خديك جيدك سوسانى

ومن أحسن ماقيل فى السوسن قول أبى نواس :

سقيا لأرض اذا ماغمت نبهنى على الهدوء بها قرع النواقيس

كأن سوسنها فى كل شارقة على الميادين أذناب الطواويس

وقال ابن حجة الحموى مضمنا :

بداسوسن الروض المدبج أزرقا وأصفر يعلو طوله فوق مبيض

كأن الربا أرخت ذيول غلائل مصبغة والبعض أقصرمن بعض

ومن هذه الأبيات يعرف وصف هذا النبات

مِنْ بَعْـدِهَا مَا أَعْجَبَتْنِي بَلْدَةٌ

مَعَ مَا حَلَلْتُ بِهِ مِنَ ٱلْبُلْدَانِ

وَحَكَى بَعْضُهُمْ أَنَّ بِالْجَامِعِ مِنْ مَدِينَةِ أُقْلِيشَ(١) بَلاطًا فِيهِ جَوَائِزُ مَنْشُورَةٌ مُرَبَّعَةٌ مُسْتَوِيَةُ ٱلْأَطْرَافِ، طُولُ ٱلْجَائِزَةِ مِنْهَا مِائَةُ شِبْرٍ وَأَحَدَ عَشَرَ شِبْرًا . وَفِي ٱلْأَنْدَلُسِ جَبَلٌ مَنْ شَرِبَ مِنْ مَائِهِ كَثُرَ عَلَيْهِ ٱلِاحْتِلَامُ، مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ وَلَا تَفَكُّرٍ ، وَفِيهَا غَيْرُ ذٰلِكَ مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُ . وَٱللهُ أَعْلَمُ

وَلْنُمْسِكِ ٱلْعِنَانَ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ، فَإِنَّ بَحْرَ ٱلْأَنْدَلُسِ طَوِيلٌ مَدِيدٌ ، وَرُبَّمَا كَرَّرْنَا ٱلْكَلَامَ لِارْتِبَاطِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ ، أَوْ لِنَقْلِ صَاحِبِهِ ٱلْمَرْوِيِّ عَنْهُ ، أَوْ لِاخْتِلَافٍ مَا ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ غَرَضٍ سَدِيدٍ

(١) أقليش مدينة من أعمال طليطلة

*
* *

(اَلْبَابُ اَلثَّانِى)

فتح الأندلس فِى إِلْقَاءِ اَلأَنْدَلُسِ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْقِيَادِ(١) ، وَفَتْحِهَا عَلَى يَدِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ* وَمَوْلاَهُ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ ، وَصَيْرُورَتِهَا

(١) ألقى اليه قياده: كناية عن التسليم والخضوع

* ترجم له فى وفيات الأعيان لابن خلكان جزء ثان صفحة ١٣٤ بترجمة لاتختلف فى جملتها عما هنا الا فى بعض جمل لم تذكر وقد رأينا اثباتها حرصا على أمانة النقل وهى :

أبو عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمى بالولاء صاحب « فتح الأندلس » كان من التابعين رضى الله عنهم ، و روى عن تميم الدارى رضى الله عنه وكان عاقلا كريما شجاعا ورعا تقيا لله تعالى رضى الله عنه لم يهزم له جيش قط ، وكان والده نصير على حرس معاوية بن أبى سفيان ومنزلته عنده مكينة ، ولما خرج معاوية لقتال على بن أبى طالب رضى الله عنه لم يخرج معه فقال له معاوية : مامنعك من الخروج معى ولى عندك يد لم تكافئنى عليها ؟ فقال لم يمكنى أن أشكرك بكفرى من هو أولى بشكرى ، فقال : ومن هو ؟ قال : الله عز وجل . فقال : وكيف لاأم لك ؟ قال : وكيف لاأعلمك هذا فأغض وأمض . قال : فأطرق معاوية مليا ثم قال : أستغفر الله ، و رضى عنه .

مَيْدَانًا(١) لِسَبْقِ ٱلْجِيَادِ ، وَمَحَطَّ رَحْلِ ٱلِارْتِيَاءِ وَٱلِارْتِيَادِ ، وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنْ خَبَرٍ حَصَلَ بِازْدِيَانِهِ ٱزْدِيَادٌ ، وَنَبَإٍ وَصَلَ إِلَيْهِ ٱعْتِيَامٌ(٢) وَتَقَرَّرَ بِمِثْلِهِ ٱعْتِيَادٌ .

اعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا قَضَى ٱللهُ سُبْحَانَهُ بِتَحْقِيقِ قَوْلِ رَسُولِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « زُوِيَتْ(٣) لِي مَشَارِقُ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا ، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا » وَقَعَ ٱلْخِلَافُ بَيْنَ لُذَرِيقَ مَلِكِ ٱلْقُوطِ وَبَيْنَ مَلِكِ سَبْتَةَ ٱلَّذِي عَلَى مَجَازِ ٱلزُّقَاقِ ، فَكَانَ مَا يُذْكَرُ مِنْ فَتْحِ ٱلْأَنْدَلُسِ عَلَى يَدِ طَارِقٍ وَطَرِيفٍ وَمَوْلَاهُمَا ٱلْأَمِيرِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ ـ رَحِمَ ٱللهُ ٱلْجَمِيعَ ـ وَذَكَرَ ٱلْحِجَارِيُّ وَٱبْنُ حَيَّانَ وَغَيْرُهُمَا أَنَّ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ جَزِيرَةَ ٱلْأَنْدَلُسِ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ بِرَسْمِ ٱلْجِهَادِ طَرِيفٌ ٱلْبَرْبَرِيُّ مَوْلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ ٱلَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ

(١) أي ميدانا للمجاهدين الفاتحين من المسلمين (٢) أي اختيار (٣) أي طويت وجمعت، ويروى الحديث : ان الله تعالى زوى لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها

جَزِيرَةُ طَرِيفٍ ٱلَّتِي عَلَى ٱلْمَجَازِ ، غَزَاهَا بِمَعُونَةِ صَاحِبِ سَبْتَةَ يُلْيَانَ ٱلنَّصْرَانِيِّ ، لِحِقْدِهِ عَلَى لُذَرِيقَ صَاحِبِ ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَكَانَ فِي مِائَةِ فَارِسٍ(١) وَأَرْبَعِمِائَةِ رَاجِلٍ(٢) ، جَازَ ٱلْبَحْرَ فِي أَرْبَعَةِ مَرَاكِبَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ ، وَٱنْصَرَفَ بِغَنِيمَةٍ جَلِيلَةٍ ، فَعَقَدَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ صَاحِبُ ٱلْمَغْرِبِ لِمَوْلَاهُ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ عَلَى ٱلْأَنْدَلُسِ، وَوَجَّهَهُ مَعَ يُلْيَانَ صَاحِبِ سَبْتَةَ . ٱنْتَهَى . وَسَيَأْتِي فِي أَمْرِ طَرِيفٍ وَغَيْرِهِ مَا يُخَالِفُ هَذَا ٱلسِّيَاقَ ، وَهِيَ أَقْوَالٌ

***

أسباب فتح الأندلس

وَقَالَ ٱبْنُ حَيَّانَ : إِنَّ أَوَّلَ أَسْبَابِ فَتْحِ ٱلْأَنْدَلُسِ كَانَ أَنْ وَلَّى ٱلْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ مَوْلَى عَمِّهِ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ وَمَا خَلْفَهَا سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ ، فَخَرَجَ فِي نَفَرٍ قَلِيلٍ مِنَ ٱلْمُطَّوِّعَةِ(٣) ، فَلَمَّا وَرَدَ مِصْرَ أَخْرَجَ

---

(١) الفارس راكب الجواد (٢) والراجل : السائر على رجليه (٣) المطوعة : الذين يتطوعون بالجهاد ـ أدغمت التاء في الطاء

مَعَهُ مِنْ جُنْدِهَا بَعْثًا ، وَفَعَلَ ذَلِكَ فِي إِفْرِيقِيَّةَ(١) ، وَجَعَلَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ مَوْلَاهُ طَارِقًا ، فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ الْبَرْبَرَ وَيَفْتَحُ مَدَائِنَهُمْ ، حَتَّى بَلَغَ مَدِينَةَ طَنْجَةَ ، وَهِيَ قَصَبَةُ بِلَادِهِمْ وَأُمُّ مَدَائِنِهِمْ ، فَحَصَرَهَا حَتَّى فَتَحَهَا ، وَأَسْلَمَ أَهْلُهَا ، وَلَمْ تَكُنْ فُتِحَتْ قَبْلَهُ . وَقِيلَ : بَلْ فُتِحَتْ ثُمَّ ٱسْتُغْلِقَتْ .

وَذَكَرَ ٱبْنُ حَيَّانَ أَيْضًا ٱسْتِصْعَابَ سَبْتَةَ عَلَى مُوسَى بِتَدْبِيرِ صَاحِبِهَا ٱلدَّاهِيَةِ ٱلشُّجَاعِ يُلْيَانَ ٱلنَّصْرَانِيِّ ، وَأَنَّهُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لُذَرِيقَ صَاحِبِ ٱلْأَنْدَلُسِ . ثُمَّ سَرَدَ مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ :

وَقَالَ لِسَانُ ٱلدِّينِ بْنُ ٱلْخَطِيبِ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ ـ : وَحَدِيثُ ٱلْفَتْحِ ، وَمَا مَنَّ ٱللهُ بِهِ عَلَى ٱلْإِسْلَامِ مِنَ ٱلْمِنَحِ ، وَأَخْبَارُ مَا أَفَاءَ ٱللهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ عَلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ ، وَكَتَبَ مِنْ جِهَادٍ ، لِطَارِقِ بْنِ زِيَادٍ ، مَمْلُولٌ(٢) قُصَّاصٍ وَأَوْرَاقٍ ، وَحَدِيثُ أُفُولٍ وَإِشْرَاقٍ ، وَإِرْعَادٍ وَإِبْرَاقٍ ، وَعِظَمُ ٱمْتِشَاشٍ ، وَآلَةُ

(١) أي تونس . (٢) مملول الخ : مسئوم قد كثر القول فيه ودخله شيء من الوضع

مُعَلَّقَةٌ فِي دُكَّانِ قَشَّاشٍ[١] . انْتَهَى .

وَقَالَ فِي الْمُغْرِبِ : طَارِقُ[٢] بْنُ زِيَادٍ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَقَالَ أَبْنُ بَشْكُوَالَ : إِنَّهُ طَارِقُ بْنُ عَمْرٍو ، فَتَحَ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ وَدَوَّخَهَا ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ جَبَلُ طَارِقٍ الَّذِي يَعْرِفُهُ الْعَامَّةُ بِجَبَلِ الْفَتْحِ فِي قِبْلَةِ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ ، وَرَحَلَ مَعَ سَيِّدِهِ بَعْدَ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ إِلَى الشَّامِ ، وَانْقَطَعَ خَبَرُهُ . انْتَهَى .

وَقَالَ أَيْضًا إِنَّ طَارِقًا كَانَ حَسَنَ الْكَلَامِ ، يَنْظِمُ

(١) الذى يجمع القشاش وهى الأشياء الحقيرة : يريد أنه حديث ملته الأسماع ودخل فيه ماغير بعض حقائقه. ومشش العظم تمشيشا: استخرج منه المخ . فقوله وعظم امتشاش . أى موضوع لم يبق فيه فائدة ولا موضع زيادة

(٢) ترجم له فى بغية الملتمس للضبى ج ثالث من المكتبة الأندلسية صفحة ٣١٥ بما يأتى

طارق ابن عمرو ويقال : طارق بن زياد :

هو أول من غزا الأندلس سنة اثنتين وتسعين من الهجرة ، ثم لحق به موسى بن نصير ، ونقم عليه إذ غزاها بغير إذنه ، وسجنه وهم بقتله ، ثم ورد عليه كتاب الوليد بن عبد الملك باطلاقه وترك التعرض له ، فأطلقه وخرج معه الى الشام

مَا يَجُوزُ كَتْبُهُ ، وَأَمَّا ٱلْمَعَارِفُ ٱلسُّلْطَانِيَّةُ ، فَيَكْفِيهِ وِلَايَةُ سَلْطَنَةِ ٱلْأَنْدَلُسِ وَمَا فَتَحَ فِيهَا مِنَ ٱلْبِلَادِ إِلَى أَنْ وَصَلَ سَيِّدُهُ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ . وَمِنْ تَارِيخِ ٱبْنِ بَشْكُوَالَ :

ٱحْتَلَّ (١) طَارِقٌ بِالْجَبَلِ ٱلْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ فِي ٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا غَيْرَ ٱثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ ٱلْبَرْبَرِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مِنَ ٱلْعَرَبِ إِلَّا شَيْءٌ يَسِيرٌ ، وَإِنَّهُ لَمَّا رَكِبَ ٱلْبَحْرَ رَأَى وَهُوَ نَائِمٌ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَوْلَهُ ٱلْمُهَاجِرُونَ وَٱلْأَنْصَارُ قَدْ تَقَلَّدُوا ٱلسُّيُوفَ وَتَنَكَّبُوا ٱلْقِسِيَّ ، فَيَقُولُ (٢) لَهُ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَاطَارِقُ تَقَدَّمْ لِشَأْنِكَ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ قَدْ دَخَلُوا ٱلْأَنْدَلُسَ قُدَّامَهُ ، فَهَبَّ مِنْ نَوْمِهِ مُسْتَبْشِرًا وَبَشَّرَ أَصْحَابَهُ ، وَثَابَتْ نَفْسُهُ بِبُشْرَاهُ ، وَلَمْ يَشُكَّ فِي ٱلظَّفَرِ ، فَخَرَجَ مِنَ ٱلْجَبَلِ وَٱقْتَحَمَ بَسِيطَ

---

(١) أى نزل (٢) عبر بالمضارع لتصوير حكاية الحال

ٱلْبَلَدِ شَانًّا(١) لِلْغَارَةِ ، وَأَصَابَ عَجُوزًا مِنْ أَهْلِ ٱلْجَزِيرَةِ ، فَقَالَتْ لَهُ فِي بَعْضِ قَوْلِهَا : إِنَّهُ كَانَ لَهَا زَوْجٌ عَالِمٌ بِالْحَدَثَانِ ، فَكَانَ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ أَمِيرٍ يَدْخُلُ إِلَى بَلَدِهِمْ هٰذَا فَيَغْلِبُ عَلَيْهِ ، وَيَصِفُ مِنْ نَعْتِهِ أَنَّهُ ضَخْمُ ٱلْهَامَةِ(٢) ، فَأَنْتَ كَذَلِكَ ؟ وَمِنْهَا أَنَّ فِي كَتِفِهِ ٱلْأَيْسَرِ شَامَةً عَلَيْهَا شَعَرٌ ، فَإِنْ كَانَتْ فِيكَ فَأَنْتَ هُوَ . فَكَشَفَ ثَوْبَهُ فَإِذَا بِالشَّامَةِ فِي كَتِفِهِ عَلَى مَا ذَكَرَتْ ، فَاسْتَبْشَرَ بِذَلِكَ وَمَنْ مَعَهُ .

وَمِنْ تَارِيخِ ٱبْنِ حَيَّانَ : لَمَّا حَرَّضَ يُلْيَانُ ٱلنَّصْرَانِيُّ صَاحِبُ سَبْتَةَ ـ لِلْأَمْرِ ٱلَّذِي وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِ ٱلْأَنْدَلُسِ ـ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ عَلَى غَزْوِ ٱلْأَنْدَلُسِ ، جَهَّزَ لَهَا مَوْلَاهُ طَارِقًا ٱلْمَذْكُورَ فِي سَبْعَةِ آلَافٍ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ جُلُّهُمُ ٱلْبَرْبَرُ فِي أَرْبَعِ سُفُنٍ ، وَحَطَّ بِجَبَلِ طَارِقٍ ٱلْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ يَوْمَ ٱلسَّبْتِ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ ، وَلَمْ

(١) شن الغارة : فرقها وروع بها فى كل جهة (٢) الهامة : الرأس

تَزَلِ الْمَرَاكِبُ تَعُودُ حَتَّى تَوَافَى(١) جَمِيعُ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ بِالْجَبَلِ ، قَالَ : وَوَقَعَ عَلَى لُذَرِيقَ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ الْخَبَرُ ، وَأَنَّ يُلْيَانَ السَّبَبُ فِيهِ ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ غَازِيًا فِي جِهَةِ الْبَشْكَنْسِ(٢) ، فَبَادَرَ فِي جُمُوعِهِ وَهُمْ نَحْوُ مِائَةِ أَلْفٍ ذَوِي عُدَّةٍ وَعَدَدٍ ، وَكَتَبَ طَارِقٌ إِلَى مُوسَى ، بِأَنَّهُ قَدْ زَحَفَ عَلَيْهِ لُذَرِيقُ بِمَالَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ ، وَكَانَ عَمِلَ مِنَ السُّفُنِ عِدَّةً ، فَجَهَّزَ لَهُ فِيهَا خَمْسَةَ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَكَمُلُوا بِمَنْ تَقَدَّمَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، وَمَعَهُمْ يُلْيَانُ صَاحِبُ سَبْتَةَ فِي حَشْدِهِ(٣) ، يَدُلُّهُمْ عَلَى الْعَوْرَاتِ ، وَيَتَجَسَّسُ لَهُمُ الْأَخْبَارَ ، وَأَقْبَلَ نَحْوَهُمْ لُذَرِيقُ وَمَعَهُ خِيَارُ الْعَجَمِ وَأَمْلَاكُهَا وَفُرْسَانُهَا وَقُلُوبُهُمْ عَلَيْهِ ، فَتَلَاقَوْا فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَقَالُوا : إِنَّ هَذَا الْخَبِيثَ غَلَبَ عَلَى سُلْطَانِنَا وَلَيْسَ مِنْ بَيْتِ الْمُلْكِ ، وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ أَتْبَاعِنَا ، وَلَسْنَا نَعْدَمُ مِنْ سِيرَتِهِ خَبَالًا(٤) وَاضْطِرَابًا ، وَهٰؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ طَرَقُوا لَا حَاجَةَ لَهُمْ فِي إِيطَانِ بَلَدِنَا ، وَإِنَّمَا مُرَادُهُمْ أَنْ يَمْلَأُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ ، وَيَخْرُجُوا عَنَّا ، فَهَلُمَّ فَلْنَنْهَزِمْ

(١) توافى الخ : أتوا (٢) قوم كانوا يسكنون جبال البرينات (الباسك) الباشكنس Les Basques وقد تزوج الحكم بن الناصر بالسيدة صبح البشكنسية (٣) الحشد : الجماعة (٤) خبالا : نقصا وفسادا .

بِابْنِ الْخَبِيثَةِ إِذَا نَحْنُ لَقِينَا الْقَوْمَ، فَلَعَلَّهُمْ يَكْفُونَنَا أَمْرَهُ، فَإِذَاهُمُ انْصَرَفُوا عَنَّا أَقْعَدْنَا فِي مُلْكِنَا مَنْ يَسْتَحِقُّهُ. فَأَجْمَعُوا عَلَى ذَلِكَ.

وَقَالَ ابْنُ خَلْدُونَ بَعْدَ ذِكْرِهِ أَنَّ الْقُوطِيِّينَ كَانَ لَهُمْ مُلْكُ الْأَنْدَلُسِ، وَأَنَّ مَلِكَهُمْ لِعَهْدِ الْفَتْحِ يُسَمَّى لُذَرِيقَ مَا نَصُّهُ: وَكَانَتْ لَهُمْ خَطْوَةٌ وَرَاءَ الْبَحْرِ فِي هَذِهِ الْعُدْوَةِ الْجَنُوبِيَّةِ، خَطَوْهَا مِنْ فُرْضَةِ الْمَجَازِ بِطَنْجَةَ، وَمِنْ زُقَاقِ الْبَحْرِ إِلَى بِلَادِ الْبَرْبَرِ وَاسْتَعْبَدُوهُمْ، وَكَانَ مَلِكُ الْبَرْبَرِ بِذَلِكَ الْقُطْرِ الَّذِي هُوَ الْيَوْمَ جِبَالُ غُمَارَةَ يُسَمَّى يُلْيَانَ، فَكَانَ يَدِينُ بِطَاعَتِهِمْ وَبِمِلَّتِهِمْ، وَمُوسَى ابْنُ نُصَيْرٍ أَمِيرُ الْمَغْرِبِ إِذْ ذَاكَ عَامِلٌ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ مِنْ قِبَلِ الْوَلِيدِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَمَنْزِلُهُ بِالْقَيْرَوَانِ، وَكَانَ قَدْ أَغْزَى(١) لِذَلِكَ الْعَهْدِ عَسَاكِرَ الْمُسْلِمِينَ بِلَادَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى، وَدَوَّخَ(٢) أَقْطَارَهُ، وَأَثْخَنَ فِي جِبَالِ طَنْجَةَ هَذِهِ حَتَّى وَصَلَ خَلِيجَ الزُّقَاقِ، وَاسْتَنْزَلَ يُلْيَانَ

(١) أغزى العساكر: جهزهم للغزو وحملهم عليه (٢) دوخ أقطاره: قهرها واستولى على أهلها

لِطَاعَةِ ٱلْإِسْلَامِ ، وَخَلَّفَ مَوْلَاهُ طَارِقَ بْنَ زِيَادٍ ٱللَّيْثِيَّ وَالِياً بِطَنْجَةَ ، وَكَانَ يُلْيَانُ يَنْقِمُ عَلَى لُذَرِيقَ مَلِكِ ٱلْقُوطِ لِعَهْدِهِ بِالْأَنْدَلُسِ فَعْلَةً فَعَلَهَا ـ زَعَمُوا ـ بِابْنَتِهِ ٱلنَّاشِئَةِ فِي دَارِهِ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي بَنَاتِ بَطَارِقَتِهِمْ ، فَغَضِبَ لِذَلِكَ وَأَجَازَ إِلَى لُذَرِيقَ وَأَخَذَ ٱبْنَتَهُ مِنْهُ ، ثُمَّ لَحِقَ بِطَارِقٍ فَكَشَفَ لِلْعَرَبِ عَوْرَةَ ٱلْقُوطِ ، وَدَلَّهُمْ عَلَى عَوْرَةٍ فِيهِمْ أَمْكَنَتْ طَارِقاً فِيهَا ٱلْفُرْصَةُ فَٱنْتَهَزَهَا لِوَقْتِهِ ، وَأَجَازَ ٱلْبَحْرَ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ مِنَ ٱلْهِجْرَةِ ، بِإِذْنِ أَمِيرِهِ مُوسَى بنِ نُصَيْرٍ فِي نَحْوِ ثَلَثِمِائَةٍ مِنَ ٱلْعَرَبِ ، وَٱحْتَشَدَ مَعَهُمْ مِنَ ٱلْبَرْبَرِ زُهَاءَ عَشَرَةِ آلَافٍ ، فَصَيَّرَهُمَا عَسْكَرَيْنِ : أَحَدُهُمَا عَلَى نَفْسِهِ وَنَزَلَ بِهِ جَبَلَ ٱلْفَتْحِ فَسُمِّيَ جَبَلُ طَارِقٍ بِهِ ، وَٱلْآخَرُ عَلَى طَرِيفِ بْنِ مَالِكٍ ٱلنَّخَعِيِّ وَنَزَلَ بِمَكَانِ مَدِينَةِ طَرِيفٍ فَسُمِّيَ بِهِ ، وَأَدَارُوا ٱلْأَسْوَارَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لِلتَّحَصُّنِ ، وَبَلَغَ ٱلْخَبَرُ إِلَى لُذَرِيقَ فَنَهَضَ إِلَيْهِمْ يَجُرُّ أُمَمَ ٱلْأَعَاجِمِ وَأَهْلَ مِلَّةِ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ

فِي زُهَاءِ أَرْبَعِينَ أَلْفاً ، وَزَحَفُوا إِلَيْهِ ، فَالْتَقَوْا بِفَحْصِ شَرِيشَ ، فَهَزَمَهُ اللهُ وَنَفَّلَهُمْ(١) أَمْوَالَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَرِقَابَهُمْ ، وَكَتَبَ طَارِقٌ إِلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ بِالْفَتْحِ وَبِالْغَنَائِمِ فَحَرَّكَتْهُ الْغَيْرَةُ ، وَكَتَبَ إِلَى طَارِقٍ يَتَوَعَّدُهُ إِنْ تَوَغَّلَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ ، وَيَأْمُرُهُ أَلَّا يَتَجَاوَزَ مَكَانَهُ حَتَّى يَلْحَقَ بِهِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْقَيْرَوَانِ وَلَدَهُ عَبْدَ اللهِ ، وَخَرَجَ وَمَعَهُ حَبِيبُ بْنُ مَنْدَهٍ(٢) الْفِهْرِيُّ ، وَنَهَضَ مِنَ الْقَيْرَوَانِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ فِي عَسْكَرٍ ضَخْمٍ مِنْ وُجُوهِ الْعَرَبِ الْمَوَالِي وَعُرَفَاءِ الْبَرْبَرِ ، وَوَافَى خَلِيجَ الزُّقَاقِ مَا بَيْنَ طَنْجَةَ وَالْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ ، فَأَجَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَتَلَقَّاهُ طَارِقٌ فَانْقَادَ وَاتَّبَعَ ، وَأَتَمَّ مُوسَى الْفَتْحَ وَتَوَغَّلَ فِي الْأَنْدَلُسِ إِلَى بَرْشَلُونَةَ فِي جِهَةِ

(١) من النفل وهو الغنيمة والهبة ، ونفله الله وأنفله : أعطاه نفلا وغنيمة وسوغ له ما غنم (٢) كذا بالأصل وأرى أنه محرف عن مرة ، فهو حبيب بن مرة (المكنى بأبي عبيدة) ابن عقبة بن نافع من وجوه أصحاب موسى بن نصير (وسيأتي له ذكر) وتوفي حبيب سنة ١٢٤ نجاتي

ٱلشَّرْقِ، وَأَرْبُونَةَ فِي ٱلْجَوْفِ، وَصَنَمِ قَادِسَ فِي ٱلْغَرْبِ، وَدَوَّخَ أَقْطَارَهَا، وَجَمَعَ غَنَائِمَهَا. وَأَجْمَعَ أَنْ يَأْتِيَ ٱلْمَشْرِقَ مِنْ نَاحِيَةِ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَيَتَجَاوَزَ إِلَى ٱلشَّامِ دُرُوبَهُ وَدُرُوبَ ٱلْأَنْدَلُسِ، وَيَخُوضَ إِلَيْهِ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ أُمَمِ ٱلْأَعَاجِمِ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ مُجَاهِدًا فِيهِمْ مُسْتَلْحِمًا لَهُمْ إِلَى أَنْ يَلْحَقَ بِدَارِ ٱلْخِلَافَةِ، وَنَمِيَ ٱلْخَبَرُ إِلَى ٱلْوَلِيدِ فَاشْتَدَّ قَلَقُهُ بِمَكَانِ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ دَارِ ٱلْحَرْبِ، وَرَأَى أَنَّ مَاهَمَّ بِهِ مُوسَى غَرَرٌ(١) بِالْمُسْلِمِينَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالتَّوْبِيخِ وَالِانْصِرَافِ، وَأَسَرَّ إِلَى سَفِيرِهِ أَنْ يَرْجِعَ بِالْمُسْلِمِينَ إِنْ لَمْ يَرْجِعْ، وَكَتَبَ لَهُ بِذَلِكَ عَهْدَهُ. فَفَتَّ ذَلِكَ فِي عَزْمِ مُوسَى وَقَفَلَ عَنِ ٱلْأَنْدَلُسِ بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ ٱلرَّابِطَةَ وَٱلْحَامِيَةَ بِثُغُورِهَا، وَأَنْزَلَ ٱبْنَهُ عَبْدَ ٱلْعَزِيزِ لِسَدِّهَا وَجِهَادِ عَدُوِّهَا، وَأَنْزَلَهُ بِقُرْطُبَةَ فَاتَّخَذَهَا دَارَ إِمَارَةٍ، وَاحْتَلَّ مُوسَى بِالْقَيْرَوَانِ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ، وَٱرْتَحَلَ إِلَى ٱلْمَشْرِقِ

(١) غرر: خطر وتعرض للهلكة.

سَنَةَ سِتٍّ بَعْدَهَا بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ ٱلْغَنَائِمِ وَٱلذَّخَائِرِ وَٱلْأَمْوَالِ عَلَى ٱلْعَجَلِ(١) وَٱلظَّهْرِ ، يُقَالُ : إِنَّ مِنْ جُمْلَتِهَا ثَلَاثِينَ أَلْفَ رَأْسٍ مِنَ ٱلسَّبْيِ(٢) ، وَوَلَّى عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ ٱبْنَهُ عَبْدَ ٱللهِ ، وَقَدِمَ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ فَسَخِطَهُ(٣) وَنَكَبَهُ ، وَثَارَتْ عَسَاكِرُ ٱلْأَنْدَلُسِ بِٱبْنِهِ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ بِإِغْرَاءِ سُلَيْمَانَ فَقَتَلُوهُ لِسَنَتَيْنِ مِنْ وِلَايَتِهِ ، وَكَانَ خَيِّرًا فَاضِلًا ، وَٱفْتَتَحَ فِي وِلَايَتِهِ مَدَائِنَ كَثِيرَةً ، وَوَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أَيُّوبُ بْنُ حَبِيبٍ ٱللَّخْمِيُّ ، وَهُوَ ٱبْنُ أُخْتِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ ، فَوَلِيَ عَلَيْهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ تَتَابَعَتْ وُلَاةُ ٱلْعَرَبِ عَلَى ٱلْأَنْدَلُسِ ، تَارَةً مِنَ قِبَلِ ٱلْخَلِيفَةِ ، وَتَارَةً مِنْ قِبَلِ عَامِلِهِ بِٱلْقَيْرَوَانِ ، وَأَثْخَنُوا(٤) فِي أُمَمِ ٱلْكُفْرِ ، وَٱفْتَتَحُوا بَرْشِلُونَةَ مِنْ جِهَةِ ٱلْمَشْرِقِ ، وَحُصُونَ قَشْتَالَةَ(٥) وَبَسَائِطَهَا مِنْ جِهَةِ ٱلْجَوْفِ ، وَٱنْقَرَضَتْ أُمَمُ

---

(١) يريد بالعجل ما تجره الدواب ، و بالظهر الدواب (٢) السبي : الأسرى (٣) كرهه وغضب عليه كثيرا (٤) أثخنوا : قتلوا وأسروا كثيرا (٥) اقليم عظيم بالأندلس كانت قصبته طليطلة

ٱلْقُوطِ ، وَأَوَى ٱلْجَلَالِقَةُ وَمَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَمِ ٱلْعَجَمِ إِلَى جِبَالِ قَشْتَالَةَ وَأَرْبُونَةَ وَأَفْوَاهِ ٱلدُّرُوبِ فَتَحَصَّنُوا بِهَا ، وَأَجَازَتْ عَسَاكِرُ ٱلْمُسْلِمِينَ مَا وَرَاءَ بَرْشِلُونَةَ مِنْ دُرُوبِ ٱلْجَزِيرَةِ حَتَّى ٱحْتَلُّوا ٱلْبَسَائِطَ(١) وَرَاءَهَا ، وَتَوَغَّلُوا فِي بِلَادِ ٱلْفَرَنْجَةِ ، وَعَصَفَتْ رِيحُ ٱلْإِسْلَامِ بِأُمَمِ ٱلْكُفْرِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، وَرُبَّمَا كَانَ بَيْنَ جُنُودِ ٱلْأَنْدَلُسِ مِنَ ٱلْعَرَبِ ٱخْتِلَافٌ وَتَنَازُعٌ أَوْجَدَ لِلْعَدُوِّ بَعْضَ ٱلْكَرَّةِ ، فَرَجَعَ ٱلْإِفْرَنْجُ مَا كَانُوا غَلَبُوهُمْ عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِ بَرْشِلُونَةَ لِعَهْدِ ثَمَانِينَ سَنَةً مِنْ لَدُنْ فَتْحِهَا ، وَٱسْتَمَرَّ ٱلْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ عَامِلُ إِفْرِيقِيَّةَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ لَمَّا بَلَغَهُ مَهْلِكُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ بْنِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ ، بَعَثَ إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ ٱلْحُرَّ بْنَ عَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ بْنِ عُثْمَانَ ٱلثَّقَفِيَّ ، فَقَدِمَ ٱلْأَنْدَلُسَ وَعَزَلَ أَيُّوبَ بْنَ حَبِيبٍ ، وَوَلِيَ سَنَتَيْنِ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ بَعَثَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ عَلَى ٱلْأَنْدَلُسِ ٱلسَّمْحَ بْنَ مَالِكٍ ٱلْخَوْلَانِيَّ ، عَلَى رَأْسِ ٱلْمِائَةِ مِنَ ٱلْهِجْرَةِ

---

(١) جمع بسيطة ، وهي في الأصل الأرض المنبسطة المستوية العريضة الواسعة

وَأَمَرَهُ أَنْ يَخْمُسَ(١) أَرْضَ ٱلْأَنْدَلُسِ فَخَمَسَهَا ، وَبَنَى قَنْطَرَةَ قُرْطُبَةَ ، وَاُسْتُشْهِدَ غَازِيًا بِأَرْضِ ٱلْفَرَنْجَةِ سَنَةَ ثِنْتَيْنِ وَمِائَةٍ، فَقَدَّمَ أَهْلُ ٱلْأَنْدَلُسِ عَلَيْهِمْ عَبْدَ ٱلرَّحْمٰنِ بْنَ عَبْدِ ٱللّٰهِ ٱلْغَافِقِيَّ، إِلَى أَنْ قَدِمَ عَنْبَسَةُ بْنُ سُحَيْمٍ ٱلْكَلْبِيُّ مِنْ قِبَلِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ عَامِلِ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَقَدِمَهَا فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَمِائَةٍ، فَاسْتَقَامَ أَمْرُ ٱلْأَنْدَلُسِ، وَغَزَا ٱلْفَرَنْجَةَ وَتَوَغَّلَ فِي فِي بِلَادِهِمْ ، وَاُسْتُشْهِدَ سَنَةَ سَبْعٍ وَمِائَةٍ لِأَرْبَعِ سِنِينَ وَأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ تَتَابَعَتْ وُلَاةُ ٱلْأَنْدَلُسِ مِنْ قِبَلِ أُمَرَاءِ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَكَانَ أَوَّلَهُمْ يَحْيَى بْنَ سَلَمَةَ ٱلْكَلْبِيَّ، أَنْفَذَهُ بِشْرُ اُبْنُ صَفْوَانَ ٱلْكَلْبِيُّ وَالِي إِفْرِيقِيَّةَ لَمَّا اُسْتَدْعَى مِنْهُ أَهْلُ ٱلْأَنْدَلُسِ وَالِيًا بَعْدَ مَقْتَلِ عَنْبَسَةَ ، فَقَدِمَهَا آخِرَ سَنَةِ سَبْعٍ، وَأَقَامَ فِي وِلَايَتِهَا سَنَتَيْنِ وَنِصْفًا وَلَمْ يَغْزُ ؛ وَقَدِمَ إِلَيْهَا عُثْمَانُ اُبْنُ أَبِي نِسْعَةَ ٱللَّخْمِيُّ وَالِيًا مِنْ قِبَلِ عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ

(١) خمس الأرض (كنصر): أخذ خمس ريعها ، وخمست مال فلان، وخمسهم: أخذ خمس أموالهم

ٱلسُّلَمِيِّ صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَعَزَلَهُ لِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ بِحُذَيْفَةَ
أبْنِ ٱلْأَحْوَصِ ٱلْقَيْسِيِّ ، فَوَافَاهَا سَنَةَ عَشْرٍ ، وَعُزِلَ قَرِيبًا
يُقَالُ لِسَنَةٍ مِنْ وِلَايَتِهِ ، وَٱخْتُلِفَ هَلْ تَقَدَّمَهُ عُثْمَانُ أَوْ هُوَ
تَقَدَّمَ عُثْمَانَ؟ . ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَهُ ٱلْهَيْثَمُ بْنُ عُبَيْدٍ ٱلْكِلَابِيُّ ، مِنْ
قِبَلِ عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ أَيْضًا ، قَدِمَ فِي ٱلْمُحَرَّمِ سَنَةَ
إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَةٍ ، وَغَزَا أَرْضَ مَقُوشَةَ فَافْتَتَحَهَا ، وَتُوُفِّيَ
سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ لِسَنَتَيْنِ مِنْ وِلَايَتِهِ . وَقَدِمَ بَعْدَهُ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْأَشْجَعِيُّ فَوَلِيَ شَهْرَيْنِ . ثُمَّ قَدِمَ عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ
أبْنُ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْغَافِقِيُّ مِنْ قِبَلِ عُبَيْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْحَبْحَابِ صَاحِبِ
إِفْرِيقِيَّةَ ، فَدَخَلَهَا سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ، وَغَزَا ٱلْإِفْرَنْجَةَ ،
وَكَانَتْ لَهُ فِيهِمْ وَقَائِعُ ، وَأُصِيبَ عَسْكَرُهُ فِي رَمَضَانَ
سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ فِي مَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِبَلَاطِ ٱلشُّهَدَاءِ ، وَبِهِ
عُرِفَتِ ٱلْغَزْوَةُ ، وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ . ثُمَّ
وَلِيَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ قَطَنٍ ٱلْفِهْرِيُّ ، وَقَدِمَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ

أَرْبَعَ عَشْرَةَ ، فَوَلِيَ سَنَتَيْنِ ، وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ أَرْبَعَ سِنِينَ ، وَكَانَ ظَلُومًا جَائِرًا فِي حُكُومَتِهِ ، وَغَزَا أَرْضَ الْبَشْكَنْسِ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ فَأَوْقَعَ بِهِمْ وَغَنِمَ . ثُمَّ عُزِلَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ ، وَوَلِيَ عُقْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ السَّلُولِيُّ(١) مِنْ قِبَلِ عُبَيْدِ اللهِ بنِ الْحَبْحَابِ ، فَأَقَامَ خَمْسَ سِنِينَ مَحْمُودَ السِّيرَةِ مُجَاهِدًا مُظَفَّرًا حَتَّى بَلَغَ سُكْنَى الْمُسْلِمِينَ أَرْبُونَةَ ، وَصَارَ رِبَاطُهُمْ عَلَى نَهْرِ رُدُونَةَ . ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنُ قَطَنٍ الْفِهْرِيُّ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ فَخَلَعَهُ وَقَتَلَهُ ، وَيُقَالُ أَخْرَجَهُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، وَوَلِيَ مَكَانَهُ ، إِلَى أَنْ دَخَلَ بَلْجُ ابْنُ بِشْرٍ بِأَهْلِ الشَّامِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ فَغَلَبَ عَلَيْهِ ، وَوَلِيَ الْأَنْدَلُسَ سَنَةً أَوْ نَحْوَهَا . وَقَالَ الرَّازِيُّ : ثَارَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ بِأَمِيرِهِمْ عُقْبَةَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ فِي خِلَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَوَلَّوْا عَلَيْهِمْ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ قَطَنٍ وِلَايَتَهُ الثَّانِيَةَ ، فَكَانَتْ وِلَايَةُ عُقْبَةَ سِتَّةَ أَعْوَامٍ

(١) ينظر السلولى أو السكونى

وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَتُوُفِّيَ بِقَرْمُونَةَ(١) فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ ، وَاسْتَقَامَ الْأَمْرُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ ، ثُمَّ دَخَلَ بَلْجُ بْنُ بِشْرٍ الْقُشَيْرِيُّ بِجُنْدِ الشَّامِ نَاجِيًا مِنْ وَقْعَةِ كُلْثُومِ ابْنِ عِيَاضٍ(٢) مَعَ الْبَرْبَرِ بِمَلْوِيَّةَ(٣) ، فَثَارَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَتَلَهُ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً ، وَاسْتَوْثَقَ لَهُ الْأَمْرُ بَعْدَ مَقْتَلِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَانْحَازَ الْفِهْرِيُّونَ إِلَى جَانِبٍ ، فَامْتَنَعُوا عَلَيْهِ وَكَاشَفُوهُ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمْ مَنْ أَنْكَرَ فَعْلَتَهُ بِابْنِ قَطَنٍ ، وَقَامَ بِأَمْرِهِمْ قَطَنٌ وَأُمَيَّةُ ابْنَا عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَطَنٍ ، وَالْتَقَوْا فَكَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى الْفِهْرِيِّينَ ، وَهَلَكَ بَلْجٌ مِنَ

(١) قرمونية : كورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال اشبيلية غربي قرطبة وشرقي اشبيلية ، عصت على عبد الرحمن بن محمد الأموي فنزل عليها بجنوده حتى افتتحها وخربها ثم عادت الى بعض ما كانت عليه، ويقال أيضا قرمونة . قال ابن صارة الأندلسي في بعض ملوك العرب وكان قد فتح قرمونة :

أطل على قرمونة متجليا ... مع الصبح حتى قلت كانا على وعد
فأرملها بالسيف ثم أعارها ... من النار أثواب الحداد على النقد
فياحسن ذاك السيف في راحة العلا ... ويا برد تلك النار في كبد المجد

(٢) كلثوم بن عياض القشيري ولاه هشام افريقية سنة ١٢٣ وقتله البربر

(٣) قد تسكون (مليانة) مدينة في آخر افريقية قديمة جددها زيري ابن مناد وأسكنها بلكين

ٱلْجِرَاحِ ٱلَّتِي نَالَتْهُ فِي حَرْبِهِمْ ، وَذٰلِكَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ لِسَنَةٍ أَوْ نَحْوِهَا مِنْ إِمَارَتِهِ . ثُمَّ وَلِيَ ثَعْلَبَةُ بْنُ سَلَامَةَ ٱلْجُذَامِيُّ وَغَلَبَ عَلَى إِمَارَةِ ٱلْأَنْدَلُسِ بَعْدَ مَهْلِكِ بَلْجٍ ، وَٱنْحَازَ عَنْهُ ٱلْفِهْرِيُّونَ فَلَمْ يُطِيعُوهُ ، وَوَلِيَ سَنَتَيْنِ أَظْهَرَ فِيهِمَا ٱلْعَدْلَ ، وَدَانَتْ لَهُ ٱلْأَنْدَلُسُ عَشَرَةَ أَشْهُرٍ ، إِلَى أَنْ مَالَتْ بِهِ ٱلْعَصَبِيَّةُ فِي يَمَانِيَّتِهِ ، فَفَسَدَ أَمْرُهُ وَهَاجَتِ ٱلْفِتْنَةُ . وَقَدِمَ أَبُو ٱلْخَطَّارِ حُسَامُ بْنُ ضِرَارٍ ٱلْكَلْبِيُّ مِنْ قِبَلِ حَنْظَلَةَ بْنِ صَفْوَانَ عَامِلِ إِفْرِيقِيَّةَ ، رَكِبَ إِلَيْهَا ٱلْبَحْرَ مِنْ تُونُسَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ ، فَدَانَ لَهُ أَهْلُ ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ ثَعْلَبَةُ وَٱبْنُ أَبِي نِسْعَةَ وَٱبْنَا عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ، فَلَقِيَهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَٱسْتَقَامَ أَمْرُهُ ، وَكَانَ شُجَاعًا كَرِيمًا ذَا حَزْمٍ وَرَأْيٍ ، وَكَثُرَ أَهْلُ ٱلشَّامِ عِنْدَهُ ، وَلَمْ تَحْمِلْهُمْ قُرْطُبَةُ فَفَرَّقَهُمْ فِي ٱلْبِلَادِ ، وَأَنْزَلَ أَهْلَ دِمَشْقَ إِلْبِيرَةَ لِشَبَهِهَا بِهَا وَسَمَّاهَا دِمَشْقَ ، وَأَنْزَلَ أَهْلَ حِمْصَ إِشْبِيلِيَةَ وَسَمَّاهَا حِمْصَ ، وَأَهْلَ قِنِّسْرِينَ جَيَّانَ وَسَمَّاهَا قِنِّسْرِينَ ، وَأَهْلَ ٱلْأُرْدُنِّ رَيَّةَ وَمَالَقَةَ وَسَمَّاهَا ٱلْأُرْدُنَّ ، وَأَهْلَ

فِلَسْطِينَ شَـذُونَةَ وَهِيَ شَرِيشُ(١) وَسَمَّاهَا فِلَسْطِينَ ، وَأَهْلَ مِصْرَ تُدْمِيرَ وَسَمَّاهَا مِصْرَ ، وَقَفَلَ ثَعْلَبَةُ إِلَى الْمَشْرِقِ وَلَحِقَ بِمَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَحَضَرَ حُرُوبَهُ ، وَكَانَ أَبُو الْخَطَّارِ أَعْرَابِيًّا عَصَبِيًّا ، أَفْرَطَ عِنْدَ وِلَايَتِهِ فِي التَّعَصُّبِ لِقَوْمِهِ مِنَ الْيَمَانِيَّةِ ، وَتَحَامَلَ عَلَى الْمُضَرِيَّةِ ، وَأَسْخَطَ قَيْسًا ، وَأَمَرَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ بِالصُّمَيْلِ بْنِ حَاتِمٍ كَبِيرِ الْقَيْسِيَّةِ ، وَكَانَ مِنْ طَوَالِعِ بَلْجٍ وَهُوَ الصُّمَيْلُ بْنُ حَاتِمِ ابْنِ شِمْرٍ(٢) بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ وَرَأَسَ عَلَى الْمُضَرِيَّةِ ـ فَأُقِيمَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَتَقَنَّعَ(٣) ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْحُجَّابِ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْقَصْرِ : أَقِمْ عِمَامَتَكَ يَا أَبَا الْجَوْشَنِ ، فَقَالَ إِنْ كَانَ لِي قَوْمٌ فَسَيُقِيمُونَهَا ، فَسَارَ الصُّمَيْلُ بْنُ حَاتِمٍ أَمِيرُهُمْ يَوْمَئِذٍ وَزَعِيمُهُمْ ، وَأَلَّبَ(٤) عَلَيْهِ قَوْمَهُ ، وَاسْتَعَانَ بِالْمُنْحَرِفِينَ عَنْهُ

---

(١) مدينة كبيرة من كورة شذونة ، وكانت قاعدة هذه الكورة
(٢) شمر كوفى ، وكان قائد جيش الأمويين الذى قاتل الحسين بن على رضى الله عنه وهو الذى أصر على قتله وتولى كبره وحمل رأس الحسين الى يزيد ، ثم قتله المختار فهرب ابنه حاتم الى قنسرين (٣) غطى رأسه وتقنع اذا تغشى بثوب ، وتقنع فلان خزيا وخجلا (٤) ألب الخ : حرضهم على الفساد وأفسد بينهم

مِنَ ٱلْيَمَانِيَّةِ ، فَخُلِعَ أَبُو ٱلْخَطَّارِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ لِأَرْبَعِ سِنِينَ وَتِسْعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ وِلَايَتِهِ ، وَقَدِمَ مَكَانَهُ ثَوَابَةُ بْنُ سَلَامَةَ ٱلْجُذَامِيُّ ، وَهَاجَتِ ٱلْحَرْبُ ٱلْمَشْهُورَةُ ، وَخَاطَبُوا بِذَلِكَ عَبْدَ ٱلرَّحْمَنِ بْنَ حَبِيبٍ صَاحِبَ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَكَتَبَ إِلَى ثَوَابَةَ بِعَهْدِهِ عَلَى ٱلْأَنْدَلُسِ مُنْسَلَخَ رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ ، فَضَبَطَ ٱلْأَنْدَلُسَ ، وَقَامَ بِأَمْرِهِ ٱلصُّمَيْلُ وَٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ ٱلْفَرِيقَانِ ، وَهَلَكَ لِسَنَةٍ مِنْ وِلَايَتِهِ ، وَوَقَعَ ٱلْخِلَافُ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، وَٱلْتَاثَ(١) أَمْرُ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْمَشْرِقِ ، وَشُغِلُوا عَنْ قَاصِيَةِ ٱلثُّغُورِ بِكَثْرَةِ ٱلْخَوَارِجِ ، وَعَظُمَ أَمْرُ ٱلْمُسَوِّدَةِ(٢) فَبَقِيَ أَهْلُ ٱلْأَنْدَلُسِ فَوْضَى ، وَنَصَبُوا لِلْأَحْكَامِ خَاصَّةً عَبْدَ ٱلرَّحْمَنِ بْنَ كَثِيرٍ ، ثُمَّ ٱتَّفَقَ جُنْدُ ٱلْأَنْدَلُسِ عَلَى ٱقْتِسَامِ ٱلْإِمَارَةِ بَيْنَ ٱلْمُضَرِيَّةِ وَٱلْيَمَانِيَّةِ ، وَإِدَالَتِهَا بَيْنَ ٱلْجُنْدَيْنِ سَنَةً لِكُلِّ دَوْلَةٍ ، وَقَدَّمَ ٱلْمُضَرِيَّةُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ يُوسُفَ بْنَ عَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلْفِهْرِيَّ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ ، وَٱسْتَتَمَّ سَنَةَ وِلَايَتِهِ بِقُرْطُبَةَ دَارِ ٱلْإِمَارَةِ ، ثُمَّ وَافَتْهُ ٱلْيَمَانِيَّةُ لِمِيعَادِ دَالَتِهِم(٣)

(١) أي فسد واختلط واضطرب (٢) يعني الداعين الى بني العباس (١) أي دولتهم

وَاثِقِينَ بِمَكَانِ عَهْدِهِمْ ، وَتَرَاضِيهِمْ وَاتِّفَاقِهِمْ ، فَبَيَّتَهُمْ يُوسُفُ بِمَكَانِ نُزُولِهِمْ مِنْ شَقَنْدَةَ فِي قُرَى قُرْطُبَةَ بِمُمَالَأَةٍ[1] مِنَ الصُّمَيْلِ بْنِ حَاتِمٍ وَالْقَيْسِيَّةِ وَسَائِرِ الْمُضَرِيَّةِ فَاسْتَلْحَمُوهُمْ[2] ، وَثَارَ أَبُو الْخَطَّارِ فَقَاتَلَهُ الصُّمَيْلُ وَهَزَمَهُ وَقَتَلَهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ ، وَاسْتَبَدَّ يُوسُفُ بِمَا وَرَاءَ الْبَحْرِ مِنْ عُدْوَةِ الْأَنْدَلُسِ ، وَغَلَبَ الْيَمَنِيَّةَ عَلَى أَمْرِهِمْ ، فَاسْتَكَانُوا لِغَلَبِهِ ، وَتَرَبَّصُوا الدَّوَائِرَ إِلَى أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّاخِلُ ، وَكَانَ يُوسُفُ وَلَّى الصُّمَيْلَ سَرَقُسْطَةَ ، فَلَمَّا ظَهَرَ أَمْرُ الْمُسَوِّدَةِ بِالْمَشْرِقِ ثَارَ الْحُبَابُ الزُّهْرِيُّ بِالْأَنْدَلُسِ دَاعِيًا لَهُمْ وَحَاصَرَ الصُّمَيْلَ بِسَرَقُسْطَةَ ، وَاسْتَمَدَّ يُوسُفَ فَلَمْ يُمِدَّهُ رَجَاءَ هَلَاكِهِ لِمَا كَانَ يَغَصُّ بِهِ ، وَأَمَدَّتْهُ الْقَيْسِيَّةُ فَأَفْرَجَ عَنْهُ الْحُبَابُ ، وَفَارَقَ الصُّمَيْلُ سَرَقُسْطَةَ فَمَلَكَهَا الْحُبَابُ ، وَوَلَّى يُوسُفُ الصُّمَيْلَ عَلَى طُلَيْطُلَةَ إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاخِلِ مَا كَانَ . انْتَهَى كَلَامُ وَلِيِّ الدِّينِ بْنِ خَلْدُونٍ بِبَعْضِ اخْتِصَارٍ .

---

(١) الممالأة : المساعدة (٢) استلحموهم : أرهقوهم فى القتال .

***

دخول موسى ابن نصير الأندلس

« وَقَالَ بَعْضُ ٱلْمُؤَرِّخِينَ » إِنَّ عَبْدَ ٱللهِ بْنَ مَرْوَانَ أَخَا عَبْدِ ٱلْمَلِكِ كَانَ وَالِياً عَلَى مِصْرَ وَإِفْرِيقِيَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ ٱبْنُ أَخِيهِ ٱلْوَلِيدُ ٱلْخَلِيفَةُ يَأْمُرُهُ بِإِرْسَالِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ، وَذٰلِكَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ لِلْهِجْرَةِ، فَٱمْتَثَلَ أَمْرَهُ فِي ذٰلِكَ. وَقَالَ ٱلْحُمَيْدِيُّ فِي جَذْوَةِ ٱلْمُقْتَبِسِ : إِنَّ مُوسَى ٱبْنَ نُصَيْرٍ وَلِيَ إِفْرِيقِيَّةَ وَٱلْمَغْرِبَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ، فَقَدِمَهَا وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْجُنْدِ، فَبَلَغَهُ أَنَّ بِأَطْرَافِ ٱلْبِلَادِ مَنْ هُوَ خَارِجٌ عَنِ ٱلطَّاعَةِ، فَوَجَّهَ وَلَدَهُ عَبْدَ ٱللهِ فَأَتَاهُ بِمِائَةِ أَلْفِ رَأْسٍ مِنَ ٱلسَّبَايَا، ثُمَّ وَلَدَهُ مَرْوَانَ إِلَى جِهَةٍ أُخْرَى، فَأَتَاهُ بِمِائَةِ أَلْفِ رَأْسٍ. وَقَالَ ٱللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ : بَلَغَ ٱلْخُمْسُ سِتِّينَ أَلْفَ رَأْسٍ. وَقَالَ ٱلصَّفَدِيُّ : لَمْ يُسْمَعْ فِي ٱلْإِسْلَامِ بِمِثْلِ سَبَايَا مِنْ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ، وَوَجَدَ أَكْثَرَ مُدُنِ إِفْرِيقِيَّةَ خَالِيَةً لِاخْتِلَافِ أَيْدِي ٱلْبَرْبَرِ عَلَيْهَا، وَكَانَتْ ٱلْبِلَادُ فِي قَحْطٍ شَدِيدٍ، فَأَمَرَ ٱلنَّاسَ بِالصَّوْمِ وَٱلصَّلَاةِ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ ٱلْبَيْنِ، وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى ٱلصَّحْرَاءِ وَمَعَهُ سَائِرُ ٱلْحَيَوَانَاتِ، وَفَرَّقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَوْلَادِهَا، فَوَقَعَ ٱلْبُكَاءُ

وَالصُّرَاخُ وَالضَّجِيجُ ، وَأَقَامَ عَلَى ذٰلِكَ إِلَى مُنْتَصَفِ النَّهَارِ ، ثُمَّ صَلَّى وَخَطَبَ النَّاسَ ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَدْعُو لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ هَـذَا مَقَامٌ لَا يُدْعَى فِيهِ لِغَيْرِ اللّٰهِ تَعَالَى . فَسُقُوا حَتَّى رَوُوا . ثُمَّ خَرَجَ مُوسَى غَازِيًا وَتَتَبَّعَ الْبَرْبَرَ ، وَقَتَلَ فِيهِمْ قَتْلًا ذَرِيعًا ، وَسَبَى سَبْيًا عَظِيمًا ، وَسَارَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى السُّوسِ الْأَدْنَى لَا يُدَافِعُهُ أَحَدٌ . فَلَمَّا رَأَى بَقِيَّةُ الْبَرْبَرِ مَا نَزَلَ بِهِمْ اسْتَأْمَنُوا وَبَذَلُوا لَهُ الطَّاعَةَ ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ وَوَلَّى عَلَيْهِمْ وَالِيًا ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى طَنْجَةَ وَأَعْمَالِهَا مَوْلَاهُ طَارِقَ بْنَ زِيَادٍ الْبَرْبَرِيَّ ، وَيُقَالُ إِنَّهُ مِنَ الصَّدِفِ(١) ، وَتَرَكَ عِنْـدَهُ تِسْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ

(١) الصدف . بطن من كندة : واختلفوا في اسم الصدف ، فقيل هو مالك ابن سهيل بن عمرو بن قيس ، وقيل عمرو بن مالك . وسمى الصدف لأنه صدف بوجهه عن قومه حين أتاهم سيل العرم فأجمعوا على ردمه فصدف عنهم الى حضر موت ، وقيل غير ذلك . وأكثرهم كان بمصر و بلاد المغرب ومنهم يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة الصدفي المصري الفقيه الشافعي المحدث العالم الأخباري توفي سنة ٢٦٤ بمصر . وتوفي أبوه عبد الأعلى سنة ٢٠١ وابنه أحمد بن يونس صاحب تاريخ مصر توفي سنة ٣٠٢ وحفيده عبد الرحمن بن أحمد كان محدثا مؤرخا جمع لمصر تاريخين مفيدين توفي بمصر سنة ٣٤٧

ٱلْبَرْبَرِ بِالْأَسْلِحَةِ وَٱلْعُدَّةِ ٱلْكَامِلَةِ ، وَكَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ ، وَتَرَكَ مُوسَى عِنْدَهُمْ خَلْقًا يَسِيرًا مِنَ ٱلْعَرَبِ لِيُعَلِّمُوا ٱلْبَرْبَرَ ٱلْقُرْآنَ وَفَرَائِضَ ٱلْإِسْلَامِ ، وَرَجَعَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ وَلَمْ يَبْقَ بِالْبِلَادِ مَنْ يُنَازِعُهُ مِنَ ٱلْبَرْبَرِ وَلَا مِنَ ٱلرُّومِ ، وَلَمَّا ٱسْتَقَرَّتْ لَهُ ٱلْقَوَاعِدُ كَتَبَ إِلَى طَارِقٍ وَهُوَ بِطَنْجَةَ يَأْمُرُهُ بِغَزْوِ بِلَادِ ٱلْأَنْدَلُسِ ، فَغَزَاهَا فِي ٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ ٱلْبَرْبَرِ خَلَا ٱثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ، وَصَعِدَ عَلَى ٱلْجَبَلِ ٱلْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ خَامِسَ رَجَبٍ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ . وَذُكِرَ عَنْ طَارِقٍ أَنَّهُ كَانَ نَائِمًا فِي ٱلْمَرْكَبِ وَقْتَ ٱلتَّعْدِيَةِ فَرَأَى ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ بِالرِّفْقِ بِالْمُسْلِمِينَ وَٱلْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ . هٰكَذَا ذَكَرَ ٱبْنُ بَشْكُوَالَ . وَقِيلَ : إِنَّ مُوسَى نَدِمَ عَلَى تَأَخُّرِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ طَارِقًا إِنْ فَتَحَ شَيْئًا نُسِبَ ٱلْفَتْحُ إِلَيْهِ دُونَهُ ، فَأَخَذَ فِي جَمْعِ ٱلْعَسَاكِرِ ، وَوَلَّى عَلَى ٱلْقَيْرَوَانِ ٱبْنَهُ عَبْدَ ٱللهِ ، وَتَبِعَ طَارِقًا فَلَمْ يُدْرِكْهُ إِلَّا بَعْدَ ٱلْفَتْحِ . وَقَالَ بَعْضُ ٱلْعُلَمَاءِ : إِنَّ

مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ كَانَ عَاقِلًا شُجَاعًا كَرِيمًا تَقِيًّا لِلّٰهِ تَعَالَى ، وَلَمْ يُهْزَمْ لَهُ قَطُّ جَيْشٌ ، وَكَانَ وَالِدُهُ نُصَيْرٌ عَلَى جُيُوشِ مُعَاوِيَةَ وَمَنْزِلَتُهُ لَدَيْهِ مَكِينَةٌ ، وَلَمَّا خَرَجَ مُعَاوِيَةُ لِصِفِّينَ لَمْ يَخْرُجْ مَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا مَنَعَكَ مِنَ الْخُرُوجِ مَعِي وَلِي عِنْدَكَ يَدٌ لَمْ تُكَافِئْنِي عَلَيْهَا ؟ فَقَالَ : لَمْ يُمْكِنِّي أَنْ أَشْكُرَكَ بِكُفْرِي مَنْ هُوَ أَوْلَى بِشُكْرِي مِنْكَ ، فَقَالَ مَنْ هُوَ ؟ فَقَالَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَأَطْرَقَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ : أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ ، وَرَضِيَ عَنْهُ

***

استخلاف تدمير على الأندلس

« رَجْعٌ إِلَى حَدِيثِ طَارِقٍ » قَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ : كَانَ لُذَرِيقُ مَلِكُ الْأَنْدَلُسِ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا شَخْصًا يُقَالُ لَهُ تُدْمِيرُ ـ وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ تُدْمِيرُ بِالْأَنْدَلُسِ ، فَلَمَّا نَزَلَ طَارِقٌ مِنَ الْجَبَلِ كَتَبَ تُدْمِيرُ إِلَى لُذَرِيقَ : إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِأَرْضِنَا قَوْمٌ لَا نَدْرِي أَمِنَ السَّمَاءِ هُمْ أَمْ مِنَ الْأَرْضِ ؟ فَلَمَّا بَلَغَ لُذَرِيقَ ذَلِكَ ـ وَكَانَ قَصَدَ بَعْضَ الْجِهَاتِ الْبَعِيدَةِ لِغَزْوٍ لَهُ فِي بَعْضِ أَعْدَائِهِ ـ رَجَعَ عَنْ مَقْصِدِهِ فِي سَبْعِينَ أَلْفَ فَارِسٍ

وَمَعَهُ ٱلْعَجَلُ تَحْمِلُ ٱلْأَمْوَالَ وَٱلْمَتَاعَ ، وَهُوَ عَلَى سَرِيرِهِ بَيْنَ دَابَّتَيْنِ ، وَعَلَيْهِ مِظَلَّةٌ مُكَلَّلَةٌ بِالدُّرِّ وَٱلْيَاقُوتِ وَٱلزَّبَرْجَدِ ،

***

خطبة طارق

فَلَمَّا بَلَغَ طَارِقًا دُنُوُّهُ قَامَ فِي أَصْحَابِهِ ، فَحَمِدَ ٱللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ حَثَّ ٱلْمُسْلِمِينَ عَلَى ٱلْجِهَادِ وَرَغَّبَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : « أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ؟ ٱلْبَحْرُ مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَٱلْعَدُوُّ أَمَامَكُمْ(١) ، وَلَيْسَ لَكُمْ وَٱللهِ إِلَّا ٱلصِّدْقُ(٢) وَٱلصَّبْرُ ، وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ فِي هَذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ أَضْيَعُ مِنَ ٱلْأَيْتَامِ فِي مَأْدُبَةِ(٣) ٱللِّئَامِ ، وَقَدِ ٱسْتَقْبَلَكُمْ عَدُوُّكُمْ بِجَيْشِهِ ، وَأَسْلِحَتُهُ وَأَقْوَاتُهُ مَوْفُورَةٌ ، وَأَنْتُمْ لَا وَزَرَ(٤) لَكُمْ

---

(١) روى المؤرخون أن السفن التى نقلت العرب من سبتة الى الجزيرة أربع ، ظلت ذاهبة آئبة يعبر عليها الجند حتى تم توصيلهم جميعا بر الأندلس وكانت تلك السفن ليليان لا للعرب . فاتخذ الأمير طارق من انصرافها وانحصارهم فى جزيرة الأندلس بين عدوين البحر والماء — وسيلة لاستثارة عزائمهم وحثهم على الاستبسال والاستماتة (٢) الصدق فى الحرب أن يبلى المقاتل فيه بلاء عظيما (٣) فى ابن خلكان : مآدب (٤) أى معقل وملجأ

إِلَّا سُيُوفُكُمْ ، وَلَا أَقْوَاتَ لَكُمْ إِلَّا مَا تَسْتَخْلِصُونَهُ مِنْ أَيْدِي عَدُوِّكُمْ ، وَإِنِ امْتَدَّتْ بِكُمُ الْأَيَّامُ عَلَى افْتِقَارِكُمْ ، وَلَمْ تُنْجِزُوا لَكُمْ أَمْرًا ذَهَبَتْ رِيحُكُمْ[١] ، وَتَعَوَّضَتِ الْقُلُوبُ مِنْ رُعْبِهَا مِنْكُمُ الْجُرْأَةَ عَلَيْكُمْ ، فَادْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ خِذْلَانَ هَذِهِ الْعَاقِبَةِ مِنْ أَمْرِكُمْ بِمُنَاجَزَةِ[٢] هَذَا الطَّاغِيَةِ ، فَقَدْ أَلْقَتْ بِهِ إِلَيْكُمْ مَدِينَتُهُ الْحَصِينَةُ ، وَإِنَّ انْتِهَازَ الْفُرْصَةِ فِيهِ لَمُمْكِنٌ إِنْ سَمَحْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ بِالْمَوْتِ ، وَإِنِّي لَمْ أُحَذِّرْكُمْ أَمْرًا أَنَا عَنْهُ بِنَجْوَةٍ[٣] ، وَلَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى خُطَّةٍ أَرْخَصُ مَتَاعٍ فِيهَا النُّفُوسُ أَبْدَأُ[٤] بِنَفْسِي . وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ صَبَرْتُمْ عَلَى

---

(١) من القرآن الكريم : «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» وتطلق الريح على القوة والغلبة والدولة (٢) أى مقاتلة ومدافعة .(٣) النجوة : المكان المرتفع : أى لست بعيدا عما أحذركم بل أنا معكم فيه (٤) هكذا فى كل مراجع الخطبة ، ويظهر أن فى العبارة تحريفا أونقصا بأن يكون الأصل مثلا ... الاوأنا أبدأ بنفسى ، أولم أبدأ ، أولا أبدأ ، أو الا أبدأ . أو يكون الفعل أربأ بنفسى أو أبرأ بنفسى وتكون هذه الجملة حالا من فاعل حملتكم العائد على المتكلم

ٱلْأَشَقِّ قَلِيلًا ، ٱسْتَمْتَعْتُمْ بِالْأَرْفَهِ[١] ٱلْأَلَذِّ طَوِيلًا ، فَلَا تَرْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ نَفْسِي فَمَا حَظُّكُمْ فِيهِ[٢] بِأَوْفَرَ مِنْ حَظِّي ، وَقَدْ بَلَغَكُمْ مَا أَنْشَأَتْ هٰذِهِ ٱلْجَزِيرَةُ مِنَ ٱلْحُورِ ٱلْحِسَانِ مِنْ بَنَاتِ ٱلْيُونَانِ[٣] ٱلرَّافِلَاتِ فِي ٱلدُّرِّ وَٱلْمَرْجَانِ ، وَٱلْحُلَلِ ٱلْمَنْسُوجَةِ بِالْعِقْيَانِ[٤] ٱلْمَقْصُورَاتِ فِي قُصُورِ ٱلْمُلُوكِ ذَوِي ٱلتِّيجَانِ ، وَقَدِ ٱنْتَخَبَكُمُ ٱلْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنَ ٱلْأَبْطَالِ عُرْبَانًا[٥] ، وَرَضِيَكُمْ لِمُلُوكِ هَذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ أَصْهَارًا وَأَخْتَانًا ، ثِقَةً مِنْهُ بِارْتِيَاحِكُمْ لِلطِّعَانِ ، وَٱسْتِمَاحِكُمْ[٦] لِمُجَالَدَةِ[٧] ٱلْأَبْطَالِ وَٱلْفُرْسَانِ ،

(١) رفه عيشه: لان ونعم (٢) ان عاد الضمير الى الجهاد و بذل الروح، فظاهر، وان عاد الى الغنائم التى سيكون للجيش بعد الفتح والانتصار منها حظ أوفر فالظاهر أن العبارة محرفة ، والأصل : فما حظكم أوفى (أو أوفر) (وكذلك الرواية فى ابن خلكان) (٣) ويروى : الرومان (٤) الذهب (٥) ويروى : عزبانا جمع عزب أو عزيب ، وهو من لا زوج له

(٦) قد تكون محرفة عن (اسماحكم) والسماح والسماحة : الجود يقال سمح (كمنع) وأسمح ، أى جاد وأعطى عن كرم وسخاء ، ولم نجدفها بأيدينا من كتب اللغة : افتعل من مادة سمح (ولعلها مسموعة لموازنة استماح لارتياح) وسمح (مثل كرم) صار من أهل السماحة والجود . والمسامحة: المساهلة وتسامحوا : تساهلوا ، وسمح له بحاجته وأسمح ، أى سهل له . والمسامحة : المساهلة فى الطعان والضراب (٧) المجالدة : المضاربة

لِيَكُونَ حَظُّهُ مِنْكُمْ(١) ثَوَابَ ٱللهِ عَلَى إِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ بِهَذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ، وَلِيَكُونَ مَغْنَمُهَا خَالِصَةً(٢) لَكُمْ مِنْ دُونِهِ وَمِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ سِوَاكُمْ، وَٱللهُ تَعَالَى وَلِيُّ إِنْجَادِكُمْ عَلَى مَا يَكُونُ لَكُمْ ذِكْرًا فِي ٱلدَّارَيْنِ. وَٱعْلَمُوا أَنِّي أَوَّلُ مُجِيبٍ إِلَى مَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ، وَأَنِّي عِنْدَ مُلْتَقَى ٱلْجَمْعَيْنِ حَامِلٌ بِنَفْسِي عَلَى طَاغِيَةِ ٱلْقَوْمِ لُذَرِيقَ فَقَاتِلُهُ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى، فَٱحْمِلُوا مَعِي، فَإِنْ هَلَكْتُ بَعْدَهُ فَقَدْ كَفَيْتُكُمْ(٣) أَمْرَهُ، وَلَمْ(٤) يُعْوِزْكُمْ بَطَلٌ عَاقِلٌ تُسْنِدُونَ أُمُورَكُمْ إِلَيْهِ، وَإِنْ هَلَكْتُ قَبْلَ وُصُولِي إِلَيْهِ فَٱخْلُفُونِي(٥) فِي عَزِيمَتِي هَذِهِ، وَٱحْمِلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَلَيْهِ، وَٱكْتَفُوا ٱلْهَمَّ(٦) مِنْ فَتْحِ هَذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ بِقَتْلِهِ، فَإِنَّهُمْ بَعْدَهُ يُخْذَلُونَ». فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ تَحْرِيضِ أَصْحَابِهِ عَلَى ٱلصَّبْرِ فِي قِتَالِ لُذَرِيقَ وَأَصْحَابِهِ وَمَا وَعَدَهُمْ مِنَ ٱلْخَيْرِ

(١) ويروى: معكم (٢) ويروى خالصا (٣) ويروى: كفيتم (٤) رواية ابن خلكان: ولن. ولعلها أولى (٥) أى اخلفونى واعملوا مثلى ونفذوا عزيمتى (٦) وفى رواية بن خلكان: واكتفوا الهم. ويروى: اليهم، ولهم

ٱلْجَزِيلِ ٱنْبَسَطَتْ نُفُوسُهُمْ ، وَتَحَقَّقَتْ آمَالُهُمْ ، وَهَبَّتْ رِيَاحُ ٱلنَّصْرِ عَلَيْهِمْ ، وَقَالُوا لَهُ : قَدْ قَطَعْنَا ٱلْآمَالَ مِمَّا يُخَالِفُ مَا عَزَمْتَ عَلَيْهِ ، فَاحْضُرْ إِلَيْهِ ، فَإِنَّنَا مَعَكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ . فَرَكِبَ وَأَصْحَابُهُ فَبَاتُوا لَيْلَتَهُمْ فِي حَرَسٍ إِلَى ٱلصُّبْحِ . فَلَمَّا أَصْبَحَ ٱلْفَرِيقَانِ تَكَتَّبُوا[١] وَعَبَّأُوا[٢] جُيُوشَهُمْ ، وَحَمَلَ لُذَرِيقُ وَهُوَ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَقَدْ حُمِلَ عَلَى رَأْسِهِ رُوَاقُ دِيبَاجٍ[٣] يُظَلِّلُهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ فِي غَايَةٍ[٤] مِنَ ٱلْبُنُودِ[٥] وَٱلْأَعْلَامِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ ٱلْمُقَاتِلَةُ وَٱلسِّلَاحُ ، وَأَقْبَلَ طَارِقٌ فِي أَصْحَابِهِ عَلَيْهِمُ ٱلزَّرَدُ[٦] ، وَمِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ ٱلْعَمَائِمُ ٱلْبِيضُ ، وَبِأَيْدِيهِمُ ٱلْقِسِيُّ[٧] ٱلْعَرَبِيَّةُ ، وَقَدْ تَقَلَّدُوا ٱلسُّيُوفَ وَٱعْتَقَلُوا ٱلرِّمَاحَ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمْ لُذَرِيقُ حَلَفَ وَقَالَ : إِنَّ هَذِهِ ٱلصُّوَرَ هِيَ ٱلَّتِي رَأَيْنَاهَا بِبَيْتِ ٱلْحِكْمَةِ بِبَلَدِنَا ، فَدَاخَلَهُ مِنْهُمُ ٱلرُّعْبُ . فَلَمَّا

---

(١) أى تجمعوا ، ومنه الكتيبة وهى الجيش العظيم (٢) عبأ الجيوش: رتبهم فى مواضعهم وهيأهم للحرب (٣) الديباج ضرب من الثياب المتخذة من الابريسم ملونة ألوانا (٤) لعلها محرفة عن غابة (بالباء الموحدة) يقال أتوا فى غابة أى فى رماح كثيرة كالشجرة الملتفة حتى تغيب من فيها (٥) البند: العلم الكبير (٦) الزرد : الدروع المزرودة (أى المسرودة المنسوجة) (٧) القسى : جمع قوس وهو ما يرمى به السهام

رَأَى طَارِقٌ لُذَرِيقَ قَالَ : هَذَا طَاغِيَةُ الْقَوْمِ ، فَحَمَلَ وَحَمَلَ أَصْحَابُهُ مَعَهُ ، فَتَفَرَّقَتِ الْمُقَاتِلَةُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ لُذَرِيقَ ، فَخَلَصَ إِلَيْهِ طَارِقٌ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِهِ فَقَتَلَهُ عَلَى سَرِيرِهِ . فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُهُ مَصْرَعَ(١) صَاحِبِهِمُ اقْتَحَمَ الْجَيْشَانِ وَكَانَ النَّصْرُ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ تَقِفْ هَزِيمَةُ الْعَدُوِّ عَلَى مَوْضِعٍ ، بَلْ كَانُوا يُسَلِّمُونَ بَلَدًا بَلَدًا وَمَعْقِلًا(٢) مَعْقِلًا .

***

لحوق ابن نصير بطارق

وَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ بِمَا حَصَلَ مِنَ النُّصْرَةِ لِطَارِقٍ عَبَرَ الْجَزِيرَةَ بِمَنْ مَعَهُ ، وَلَحِقَ بِمَوْلَاهُ طَارِقٍ فَقَالَ لَهُ : يَا طَارِقُ إِنَّهُ لَنْ يُجَازِيَكَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى بَلَائِكَ بِأَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَمْنَحَكَ الْأَنْدَلُسَ ، فَاسْتَبِحْهُ هَنِيئًا مَرِيئًا . فَقَالَ لَهُ طَارِقٌ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَاللهِ لَا أَرْجِعُ عَنْ قَصْدِي هَذَا مَا لَمْ أَنْتَهِ إِلَى الْبَحْرِ الْمُحِيطِ أَخُوضُ فِيهِ بِفَرَسِي - يَعْنِي الْبَحْرَ الشَّمَالِيَّ الَّذِي تَحْتَ بَنَاتِ(٣) نَعْشٍ -

(١) مصرع : مقتل (٢) المعقل : الحصن (٣) بنات نعش الكبرى سبعة كواكب أربعة منها نعش لأنها مربعة وثلاث بنات نعش، وكذلك بنات نعش الصغرى ، وقيل شبهت بحملة نعش فى تربيعها

وَلَمْ يَزَلْ طَارِقٌ يَفْتَحُ وَمُوسَى مَعَهُ إِلَى أَنْ بَلَغَ إِلَى جِلِّيقِيَّةَ(١) وَهِيَ سَاحِلُ ٱلْبَحْرِ ٱلْمُحِيطِ . ٱنْتَهَى .

« وَقَالَ ٱلْحَافِظُ ٱلْحُمِيدِيُّ فِي كِتَابِهِ جَذْوَةِ ٱلْمُقْتَبِسِ »

إِنَّ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ نَقِمَ عَلَى مَوْلَاهُ طَارِقٍ ، إِذْ غَزَا بِغَيْرِ إِذْنِهِ وَهَمَّ بِقَتْلِهِ ، ثُمَّ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ ٱلْوَلِيدِ بِإِطْلَاقِهِ فَأَطْلَقَهُ وَخَرَجَ مَعَهُ إِلَى ٱلشَّامِ . ٱنْتَهَى .

***

بيت حكمة اليونان

وَقَوْلُ لُذَرِيقَ : إِنَّ هَذِهِ ٱلصُّوَرَ هِيَ ٱلَّتِي رَأَيْنَاهَا فِي بَيْتِ ٱلْحِكْمَةِ الخ — أَشَارَ بِهِ إِلَى بَيْتِ حِكْمَةِ ٱلْيُونَانِ ، وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ فِيمَا حَكَى بَعْضُ عُلَمَاءِ ٱلتَّارِيخِ : أَنَّ ٱلْيُونَانَ — وَهُمْ ٱلطَّائِفَةُ ٱلْمَشْهُورَةُ بِالْحِكَمِ — كَانُوا يَسْكُنُونَ بِلَادَ ٱلشَّرْقِ قَبْلَ عَهْدِ ٱلإِسْكَنْدَرِ ، فَلَمَّا ظَهَرَتِ ٱلْفُرْسُ وَٱسْتَوْلَتْ عَلَى ٱلْبِلَادِ ، وَزَاحَمَتْ ٱلْيُونَانَ عَلَى مَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ ٱلْمَمَالِكِ ، ٱنْتَقَلَ ٱلْيُونَانُ إِلَى جَزِيرَةِ ٱلْأَنْدَلُسِ ، لِكَوْنِهَا طَرَفاً فِي آخِرِ ٱلْعِمَارَةِ ، وَلَمْ

(١) شمالى الأندلس فى أقصاه من جهة الغرب

يَكُنْ لَهَا ذِكْرٌ إِذْ ذَاكَ ، وَلَا مَلَكَهَا أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُلُوكِ ٱلْمُعْتَبَرَةِ ، وَلَمْ تَكُ عَامِرَةً ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَمَّرَ فِيهَا وَٱخْتَطَّهَا أَنْدَلُسُ بْنُ يَافِثَ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَسُمِّيَتْ بِٱسْمِهِ ، وَلَمَّا عُمِرَتْ ٱلْأَرْضُ بَعْدَ ٱلطُّوفَانِ كَانَتِ ٱلصُّورَةُ ٱلْمَعْمُورَةُ مِنْهَا عِنْدَهُمْ عَلَى شَكْلِ طَائِرٍ رَأْسُهُ ٱلْمَشْرِقُ ، وَٱلْجَنُوبُ وَٱلشَّمَالُ رِجْلَاهُ ، وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْنُهُ ، وَٱلْمَغْرِبُ ذَنَبُهُ ، وَكَانُوا يَزْدَرُونَ ٱلْمَغْرِبَ لِنِسْبَتِهِ إِلَى أَخَسِّ أَجْزَاءِ ٱلطَّيْرِ . وَكَانَتِ ٱلْيُونَانُ لَاتَرَى فَنَاءَ ٱلْامَمِ إِلَّا بِٱلْحُرُوبِ ، لِمَا فِيهَا مِنَ ٱلْأَضْرَارِ وَٱلِاشْتِغَالِ عَنِ ٱلْعُلُومِ ٱلَّتِي كَانَ ٱلِاشْتِغَالُ بِهَا عِنْدَهُمْ مِنْ أَهَمِّ ٱلْأُمُورِ ، فَلِذَلِكَ ٱنْحَازُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيِ ٱلْفُرْسِ إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ ، فَلَمَّا صَارُوا إِلَيْهَا أَقْبَلُوا عَلَى عِمَارَتِهَا ، فَشَقُّوا ٱلْأَنْهَارَ، وَبَنَوُا ٱلْمَعَاقِلَ ، وَغَرَسُوا ٱلْجِنَانَ وَٱلْكُرُومَ ، وَشَيَّدُوا ٱلْأَمْصَارَ ، وَمَلَأُوهَا حَرْثًا وَنَسْلًا وَبُنْيَانًا ،

فَعَظُمَتْ وَطَابَتْ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ لَمَّا رَأَى بَهْجَتَهَا : إِنَّ الطَّائِرَ الَّذِى صُوِّرَتْ هَذِهِ الْعِمَارَةُ عَلَى شَكْلِهِ ، وَكَأَنَّ الْمَغْرِبَ ذَنَبُهُ، كَانَ طَاوُوسًا مُعْظَمُ جَمَالِهِ فِي ذَنَبِهِ

« وَحُكِيَ » أَنَّ الرَّشِيدَ هٰرُونَ ـ رَحِمَهُ اللّٰهُ ـ لَمَّا حَضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ قَالَ الرَّشِيدُ : يُقَالُ إِنَّ الدُّنْيَا بِمَثَابَةِ طَائِرٍ ذَنَبُهُ الْمَغْرِبُ !؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : صَدَقُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،وَإِنَّهُ طَاوُوسٌ ، فَضَحِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ، وَتَعَجَّبَ مِنْ سُرْعَةِ جَوَابِ الرَّجُلِ وَانْتِصَارِهِ لِقُطْرِهِ

***

طليطلة دار الحكمة والملك

« رَجْعٌ » قَالَ فَاغْتَبَطَ الْيُونَانُ بِالْأَنْدَلُسِ أَتَمَّ اغْتِبَاطٍ ، وَاتَّخَذُوا دَارَ الْحِكْمَةِ وَالْمُلْكِ بِهَا طُلَيْطُلَةَ ، لِأَنَّهَا أَوْسَطُ الْبِلَادِ ، وَكَانَ أَهَمَّ الْأُمُورِ عِنْدَهُمْ تَحْصِينُهَا عَمَّنْ يَتَّصِلُ بِهِ خَبَرُهَا مِنَ الْأُمَمِ ، فَنَظَرُوا فَإِذَا هُوَ أَنَّهُ لَا يَحْسُدُهُمْ عَلَى رَغَدِ الْعَيْشِ إِلَّا أَرْبَابُ الشَّظَفِ(١) وَالشَّقَاءِ وَالتَّعَبِ ؛ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ طَائِفَتَانِ : الْعَرَبُ ، وَالْبَرْبَرُ ، فَخَافُوهُمْ عَلَى جَزِيرَتِهِمْ

(١) الشظف : الضيق وخشونة العيش وشدته

ٱلْعَامِرَةِ ، فَعَزَمُوا عَلَى أَنْ يَتَّخِذُوا لِهٰذَيْنِ ٱلْجِنْسَيْنِ مِنَ ٱلنَّاسِ طِلَّسْمًا ، فَرَصَدُوا لِذَلِكَ أَرْصَادًا ، وَلَمَّا كَانَ ٱلْبَرْبَرُ بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ ، وَلَيْسَ سِوَى تَعْدِيَةِ ٱلْبَحْرِ ، وَيَرِدُ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ طَوَائِفُ مُنْحَرِفَةُ ٱلطِّبَاعِ خَارِجَةٌ عَنِ ٱلْأَوْضَاعِ ، ٱزْدَادُوا مِنْهُمْ نُفُورًا ، وَأَكْثَرُ تَحَذُّرِهِمْ مِنْ نَسَبٍ أَوْ مُجَاوَرَةٍ ، حَتَّى ثَبَتَ ذَلِكَ فِي طِبَاعِهِمْ ، وَصَارَ بَعْضُهُ مُرَكَّبًا فِي غَرَائِزِهِمْ . فَلَمَّا عَلِمَ ٱلْبَرْبَرُ عَدَاوَةَ أَهْلِ ٱلْأَنْدَلُسِ وَبُغْضَهُمْ لَهُمْ أَبْغَضُوهُمْ وَحَسَدُوهُمْ ، فَلَمْ تَجِدْ أَنْدَلُسِيًّا إِلَّا مُبْغِضًا بَرْبَرِيًّا ، وَبِالْعَكْسِ ، إِلَّا أَنَّ ٱلْبَرْبَرَ أَحْوَجُ إِلَى أَهْلِ ٱلْأَنْدَلُسِ لِوُجُودِ بَعْضِ ٱلْأَشْيَاءِ عِنْدَهُمْ وَفَقْدِهَا بِبِلَادِ ٱلْبَرْبَرِ ،

***

حيرة ملك اليونان وحكمة ابنته

وَكَانَ بِنَوَاحِي غَرْبِ ٱلْأَنْدَلُسِ مَلِكٌ يُونَانِيٌّ بِجَزِيرَةٍ يُقَالُ لَهَا قَادِسُ ، وَكَانَتْ لَهُ ٱبْنَةٌ فِي غَايَةِ ٱلْجَمَالِ ، فَتَسَامَعَ بِهَا مُلُوكُ ٱلْأَنْدَلُسِ . وَكَانَتِ ٱلْأَنْدَلُسُ كَثِيرَةَ ٱلْمُلُوكِ ، لِكُلِّ بَلْدَةٍ أَوْ بَلْدَتَيْنِ مَلِكٌ ، فَخَطَبُوهَا ، وَخَشِيَ أَبُوهَا إِنْ زَوَّجَهَا مِنْ

وَاحِدٍ أَسْخَطَ الْبَاقِينَ ، فَتَحَيَّرَ وَأَحْضَرَ ابْنَتَهُ - وَكَانَت الْحِكْمَةُ مُرَكَّبَةً فِي طِبَاعِ الْقَوْمِ ذُكُورِهِمْ وَإِنَاثِهِمْ ، وَلِذَا قِيلَ: إِنَّ الْحِكْمَةَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى ثَلاثَةِ أَعْضَاءٍ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ : أَدْمِغَةِ الْيُونَانِ ، وَأَيْدِي أَهْلِ الصِّينِ ، وَأَلْسِنَةِ الْعَرَبِ - فَقَالَ لَهَا : يَابُنَيَّةُ إِنِّي أَصْبَحْتُ عَلَى حَيْرَةٍ فِي أَمْرِكِ مِمَّنْ يَخْطُبُكِ مِنَ الْمُلُوكِ ، وَمَا أَرْضَيْتُ وَاحِدًا إِلَّا أَسْخَطْتُ الْبَاقِينَ ، فَقَالَتْ لَهُ : اجْعَلِ الْأَمْرَ إِلَيَّ تَخْلُصْ ، فَقَالَ : وَمَا تَقْتَرِحِينَ ؟ فَقَالَتْ : أَنْ يَكُونَ مَلِكاً حَكِيماً ، فَقَالَ : نِعْمَ مَا اخْتَرْتِهِ لِنَفْسِكِ . فَكَتَبَ فِي أَجْوِبَةِ الْمُلُوكِ الْخُطَّابِ : إِنَّهَا اخْتَارَتْ مِنَ الْأَزْوَاجِ الْمَلِكَ الْحَكِيمَ . فَلَمَّا وَقَفُوا عَلَى الْجَوَابِ سَكَتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ حَكِيماً ، وَكَانَ فِي الْمُلُوكِ الْخَاطِبِينَ حَكِيمَانِ ، فَكَتَبَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَا الْمَلِكُ الْحَكِيمُ . فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى كِتَابَيْهِمَا قَالَ لَهَا : يَابُنَيَّةُ بَقِيَ الْأَمْرُ عَلَى إِشْكَالٍ ، وَهٰذَانِ مَلِكَانِ حَكِيمَانِ أَيُّهُمَا أَرْضَيْتُ أَسْخَطْتُ الْآخَرَ ، فَقَالَتْ سَأَقْتَرِحُ عَلَى كُلٍّ

وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَمْرًا يَأْتِي بِهِ ، أَيُّهُمَا سَبَقَ إِلَى ٱلْفَرَاغِ مِمَّا ٱلْتَمَسْتُ كُنْتُ زَوْجَتَهُ . قَالَ : وَمَا ٱلَّذِي تَقْتَرِحِينَ عَلَيْهِمَا ؟ قَالَتْ : إِنَّا سَاكِنُونَ بِهَذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ وَمُحْتَاجُونَ إِلَى أَرْحِي[1] تَدُورُ بِهَا ، وَإِنِّي مُقْتَرِحَةٌ عَلَى أَحَدِهِمَا إِدَارَتَهَا بِالْمَاءِ ٱلْعَذْبِ ٱلْجَارِي إِلَيْهَا مِنْ ذَلِكَ ٱلْبَرِّ ، وَمُقْتَرِحَةٌ عَلَى ٱلْآخَرِ أَنْ يَتَّخِذَ لِي طِلَّسْمًا نُحَصِّنُ بِهِ جَزِيرَةَ ٱلْأَنْدَلُسِ مِنَ ٱلْبَرْبَرِ ، فَاسْتَظْرَفَ[2] أَبُوهَا ذَلِكَ ، وَكَتَبَ إِلَى ٱلْمَلِكَيْنِ بِمَا قَالَتِ ٱبْنَتُهُ ، فَأَجَابَاهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَتَقَاسَمَاهُ عَلَى مَا ٱخْتَارَا ، وَشَرَعَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي عَمَلِ مَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ

***

فَأَمَّا صَاحِبُ ٱلرَّحِيِّ فَإِنَّهُ عَمَدَ إِلَى أَشْكَالٍ ٱتَّخَذَهَا مِنَ ٱلْحِجَارَةِ ، نَضَّدَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ فِي ٱلْبَحْرِ ٱلْمَالِحِ ٱلَّذِي بَيْنَ جَزِيرَةِ ٱلْأَنْدَلُسِ وَٱلْبَرِّ ٱلْكَبِيرِ ، فِي ٱلْمَوْضِعِ ٱلْمَعْرُوفِ بِزُقَاقِ سَبْتَةَ ، وَسَدَّدَ ٱلْفُرَجَ ٱلَّتِي بَيْنَ ٱلْحِجَارَةِ بِمَا ٱقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ ، عمل الرحى

---

(١) أرحي جمع رحى وهي الطاحون وتجمع على أرح وأرحاء ورحيّ ولعلها هنا : رحيّ (٢) وقد يكون استطرف (بالطاء المهملة)

وَأَوْصَلَ تِلْكَ الْحِجَارَةَ مِنَ الْبَرِّ إِلَى الْجَزِيرَةِ - وَآثَارُهُ بَاقِيَةٌ إِلَى الْيَوْمِ فِي الزُّقَاقِ الَّذِي بَيْنَ سَبْتَةَ وَالْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ ، وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ يَزْعُمُونَ أَنَّ هٰذَا أَثَرُ قَنْطَرَةٍ كَانَ الْإِسْكَنْدَرُ قَدْ عَمِلَهَا لِيَعْبُرَ عَلَيْهَا النَّاسُ مِنْ سَبْتَةَ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ أَيُّ الْقَوْلَيْنِ أَصَحُّ ؟ غَيْرَ أَنَّ الشَّائِعَ إِلَى الْآنَ عِنْدَ النَّاسِ هُوَ الثَّانِي - . فَلَمَّا تَمَّ تَنْضِيدُ الْحِجَارَةِ لِلْمَلِكِ الْحَكِيمِ ، جَلَبَ الْمَاءَ الْعَذْبَ مِنْ جَبَلٍ عَالٍ فِي الْبَرِّ الْكَبِيرِ ، وَسَلَّطَهُ مِنْ سَاقِيَةٍ مُحْكَمَةٍ ، وَبَنَى بِجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ رَحًى عَلَى هٰذِهِ السَّاقِيَةِ .

***

عمل الطلسم

وَأَمَّا صَاحِبُ الطِّلَّسْمِ فَإِنَّهُ أَبْطَأَ عَمَلُهُ بِسَبَبِ انْتِظَارِ الرَّصَدِ الْمُوَافِقِ لِعَمَلِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ عَمِلَ أَمْرَهُ وَأَحْكَمَهُ ، وَابْتَنَى بُنْيَانًا مُرَبَّعًا مِنْ حَجَرٍ أَبْيَضَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، فِي رَمْلٍ عَالِجٍ (١) حَفَرَ أَسَاسَهُ إِلَى أَنْ جَعَلَهُ تَحْتَ الْأَرْضِ بِمِقْدَارِ ارْتِفَاعِهِ فَوْقَ الْأَرْضِ لِيَثْبُتَ ، فَلَمَّا انْتَهَى الْبِنَاءُ الْمُرَبَّعُ إِلَى حَيْثُ اخْتَارَ صَوَّرَ

(١) عالج الرمل : ماتراكم منه ودخل بعضه فى بعض ، وتعلج الرمل : اجتمع

مِنَ ٱلنُّحَاسِ ٱلْأَحْمَرِ وَٱلْحَدِيدِ ٱلْمُصَفَّى ٱلْمَخْلُوطَيْنِ بِأَحْكَمِ ٱلْخَلْطِ صُورَةَ رَجُلٍ بَرْبَرِيٍّ وَلَهُ لِحْيَةٌ ، وَفِي رَأْسِهِ ذُؤَابَةٌ مِنْ شَعَرٍ جَعْدٍ[١] قَائِمَةٌ فِي رَأْسِهِ لِجُعُودَتِهَا، وَهُوَ مُتَأَبِّطٌ بِصُورَةِ كِسَاءٍ ، قَدْ جَمَعَ طَرَفَيْهِ عَلَى يَدِهِ ٱلْيُسْرَى بِأَلْطَفِ تَصْوِيرٍ وَأَحْكَمِهِ ، فِي رِجْلِهِ نَعْلٌ ، وَهُوَ قَائِمٌ مِنْ رَأْسِ ٱلْبِنَاءِ عَلَى مُسْتَهْدَفٍ[٢] بِمِقْدَارِ رِجْلَيْهِ فَقَطْ ، وَهُوَ شَاهِقٌ[٣] فِي ٱلْهَوَاءِ طُولُهُ نَيِّفَ عَنْ سِتِّينَ أَوْ سَبْعِينَ ذِرَاعًا ، وَهُوَ مُحْدَوْدِبُ ٱلْأَعْلَى إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ مَا سَعَتُهُ قَدْرُ ذِرَاعٍ ، وَقَدْ مَدَّ يَدَهُ ٱلْيُمْنَى بِمِفْتَاحِ قُفْلٍ قَابِضٍ عَلَيْهِ، مُشِيرًا إِلَى ٱلْبَحْرِ كَأَنَّهُ يَقُولُ : لَا عُبُورَ . وَكَانَ مِنْ تَأْثِيرِ هٰذَا ٱلطِّلَّسْمِ فِي ٱلْبَحْرِ ٱلَّذِي تُجَاهَهُ أَنَّهُ لَمْ يُرَ قَطُّ سَاكِنًا ، وَلَا كَانَتْ تَجْرِي فِيهِ قَطُّ سَفِينَةُ بَرْبَرٍ إِلَّا سَقَطَ ٱلْمِفْتَاحُ مِنْ يَدِهِ . وَكَانَ ٱلْمَلِكَانِ ٱللَّذَانِ عَمِلَا ٱلرُّحِيَّ وَٱلطِّلَّسْمَ يَتَسَابَقَانِ إِلَى فَرَاغِ

(١) الجعد : خلاف السبط أو القصير ، وسبوطة الشعر هى الغالبة على شعور غير العرب من الروم والفرس ، وجعودة الشعر هى الغالبة على شعور العرب ونحوهم
(٢) أى مكان عال مشرف (٣) شاهق : عال ومرتفع

اُلْعَمَلِ – إِذْ بِالسَّبْقِ يَسْتَحِقُّ زَوَاجَ اُلْمَرْأَةِ –

***

فوز صاحب الرحى وموت صاحب الطلسم

وَكَانَ صَاحِبُ اُلرَّحِيِّ فَرَغَ أَوَّلًا ، لَكِنَّهُ(١) أَخْفَى أَمْرَهُ عَلَى صَاحِبِ اُلطِّلَّسْمِ ، لِئَلَّا يَتْرُكَ عَمَلَهُ فَيَبْطُلَ اُلطِّلَّسْمُ ، لِتَحْظَى اُلْمَرْأَةُ بِالرَّحِيِّ وَاُلطِّلَّسْمِ ، فَلَمَّا عَلِمَ بِالْيَوْمِ اُلَّذِى يَفْرُغُ صَاحِبُ اُلطِّلَّسْمِ فِي آخِرِهِ ، أَجْرَى اُلْمَاءَ فِي اُلْجَزِيرَةِ مِنْ أَوَّلِهِ ، وَأَدَارَ اُلرَّحِيَّ ، وَاُشْتَهَرَ ذَلِكَ ، فَاتَّصَلَ اُلْخَبَرُ بِصَاحِبِ اُلطِّلَّسْمِ وَهُوَ فِي أَعْلَى اُلْقُبَّةِ يَصْقُلُ وَجْهَهُ(٢) – وَكَانَ اُلطِّلَّسْمُ مُذَهَّبًا – فَلَمَّا تَحَقَّقَ أَنَّهُ مَسْبُوقٌ ضَعُفَتْ نَفْسُهُ ، فَسَقَطَ مِنْ أَعْلَى اُلْبِنَاءِ مَيِّتًا(٣) ، وَحَصَلَ صَاحِبُ اُلرَّحِيِّ عَلَى اُلْمَرْأَةِ وَاُلرَّحِيِّ وَاُلطِّلَّسْمِ . وَكَانَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ مُلُوكِ اُلْيُونَانِ يَخْشَى عَلَى اُلْأَنْدَلُسِ مِنَ اُلْبَرْبَرِ لِلسَّبَبِ اُلَّذِى قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ ، فَاتَّفَقُوا وَجَعَلُوا اُلطِّلَّسْمَاتِ فِي أَوْقَاتٍ اُخْتَارُوا أَرْصَادَهَا ، وَأَوْدَعُوا تِلْكَ اُلطِّلَّسْمَاتِ تَابُوتًا مِنَ اُلرُّخَامِ

(٢) الظاهر أن الذى أخفى الأمر على صاحب الطلسم هو الملك أبو الفتاة

(١) أى يصقل وجه الطلسم (٣) وقيل إنه ألقى بنفسه من أعلى الموضع الذى عليه الطلسم

وَتَرَكُوهُ فِي بَيْتٍ بِطُلَيْطُلَةَ ، وَرَكَّبُوا عَلَى ذَلِكَ ٱلْبَابِ قُفْلًا ، تَأْكِيدًا لِحِفْظِ ذَلِكَ ٱلْبَيْتِ ، فَاسْتَمَرَّ أَمْرُهُمْ عَلَى ذَلِكَ(١) .

***

دخول العرب والبربر الأندلس

وَلَمَّا حَانَ وَقْتُ ٱنْقِرَاضِ دَوْلَةِ مَنْ كَانَ بِالْأَنْدَلُسِ وَدُخُولِ ٱلْعَرَبِ وَٱلْبَرْبَرِ إِلَيْهَا ، وَذَلِكَ بَعْدَ مُضِيِّ سِتَّةٍ وَعِشْرِينَ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِهِمْ مِنْ تَارِيخِ عَمَلِ ٱلطِّلَّسْمَاتِ بِطُلَيْطُلَةَ ، وَكَانَ لُذَرِيقُ ٱلْمَذْكُورُ آنِفًا هُوَ تَمَامَ ٱلسَّابِعِ وَٱلْعِشْرِينَ مِنْ مُلُوكِهِمْ ، فَلَمَّا ٱقْتَعَدَ أَرِيكَةَ ٱلْمُلْكِ قَالَ لِوُزَرَائِهِ وَخَوَاصِّ دَوْلَتِهِ وَأَهْلِ ٱلرَّأْيِ مِنْهُمْ : قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ أَمْرِ هَذَا ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِي عَلَيْهِ سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ قُفْلًا شَيْءٌ ، وَأُرِيدُ أَنْ أَفْتَحَهُ لِأَنْظُرَ مَا فِيهِ لِأَنَّهُ لَمْ يُعْمَلْ عَبَثًا ، فَقَالُوا : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ صَدَقْتَ ، إِنَّهُ لَمْ يُصْنَعْ عَبَثًا ، وَلَمْ يُقْفَلْ سُدًى ، وَٱلرَّأْيُ وَٱلْمَصْلَحَةُ أَنْ تُلْقِيَ أَنْتَ أَيْضًا عَلَيْهِ قُفْلًا أُسْوَةً(٢) بِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنَ ٱلْمُلُوكِ ، وَكَانَ آبَاؤُكَ وَأَجْدَادُكَ لَمْ يُهْمِلُوا هَذَا

(١) هذه الأخبار موضع بحث ونظر لدى التاريخ (٢) أسوة : قدوة

فَلَا تُهْمِلْهُ وَسِرْ سَيْرَهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ نَفْسِي تُنَازِعُنِي إِلَى فَتْحِهِ وَلَا بُدَّ لِي مِنْهُ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنْ كُنْتَ تَظُنُّ أَنَّ فِيهِ مَالًا فَقَدِّرْهُ وَنَحْنُ نَجْمَعُ لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا نَظِيرَهُ ، وَلَا تُحْدِثْ عَلَيْنَا بِفَتْحِهِ حَادِثًا لَا نَعْرِفُ عَاقِبَتَهُ ، فَأَصَرَّ عَلَى ذَلِكَ ـ وَكَانَ رَجُلًا مَهِيبًا ـ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى مُرَاجَعَتِهِ ، وَأَمَرَ بِفَتْحِ الْأَقْفَالِ ، وَكَانَ عَلَى كُلِّ قُفْلٍ مِفْتَاحُهُ مُعَلَّقًا ، فَلَمَّا فَتَحَ الْبَابَ لَمْ يَرَ فِي الْبَيْتِ شَيْئًا إِلَّا مَائِدَةً عَظِيمَةً مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ مُكَلَّلَةً بِالْجَوَاهِرِ وَعَلَيْهَا مَكْتُوبٌ : « هَذِهِ مَائِدَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ » وَرَأَى فِي الْبَيْتِ ذَلِكَ التَّابُوتَ ، وَعَلَيْهِ قُفْلٌ وَمِفْتَاحُهُ مُعَلَّقٌ ، فَفَتَحَهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ سِوَى رَقٍّ(١) ، وَفِي جَوَانِبِ التَّابُوتِ صُوَرُ فُرْسَانٍ مُصَوَّرَةً بِأَصْبَاغٍ مُحْكَمَةِ التَّصْوِيرِ عَلَى أَشْكَالِ الْعَرَبِ ، وَعَلَيْهِمُ الْفِرَاءُ وَهُمْ مُعَمَّمُونَ عَلَى ذَوَائِبَ(٢) جُعْدٍ ، وَمِنْ تَحْتِهِمُ الْخَيْلُ الْعَرَبِيَّةُ ،

---

(١) الرق : جلد رقيق يكتب فيه ، ومنه قوله تعالى « في رق منشور » (٢) ذوائب الأشياء : أعاليها والذؤابة أيضا الناصية أو منبتها من الرأس . وذؤابة الرأس هي التي تحيط بالدوارة من الشعر ، والشعر المضفور من شعر الرأس والشعر المنسدل من وسط الرأس الى الظهر . وقال بعضهم : الذؤابة ضفيرة الشعر المرسلة فان لويت فهي عقيصة ، وقد تطلق على كل مايرخى

وَهُمْ مُتَقَلِّدُونَ السُّيُوفَ الْمُحَلَّاةَ ، مُعْتَقِلُونَ الرِّمَاحَ ، فَأَمَرَ بِنَشْرِ ذَلِكَ الرَّقِّ ، فَإِذَا فِيهِ : مَتَى فُتِحَ هَذَا الْبَيْتُ وَهَذَا التَّابُوتُ الْمُقْفَلَانِ بِالْحِكْمَةِ ، دَخَلَ الْقَوْمُ الَّذِينَ صُوَرُهُمْ فِي التَّابُوتِ إِلَى جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ ، وَذَهَبَ مُلْكُ مَنْ فِيهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَبَطَلَتْ حِكْمَتُهُمْ . فَلَمَّا سَمِعَ لُذَرِيقُ مَا فِي الرِّقِّ ، نَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ ، وَتَحَقَّقَ انْقِرَاضَ دَوْلَتِهِمْ . فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى سَمِعَ أَنْ جَيْشًا وَصَلَ مِنَ الْمَشْرِقِ ، جَهَّزَهُ مَلِكُ الْعَرَبِ لِيَفْتَتِحَ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ. انْتَهَى .

***

فَهَذَا هُوَ بَيْتُ الْحِكْمَةِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ لُذَرِيقُ ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ(١) كُلِّهِ . عَلَى أَنَّ فِي هَذَا السِّيَاقِ مُخَالَفَةً لِمَا سَنَذْكُرُهُ عَنْ بَعْضِ ثِقَاتِ مُؤَرِّخِي الْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهِمْ فِي شَأْنِ الْمَائِدَةِ وَغَيْرِهَا ، وَمَا ذُكِرَ حول بيت الحكمة

(٢) قال ياقوت : وقرأت فى بعض كتبهم أن هذا الطلسم هدم فى سنة ٥٤٠ رجاء أن يوجد فيه مال فلم يوجد فيه شىء .

فِي هَذِهِ ٱلْقِصَّةِ مِنْ جَلْبِ ٱلْمَاءِ مِنْ بَرِّ ٱلْعُدْوَةِ الخ ، فِيهِ بُعْدٌ عِنْدِي لِأَنَّ بِلَادَ ٱلْأَنْدَلُسِ أَكْثَرُ بِلَادِ ٱللهِ مِيَاهًا وَأَنْهَارًا ، فَأَنَّى تَحْتَاجُ إِلَى جَلْبِ ٱلْمِيَاهِ إِلَيْهَا مِنَ ٱلْعُدْوَةِ ٱلْأُخْرَى ؟ إِلَّا أَنْ يُقَالَ : إِنَّ ٱلْمَرْأَةَ أَرَادَتْ تَعْجِيزَ ٱلرَّجُلِ بِذَلِكَ ، أَوِ ٱخْتِبَارَ حِكْمَتِهِ ، حَتَّى يَفْعَلَ هَذَا ٱلْأَمْرَ ٱلْغَرِيبَ ، وَعِلْمُ ٱللهِ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ ، «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ» ، وَمُنْتَهَى ٱلْعِلْمِ إِلَى ٱللهِ ٱلْحَكِيمِ .

***

كيف ملك لذريق

« وَقَالَ ٱبْنُ حَيَّانَ فِي ٱلْمُقْتَبِسِ » : ذَكَرُوا أَنَّ لُذَرِيقَ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْمُلُوكِ ، وَلَا بِصَحِيحِ ٱلنَّسَبِ فِي ٱلْقُوطِ ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا نَالَ ٱلْمُلْكَ مِنْ طَرِيقِ ٱلْغَصْبِ وَٱلتَّسَوُّرِ عِنْدَمَا مَاتَ غَيْطَشَةُ (١) ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي كَانَ قَبْلَهُ ، وَكَانَ أَثِيرًا (٢) لَدَيْهِ مَكِينًا ، فَاسْتَصْغَرَ أَوْلَادَهُ لِمَكَانِهِ ، وَٱسْتَمَالَ طَائِفَةً

(١) غيطشة (ويتيزا) هو آخر ملوك القوط الذين بلغت مساوئهم في عهده غايتها والذي علم الشعب ارتكاب الذنوب واقتراف الآثام ، فمهد بذلك الطريق للفتح الاسلامي (٢) أي ذا منزلة يؤثره على كل من سواه

مِنَ ٱلرِّجَالِ مَالُوا مَعَهُ ، فَانْتَزَعَ ٱلْمُلْكَ مِنْ أَوْلَادِ غَيْطَشَةَ وَٱسْتَبْقَاهُمْ ، فَكَانُوا هُمُ ٱلَّذِينَ دَبَّرُوا عَلَيْهِ فِيمَا ذُكِرَ عِنْدَ مَا لَقِيَ رِجَالَ ٱلْعَرَبِ ٱلْمُقْتَحِمِينَ عَلَيْهِ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ تِلْقَاءِ بَحْرِ ٱلزُّقَاقِ ، وَعَلَيْهِمْ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ مَوْلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ ، طَمَاعَةً مِنْهُمْ فِي أَنْ يُودِيَ وَيَخْلُصَ إِلَيْهِمْ مُلْكُ أَبِيهِمْ ، فَٱلْتَقَوْا بِمَوْضِعٍ يُدْعَى وَادِيَ لَكَّةَ ، مِنْ أَرْضِ ٱلْجَزِيرَةِ ٱلْخَضْرَاءِ مِنْ سَاحِلِ ٱلْأَنْدَلُسِ ٱلْقِبْلِيِّ مَكَانَ عُبُورِهِمْ . وَذٰلِكَ لِسَبْعٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ ٱلْأَوَّلِ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ مِنَ ٱلْهِجْرَةِ ، فَانْهَزَمَ ٱلْقُوطُ أَعْظَمَ هَزِيمَةٍ ، وَقُتِلَ مَلِكُهُمْ لُذَرِيقُ ، وَغَلَبَتِ ٱلْعَرَبُ عَلَى ٱلْأَنْدَلُسِ ، فَصَارَتْ أَقْصَى فُتُوحِهِمْ مِنْ أَرْضِ ٱلْمَغْرِبِ ، وَمِصْدَاقَ مَوْعِدِ نَبِيِّهِمْ ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلْكَفِيلِ بِفَتْحِ مَا بَيْنَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ عَلَيْهِمْ ، بِوَحْيِ ٱللّٰهِ تَعَالَى إِلَيْهِ ؛ أَنْجَزَهُ لَهُمْ بِفَتْحِ ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَلِلّٰهِ ٱلْقُوَّةُ . قَالَ : وَقَامَ بِأَمْرِ ٱلْعَرَبِ بِالْأَنْدَلُسِ مُنْذُ فُتِحَتِ ٱلْأُمَرَاءُ ٱلْمُرْسَلُونَ مِنْهُمْ عَلَيْهَا ، مِنْ قِبَلِ أَئِمَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ بِالْمَشْرِقِ

طَوَالَ[١] دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ ـ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ـ إِلَى أَنْ طَرَأَ إِلَيْهَا فَلُّهُمْ[٢] عِنْدَ غَلَبَةِ بَنِي ٱلْعَبَّاسِ عَلَيْهِمْ، وَدَخَلَ عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ ٱبْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَمَلَكَهَا، وَأَعَادَ إِلَيْهَا ٱلدَّوْلَةَ ٱلْأُمَوِيَّةَ ٱلَّتِي أَوْرَثَهَا عَقِبَهُ حِقْبَةً؛ فَكَانَتْ عِدَّةُ هٰؤُلَاءِ ٱلْأُمَرَاءِ مِنْ لَدُنْ أَوَّلِهِمْ طَارِقِ بْنِ زِيَادٍ إِلَى آخِرِهِمْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلْفِهْرِيِّ عِشْرِينَ عَامِلاً؛ وَعِدَّةُ سِنِيهِمْ بِالشَّمْسِيِّ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً، وَبِالْقَمَرِيِّ سَبْعٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً غَيْرَ أَشْهُرٍ. ٱنْتَهَى

***

كيف فتحت الأندلس

«وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ» نَقْلاً عَنِ ٱلرَّازِيِّ: وَٱفْتُتِحَتِ ٱلْأَنْدَلُسُ فِي أَيَّامِ ٱلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ، فَكَانَ فَتْحُهَا مِنْ أَعْظَمِ ٱلْفُتُوحِ ٱلذَّاهِبَةِ بِالصِّيتِ فِي ظُهُورِ ٱلْمِلَّةِ ٱلْحَنِيفِيَّةِ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ ـ رِضْوَانُ ٱللهِ عَلَيْهِ ـ مُتَهَمِّماً[٣] بِهَا مُعْتَنِيًا بِشَأْنِهَا، وَقَدْ حَوَّلَهَا عَنْ نَظَرِ وَالِي إِفْرِيقِيَّةَ، وَجَرَّدَ

(١) طوال: أي مدى (٢) الفل: الجماعة المنهزمون، من الفل وهو الكسر
(٣) تهمم الشيء: طلبه وتحسسه. فمعنى كونه متهمما بها أنه كان معنيا بأمرها يطلبها

إِلَيْهَا عَامِلًا مِنْ قِبَلِهِ اخْتَارَهُ لَهَا، دَلَالَةً عَلَى مَعْنِيَتِهِ بِهَا، وَوَقَعَتْ الْمَقَاسِمُ فِيهَا عَنْ أَمْرِهِ وَبِفَضْلِ رَأْيِهِ. انْتَهَى

***

فذلكة عن فتح الأندلس

«وَفِي الْكِتَابِ الْخَزَائِنِيِّ وَغَيْرِهِ» سِيَاقَةُ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ عَلَى أَتَمِّ الْوُجُوهِ، فَلْنَذْكُرْ مُلَخَّصَهُ. قَالُوا: اسْتَعْمَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ مَوْلَى عَمِّهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ. وَيُقَالُ بَلْ هُوَ بَكْرِيٌّ. وَذَلِكَ أَنَّ أَبَاهُ نُصَيْرًا أَصْلُهُ مِنْ عُلُوجٍ[1] أَصَابَهُمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي عَيْنِ التَّمْرِ[2]. فَادَّعَوْا أَنَّهُمْ رَهْنٌ، وَأَنَّهُمْ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، فَصَارَ نُصَيْرٌ وَصِيفًا لِعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ فَأَعْتَقَهُ، فَمِنْ هَذَا يُخْتَلَفُ فِيهِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ لَخْمِيٌّ ـ وَعَقَدَ لَهُ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ وَمَا خَلْفَهَا فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ، فَخَرَجَ إِلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ فِي نَفَرٍ قَلِيلٍ مِنَ الْمُطَّوِّعَةِ، فَلَمَّا وَرَدَ مِصْرَ أَخْرَجَ مَعَهُ مِنْ جُنْدِهَا بَعْثًا،

---

(١) تطلق العرب كلمة علج على الرجل من كفار العجم والقوى الضخم منهم. وأصل العلج العير الوحشي اذا سمن وقوى (٢) بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة، افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد سنة ١٢

وَأَتَى إِفْرِيقِيَّةَ عَمَلَهُ ، فَأَخْرَجَ مِنْ أَهْلِهَا مَعَهُ ذَوِى الْقُوَّةِ وَالْجَلَدِ ، وَصَيَّرَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ طَارِقَ بْنَ زِيَادٍ ، فَلَمْ يَزَلْ يُقَاتِلُ الْبَرْبَرَ ، وَيَفُضُّ جُمُوعَهُمْ وَيَفْتَتِحُ بِلَادَهُمْ وَمَدَائِنَهُمْ حَتَّى بَلَغَ طَنْجَةَ ـ وَهِيَ قَصَبَةُ[1] مُلْكِ الْبَرْبَرِ وَأُمُّ مَدَائِنِهِمْ ـ فَحَصَرَهَا حَتَّى افْتَتَحَهَا . وَقِيلَ إِنَّهَا لَمْ تَكُنِ افْتُتِحَتْ قَبْلَهُ ، وَقِيلَ افْتُتِحَتْ ثُمَّ ارْتُجِعَتْ ، فَأَسْلَمَ أَهْلُهَا ـ وَخَطَّهَا قَيْرَوَانًا[2] لِلْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى مَدَائِنَ عَلَى شَطِّ الْبَحْرِ ، فِيهَا عُمَّالٌ لِصَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ قَدْ غَلَبُوا عَلَيْهَا وَعَلَى مَا حَوْلَهَا ، وَرَأْسُ تِلْكَ الْمَدَائِنِ سَبْتَةُ ، وَعَلَيْهَا عِلْجٌ يُسَمَّى يُلْيَانَ ، قَاتَلَهُ مُوسَى فَأَلْفَاهُ فِي نَجْدَةٍ وَقُوَّةٍ وَعُدَّةٍ فَلَمْ يُطِقْهُ ، فَرَجَعَ إِلَى مَدِينَةِ طَنْجَةَ فَأَقَامَ بِمَنْ مَعَهُ ، وَأَخَذَ فِي الْغَارَاتِ عَلَى مَا حَوْلَهُمْ وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ ، وَالسُّفُنُ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِمْ بِالْمِيرَةِ[3]

---

(١) قصبة : عاصمة (٢) القيروان الجماعة من الخيل والقوافل ، ومعظم الكتيبة . وهو لفظ عرب قديما ، قال امرؤ القيس :

وغارة ذات قيروان   كأن أسرابها رعال

وفى الأثر : «يغدو الشيطان بقيروانه الى السوق» (٣) الطعام والمؤنة

وَالْأَمْدَادِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ مِنْ قِبَلِ مَلِكِهَا غَيْطَشَةَ ، فَهُمْ يَذُبُّونَ(١) عَنْ حَرِيمِهِمْ ذَبًّا شَدِيدًا ، وَيَحْمُونَ بِلَادَهُمْ حِمَايَةً تَامَّةً ، إِلَى أَنْ هَلَكَ غَيْطَشَةُ مَلِكُ الْأَنْدَلُسِ ، وَتَرَكَ أَوْلَادًا لَمْ يَرْضَهُمْ أَهْلُهَا لِلْمُلْكِ ، فَاضْطَرَبَ حَبْلُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ، ثُمَّ تَرَاضَوْا بِعِلْجٍ مِنْ كِبَارِهِمْ يُقَالُ لَهُ لُذَرِيقُ مُجَرِّبٌ شُجَاعٌ بَطَلٌ ، لَيْسَ مِنْ بَيْتِ أَهْلِ الْمُلْكِ إِلَّا أَنَّهُ مِنْ قُوَّادِهِمْ وَفُرْسَانِهِمْ فَوَلَّوْهُ أَمْرَهُمْ ، وَكَانَتْ طُلَيْطُلَةُ دَارَ الْمُلْكِ بِالْأَنْدَلُسِ حِينَئِذٍ ، وَكَانَ بِهَا بَيْتٌ مغلَقٌ مُتَحَامَى(٢) الْفَتْحِ عَلَى الْأَيَّامِ ، عَلَيْهِ عِدَّةٌ مِنَ الْأَقْفَالِ ، يَلْزَمُهُ قَوْمٌ مِنْ ثِقَاتِ الْقُوطِ قَدْ وُكِّلُوا بِهِ لِئَلَّا يُفْتَحَ ، وَقَدْ عَهِدَ الْأَوَّلُ فِي ذٰلِكَ إِلَى الْآخِرِ ، فَكُلَّمَا قَعَدَ مِنْهُمْ مَلِكٌ أَتَاهُ أُولٰئِكَ الْمُوَكَّلُونَ بِالْبَيْتِ ، فَأَخَذُوا مِنْهُ قُفْلًا وَصَيَّرُوهُ عَلَى ذَلِكَ الْبَابِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُزِيلُوا قُفْلَ مَنْ تَقَدَّمَهُ ،

***

فَلَمَّا قَعَدَ لُذَرِيقُ هٰذَا ـ وَكَانَ مُتَهَمِّمًا يَقِظًا ذَا فتح التابوت

(١) يذبون : يدفعون (٢) تحامى الشيء : ابتعد عنه ولم يدن منه

فِــكْرٍ - أَتَاهُ الْحُرَّاسُ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُقْفِلَ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ لَهُمْ: لَا أَفْعَلُ أَوْ أَعْلَمَ مَا فِيهِ، وَلَا بُدَّ لِي مِنْ فَتْحِهِ، فَقَالُوا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ هٰذَا أَحَدٌ مِنْ قَبْلِكَ، وَتَنَاهَوْا[1] عَنْ فَتْحِهِ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ وَمَشَى إِلَى الْبَيْتِ، فَأَعْظَمَتْ[2] ذٰلِكَ الْعَجَمُ، وَضَرَعَ[3] إِلَيْهِ أَكَابِرُهُمْ فِي الْكَفِّ فَلَمْ يَفْعَلْ، وَظَنَّ أَنَّهُ بَيْتُ مَالٍ فَفَضَّ الْأَقْفَالَ عَنْهُ، وَدَخَلَ فَأَصَابَهُ فَارِغًا لَا شَيْءَ فِيــهِ إِلَّا تَابُوتًا عَلَيْهِ قُفْلٌ، فَأَمَرَ بِفَتْحِهِ يَحْسَبُ أَنَّ مَضْمُونَهُ يُقْنِعُهُ نَفَاسَةً، فَأَلْفَاهُ أَيْضًا فَارِغًا لَيْسَ فِيهِ إِلَّا شُقَّةٌ[4] مُدْرَجَةٌ قَدْ صُوِّرَتْ فِيهَا صُوَرُ الْعَرَبِ، عَلَيْهِمُ الْعَمَائِمُ وَتَحْتَهُمُ الْخُيُولُ الْعِرَابُ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ مُتَنَكِّبِي الْقِسِيِّ رَافِعِي الرَّايَاتِ عَلَى الرِّمَاحِ، وَفِي أَعْلَاهَا أَسْطُرٌ مَكْتُوبَةٌ بِالْعَجَمِيَّةِ، فَقُرِئَتْ فَإِذَا فِيهَا: إِذَا كُسِرَتِ الْأَقْفَالُ عَنْ هٰذَا الْبَيْتِ وَفُتِحَ هٰذَا التَّابُوتُ فَظَهَرَ مَا فِيهِ مِنْ هٰذِهِ الصُّوَرِ، فَإِنَّ هٰذِهِ الْأُمَّةَ الْمُصَوَّرَةَ فِي هٰذِهِ الشُّقَّةِ

(١) أي نهى بعضهم بعضا (٢) أي عدوه شيئا عظيما (٣) أي فزع اليه ولجأ واستغاث (٤) أي قطعة مستطيلة، ومدرجة: مطوية

تَدْخُلُ ٱلْأَنْدَلُسَ فَتَغْلِبُ عَلَيْهَا وَتَمْلِكُهَا . فَوَجَمَ(١) لُذَرِيقُ وَنَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ ، وَعَظُمَ غَمُّهُ وَغَمُّ ٱلْعَجَمِ بِذَلِكَ ، وَأَمَرَ بِرَدِّ ٱلْأَقْفَالِ وَإِقْرَارِ ٱلْحُرَّاسِ عَلَى حَالِهِمْ ، وَأَخَذَ فِي تَدْبِيرِ ٱلْمُلْكِ ، وَذَهِلَ عَمَّا أُنْذِرَ بِهِ —

***

تربية أولاد أكابر العجم

وَقَدْ كَانَ مِنْ سِيَرِ أَكَابِرِ ٱلْعَجَمِ بِالْأَنْدَلُسِ وَقُوَّادِهِمْ أَنْ يَبْعَثُوا أَوْلَادَهُمُ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ مَنْفَعَتَهُمْ وَٱلتَّنْوِيهَ بِهِمْ إِلَى بِلَادِ ٱلْمَلِكِ ٱلْأَكْبَرِ بِطُلَيْطُلَةَ لِيَصِيرُوا فِي خِدْمَتِهِ ، وَيَتَأَدَّبُوا بِأَدَبِهِ ، وَيَنَالُوا مِنْ كَرَامَتِهِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغُوا أَنْكَحَ(٢) بَعْضَهُمْ بَعْضًا أَسْتِئْلَافًا لِآبَائِهِمْ ، وَحَمَلَ صَدَقَاتِهِمْ ، وَتَوَلَّى تَجْهِيزَ إِنَاثِهِمْ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ ، فَاتَّفَقَ أَنْ فَعَلَ ذَلِكَ يُلْيَانُ(٣) عَامِلُ لُذَرِيقَ عَلَى سَبْتَةَ ، وَكَانَتْ يَوْمَئِذٍ فِي يَدِ صَاحِبِ ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَأَهْلُهَا عَلَى ٱلنَّصْرَانِيَّةِ ، رَكِبَ ٱلطَّرِيقَةَ بِابْنَةٍ لَهُ بَارِعَةِ ٱلْجَمَالِ(٤) تَكْرُمُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا صَارَتْ عِنْدَ لُذَرِيقَ وَقَعَتْ

---

(١) وجم : وقف متحيرا ، والوجوم : السكوت على غيظ وهم ، والواجم : العبوس المطرق من شدة الحزن (٢) أنكح بعضهم بعضا : تصاهروا وتزوج بعضهم من بعض (٣) Julien (٤) كانت تدعى (فلورندا)

عَيْنُهُ عَلَيْهَا فَأَعْجَبَتْهُ ، وَأَحَبَّهَا حُبًّا شَدِيدًا ، وَلَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ حَتَّى اسْتَكْرَهَهَا(١) وَافْتَضَّهَا(٢) ، فَاحْتَالَتْ حَتَّى أَعْلَمَتْ أَبَاهَا بِذَلِكَ سِرًّا بِمُكَاتَبَةٍ خَفِيَّةٍ ، فَأَحْفَظَهُ(٣) شَأْنُهَا جِدًّا ، وَاشْتَدَّتْ حَمِيَّتُهُ(٤) وَقَالَ : وَدِينِ الْمَسِيحِ لَأُزِيلَنَّ مُلْكَهُ وَسُلْطَانَهُ ، وَلَأَحْفُرَنَّ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، فَكَانَ امْتِعَاضُهُ مِنْ فَاحِشَةِ ابْنَتِهِ هُوَ السَّبَبَ فِي فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ بِالَّذِي سَبَقَ مِنْ قَدَرِ اللهِ تَعَالَى . ثُمَّ إِنَّ يُلْيَانَ رَكِبَ بَحْرَ الزُّقَاقِ مِنْ سَبْتَةَ فِي أَصْعَبِ الْأَوْقَاتِ فِي صِنَّبْرٍ(٥) قَلْبِ الشِّتَاءِ ، فَصَارَ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَأَقْبَلَ إِلَى طُلَيْطُلَةَ نَحْوَ الْمَلِكِ لُذَرِيقَ ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ مَجِيئَهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَسَأَلَهُ عَمَّا لَدَيْهِ وَمَا جَاءَ فِيهِ ، وَلِمَ جَاءَ فِي مِثْلِ وَقْتِهِ ؟ فَذَكَرَ خَيْرًا وَاعْتَلَّ بِذِكْرِ زَوْجَتِهِ وَشِدَّةِ شَوْقِهَا إِلَى رُؤْيَةِ بِنْتِهَا الَّتِي

(١) استكرهها : اغتصبها وأجبرها (٢) افتضها : فض بكارتها (٣) أحفظه : أغاظه وملأ قلبه حقدا وغيظا (٤) الحمية : الأنفة والغضب وشدة الغيرة (٥) الصنبر : الريح الباردة في غيم ؛ وبه سمي اليوم الثاني من أيام العجوز

عِنْدَهُ ، وَتَمَنِّيهَا لِقَاءَهَا قَبْلَ الْمَوْتِ ، وَإِلْحَاحَهَا(١) عَلَيْهِ فِي إِحْضَارِهَا ، وَأَنَّهُ أَحَبَّ إِسْعَافَهَا ، وَرَجَا بُلُوغَهَا أُمْنِيَّتَهَا(٢) مِنْهُ ، وَسَأَلَ الْمَلِكَ إِخْرَاجَهَا إِلَيْهِ وَتَعْجِيلَ إِطْلَاقِهِ لِلْمُبَادَرَةِ بِهَا ، فَفَعَلَ وَأَجَازَ الْجَارِيَةَ ، وَتَوَثَّقَ مِنْهَا بِالْكِتْمَانِ عَلَيْهِ ، وَأَفْضَلَ عَلَى أَبِيهَا ، فَانْقَلَبَ عَنْهُ .

***

التدبير ضد الملك

وَذَكَرُوا أَنَّهُ لَمَّا وَدَّعَهُ قَالَ لَهُ لُذَرِيقُ : إِذَا قَدِمْتَ عَلَيْنَا فَاسْتَفْرِهْ لَنَا مِنَ الشَّذَانِقَاتِ(٣) الَّتِي لَمْ تَزَلْ تُطْرِفُنَا(٤) بِهَا فَإِنَّهَا آثَرُ جَوَارِحِنَا لَدَيْنَا ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، وَحَقِّ الْمَسِيحِ لَئِنْ بَقِيتُ لَأُدْخِلَنَّ عَلَيْكَ شَذَانِقَاتٍ مَا دَخَلَ عَلَيْكَ مِثْلُهَا قَطُّ - عَرَّضَ لَهُ بِالَّذِي أَضْمَرَهُ مِنَ السَّعْيِ فِي إِدْخَالِ رِجَالِ الْعَرَبِ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَفْطَنُ - فَلَمْ يَتَنَهْنَهْ(٥) يُلْيَانُ عِنْدَ مَا اسْتَقَرَّ بِسَبْتَةَ عَمَلِهِ أَنْ تَهَيَّأَ لِلْمَسِيرِ نَحْوَ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ

(١) الالحاح : كثرة الطلب (٢) الأمنية : الغاية (٣) الشيذق والشيذقان والشيذاق والشوذانق الصقر (معرب) والفارهة : النشيطة الحادة القوية .

كالشيذقان خاضب أظفاره   قد ضربته شمأل فى يوم طل

(٤) أطرفه : أعطاه مالم يعط أحدا قبله ولم يملك مثله فأعجبه ، والاسم منه الطرفة (٥) يريد لم يلبث ، أى انه لم يكف نفسه ولم يمنعها عن التهيؤ والاستعداد

ٱلْأَمِيرِ فَمَضَى نَحْوَهُ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، وَكَلَّمَهُ فِي غَزْوِ ٱلْأَنْدَلُسِ وَوَصَفَ لَهُ حُسْنَهَا وَفَضْلَهَا ، وَمَا جَمَعَتْ مِنْ أَشْتَاتِ(١) ٱلْمَنَافِعِ وَأَنْوَاعِ ٱلْمَرَافِقِ(٢)، وَطَيِّبِ ٱلْمَزَارِعِ ، وَكَثْرَةِ ٱلثِّمَارِ ، وَثَرَارَةِ ٱلْمِيَاهِ وَعُذُوبَتِهَا ، وَهَوَّنَ عَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ حَالَ رِجَالِهَا ، وَوَصَفَهُمْ بِضَعْفِ ٱلْبَأْسِ وَقِلَّةِ ٱلْغَنَاءِ(٣) ، فَشَوَّقَ مُوسَى إِلَى مَا هُنَاكَ ، وَأَخَذَ بِالْحَزْمِ فِيمَا دَعَاهُ إِلَيْهِ يُلْيَانُ ، فَعَاقَدَهُ عَلَى ٱلِانْحِرَافِ إِلَى ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَٱسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ بِأَنْ سَامَهُ(٤) مُكَاشَفَةَ أَهْلِ مِلَّتِهِ مِنَ ٱلْأَنْدَلُسِ ٱلْمُشْرِكِينَ ، وَٱلِاسْتِخْرَاجِ إِلَيْهِمْ بِالدُّخُولِ إِلَيْهَا ، وَشَنِّ(٥) ٱلْغَارَةِ فِيهَا ، فَفَعَلَ يُلْيَانُ ذَلِكَ ، وَجَمَعَ جَمْعًا مِنْ أَهْلِ عَمَلِهِ فَدَخَلَ بِهِمْ فِي مَرْكَبَيْنِ ، وَحَلَّ بِسَاحِلِ ٱلْجَزِيرَةِ ٱلْخَضْرَاءِ ، فَأَغَارَ وَقَتَلَ وَسَبَى وَغَنِمَ ، وَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا ، ثُمَّ رَجَعَ بِمَنْ مَعَهُ سَالِمِينَ ، وَشَاعَ ٱلْخَبَرُ عِنْدَ ٱلْمُسْلِمِينَ ، فَأَنِسُوا لِيُلْيَانَ وَٱطْمَأَنُّوا إِلَيْهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ عَقِبَ سَنَةِ تِسْعِينَ . فَكَتَبَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ

---

(١) أشتات : متفرقات (٢) أى مايستعان به وينتفع من المطالب (٣) الغناء : الكفاية والنفع (٤) سامه الأمر : كلفه اياه وأراده عليه (٥) شن الغارة : صبها وفرقها مروعا بها فى كل جهة

إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، يُخْبِرُهُ بِالَّذِى دَعَاهُ إِلَيْهِ يُلْيَانُ مِنْ أَمْرِ الْأَنْدَلُسِ ، وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي اقْتِحَامِهَا . فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ أَنْ خُضْهَا بِالسَّرَايَا (١) حَتَّى تَرَى وَتَخْتَبِرَ شَأْنَهَا ، وَلَا تُغَرِّرْ (٢) بِالْمُسْلِمِينَ فِي بَحْرٍ شَدِيدِ الْأَهْوَالِ . فَرَاجَعَهُ أَنَّهُ لَيْسَ بِبَحْرٍ زَخَّارٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ خَلِيجٌ مِنْهُ يَبِينُ لِلنَّاظِرِ مَا خَلْفَهُ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : وَإِنْ كَانَ فَلَا بُدَّ مِنَ اخْتِبَارِهِ بِالسَّرَايَا قَبْلَ اقْتِحَامِهِ . فَبَعَثَ مُوسَى عِنْدَ ذَلِكَ رَجُلاً مِنْ مَوَالِيهِ مِنَ الْبَرَابِرَةِ اسْمُهُ طَرِيفٌ يُكْنَى أَبَا زُرْعَةَ فِي أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ ، مَعَهُمْ مِائَةُ فَرَسٍ ، سَارَ بِهِمْ فِي أَرْبَعِ مَرَاكِبَ ، فَنَزَلَ بِجَزِيرَةٍ تُقَابِلُ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ الْمَعْرُوفَةَ بِالْخَضْرَاءِ ، الَّتِي هِيَ الْيَوْمَ مَعْبَرُ سَفَائِنِهِمْ وَدَارُ صِنَاعَتِهِمْ — وَيُقَالُ لَهَا الْيَوْمَ جَزِيرَةُ طَرِيفٍ لِنُزُولِهِ بِهَا — وَأَقَامَ بِهَا أَيَّاماً حَتَّى الْتَأَمَ (٣) إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَغَارَ عَلَى الْجَزِيرَةِ ،

---

(١) جمع سرية وهى القطعة من الجيش ، سميت بذلك لأنها كانت تسرى ليلا فى خفية لئلا ينذر بهم العدو فيحذروا أو يمتنعوا ، أو لأنها كانت تنتخب من خلاصة العسكر وخيارهم وسرواتهم . وسرى القائد سرية الى العدو اذا جردها و بعثها اليهم (٢) لاتغرر بالمسلمين : لاتعرضهم للهلكة

(٣) اجتمع وانضم

فَأَصَابَ سَبْيًا لَمْ يَرَ مُوسَى وَلاَ أَصْحَابُهُ مِثْلَهُ حُسْنًا ، وَمَالاً جَسِيماً وَأَمْتِعَةً ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ تَسَرَّعُوا إِلَى الدُّخُولِ . وَقِيلَ : دَخَلَ طَرِيفٌ فِي أَلْفِ رَجُلٍ فَأَصَابَ غَنَائِمَ وَسَبْيًا ، وَدَخَلَ بَعْدَهُ أَبُو زُرْعَةَ ـ شَيْخٌ مِنَ الْبَرَابِرَةِ وَلَيْسَ بِطَرِيفٍ ـ فِي أَلْفِ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَيْضًا ، فَأَصَابُوا أَهْلَ الْجَزِيرَةِ قَدْ تَفَرَّقُوا عَنْهَا ، فَضَرَّمُوا عَامَّتَهَا بِالنَّارِ ، وَحَرَّقُوا كَنِيسَةً بِهَا كَانَتْ عِنْدَهُمْ مُعَظَّمَةً ، وَأَصَابُوا سَبْيًا يَسِيرًا ، وَقَتَلُوا وَانْصَرَفُوا سَالِمِينَ . وَقَالَ الرَّازِيُّ : هُوَ أَبُو زُرْعَةَ طَرِيفُ بْنُ مَالِكٍ الْمَعَافِرِيُّ[1] ، الاِسْمُ طِبْقُ الْكُنْيَةِ . قَالُوا ثُمَّ عَاوَدَ يُلْيَانُ الْقُدُومَ عَلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ مُحَرِّكاً فِي الاِقْتِحَامِ عَلَى أَهْلِ الأَنْدَلُسِ ، وَخَبَّرَهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ وَمِنْ طَرِيفٍ وَأَبِي زُرْعَةَ ، وَمَا نَالُوهُ مِنْ أَهْلِهَا وَبَاشَرُوهُ مِنْ طِيبِهَا ، فَحَمِدَ اللهَ عَلَى ذَلِكَ ، وَاسْتَجَدَّ عَزْمًا فِي اقْتِحَامِ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا ، فَدَعَى مَوْلًى لَهُ كَانَ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ يُسَمَّى

(١) معافر : أبو حي من همدان

طَارِقَ بْنَ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ فَارِسِيًّا هَمَذَانِيًّا . وَقِيلَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِمَوْلًى لِمُوسَى، وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ مِنْ صَدِفٍ[1]، وَقِيلَ مَوْلًى لَهُمْ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ عَقِبِهِ بِالْأَنْدَلُسِ يُنْكِرُونَ وَلَاءَ مُوسَى إِنْكَارًا شَدِيدًا ، وَقِيلَ إِنَّهُ بَرْبَرِيٌّ مِنْ نَفْزَةَ[2] . فَعَقَدَ لَهُ مُوسَى وَبَعَثَهُ فِي سَبْعَةِ آلَافٍ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ، جُلُّهُمُ ٱلْبَرْبَرُ وَٱلْمَوَالِي ، وَلَيْسَ فِيهِمْ عَرَبٌ إِلَّا قَلِيلٌ ، وَوَجَّهَ مَعَهُ يُلْيَانَ ، فَهَيَّأَ لَهُ يُلْيَانُ ٱلْمَرَاكِبَ ، فَرَكِبَ فِي أَرْبَعِ سُفُنٍ لَا صِنَاعَةَ لَهُ غَيْرُهَا ، وَحَطَّ بِجَبَلِ طَارِقٍ ٱلْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ يَوْمَ سَبْتٍ، فِي شَعْبَانَ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ فِي شَهْرِ أَغُشْطُسَ، ثُمَّ صَرَفَ ٱلْمَرَاكِبَ إِلَى مَنْ خَلْفَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فَرَكِبَ مَنْ بَقِيَ مِنَ ٱلنَّاسِ ، وَلَمْ تَزَلِ ٱلسُّفَائِنُ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِمْ حَتَّى تَوَافَى[3] جَمِيعُهُمْ عِنْدَهُ بِٱلْجَبَلِ . وَقِيلَ: حَلَّ طَارِقٌ بِجَبَلِهِ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ رَجَبٍ مِنَ ٱلسَّنَةِ، فِي ٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا غَيْرَ سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ ٱلْبَرَابِرَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مِنَ

(١) صدف : محركة ، قرية على خمسة فراسخ من القيروان . والصدف بطن من كندة (٢) نفزة : قبيلة مشهورة من قبائل البربر الذين بالمغرب (من برابرة طرابلس) ومنهم المنذر بن سعيد البلوطى (٣) توافى جميعهم: أتوا .

ٱلْعَرَبِ إِلَّا يَسِيرٌ، أَجَازَهُمْ يُلْيَانُ إِلَى سَاحِلِ ٱلْأَنْدَلُس فِي مَرَاكِبِ ٱلتُّجَّارِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمْ بِهِمْ أَوَّلاً أَوَّلاً ، وَرَكِبَ أَمِيرُهُمْ طَارِقٌ آخِرَهُمْ

***

طارق والعجوز

قِيلَ وَأَصَابَ طَارِقٌ عَجُوزًا مِنْ أَهْلِ ٱلْجَزِيرَةِ ، فَقَالَتْ لَهُ فِي بَعْضِ قَوْلِهَا : إِنَّهُ كَانَ لَهَا زَوْجٌ عَالِمٌ بِالْحَدَثَانِ ، فَكَانَ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ أَمِيرٍ يَدْخُلُ إِلَى بَلَدِهِمْ هَذَا وَيَغْلِبُ عَلَيْهِ ، وَيَصِفُ مِنْ نَعْتِهِ أَنَّهُ ضَخْمُ ٱلْهَامَةِ ، فَأَنْتَ كَذَلِكَ ؟ وَمِنْهَا: أَنَّ فِي كَتِفِهِ ٱلْأَيْسَرِ شَامَةً عَلَيْهَا شَعَرٌ، فَإِنْ كَانَتْ بِكَ هَذِهِ ٱلْعَلَامَةُ فَأَنْتَ هُوَ ، فَكَشَفَ طَارِقٌ ثَوْبَهُ، فَإِذَا بِالشَّامَةِ فِي كَتِفِهِ عَلَى مَا ذَكَرَتْهُ ٱلْعَجُوزُ، فَاسْتَبْشَرَ بِذَلِكَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ .

***

رؤيا طارق

وَذُكِرَ عَنْ طَارِقٍ أَنَّهُ كَانَ نَائِمًا فِي ٱلْمَرْكَبِ ، فَرَأَى فِي مَنَامِهِ ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَٱلْخُلَفَاءَ ٱلْأَرْبَعَةَ أَصْحَابَهُ ـ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ـ

يَمْشُونَ عَلَى ٱلْمَاءِ حَتَّى مَرُّوا بِهِ ، فَبَشَّرَهُ ٱلنَّبِيُّ – صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِالْفَتْحِ وَأَمَرَهُ بِالرِّفْقِ بِالْمُسْلِمِينَ وَٱلْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا رَكِبَ ٱلْبَحْرَ غَلَبَتْهُ عَيْنُهُ ، فَكَانَ يَرَى ٱلنَّبِيَّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَوْلَهُ ٱلْمُهَاجِرُونَ وَٱلْأَنْصَارُ قَدْ تَقَلَّدُوا ٱلسُّيُوفَ وَتَنَكَّبُوا ٱلْقِسِيَّ ، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا طَارِقُ تَقَدَّمْ لِشَأْنِكَ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ قَدْ دَخَلُوا ٱلْأَنْدَلُسَ قُدَّامَهُ ، فَهَبَّ مِنْ نَوْمِهِ مُسْتَبْشِرًا وَبَشَّرَ أَصْحَابَهُ ، وَثَابَتْ(١) إِلَيْهِ نَفْسُهُ ثِقَةً بِبُشْرَاهُ ، فَقَوِيَتْ نَفْسُهُ وَلَمْ يَشُكَّ فِي ٱلظَّفَرِ . فَخَرَجَ مِنَ ٱلْبَلَدِ وَٱقْتَحَمَ بَسِيطَ ٱلْبِلَادِ شَانًّا لِلْغَارَةِ .

***

اقتحام العرب الأندلس

قَالُوا وَوَقَعَ عَلَى لُذَرِيقَ ٱلْمَلِكِ خَبَرُ ٱقْتِحَامِ ٱلْعَرَبِ سَاحِلَ ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَتَوَالِي غَارَاتِهِمْ عَلَى بَلَدِ ٱلْجَزِيرَةِ ، وَأَنَّ يُلْيَانَ ٱلسَّبَبُ فِيهَا – وَكَانَ يَوْمَئِذٍ غَائِبًا بِأَرْضِ بَنْبَلُونَةَ(٢) فِي غَزَاةٍ لَهُ إِلَى ٱلْبَشْكَنْسِ لِأَمْرٍ كَانَ ٱسْتُصْعِبَ عَلَيْهِ بِنَاحِيَتِهِمْ – فَعَظُمَ عَلَيْهِ ، وَفَهِمَ

(١) ثابت : رجعت واطمأنت (٢) مدينة شمالى اسبانيا Pamplona

ٱلْأَمْرَ ٱلَّذِى مِنْهُ أُتِىَ ، وَأَقْبَلَ مُبَادِرًا ٱلْفَتْقَ فِى جُمُوعِهِ حَتَّى ٱحْتَلَّ بِمَدِينَةِ قُرْطُبَةَ مِنَ ٱلْمُتَوَسِّطَةِ ، وَنَزَلَ ٱلْقَصْرَ ٱلْمَدْعُوَّ بِهَا بِبَلَاطِ لُذَرِيقَ ٱلْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ ـ وَلَيْسَ لِأَنَّهُ بَنَاهُ أَوِ ٱخْتَرَعَهُ ـ وَهُوَ بِنَاءُ مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنَ ٱلْمُلُوكِ ٱتَّخَذُوهُ لِمَنْزِلِهِمْ فِى قُرْطُبَةَ إِذَا أَتَوْهَا ، إِلَّا أَنَّ ٱلْعَرَبَ لَمَّا غَلَبُوا لُذَرِيقَ وَهٰذَا ٱلْقَصْرُ مِنْ مَوَاطِنِهِ نَسَبُوهُ إِلَيْهِ ، إِذْ لَمْ يَعْرِفُوا مَنْ بَنَاهُ . وَيَزْعُمُ ٱلْعَجَمُ أَنَّ ٱلَّذِى بَنَاهُ مَلِكٌ مِنْهُمْ كَانَ سَاكِنًا بِحِصْنِ ٱلْمُدَوَّرِ أَسْفَلَ قُرْطُبَةَ(١)

لذريق والبازى

وَخَرَجَ يَوْمًا يَتَصَيَّدُ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى مَكَانِ قُرْطُبَةَ وَهِىَ يَوْمَئِذٍ خَرَابٌ ، وَكَانَ فِى مَوْضِعِ قَصْرِهَا غَيْضَةٌ(٢) عُلَّيْقٍ(٣) مُلْتَفَّةٌ أَشِبَةٌ(٤) ، فَأَرْسَلَ ٱلْمَلِكُ بَازِيًا لَهُ يَكْرُمُ عَلَيْهِ عَلَى حَجَلَةٍ(٥) عَنَّتْ لَهُ مِنْ نَاحِيَةِ

(١) الى الجنوب الغربى منها على الوادى الكبير (٢) الغيضة : مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر (٣) نبت يتعلق بالشجر ، وهو من شجر الشوك لا يعظم واذا نشب فيه الشيء لم يكد يتخلص من كثرة شوكه ، وشوكه حجز شداد ، ومنابته الغياض والأشب (٤) أشب الشجر فهو أشب ، الأشب شدة التفاف الشجر وكثرته حتى لا مجاز فيه ، وغيضة أشبة : ملتفة (٥) الحجلة: طائر على قدر الحمامة كالقطاة أحمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر

اَلْكُدْيَةِ(١) اَلْمَنْسُوبَةِ بَعْدُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ ، فَتَنَحَّبَتْ(٢) فِي ذَلِكَ الْعُلَّيْقِ ، وَلَجَّ الْبَازِي فِي الِانْقِضَاضِ عَلَيْهَا ، فَرَكَضَ الْمَلِكُ خَلْفَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَكَانِهِ لِيُخْرِجَهُ ، فَأَمَرَ بِقَطْعِهَا لِاسْتِنْقَاذِ بَازِيهِ ضَنًّا مِنْهُ بِهِ فَقُطِعَتْ ، وَبَدَا لَهُ تَحْتَهَا أَسَاسُ قَصْرٍ عَظِيمٍ رَاقَهُ رَصُّهُ ـ وَقَدْ كَانَ ذَاهِمَةً ـ فَأَمَرَ بِالْكَشْفِ عَنْهُ وَتَقَصِّي حُدُودِهِ طُولًا وَعَرْضًا ، وَتَتَبُّعَ أُسُسَهُ وَأَصْلَهُ ، فَوَجَدَهُ مَبْنِيًّا مِنْ وَجْهِ الْمَاءِ بِصُمِّ الْحِجَارَةِ فَوْقَ زَرَجُونٍ وُضِعَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَاءِ بِأَحْكَمِ صِنَاعَةٍ ، فَقَالَ هٰذَا أَثَرُ مَلِكٍ كَرِيمٍ وَأَنَا أَوْلَى مَنْ جَدَّدَهُ ، فَأَمَرَ بِإِعَادَتِهِ إِلَى هَيْئَتِهِ وَاتِّخَاذِهِ مَنْزِلًا مِنْ مَنَازِلِ رَاحَاتِهِ ، فَكَانَ إِذَا طَافَ بِعَمَلِهِ أَوْ مَضَى فِي مُتَصَيَّدِهِ(٣) نَزَلَ فِيهِ ، وَصَارَ السَّبَبَ فِي بِنَاءِ قُرْطُبَةَ إِلَى جَنْبِهِ ، وَنَزَلَ النَّاسُ فِيهَا ، وَتَوَارَثَ الْمُلُوكُ قَصْرَهَا مِنْ بَعْدِهِ ، وَنَزَلَهُ لُذَرِيقُ فِي زَحْفِهِ إِلَى الْعَرَبِ أَيَّامًا ،

(١) الكدية : الأرض المرتفعة ، والغليظة الصلبة (٢) لعلها فتحبست أو فنشبت ، اى علقت (٣) أى للقنص والصيد

وَالْحُشُودُ مِنْ أَعْمَالِهِ تَتَوَافَى إِلَيْهِ ، ثُمَّ مَضَى نَحْوَ كُورَةِ شَذُونَةَ(١) يَبْغِي لِقَاءَهُمْ فِي حُشُودِهِ الْكَثِيرَةِ .

***

اخر ملوك الأندلس

وَقِيلَ إِنَّ آخِرَ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ تَلَتْهُمُ الْعَرَبُ غَيْطَشَةُ ، وَإِنَّهُ هَلَكَ عَنْ أَوْلَادٍ ثَلَاثَةٍ صِغَارٍ لَمْ يَصْلُحُوا لِلْمُلْكِ ، فَضَبَطَتْ(٢) أُمُّهُمْ عَلَيْهِمْ مُلْكَ وَالِدِهِمْ بِطُلَيْطُلَةَ ، وَانْحَرَفَ لُذَرِيقُ قَائِدُ الْخَيْلِ لِوَالِدِهِمْ فِيمَنْ تَبِعَهُ عَنْهُمْ فَصَارَ بِقُرْطُبَةَ، فَلَمَّا اقْتَحَمَ طَارِقٌ الْأَنْدَلُسَ نَفَرَ إِلَيْهِ لُذَرِيقُ وَاسْتَنْفَرَ(٣) إِلَيْهِ أَجْنَادَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَوْلَادِ غَيْطَشَةَ - وَقَدْ تَرَعْرَعُوا(٤) وَرَكِبُوا الْخَيْلَ وَاتَّخَذُوا الرِّجَالَ - يَدْعُوهُمْ إِلَى الِاجْتِمَاعِ مَعَهُ عَلَى حَرْبِ الْعَرَبِ ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنَ الْقُعُودِ عَنْهُ ، وَيَحُضُّهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ يَدًا وَاحِدَةً ، فَلَمْ يَجِدُوا بُدًّا ، وَحَشَدُوا وَقَدِمُوا عَلَيْهِ بِقُرْطُبَةَ ، فَنَزَلُوا أَكْنَافَ قَرْيَةِ شَقَنْدَةَ بِعُدْوَةِ نَهْرِهَا قُبَالَةَ الْقَصْرِ ، وَلَمْ

---

(١) شذونة : بفتح أوله - مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي موزور من أعمال الأندلس منحرفة عنها الى الغرب (٢) أي قامت أمهم بأمر الملك (٣) الاستنفار الاستنجاد والاستنصار ، واستنفر الامام الناس لجهاد العدو اذا حثهم على النفير ودعاهم الى القتال (٤) أي بلغوا مبلغ الرجال

يطْمَئِنُّوا إِلَى ٱلدُّخُولِ عَلَى لُذَرِيقَ أَخْذًا بِالْحَزْمِ ، إِلَى أَنِ ٱسْتَتَبَّ جِهَازُ لُذَرِيقَ وَخَرَجَ ، فَانْضَمُّوا إِلَيْهِ وَمَضَوْا مَعَهُ وَهُمْ مُرْصِدُونَ[1] لِمَكْرُوهِهِ ، وَٱلْأَصَحُّ وَٱللهُ أَعْلَمُ مَا سَبَقَ أَنَّ مُلْكَ ٱلْقُوطِ ٱجْتَمَعَ لِلُذَرِيقَ - وَٱخْتُلِفَ فِي ٱسْمِهِ فَقِيلَ رُذَرِيقُ بِالرَّاءِ أَوَّلَهُ ، وَقِيلَ بِاللَّامِ لُذَرِيقُ[3]. وَهُوَ ٱلْأَشْهَرُ ، وَقِيلَ إِنَّ أَصْلَهُ مِنْ أَصْبَهَانَ وَيُسَمَّى ٱلْأَشْبَانَ ، وَٱللهُ أَعْلَمُ ، قَالُوا : وَعَسْكَرَ لُذَرِيقُ فِي نَحْوِ مِائَةِ أَلْفٍ ذَوِي عُدَدٍ وَعِدَّةٍ ، فَكَتَبَ طَارِقٌ إِلَى مُوسَى يَسْتَمِدُّهُ وَيُعَرِّفُهُ أَنَّهُ فَتَحَ ٱلْجَزِيرَةَ ٱلْخَضْرَاءَ فُرْضَةَ ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَمَلَكَ ٱلْمَجَازَ إِلَيْهَا ، وَٱسْتَوْلَى عَلَى أَعْمَالِهَا إِلَى ٱلْبُحَيْرَةِ ، وَأَنَّ لُذَرِيقَ زَحَفَ إِلَيْهِ بِمَا لَا قِبَلَ[2] لَهُ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ٱللهُ. وَكَانَ مُوسَى مُنْذُ وَجَّهَ طَارِقًا لِوَجْهِهِ قَدْ أَخَذَ فِي عَمَلِ ٱلسُّفُنِ حَتَّى صَارَ عِنْدَهُ مِنْهَا عِدَّةٌ كَثِيرَةٌ ، فَحَمَلَ إِلَى طَارِقٍ فِيهَا خَمْسَةَ آلَافٍ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ مَدَدًا ، كَمُلَتْ بِهِمْ عِدَّةُ مَنْ

---

(١) أى ناوون غدره وخذلانه متربصون به (٢) أى لا طاقة (٣) Roderic

مَعَهُ ٱثْنَىْ عَشَرَ أَلْفًا أَقْوِيَاءَ عَلَى ٱلْمَغَانِمِ حِرَاصًا عَلَى ٱللِّقَاءِ ، وَمَعَهُمْ يُلْيَانُ ٱلْمُسْتَأْمِنُ (١) إِلَيْهِمْ فِي رِجَالِهِ وَأَهْلِ عَمَلِهِ ، يَدُلُّهُمْ عَلَى ٱلْعَوْرَاتِ (٢) وَيَتَجَسَّسُ ٱلْأَخْبَارَ ، وَأَقْبَلَ نَحْوَهُمْ لُذَرِيقُ فِي جُمُوعِ ٱلْعَجَمِ وَمُلُوكِهَا وَفُرْسَانِهَا فَتَلَاقَوْا فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّ هَذَا ٱبْنَ ٱلْخَبِيثَةِ قَدْ غَلَبَ عَلَى سُلْطَانِنَا (٣) وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ أَتْبَاعِنَا ، فَلَسْنَا نَعْدَمُ مِنْ سِيرَتِهِ خَبَالًا (٤) فِي أَمْرِنَا ، وَهَؤُلَاءِ ٱلْقَوْمُ ٱلطَّارِقُونَ لَا حَاجَةَ لَهُمْ فِي ٱسْتِيطَانِ (٥) بَلَدِنَا ، وَإِنَّمَا مُرَادُهُمْ أَنْ يَمْلَأُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ ٱلْغَنَائِمِ ثُمَّ يَخْرُجُوا عَنَّا ، فَهَلُمَّ فَلْنَنْهَزِمْ بِٱبْنِ ٱلْخَبِيثَةِ إِذَا نَحْنُ لَقِينَا ٱلْقَوْمَ لَعَلَّهُمْ يَكْفُونَنَا إِيَّاهُ ، فَإِذَا ٱنْصَرَفُوا عَنَّا أَقْعَدْنَا فِي مُلْكِنَا مَنْ يَسْتَحِقُّهُ . فَأَجْمَعُوا عَلَى ذَلِكَ ، وَٱلْقَضَاءُ يُبْرِمُ مَا ٱرْتَأَوْهُ . وَكَانَ لُذَرِيقُ وَلَّى مَيْمَنَتَهُ أَحَدَ ٱبْنَيْ غَيْطَشَةَ وَمَيْسَرَتَهُ ٱلْآخَرَ ، فَكَانَا رَأْسَيِ

---

(١) أى الذى أعطى الأمان من المسلمين على دمه وماله ورجاله على أن يناصرهم (٢) العورة : الخلل فى الثغر وغيره من كل مايتخوف منه (٣) أى ملكنا (٤) أى فسادا (٥) أى اتخاذها وطنا

اَلَّذِينَ أَدَارُوا عَلَيْهِ الْهَزِيمَةَ ، وَأَدَّاهُمَا إِلَى ذَلِكَ طَمَعُ رُجُوعِ مُلْكِ وَالِدِهِمَا إِلَيْهِمَا .

***

الغدر بلذريق

وَقِيلَ لَمَّا تَقَابَلَ الْجَيْشَانِ أَجْمَعَ أَوْلَادُ غَيْطَشَةَ عَلَى الْغَدْرِ بِلُذَرِيقَ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى طَارِقٍ يُعْلِمُونَهُ أَنَّ لُذَرِيقَ كَانَ تَابِعًا وَخَادِمًا لِأَبِيهِمْ ، فَغَلَبَهُمْ عَلَى سُلْطَانِهِمْ بَعْدَ مَهْلِكِهِ ، وَأَنَّهُمْ غَيْرُ تَارِكِي حَقِّهِمْ لَدَيْهِ ، وَيَسْأَلُونَهُ الْأَمَانَ عَلَى أَنْ يَمِيلُوا إِلَيْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ فِيمَنْ يَتْبَعُهُمْ ، وَأَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِمْ إِذَا ظَفِرَ ضِيَاعَ وَالِدِهِمْ بِالْأَنْدَلُسِ كُلِّهَا — وَكَانَتْ ثَلَاثَةَ آلَافِ ضَيْعَةٍ نَفَائِسَ مُخْتَارَةً ، وَهِيَ الَّتِي سُمِّيَتْ بَعْدَ ذَلِكَ صَفَايَا[1] الْمُلُوكِ — فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَعَاقَدَهُمْ عَلَيْهِ . فَالْتَقَى الْفَرِيقَانِ مِنَ الْغَدِ ، فَانْحَازَ الْأَوْلَادُ إِلَى طَارِقٍ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى أَسْبَابِ الْفَتْحِ ، وَكَانَ الِالْتِقَاءُ عَلَى وَادِي لَكَّةَ مِنْ كُورَةِ

(١) الصفي والصفية من الغنيمة : ما اختاره الرئيس من الغنم واصطفاه لنفسه قبل القسمة من فرس أو سيف أو غيره — قال عبد الله بن عنمة الضبي يخاطب بسطام بن قيس الشيباني :

لك المرباع منهـا والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

شَذُونَةَ ، فَهَزَمَ ٱللّٰهُ ٱلطَّاغِيَةَ لُذَرِيقَ وَجُمُوعَهُ ، وَنَصَرَ ٱلْمُسْلِمِينَ نَصْرًا لَا كِفَاءَ لَهُ ، وَرَمَى لُذَرِيقُ نَفْسَهُ فِي وَادِي لَكَّةَ وَقَدْ أَثْقَلَتْهُ ٱلْجِرَاحُ ، فَلَمْ يُعْلَمْ لَهُ خَبَرٌ وَلَمْ يُوجَدْ .

***

نزول طارق بالمسلمين

وَقِيلَ نَزَلَ طَارِقٌ بِالْمُسْلِمِينَ قَرِيباً مِنْ عَسْكَرِ لُذَرِيقَ مُنْسَلَخَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ ، فَوَجَّهَ لُذَرِيقُ عِلْجًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، قَدْ عَرَفَ نَجْدَتَهُ وَوَثِقَ بِبَأْسِهِ ، لِيُشْرِفَ عَلَى عَسْكَرِ طَارِقٍ فَيَحْزُرَ(١) عَدَدَهُمْ وَيُعَايِنَ هَيْئَاتِهِمْ وَمَرَاكِبَهُمْ ، فَأَقْبَلَ ذَلِكَ ٱلْعِلْجُ حَتَّى طَلَعَ عَلَى ٱلْعَسْكَرِ ثُمَّ شَدَّ(٢) فِي وُجُوهِ مَنِ ٱسْتَشْرَفَهُ(٣) مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ، فَوَثَبُوا إِلَيْهِ ، فَوَلَّى مُنْصَرِفًا رَاكِضًا وَفَاتَهُمْ بِسَبْقِ فَرَسِهِ ، فَقَالَ ٱلْعِلْجُ لِلُذَرِيقَ : أَتَتْكَ ٱلصُّوَرُ ٱلَّتِي كَشَفَ لَكَ عَنْهَا ٱلتَّابُوتُ ، فَخُذْ عَلَى نَفْسِكَ ، فَقَدْ جَاءَكَ مِنْهُمْ مَنْ لَا يُرِيدُ إِلَّا ٱلْمَوْتَ أَوْ إِصَابَةَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ ، قَدْ حَرَقُوا مَرَاكِبَهُمْ إِيَاسًا

---

(١) حزر الشيء حزرا : قدره بالحدس والتخمين (٢) أي حمل (٣) استشرفه . رفع بصره ينظر اليه ، وبسط كفه فوق حاجبه كالمستظل من الشمس

لِانْفُسِهِمْ مِنَ ٱلتَّعَلُّقِ بِهَا ، وَصَفُّوا فِي ٱلسَّهْلِ مُوَطِّنِينَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى ٱلثَّبَاتِ ، إِذْ لَيْسَ لَهُمْ فِي أَرْضِنَا مَكَانُ مَهْرَبٍ . فَرَعَبَ وَتَضَاعَفَ جَزَعُهُ ، وَٱلْتَقَى ٱلْعَسْكَرَانِ بِالْبُحَيْرَةِ وَٱقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا إِلَى أَنِ ٱنْهَزَمَتْ مَيْمَنَةُ لُذَرِيقَ وَمَيْسَرَتُهُ ، ٱنْهَزَمَ بِهِمَا أَبْنَا غَيْطَشَةَ ، وَثَبَتَ ٱلْقَلْبُ بَعْدَهُمَا قَلِيلًا وَفِيهِ لُذَرِيقُ ، فَعَذَّرَ[1] أَهْلُهُ بِشَيْءٍ مِنْ قِتَالٍ ثُمَّ ٱنْهَزَمُوا وَلُذَرِيقُ أَمَامَهُمْ ، فَاسْتَمَرَّتْ هَزِيمَتُهُمْ ، وَأَذْرَعَ[2] ٱلْمُسْلِمُونَ ٱلْقَتْلَ فِيهِمْ ، وَخَفِيَ أَثَرُ لُذَرِيقَ فَلَا يُدْرَى أَمْرُهُ ، إِلَّا أَنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَجَدُوا فَرَسَهُ ٱلْأَشْهَبَ ، ٱلَّذِي فُقِدَ وَهُوَ رَاكِبُهُ وَعَلَيْهِ سَرْجٌ لَهُ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ بِالْيَاقُوتِ وَٱلزَّبَرْجَدِ ، وَوَجَدُوا أَحَدَ خُفَّيْهِ وَكَانَ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ بِالدُّرِّ وَٱلْيَاقُوتِ وَٱلزَّبَرْجَدِ ، وَقَدْ سَاخَ ٱلْفَرَسُ فِي طِينٍ وَحَمْأَةٍ[3] وَغَرِقَ ٱلْعِلْجُ فَثَبَتَ أَحَدُ خُفَّيْهِ

(١) عذر الرجل فى الأمر : قصر فيه بعد جهد ، أو قصر وهو يظهر أنه قد جد وبالغ ، والمعذر المقصر يظهر العذر اعتلالا من غير حقيقة له فى العذر وهو لاعذر له (٢) أذرع فى الكلام : أفرط وأكثر ، وأصله من مد الذراع ، والذريع : الكثير والسريع (٣) الحماة : الطين الأسود المنتن

فِي ٱلطِّينِ فَأُخِذَ وَخَفِيَ ٱلْآخَرُ ، وَغَابَ شَخْصُ ٱلْعِلْجِ وَلَمْ يُوجَدْ حَيًّا وَلَا مَيِّتًا . وَٱللهُ أَعْلَمُ بِشَأْنِهِ .

***

انتصار طارق

« وَقَالَ ٱلرَّازِيُّ » كَانَتِ ٱلْمُلَاقَاةُ يَوْمَ ٱلْأَحَدِ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَاتَّصَلَتِ ٱلْحَرْبُ بَيْنَهُمْ إِلَى يَوْمِ ٱلْاحَدِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ بَعْدَ تَتِمَّةِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ هَزَمَ ٱللهُ ٱلْمُشْرِكِينَ ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ عَظِيمٌ أَقَامَتْ عِظَامُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِدَهْرٍ طَوِيلٍ مُلَبَّسَةً (١) بِتِلْكَ ٱلْأَرْضِ . قَالُوا : وَحَازَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ عَسْكَرِهِمْ مَا يَجِلُّ قَدْرُهُ ، فَكَانُوا يَعْرِفُونَ كِبَارَ ٱلْعَجَمِ وَمُلُوكَهُمْ بِخَوَاتِمِ ٱلذَّهَبِ يَجْدِلُونَهَا فِي أَصَابِعِهِمْ ، وَيَعْرِفُونَ مَنْ دُونَهُمْ بِخَوَاتِمِ ٱلْفِضَّةِ ، وَيُمَيِّزُونَ عَبِيدَهُمْ بِخَوَاتِمِ ٱلنُّحَاسِ . فَجَمَعَ طَارِقٌ ٱلْفَيْءَ وَخَمَّسَهُ ، ثُمَّ ٱقْتَسَمَهُ أَهْلُهُ عَلَى تِسْعَةِ آلَافٍ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ سِوَى ٱلْعَبِيدِ وَٱلْأَتْبَاعِ ، وَتَسَامَعَ ٱلنَّاسُ مِنْ أَهْلِ بَرِّ ٱلْعُدْوَةِ بِالْفَتْحِ عَلَى طَارِقٍ بِالْأَنْدَلُسِ وَسَعَةِ ٱلْغَنَائِمِ فِيهَا ، فَأَقْبَلُوا

(١) مغطاة أو مختلطة

نَحْوَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ ، وَخَرَقُوا اُلْبَحْرَ عَلَى كُلِّ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ مَرْكَبٍ وَقُشْرٍ[1] فَلَحِقُوا بِطَارِقٍ ، وَارْتَفَعَ أَهْلُ اُلْأَنْدَلُسِ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى اُلْحُصُونِ وَاُلْقِلَاعِ ، وَتَهَارَبُوا مِنَ اُلسَّهْلِ وَلَحِقُوا بِالْجِبَالِ . ثُمَّ أَقْبَلَ طَارِقٌ حَتَّى نَزَلَ بِأَهْلِ مَدِينَةِ شَذُونَةَ فَامْتَنَعُوا عَلَيْهِ ، فَشَدَّ اُلْحَصْرَ عَلَيْهِمْ حَتَّى نَهَكَهُمْ وَأَضَرَّهُمْ ، فَتَهَيَّأَ لَهُ فَتْحُهَا عَنْوَةً ، فَحَازَ مِنْهَا غَنَائِمَ . ثُمَّ مَضَى مِنْهَا إِلَى مُدَوَّرٍ ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَى قَرْمُونَةَ ، فَمَرَّ بِعَيْنِهِ اُلْمَنْسُوبَةِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ مَالَ عَلَى إِشْبِيلِيَةَ فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا عَلَى اُلْجِزْيَةِ . ثُمَّ نَازَلَ أَهْلَ إِسْتِجَةَ[2] وَهُمْ فِي قُوَّةٍ وَمَعَهُمْ فَلُّ عَسْكَرِ لُذَرِيقَ ، فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا حَتَّى كَثُرَ اُلْقَتْلُ وَاُلْجِرَاحُ بِالْمُسْلِمِينَ ،

***

ثُمَّ إِنَّ اُللهَ تَعَالَى أَظْهَرَ اُلْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ فَانْكَسَرُوا ، وَلَمْ يَلْقَ اُلْمُسْلِمُونَ فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ حَرْبًا مِثْلَهَا ، وَأَقَامُوا عَلَى اُلِامْتِنَاعِ إِلَى ظفر طارق بالعلج

(١) الذى فى هامش اللسان : القشر — بالضم والكسر — : سمكة قدر شبر : فلعله أراد الزوارق الصغيرة ، وكانوا يسمونها قشرا على التشبيه

(٢) كورة متصلة بأعمال رية

أَنْ ظَفِرَ طَارِقٌ بِالْعِلْجِ صَاحِبِهَا، وَكَانَ مُقَتِّرًا سَيِّئَ ٱلتَّدْبِيرِ، فَخَرَجَ إِلَى ٱلنَّهْرِ لِبَعْضِ حَاجَاتِهِ وَحْدَهُ، فَصَادَفَ طَارِقًا هُنَاكَ قَدْ أَتَى لِمِثْلِ ذَلِكَ - وَطَارِقٌ لَا يَعْرِفُهُ - فَوَثَبَ عَلَيْهِ طَارِقٌ فِي ٱلْمَاءِ، فَأَخَذَهُ وَجَاءَ بِهِ إِلَى ٱلْمُعَسْكَرِ، فَلَمَّا كَاشَفَهُ ٱعْتَرَفَ لَهُ بِأَنَّهُ أَمِيرُ ٱلْمَدِينَةِ، فَصَالَحَهُ طَارِقٌ عَلَى مَا أَحَبَّ، وَضَرَبَ عَلَيْهِ ٱلْجِزْيَةَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَوَفَّى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ. وَقَذَفَ ٱللهُ ٱلرُّعْبَ فِي قُلُوبِ ٱلْكَفَرَةِ لَمَّا رَأَوْا طَارِقًا يُوغِلُ فِي ٱلْبِلَادِ، وَكَانُوا يَحْسَبُونَهُ رَاغِبًا فِي ٱلْمَغْنَمِ عَامِلًا عَلَى ٱلْقُفُولِ، فَسُقِطَ[1] فِي أَيْدِيهِمْ، وَتَطَايَرُوا عَنِ ٱلسُّهُولِ إِلَى ٱلْمَعَاقِلِ، وَصَعِدَ ذَوُو ٱلْقُوَّةِ مِنْهُمْ إِلَى دَارِ مَمْلَكَتِهِمْ طُلَيْطُلَةَ. قِيلَ: وَكَانَ مِنْ إِرْهَابِ طَارِقٍ لِنَصَارَى ٱلْأَنْدَلُسِ وَحِيَلِهِ أَنْ تَقَدَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ فِي تَفْصِيلِ لُحُومِ ٱلْقَتْلَى بِحَضْرَةِ أَسْرَاهُمْ وَطَبْخِهَا فِي ٱلْقُدُورِ، يُرُونَهُمْ أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَهَا، فَجَعَلَ مَنِ ٱنْطَلَقَ مِنَ ٱلْأَسْرَى يُحَدِّثُونَ مَنْ وَرَاءَهُمْ بِذَلِكَ فَتَمْتَلِئُ

(١) سقط فى أيديهم : ندموا على مافعلوا، وتحسروا على ما فرط منهم

مِنْهُ قُلُوبُهُمْ رُعْبًا وَيَجْفِلُونَ(١) فِرَارًا . قَالُوا: وَقَالَ يُلْيَانُ لِطَارِقٍ: قَدْ فَضَضْتَ جُيُوشَ الْقَوْمِ وَرَعَبُوا فَاصْمُدْ(٢) لِبَيْضَتِهِمْ، وَهٰؤُلَاءِ أَدِلَّاءُ مِنْ أَصْحَابِي مَهَرَةٌ، فَفَرِّقْ جُيُوشَكَ مَعَهُمْ فِي جِهَاتِ الْبِلَادِ، وَاعْمِدْ أَنْتَ إِلَى طُلَيْطُلَةَ حَيْثُ مُعْظَمُهُمْ، فَاشْغَلِ الْقَوْمَ عَنِ النَّظَرِ فِي أَمْرِهِمْ وَالِاجْتِمَاعِ إِلَى أُولِي رَأْيِهِمْ . فَفَرَّقَ طَارِقٌ جُيُوشَهُ مَعَهُمْ مِنْ إِسْتِجَةَ ؛

***

بعوث طارق الى البلاد

فَبَعَثَ مُغِيثًا الرُّومِيَّ مَوْلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى قُرْطُبَةَ، — وَكَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ مَدَائِنِهِمْ — فِي سَبْعِمِائَةِ فَارِسٍ، لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ رَكِبُوا جَمِيعًا خُيُولَ الْعَجَمِ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهِمْ رَاجِلٌ وَفَضَلَتْ عَنْهُمُ الْخَيْلُ . وَبَعَثَ جَيْشًا آخَرَ إِلَى مَالَقَةَ

(١) جفل الظليم جفولا : ذهب فى الأرض مسرعا، ونفر منزعجا وند فيها هاربا . ورجل اجفيل : نفور جبان يهرب من كل شيء فرقا (٢) صمد اليه : قصده، واعتمده، وفى حديث معاذ ابن الجموح فى قتل أبي جهل : «فصمدت له حتى أمكنتنى منه غرة» أى وثبت له وقصدته وانتظرت غفلته . وبيضة القوم وسطهم وساحتهم، وأصل القوم ومجتمعهم، يقال أتاهم العدو فى بيضتهم، وفى الحديث : «ولا تسلط عليهم عدوا من غيرهم فيستبيح بيضتهم» يريد جماعتهم وأصلهم، أى مجتمعهم وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم، أراد عدوا يستأصلهم ويهلكهم جميعهم

وَآخَرَ إِلَى غَرْنَاطَةَ مَدِينَةِ إِلْبِيرَةَ ، وَسَارَ هُوَ فِي مُعْظَمِ النَّاسِ إِلَى كُورَةِ جَيَّانَ يُرِيدُ طُلَيْطُلَةَ . وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الَّذِي سَارَ لِقُرْطُبَةَ طَارِقٌ بِنَفْسِهِ لَا مُغِيثٌ ، قَالُوا: فَكَمَنُوا بِعُدْوَةِ نَهْرِ شَقَنْدَةَ فِي غَيْضَةِ أَرْزٍ شَامِخَةٍ ، وَأُرْسِلَتِ الْأَدِلَّاءُ فَأَمْسَكُوا رَاعِيَ غَنَمٍ ، فَسُئِلَ عَنْ قُرْطُبَةَ فَقَالَ : رَحَلَ عَنْهَا عُظَمَاءُ أَهْلِهَا إِلَى طُلَيْطُلَةَ وَبَقِيَ فِيهَا أَمِيرُهَا فِي أَرْبَعِمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ حُمَاتِهِمْ مَعَ ضُعَفَاءِ أَهْلِهَا ، وَسُئِلَ عَنْ سُورِهَا فَأَخْبَرَ أَنَّهُ حَصِينٌ عَالٍ فَوْقَ أَرْضِهَا ، إِلَّا أَنَّهُ فِيهِ ثُغْرَةٌ[1] وَوَصَفَهَا لَهُمْ ، فَلَمَّا أَجَنَّهُمُ اللَّيْلُ أَقْبَلُوا نَحْوَ الْمَدِينَةِ ، وَوَطَّأَ اللهُ لَهُمْ أَسْبَابَ الْفَتْحِ بِأَنْ أَرْسَلَ السَّمَاءَ بِرَذَاذٍ[2] أَخْفَى وَدْقُهُ حَوَافِرَ الْخَيْلِ ، وَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ رُوَيْدًا حَتَّى عَبَرُوا نَهْرَ قُرْطُبَةَ لَيْلًا ، وَقَدْ أَغْفَلَ حَرَسُ الْمَدِينَةِ احْتِرَاسَ السُّورِ ، فَلَمْ يَظْهَرُوا عَلَيْهِ ضِيقًا[3] بِالَّذِي نَالَهُمْ مِنَ الْمَطَرِ وَالْبَرْدِ ،

---

(١) الثغرة : أى موضع يمكن الدخول منه (٢) الرذاذ : المطر الخفيف . الودق : قطر المطر (٣) ضيقا : أى ضعفا وعدم سعة صدر

***

دخول قرطبة

فَتَرَجَّلَ ٱلْقَوْمُ حَتَّى عَبَرُوا ٱلنَّهْرَ - وَلَيْسَ بَيْنَ ٱلنَّهْرِ وَٱلسُّورِ إِلَّا مِقْدَارُ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا أَوْ أَقَلُّ - وَرَامُوا ٱلتَّعَلُّقَ بِالسُّورِ فَلَمْ يَجِدُوا مُتَعَلَّقًا، وَرَجَعُوا إِلَى ٱلرَّاعِي فِي دَلَالَتِهِمْ عَلَى ٱلثُّغْرَةِ ٱلَّتِي ذَكَرَهَا فَأَرَاهُمْ إِيَّاهَا، فَإِذَا بِهَا غَيْرُ مُتَسَهِّلَةِ ٱلتَّسَنُّمِ(١)، إِلَّا أَنَّهُ كَانَتْ فِي أَسْفَلِهَا شَجَرَةُ تِينٍ مَكَّنَتْ أَفْنَانُهَا مِنَ ٱلتَّعَلُّقِ بِهَا، فَصَعِدَ رَجُلٌ مِنْ أَشِدَّاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي أَعْلَاهَا، وَنَزَعَ مُغِيثٌ عِمَامَتَهُ فَنَاوَلَهُ طَرَفَهَا، وَأَعَانَ بَعْضُ ٱلنَّاسِ بَعْضًا حَتَّى كَثُرُوا عَلَى ٱلسُّورِ، وَرَكِبَ مُغِيثٌ وَوَقَفَ مِنْ خَارِجٍ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ ٱلْمُرْتَقِينَ لِلسُّورِ بِالْهُجُومِ عَلَى ٱلْحَرَسِ، فَفَعَلُوا وَقَتَلُوا نَفَرًا مِنْهُمْ، وَكَسَرُوا أَقْفَالَ ٱلْبَابِ وَفَتَحُوهُ، فَدَخَلَ مُغِيثٌ وَمَنْ مَعَهُ وَمَلَكُوا ٱلْمَدِينَةَ عَنْوَةً،

***

دخول البلاط وفرار الملك

فَصَمَدَ إِلَى ٱلْبَلَاطِ - مَنْزِلِ ٱلْمَلِكِ - وَمَعَهُ أَدِلَّاؤُهُ، وَقَدْ بَلَغَ ٱلْمَلِكَ دُخُولُهُمُ ٱلْمَدِينَةَ فَبَادَرَ بِالْفِرَارِ عَنِ ٱلْبَلَادِ فِي أَصْحَابِهِ وَهُمْ زُهَاءُ(٢) أَرْبَعِمِائَةٍ، وَخَرَجَ إِلَى كَنِيسَةٍ بِغَرْبِيِّ ٱلْمَدِينَةِ

(١) التسنم: الصعود (٢) الزهاء: القدر، من زهوت القوم اذا حزرتهم، وزهوت الشيء: اذا خرصته وعلمت مازهاؤه

وَتَحَصَّنَ بِهَا ـ وَكَانَ الْمَاءُ يَأْتِيهَا تَحْتَ الْأَرْضِ مِنْ عَيْنٍ فِي سَفْحِ جَبَلٍ ـ وَدَافَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَمَلَكَ مُغِيثٌ الْمَدِينَةَ وَمَا حَوْلَهَا . وَقَالَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ طَارِقًا لَمْ يَحْضُرْ فَتْحَ قُرْطُبَةَ وَأَنَّ فَاتِحَهَا مُغِيثٌ : إِنَّهُ كَتَبَ إِلَى طَارِقٍ بِالْفَتْحِ ، وَأَقَامَ عَلَى مُحَاصَرَةِ الْعِلْجِ بِالْكَنِيسَةِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ حَتَّى ضَاقَ مِنْ ذَلِكَ وَطَالَ عَلَيْهِ ،

***

كمين الاستطلاع

فَتَقَدَّمَ إِلَى أَسْوَدَ مِنْ عَبِيدِهِ اسْمُهُ رَبَاحٌ ـ وَكَانَ ذَا بَأْسٍ وَنَجْدَةٍ ـ بِالْكُمُونِ[1] فِي جِنَانٍ إِلَى جَانِبِ الْكَنِيسَةِ مُلْتَفَّةِ الْأَشْجَارِ ، لَعَلَّهُ أَنْ يَظْفَرَ لَهُ بِعِلْجٍ يَقِفُ بِهِ عَلَى خَبَرِ الْقَوْمِ ، فَفَعَلَ ، وَدَعَاهُ ضَعْفُ عَقْلِهِ إِلَى أَنْ صَعِدَ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَشْجَارِ ـ وَذَلِكَ أَيَّامَ الثَّمَرِ ـ لِيَجْنِيَ مَا يَأْكُلُهُ ، فَبَصُرَ بِهِ أَهْلُ الْكَنِيسَةِ ، وَشَدُّوا عَلَيْهِ فَأَخَذُوهُ فَمَلَكُوهُ ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ هَائِبُونَ لَهُ مُنْكِرُونَ لِخَلْقِهِ ، إِذْ لَمْ يَكُونُوا عَايَنُوا أَسْوَدَ قَبْلَهُ ، فَاجْتَمَعُوا

(١) الاختفاء والاستتار

عَلَيْهِ وَكَثُرَ لَغَطُهُمْ وَتَعَجُّبُهُمْ مِنْ خَلْقِهِ ، وَحَسِبُوا أَنَّهُ مَصْبُوغٌ أَوْ مَطْلِيٌّ بِبَعْضِ ٱلْأَشْيَاءِ ٱلَّتِي تُسَوِّدُ ، فَجَرَّدُوهُ وَسَطَ جَمَاعَتِهِمْ وَأَدْنَوْهُ إِلَى ٱلْقَنَاةِ ٱلَّتِي مِنْهَا كَانَ يَأْتِيهِمُ ٱلْمَاءُ ، وَأَخَذُوا فِي غَسْلِهِ وَتَدْلِيكِهِ بِالْحِبَالِ ٱلْحُرْشِ[1] حَتَّى أَدْمَوْهُ وَأَعْنَتُوهُ[2] ، فَاسْتَغَاثَهُمْ وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ ٱلَّذِي بِهِ خِلْقَةٌ مِنْ بَارِئِهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ، فَفَهِمُوا إِشَارَتَهُ وَكَفُّوا عَنْهُ وَعَنْ غَسْلِهِ ، وَاشْتَدَّ فَزَعُهُمْ مِنْهُ ، وَمَكَثَ فِي إِسَارِهِمْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لَا يَتْرُكُونَ ٱلتَّجَمُّعَ عَلَيْهِ وَٱلنَّظَرَ إِلَيْهِ ، إِلَى أَنْ يَسَّرَ ٱللهُ لَهُ ٱلْخَلَاصَ لَيْلًا فَفَرَّ وَأَتَى ٱلْأَمِيرَ مُغِيثًا فَخَبَّرَهُ بِشَأْنِهِ ، وَعَرَّفَهُ بِالَّذِي ٱطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَمَوْضِعِ ٱلْمَاءِ ٱلَّذِي يَنْتَابُونَهُ ، وَمِنْ أَيِّ نَاحِيَةٍ يَأْتِيهِمْ ، فَأَمَرَ أَهْلَ ٱلْمَعْرِفَةِ بِطَلَبِ تِلْكَ ٱلْقَنَاةِ فِي ٱلْجِهَةِ ٱلَّتِي أَشَارَ عَلَيْهَا ٱلْأَسْوَدُ ، حَتَّى أَصَابُوهَا فَقَطَعُوهَا

---

(١) من الحرشة وهى الخشونة (٢) أعنتوه : أدخلوا عليه عنتا أى شدة ومشقة

عَنْ جَرْيَتِهَا إِلَى ٱلْكَنِيسَةِ ، وَسَدُّوا مَنَافِذَهَا ، فَأَيْقَنُوا بِالْهَلَاكِ حِينَئِذٍ ، فَدَعَاهُمْ مُغِيثٌ إِلَى ٱلْإِسْلَامِ أَوِ ٱلْجِزْيَةِ فَأَبَوْا عَلَيْهِ ، فَأَوْقَدَ ٱلنَّارَ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَحْرَقَهُمْ ، فَسُمِّيَتْ كَنِيسَةَ ٱلْحَرْقَى ، وَٱلنَّصَارَى تُعَظِّمُهَا لِصَبْرِ مَنْ كَانَ فِيهَا عَلَى دِينِهِمْ مَعَ شِدَّةِ ٱلْبَلَاءِ ، غَيْرَ أَنَّ ٱلْعِلْجَ أَمِيرَهُمْ رَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْ بَلِيَّتِهِمْ عِنْدَ إِيقَانِ ٱلْهَلَاكِ فَفَرَّ عَنْهُمْ وَحْدَهُ ، وَقَدْ ٱسْتَغْفَلَهُمْ وَرَامَ ٱللَّحَاقَ بِطُلَيْطُلَةَ ، فَبَلَغَ خَبَرُهُ إِلَى مُغِيثٍ ، فَبَادَرَ ٱلرَّكْضَ خَلْفَهُ وَحْدَهُ ، فَلَحِقَهُ بِقُرْبِ قَرْيَةِ تَطْلِيرَةَ هَارِبًا وَحْدَهُ ، وَتَحْتَهُ فَرَسٌ أَصْفَرُ ذَرِيعُ[1] ٱلْخَطْوِ ، وَحَرَّكَ مُغِيثٌ خَلْفَهُ ، فَٱلْتَفَتَ ٱلْعِلْجُ وَدُهِشَ لَمَّا رَأَى مُغِيثًا قَدْ رَهِقَهُ[2] ، وَزَادَ فِي حَثِّ فَرَسِهِ ، فَقَصَّرَ بِهِ فَسَقَطَ عَنِ ٱلْفَرَسِ وَٱنْدَقَّ عُنُقُهُ ، فَقَعَدَ عَلَى تُرْسِهِ مُسْتَأْسِرًا[3] قَدْ هَاضَتْهُ[4] ٱلسَّقْطَةُ ، فَقَبَضَ عَلَيْهِ مُغِيثٌ

(١) أى سريع (٢) رهق فلانا : تبعه فقارب أن يلحقه و يغشاه (٣) خاضعا للأسر منقادا ، ومن سجعات الأساس : من تزوج فهو طليق استأسر ، ومن طلق فهو بغاث استنسر (٤) هاض الشيء : كسره ، وهاض العظم : كسره بعد الجبور ، وذلك أشد للوجع ، وهاضه الأمر اذا رده في مرضه

وَسَلَبَهُ سِلَاحَهُ وَحَبَسَهُ عِنْدَهُ لِيَقْدَمَ بِهِ عَلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْوَلِيدِ، وَلَمْ يُؤْسَرْ مِنْ مُلُوكِ ٱلْأَنْدَلُسِ غَيْرُهُ، لِأَنَّ بَعْضَهُمْ ٱسْتَأْمَنَ وَبَعْضَهُمْ هَرَبَ إِلَى جِلِّيقِيَّةَ. وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ مُغِيثًا ٱسْتَنْزَلَ أَهْلَ ٱلْكَنِيسَةِ بَعْدَ أَسْرِ مَلِكِهِمْ فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ جَمِيعًا، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عُرِفَتْ بِكَنِيسَةِ ٱلْأَسْرَى، وَأَنَّ مُغِيثًا جَمَعَ يَهُودَ قُرْطُبَةَ فَضَمَّهُمْ إِلَى مَدِينَتِهَا ٱسْتِنَامَةً(١) إِلَيْهِمْ دُونَ ٱلنَّصَارَى لِلْعَدَاوَةِ بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُ ٱخْتَارَ ٱلْقَصْرَ لِنَفْسِهِ وَٱلْمَدِينَةَ لِأَصْحَابِهِ.

***

وَأَمَّا مَنْ وُجِّهَ إِلَى مَالَقَةَ فَفَتَحُوهَا، وَلَجَأَ عُلُوجُهَا إِلَى جِبَالٍ هُنَالِكَ مُمْتَنِعَةٍ، ثُمَّ لَحِقَ ذَلِكَ ٱلْجَيْشُ بِٱلْجَيْشِ ٱلْمُتَوَجِّهِ إِلَى إِلْبِيرَةَ(٢)، فَحَاصَرُوا مَدِينَتَهَا غَرْنَاطَةَ فَٱفْتَتَحُوهَا عَنْوَةً، وَضَمُّوا ٱلْيَهُودَ إِلَى قَصَبَةِ غَرْنَاطَةَ، وَصَارَ لَهُمْ ذَلِكَ سُنَّةً فِي كُلِّ بَلَدٍ يَفْتَحُونَهُ أَنْ يَضُمُّوا يَهُودَهُ إِلَى فتح مالقة

(١) استنام الى الشيء: استأنس به، واستنام فلان الى فلان اذا أنس به واطمأن اليه وسكن له (٢) كورة كبيرة ومدينة الى الجنوب الشرقي من قرطبة

ٱلْقَصَبَةِ مَعَ قِطْعَةٍ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ لِحِفْظِهَا ، وَيَمْضِي مُعْظَمُ ٱلنَّاسِ لِغَيْرِهَا ، وَإِذَا لَمْ يَجِدُوا يَهُودًا وَفَّرُوا عَدَدَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلْمُخَلَّفِينَ لِحِفْظِ مَا فُتِحَ ، ثُمَّ صَنَعُوا عِنْدَ فَتْحِ كُورَةِ رَيَّةَ ٱلَّتِي مِنْهَا مَالَقَةُ مِثْلَ ذَلِكَ ـ وَمَضَى ٱلْجَيْشُ إِلَى تُدْمِيرَ ـ وَتُدْمِيرُ ٱسْمُ ٱلْعِلْجِ صَاحِبِهَا سُمِّيَتْ بِهِ ، وَٱسْمُ قَصَبَتِهَا أُورِيُولَةُ[1] ، وَلَهَا شَأْنٌ فِي ٱلْمَنَعَةِ ـ وَكَانَ مَلِكُهَا عِلْجًا دَاهِيَةً قَاتَلَهُمْ مُضْحِيًا ، ثُمَّ ٱسْتَمَرَّتْ عَلَيْهِ ٱلْهَزِيمَةُ فِي فَحْصِهَا[2] فَبَلَغَ ٱلسَّيْفُ فِي أَهْلِهَا مَبْلَغًا عَظِيمًا أَفْنَى أَكْثَرَهُمْ ، وَلَجَأَ ٱلْعِلْجُ إِلَى أُورِيُولَةَ فِي يَسِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لَا يُغْنُونَ شَيْئًا ، فَأَمَرَ ٱلنِّسَاءَ بِنَشْرِ ٱلشُّعُورِ وَحَمْلِ ٱلْقَصَبِ وَٱلظُّهُورِ عَلَى ٱلسُّورِ فِي زِيِّ ٱلْقِتَالِ مُتَشَبِّهَاتٍ بِالرِّجَالِ ، وَتَصَدَّرَ قُدَّامَهُنَّ فِي بَقِيَّةِ أَصْحَابِهِ ، يُغَالِطُ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي قُوَّتِهِ عَلَى ٱلدِّفَاعِ عَنْ

---

(١) أوريولة مدينة قديمة من ناحية تدمير بساتينها متصلة ببساتين مرسية Uruhuela (٢) بالمغرب من أرض الأندلس مواضع كثيرة تسمى الفحص ، و يعنون به كل موضع يسكن سهلا كان أو جبلا بشرط أن يزرع ، ثم صار علما لعدة مواضع ، منها : الفحص: ناحية كبيرة من أعمال طليطلة ، ثم عمل طلبيرة ، واقليم من اقاليم أكشونية ، واقليم باشبيلية

نَفْسِهِ ، فَكَرِهَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِرَاسَهُ لِكَثْرَةِ مَنْ عَايَنُوهُ ، وَعَرَضُوا عَلَيْهِ ٱلصُّلْحَ فَأَظْهَرَ ٱلْمَيْلَ إِلَيْهِ ، وَتَنَكَّرَ زِيَّهُ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ بِأَمَانٍ عَلَى أَنَّهُ ٱلرَّسُولُ ، فَصَالَحَهُمْ عَلَى أَهْلِ بَلَدِهِ ثُمَّ عَلَى نَفْسِهِ وَتَوَثَّقَ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا تَمَّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَرَادَ عَرَّفَهُمْ بِنَفْسِهِ وَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ بِالْإِبْقَاءِ عَلَى قَوْمِهِ ، وَأَخَذَهُمْ بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ ، وَأَدْخَلَهُمُ ٱلْمَدِينَةَ فَلَمْ يَجِدُوا فِيهَا إِلَّا ٱلْعِيَالَ وَٱلذُّرِّيَّةَ ، فَنَدِمُوا عَلَى ٱلَّذِي أَعْطَوْهُ مِنَ ٱلْأَمَانِ ، وَٱسْتَرْجَحُوهُ فِيمَا ٱحْتَالَ بِهِ ، وَمَضَوْا عَلَى ٱلْوَفَاءِ لَهُ — وَكَانَ ٱلْوَفَاءُ عَادَتَهُمْ — فَسَلِمَتْ كُورَةُ تُدْمِيرَ مِنْ مَعَرَّةِ[1] ٱلْمُسْلِمِينَ بِتَدْبِيرِ تُدْمِيرَ ، وَصَارَتْ كُلُّهَا صُلْحًا لَيْسَ فِيهَا عَنْوَةٌ ، وَكَتَبُوا إِلَى أَمِيرِهِمْ طَارِقٍ بِالْفَتْحِ ، وَخَلَّفُوا بِقَصَبَةِ ٱلْبَلَدِ رِجَالًا مِنْهُمْ ، وَمَضَى مُعْظَمُهُمْ إِلَى أَمِيرِهِمْ لِفَتْحِ طُلَيْطُلَةَ.

قَالَ ٱبْنُ حَيَّانَ : وَٱنْتَهَى طَارِقٌ إِلَى طُلَيْطُلَةَ دَارِ مَمْلَكَةِ ٱلْقُوطِ فَأَلْفَاهَا خَالِيَةً وَقَدْ فَرَّ عَنْهَا أَهْلُهَا ، وَلَجَأُوا إِلَى مَدِينَةٍ

---

(١) المعرة : الشدة فى القتال والحرب ، والغرم ، والأذى

بِهَا خَلْفَ ٱلْجَبَلِ ، فَضَمَّ ٱلْيَهُودَ إِلَى طُلَيْطُلَةَ وَخَلَّفَ بِهَا رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَمَضَى خَلْفَ مَنْ فَرَّ مِنْ أَهْلِ طُلَيْطُلَةَ ، فَسَلَكَ وَادِيَ ٱلْحِجَارَةِ ، ثُمَّ ٱسْتَقْبَلَ ٱلْجَبَلَ فَقَطَعَهُ مِنْ فَجٍّ[1] سُمِّيَ بِهِ بَعْدُ ، فَبَلَغَ مَدِينَةَ ٱلْمَائِدَةِ خَلْفَ ٱلْجَبَلِ - وَهِيَ ٱلْمَنْسُوبَةُ لِسُلَيْمَانَ[2] بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ - وَهِيَ خَضْرَاءُ مِنْ زَبَرْجَدٍ ، حَافَاتُهَا مِنْهَا وَأَرْجُلُهَا ، وَكَانَ لَهَا ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسَةٌ وَسِتُّونَ رِجْلًا - فَأَحْرَزَهَا عِنْدَهُ ، ثُمَّ مَضَى إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ٱلَّتِي تَحَصَّنُوا بِهَا خَلْفَ ٱلْجَبَلِ فَأَصَابَ بِهَا حُلِيًّا وَمَالًا ، وَرَجَعَ وَلَمْ يَتَجَاوَزْهَا إِلَى طُلَيْطُلَةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ . وَقِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ ، بَلِ ٱقْتَحَمَ أَرْضَ جِلِّيقِيَّةَ وَٱخْتَرَقَهَا حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى مَدِينَةِ ٱسْتُرْقَةَ ، فَدَوَّخَ ٱلْجِهَةَ وَٱنْصَرَفَ إِلَى طُلَيْطُلَةَ ، وَٱللهُ أَعْلَمُ . وَقِيلَ إِنَّ طَارِقًا دَخَلَ ٱلْأَنْدَلُسَ بِغَيْرِ أَمْرِ مَوْلَاهُ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ ، فَٱللهُ أَعْلَمُ .

---

(١) الفج : الطريق الواسع بين جبلين. وفج حيوة : موضع بالأندلس من أعمال طليطلة (٢) نسبتها لسليمان موضع شك ونظر

قَالَ بَعْضُهُمْ : وَكَانَتْ إِقَامَتُهُ فِي ٱلْفُتُوحِ وَتَدْوِيخِ ٱلْبِلَادِ إِلَى أَنْ وَصَلَ سَيِّدُهُ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ سَنَةً . وَكَانَ مَا سَيُذْكَرُ . وَأَنْشَدَ فِي ٱلْمُسْهِبِ وَٱبْنُ ٱلْيَسَعِ فِي ٱلْمُغْرِبِ لِطَارِقٍ مِنْ قَصِيدَةٍ قَالَهَا فِي ٱلْفَتْحِ :

رَكِبْنَا سَفِينًا بِالْمَجَازِ مُقَيَّرًا(١)
عَسَى أَنْ يَكُونَ ٱللهُ مِنَّا قَدِ ٱشْتَرَى
نُفُوسًا وَأَمْوَالًا وَأَهْلًا بِجَنَّةٍ
إِذَا مَا ٱشْتَهَيْنَا ٱلشَّيْءَ فِيهَا تَيَسَّرَا
وَلَسْنَا نُبَالِي كَيْفَ سَالَتْ نُفُوسُنَا(٢)
إِذَا نَحْنُ أَدْرَكْنَا ٱلَّذِي كَانَ أَجْدَرَا ؟

قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ : وَهٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتُ مِمَّا يُكْتَبُ لِمُرَاعَاةِ قَائِلِهَا وَمَكَانَتِهِ لَا لِعُلُوِّ طَبَقَتِهَا . ٱنْتَهَى

***

أولاد غيطشة

وَأَمَّا أَوْلَادُ غَيْطَشَةَ فَإِنَّهُمْ لَمَّا صَارُوا إِلَى طَارِقٍ بِالْأَمَانِ — وَكَانُوا سَبَبَ ٱلْفَتْحِ حَسْبَمَا تَقَدَّمَ — قَالُوا لِطَارِقٍ : أَنْتَ أَمِيرُ نَفْسِكَ أَمْ فَوْقَكَ أَمِيرٌ ؟ فَقَالَ : بَلْ عَلَى رَأْسِي أَمِيرٌ ، وَفَوْقَ

(١) قيرالسفينة : طلاها بالقار (٢) أى دماؤنا

ذَلِكَ ٱلْأَمِيرِ أَمِيرٌ عَظِيمٌ ، فَٱسْتَأْذَنُوهُ فِي ٱللَّحَاقِ بِمُوسَى ٱبْنِ نُصَيْرٍ بِإِفْرِيقِيَّةَ لِيُؤَكِّدُوا سَبَبَهُمْ بِهِ ، وَسَأَلُوهُ ٱلْكِتَابَ إِلَيْهِ بِشَأْنِهِمْ مَعَهُ وَمَا أَعْطَاهُمْ مِنْ عَهْدِهِ فَفَعَلَ . وَسَارُوا نَحْوَ مُوسَى فَتَلَقَّوْهُ فِي ٱنْحِدَارِهِ إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ بِالْقُرْبِ مِنْ بِلَادِ ٱلْبَرْبَرِ وَعَرَّفُوهُ بِشَأْنِهِمْ ، وَوَقَفَ عَلَى مَا خَاطَبَهُ بِهِ طَارِقٌ فِي ذِمَّتِهِمْ وَسَابِقَتِهِمْ ، فَأَنْفَذَهُمْ إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْوَلِيدِ بِالشَّامِ بِدِمَشْقَ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِمَا عَرَّفَهُ بِهِ طَارِقٌ مِنْ جَمِيلِ أَثَرِهِمْ . فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى ٱلْوَلِيدِ أَكْرَمَهُمْ ، وَأَنْفَذَ لَهُمْ عَهْدَ طَارِقٍ فِي ضِيَاعِ وَالِدِهِمْ ، وَعَقَدَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سِجِلًّا ، وَجَعَلَ لَهُمْ أَلَّا يَقُومُوا لِدَاخِلٍ عَلَيْهِمْ . فَقَدِمُوا ٱلْأَنْدَلُسَ وَحَازُوا ضِيَاعَ وَالِدِهِمْ أَجْمَعَ ، وَٱقْتَسَمُوهَا عَلَى مُوَافَقَةٍ مِنْهُمْ ، فَصَارَ مِنْهَا لِكَبِيرِهِمُ ٱلْمُنْذَ أَلْفُ ضَيْعَةٍ فِي غَرْبِيِّ ٱلْأَنْدَلُسِ، فَسَكَنَ مِنْ أَجْلِهَا إِشْبِيلِيَةَ مُقْتَرِبًا مِنْهَا ، وَصَارَ لِأَرْطَبَاشَ أَلْفُ ضَيْعَةٍ ـ وَهُوَ تِلْوُهُ فِي ٱلسِّنِّ ـ وَضِيَاعُهُ فِي مُوَسَّطَةِ ٱلْأَنْدَلُسِ فَسَكَنَ مِنْ أَجْلِهَا قُرْطُبَةَ ، وَصَارَ

لِثَالِثِهِمْ وَقَلَّةَ أَلْفُ ضَيْعَةٍ فِي شَرْقِيِّ ٱلْأَنْدَلُسِ وَجِهَةِ ٱلثَّغْرِ فَسَكَنَ مِنْ أَجْلِهَا مَدِينَةَ طُلَيْطُلَةَ ، فَكَانُوا عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالِ صَدْرَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ إِلَى أَنْ هَلَكَ ٱلْمُنْدُ كَبِيرُهُمْ ، وَخَلَّفَ أَبْنَتَهُ سَارَةَ ٱلْمَعْرُوفَةَ بِالْقُوطِيَّةِ وَٱبْنَيْنِ صَغِيرَيْنِ ، فَبَسَطَ أَرْطَبَاشُ يَدَهُ عَلَى ضِيَاعِهِمْ وَضَمَّهَا إِلَى ضِيَاعِهِ - وَذٰلِكَ فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ - فَأَنْشَأَتْ سَارَةُ بِنْتُ ٱلْمُنْدِ مَرْكَبًا بِإِشْبِيلِيَةَ حَصِينًا كَامِلَ ٱلْعُدَّةِ ، وَرَكِبَتْ فِيهِ مَعَ أَخَوَيْهَا ٱلصَّغِيرَيْنِ تُرِيدُ ٱلشَّامَ حَتَّى نَزَلَتْ بِعَسْقَلَانَ مِنْ سَاحِلِهَا ، ثُمَّ قَصَدَتْ بَابَ ٱلْخَلِيفَةِ هِشَامٍ بِدَارِهِ دِمَشْقَ فَأَنْهَتْ خَبَرَهَا ، وَشَكَتْ ظُلَامَتَهَا مِنْ عَمِّهَا وَتَعَدِّيَهُ عَلَيْهَا ، وَٱحْتَجَّتْ بِالْعَهْدِ ٱلْمُنْعَقِدِ لِأَبِيهَا وَإِخْوَتِهِ عَلَى ٱلْخَلِيفَةِ ٱلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ، فَأَوْصَلَهَا هِشَامٌ إِلَى نَفْسِهِ ، وَأَعْجَبَهُ صُورَتُهَا وَحَزْمُهَا ، وَكَتَبَ إِلَى حَنْظَلَةَ ٱبْنِ صَفْوَانَ(١)

(١) حنظلة بن صفوان الكلبي : ولاه هشام بن عبد الملك افريقية سنة ١٢٤ . ثم قام عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري ، وأخرج حنظلة عن افريقية عنوة و وليها وأثر بها آثارا حسنة ، وغزا صقلية واستمر عبد الرحمن واليا على افريقية الى زمن الخليفة المنصور العباسي

عَامِلِهِ بِإِفْرِيقِيَّةَ بِإِنْصَافِهَا مِنْ عَمِّهَا أَرْطَبَاشَ ، وَإِمْضَائِهَا وَأَخَوَيْهَا عَلَى سُنَّةِ الْمِيرَاثِ فِيمَا كَانَ فِي يَدِ وَالِدِهَا مِمَّا قَاسَمَ فِيهِ إِخْوَتَهُ ، فَأَنْفَذَ لَهَا الْكِتَابَ بِذٰلِكَ إِلَى عَامِلِهِ بِالْأَنْدَلُسِ أَبِي الْخَطَّارِ ابْنِ عَمِّهِ[1] ، فَتَمَّ لَهَا ذَلِكَ ، وَأَنْكَحَهَا الْخَلِيفَةُ هِشَامٌ مِنْ عِيسَى بْنِ مُزَاحِمٍ ، فَابْتَنَى بِهَا بِالشَّامِ ثُمَّ قَدِمَ بِهَا إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَقَامَ لَهَا فِي دِفَاعِ عَمِّهَا أَرْطَبَاشَ عَنْ ضِيَاعِهَا فَنَالَ بِهَا نِعْمَةً عَظِيمَةً ، وَوُلِدَ لَهُ مِنْهَا وَلَدَاهُ : إِبْرَاهِيمُ وَإِسْحٰقُ فَأَدْرَكَا الشَّرَفَ الْمُؤَثَّلَ وَالرِّيَاسَةَ بِإِشْبِيلِيَةَ ، وَشُهِرَا وَنَسْلُهُمَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى أُمِّهِمَا سَارَةَ الْقُوطِيَّةِ[2] ، وَكَانَتْ أَيَّامَ وِفَادَتِهَا عَلَى الْخَلِيفَةِ هِشَامٍ رَأَتْ عِنْدَهُ حَفِيدَهُ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ مُعَاوِيَةَ الدَّاخِلَ بَعْدُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَعَرَفَهَا ،

---

(١) أبو الخطار الكلبي : هو حسام بن ضرار بن سلامان بن خيثم بن ربيعة ابن حصن بن ضمضم بن عدى بن جناب ، ولي الأندلس زمن هشام بن عبد الملك وأظهر العصبية لليمانية على المضرية ، وقتله الصميل بن حاتم بن ذى الجوشن الضبابي (٢) ومنهم العالم الجليل أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز ابن ابراهيم بن القوطية ، كان من أئمة اللغة وصنف فيها « كتاب الأفعال » توفى سنة ٣٠٧ هـ

فَتَوَسَّلَتْ إِلَيْهِ لَمَّا مَلَكَ ٱلْأَنْدَلُسَ ، وَوَفَدَتْ إِلَيْهِ فَاعْتَرَفَ بِذِمَامِهَا وَأَكْرَمَهَا ، وَأَذِنَ لَهَا فِي ٱلدُّخُولِ إِلَى قَصْرِهِ مَتَى جَاءَتْ إِلَى قُرْطُبَةَ ، فَيُجَدِّدُ تَكْرِمَتَهَا وَلَا يَحْجُبُ عِيَالَهُ مِنْهَا ، وَتُوُفِّيَ زَوْجُهَا عِيسَى فِي ٱلسَّنَةِ ٱلَّتِي مَلَكَ فِيهَا عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلْأَنْدَلُسَ ، فَزَوَّجَهَا عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ مِنْ عُمَيْرِ بْنِ سَعِيدٍ .

***

القوطية مع أبيها وعمها

وَكَانَ لَهَا وَلِأَبِيهَا ٱلْمُنْدِ وَعَمِّهَا أَرْطَبَاشَ فِي صَدْرِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ أَخْبَارٌ مُلُوكِيَّةٌ : فَمِنْهَا مَا حَكَاهُ ٱلْفَقِيهُ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ لُبَابَةَ[1] ٱلْمَالِكِيُّ أَنَّهُ قَصَدَ أَرْطَبَاشَ يَوْمًا إِلَى مَنْزِلِهِ عَشَرَةٌ مِنْ رُؤَسَاءِ رِجَالِ ٱلشَّامِيِّينَ فِيهِمْ ٱلصُّمَيْلُ[2] وَٱبْنُ ٱلطُّفَيْلِ وَأَبُو عَبْدَةَ وَغَيْرُهُمْ ، فَأَجْلَسَهُمْ عَلَى ٱلْكَرَاسِيِّ وَبَالَغَ فِي تَكْرِيمِهِمْ ، وَدَخَلَ عَلَى أَثَرِهِمْ مَيْمُونٌ ٱلْعَابِدُ جَدُّ بَنِي حَزْمٍ - وَكَانَ فِي عِدَادِ ٱلشَّامِيِّينَ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ شَدِيدَ ٱلِانْقِبَاضِ عَنْهُمْ لِزُهْدِهِ وَوَرَعِهِ - فَلَمَّا

(١) هو أبو عبد الله (عم محمد بن يحيى بن لبابة) كان عالما ثقة جليلا وفقيها متبحرا توفى بالأندلس سنة ٣١٤ (٢) الصميل بن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن الضبابى ، كان أميرا بالأندلس ، وابنه هذيل بن الصميل قتله عبد الرحمن الداخل

بَصُرَ بِهِ أَرْطَبَاشُ قَامَ إِلَيْهِ دُونَهُمْ إِعْظَامًا ، وَرَقَّاهُ إِلَى كُرْسِيِّهِ الَّذِى كَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ ـ وَكَانَ مُلَبَّسًا صَفَائِحَ الذَّهَبِ ـ وَجَذَبَهُ لِيُجْلِسَهُ مَكَانَهُ ، فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ مَيْمُونٌ وَقَعَدَ عَلَى الْأَرْضِ ، فَقَعَدَ أَرْطَبَاشُ مَعَهُ عَلَيْهَا وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ قَبْلَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ يَاسَيِّدِى : مَا الَّذِى جَاءَ بِكَ إِلَى مِثْلِى ؟ فَقَالَ لَهُ : مَا تَسْمَعُهُ : إِنَّا قَدِمْنَا إِلَى هَذَا الْبَلَدِ غُزَاةً نَحْسَبُ أَنَّ مُقَامَنَا فِيهِ لَا يَطُولُ ، فَلَمْ نَسْتَعِدَّ لِلْمُقَامِ وَلَا كَثَّرْنَا مِنَ الْعُدَّةِ ، ثُمَّ حَدَثَتْ بَعْدَنَا عَلَى مَوَالِينَا وَفِى أَجْنَادِنَا مَا قَدْ أَيِسْنَا مَعَهُ مِنَ الرُّجُوعِ إِلَى أَوْطَانِنَا ، وَقَدْ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْكَ ، فَأُحِبُّ أَنْ تَدْفَعَ إِلَىَّ ضِيَاعًا مِنْ ضِيَاعِكَ أَعْتَمِرُهَا[١] بِيَدِى وَأُؤَدِّى إِلَيْكَ الْحَقَّ مِنْهَا ، وَآخُذُ الْفَضْلَ لِى طَيِّبًا أَتَعَيَّشُ مِنْهُ ، فَقَالَ لَا أَرْضَى لَكَ بِالْمُسَاهَمَةِ بَلْ أَهَبُ لَكَ هِبَةً مُسَوَّغَةً[٢] ، ثُمَّ دَعَا بِوَكِيلٍ لَهُ فَقَالَ لَهُ : سَلِّمْ إِلَيْهِ الْمَجْشَرَ الَّذِى لَنَا عَلَى وَادِى شَوْشٍ بِمَا لَنَا فِيهِ مِنَ الْعَبِيدِ وَالدَّوَابِّ وَالْبَقَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَادْفَعْ إِلَيْهِ

(١) أعتمرها : أقيم فيها متوليا شؤونها (٢) سوغه ما أصاب : هنأه وتركه له خالصا

ٱلضَّيْعَةَ ٱلَّتِي بِجَيَّانَ ، فَتَسَلَّمَ مَيْمُونٌ ٱلضَّيْعَتَيْنِ وَوَرَّثَهُمَا وَلَدَهُ ـ وَإِلَيْـهِ نُسِبَتْ قَلْعَةُ حَزْمٍ(١) ـ فَشَـكَرَهُ مَيْمُونٌ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَامَ عَنْـهُ ، وَقَدْ أَنِفَ ٱلصَّمِيلُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَيْهِ فَأَقْبَلَ عَلَى أَرْطَبَاشَ وَقَالَ لَهُ : كُنْتُ أَظُنُّكَ أَرْجَحَ وَزْنًا ، أَدْخُلُ عَلَيْكَ وَأَنَا سَيِّدُ ٱلْعَرَبِ بِالْأَنْدَلُسِ فِي أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ وَهُمْ سَادَةُ ٱلْمَوَالِي فَلَا تَزِيدُنَا مِنَ ٱلْـكَرَامَةِ عَلَى ٱلْإِقْعَادِ عَلَى أَعْوَادِكَ هَذِهِ ، وَيَدْخُلُ هَذَا ٱلصُّعْلُوكُ فَتَصِيرُ مِنْ إِكْرَامِهِ إِلَى حَيْثُ صِرْتَ ؟ فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا جَوْشَنٍ : إِنَّ أَهْلَ دِينِكَ يُخْبِرُونَنَا أَنَّ أَدَبَهُمْ لَمْ يُرْهِفْكَ(٢) وَلَوْ كَانَ لَمْ تُنْـكِرْ عَلَيَّ مَا فَعَلْتُهُ ، إِنَّـكُمْ ـ أَكْرَمَكُمُ ٱللهُ ـ إِنَّمَا تُـكْرِمُونَ لِدُنْيَاكُمْ وَسُلْطَانِـكُمْ ، وَهَـذَا إِنَّمَا أَكْرَمْتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ رَوَيْنَا عَنِ ٱلْمَسِيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ أَكْرَمَهُ ٱللهُ تَعَالَى مِنْ عِبَادِهِ بِالطَّاعَةِ لَهُ

(١) سيأتى الـكلام على بنى حزم (٢) من الرهف وهو الرقة واللطف ، وأرهف السيف فهو مرهف أى رقت حواشيه

وَجَبَتْ كَرَامَتُهُ عَلَى خَلْقِهِ ، فَكَأَنَّمَا أَلْقَمَهُ حَجَرًا[١] .
وَكَانَ الصَّمِيلُ أُمِّيًّا فَلِذَلِكَ عَرَّضَ بِهِ . فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ :
دَعْنَا مِنْ هَذَا وَانْظُرْ فِيمَا قَصَدْنَا لَهُ ، فَحَاجَتُنَا حَاجَةُ الرَّجُلِ
الَّذِي قَصَدَكَ فَأَكْرَمْتَهُ ، فَانْظُرْ فِي شَأْنِنَا . فَقَالَ لَهُ : أَنْتُمْ
مُلُوكُ النَّاسِ وَلَيْسَ يُرْضِيكُمْ إِلَّا الْكَثِيرُ ، وَهَا أَنَا أَهَبُ
لَكُمْ مِائَةَ ضَيْعَةٍ تَقْتَسِمُونَهَا عَشْرًا عَشْرًا ، وَكَتَبَ لَهُمْ
بِهَا وَأَمَرَ وُكَلَاءَهُ بِتَسْلِيمِهَا إِلَيْهِمْ ، فَكَانَ الْقَوْمُ يَرَوْنَهَا
مِنْ أَطْيَبِ أَمْلَاكِهِمْ . انْتَهَى .

***

دخول موسى ابن نصير الى الأندلس

قَالَ ابْنُ حَيَّانَ وَغَيْرُهُ : وَلَمَّا بَلَغَ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ
مَا صَنَعَهُ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ وَمَا أُتِيحَ لَهُ مِنَ الْفُتُوحِ حَسَدَهُ
وَتَهَيَّأَ لِلْمَسِيرِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، فَعَسْكَرَ وَأَقْبَلَ نَحْوَهَا وَمَعَهُ
جَمَاعَةُ النَّاسِ وَأَعْلَامُهُمْ ، وَقِيلَ : إِنَّهُمْ كَانُوا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ
أَلْفًا ، وَقِيلَ أَكْثَرَ ، فَكَانَ دُخُولُهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فِي شَهْرِ
رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ، وَتَنَكَّبَ[٢] الْجَبَلَ الَّذِي

(١) مثل يضرب : لمن تكلم فأجيب بما يسكته (٢) تنكب الجبل: عدل عنه واعتزله وأقبل نحو غيره

حَلَّهُ طَارِقٌ ،وَدَخَلَ عَلَى الْمَوْضِعِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ الْمَعْرُوفِ الْآنَ بِجَبَلِ مُوسَى ، فَلَمَّا احْتَلَّ الْجَزِيرَةَ الْخَضْرَاءَ قَالَ: مَا كُنْتُ لِأَسْلُكَ طَرِيقَ طَارِقٍ وَلَا أَقْفُوَ أَثَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْعُلُوجُ الْأَدِلَّاءُ أَصْحَابُ يُلْيَانَ : نَحْنُ نُسْلِكُكَ طَرِيقًا هُوَ أَشْرَفُ مِنْ طَرِيقِهِ ، وَنَدُلُّكَ عَلَى مَدَائِنَ هِيَ أَعْظَمُ خَطَرًا وَأَعْظَمُ خَطْبًا وَأَوْسَعُ غُنْمًا مِنْ مَدَائِنِهِ لَمْ تُفْتَحْ بَعْدُ ، يَفْتَحُهَا اللهُ عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ، فَمُلِئَ سُرُورًا ، ـ وَكَانَ شُفُوفُ(١) طَارِقٍ قَدْ غَمَّهُ ـ فَسَارُوا بِهِ فِي جَانِبِ سَاحِلِ شَذُونَةَ فَافْتَتَحَهَا عَنْوَةً ، وَأَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ إِلَيْهِ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى مَدِينَةِ قَرْمُونَةَ(٢) ـ وَلَيْسَ بِالْأَنْدَلُسِ أَحْصَنُ مِنْهَا، وَلَا أَبْعَدُ عَلَى مَنْ يَرُومُهَا بِحِصَارٍ أَوْ قِتَالٍ ـ فَدَخَلَهَا بِحِيلَةٍ تَوَجَّهَتْ بِأَصْحَابِ يُلْيَانَ ، دَخَلُوا إِلَيْهِمْ كَأَنَّهُمْ فُلَّالٌ(٣)، وَطَرَقَهُمْ مُوسَى بِخَيْلِهِ لَيْلًا ، فَفَتَحُوا لَهُمُ الْبَابَ وَأَوْقَعُوا

(١) لعله جمع شف وهو الفضل والربح والزيادة (٢) قرمونية كما فى معجم البلدان ج ٧ ص ٦٢ كورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال إشبيلية قديمة البنيان الخ وممن نزل قرمونة محمد بن يوسف بن بكر بن يوسف ابن حرث بن حميد بن مفضل بن فرج بن محمد الداخل مع موسى ابن نصير نزل بقرمونة وسكن قرطبة ولد سنة ٣٢٧ (٣) أى منهزمون

بِالْأَحْرَاسِ فَمُلِكَتِ الْمَدِينَةُ ، وَمَضَى مُوسَى إِلَى إِشْبِيلِيَةَ جَارَتِهَا فَحَاصَرَهَا ، وَهِيَ أَعْظَمُ مَدَائِنِ الْأَنْدَلُسِ شَأْنًا ، وَأَعْجَبُهَا بُنْيَانًا ، وَأَكْثَرُهَا آثَارًا ، وَكَانَتْ دَارَ الْمُلْكِ قَبْلَ الْقُوطِيِّينَ ، فَلَمَّا غَلَبَ الْقُوطِيُّونَ عَلَى مُلْكِ الْأَنْدَلُسِ حَوَّلُوا السُّلْطَانَ إِلَى طُلَيْطُلَةَ ، وَبَقِيَ رُؤَسَاءُ الدِّينِ فِيهَا أَعْنِي إِشْبِيلِيَةَ ، فَامْتَنَعَتْ أَشْهُرًا عَلَى مُوسَى ثُمَّ فَتَحَهَا اللهُ عَلَيْهِ ، فَهَرَبَ الْعُلُوجُ عَنْهَا إِلَى مَدِينَةِ بَاجَةَ ، فَضَمَّ مُوسَى يَهُودَهَا إِلَى الْقَصَبَةِ ، وَخَلَّفَ بِهَا رِجَالًا ، وَمَضَى مِنْ إِشْبِيلِيَةَ إِلَى لَقَنْتَ (١) إِلَى مَدِينَةِ مَارِدَةَ ، وَكَانَتْ أَيْضًا دَارَ مَمْلَكَةٍ لِبَعْضِ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ ، وَهِيَ ذَاتُ عِزٍّ وَمَنَعَةٍ وَفِيهَا آثَارٌ وَقُصُورٌ وَمَصَانِعُ وَكَنَائِسُ جَلِيلَةُ الْقَدْرِ فَائِقَةُ الْوَصْفِ ، فَحَاصَرَهَا أَيْضًا ، وَكَانَ فِي أَهْلِهَا مَنَعَةٌ شَدِيدَةٌ وَبَأْسٌ عَظِيمٌ ، فَنَالُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ دَفَعَاتٍ وَآذَوْهُمْ ، وَعَمِلَ مُوسَى دَبَّابَةً (٢) دَبَّ الْمُسْلِمُونَ

---

(١) لقنت Alicante : حصنان من أعمال لاردة : لقنت الكبرى ولقنت الصغرى وكلتاهما تنظر الى صاحبتها (٢) الدبابة آلة كانت تتخذ من جلود وخشب للحروب يدخل فيها الرجال فتدفع فى أصل الحصن المحاصر فينقبونه وهم فى جوفها وهى تقيهم ما يرمون به من فوقهم ، سميت بذلك لأنها تدفع فتدب

تَحْتَهَا إِلَى بُرْجٍ مِنْ أَبْرَاجِ سُورِهَا جَعَلُوا يَنْقُبُونَهُ ، فَلَمَّا قَلَعُوا ٱلصَّخْرَ أَفْضَوْا بَعْدَهُ إِلَى ٱلْعَمَلِ ٱلْمَدْعُوِّ بِلِسَانِ ٱلْعَجَمِ أَلَاشَهْ مَاسَهْ ، فَنَبَتْ[1] عَنْهُ مَعَاوِلُهُمْ وَعُدَّتُهُمْ ، وَثَارَ بِهِمُ ٱلْعَدُوُّ عَلَى غَفْلَةٍ ، فَاسْتُشْهِدَ بِأَيْدِيهِمْ قَوْمٌ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ تَحْتَ تِلْكَ ٱلدَّبَّابَةِ فَسُمِّيَ ذَلِكَ ٱلْمَوْضِعُ بُرْجَ ٱلشُّهَدَاءِ ، ثُمَّ دَعَا ٱلْقَوْمَ إِلَى ٱلسِّلْمِ فَتَرَسَّلَ[2] إِلَيْهِ فِي تَقْرِيرِهِ قَوْمٌ مِنْ أَمَاثِلِهِمْ أَعْطَاهُمُ ٱلْأَمَانَ ، وَٱحْتَالَ فِي تَوْهِيمِهِمْ فِي نَفْسِهِ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ أَوَّلَ يَوْمٍ فَإِذَا هُوَ أَبْيَضُ ٱلرَّأْسِ وَٱللِّحْيَةِ كَمَا نَصَلَ خِضَابُهُ[3] فَلَمْ يَتَّفِقْ لَهُمْ مَعَهُ أَمْرٌ ، وَعَاوَدُوهُ قَبْلَ ٱلْفِطْرِ بِيَوْمٍ فَإِذَا هُوَ قَدْ قَنَا[4]

---

(١) لم تؤثر فيها ولم تنل منها (٢) لعلها : فتوسل أو الترسل من الرسل وهو السير والترسل فى الأمور التمهل والتوقر (٣) نصل الشعر : زال عنه الخضاب ، ونصلت لحيته فهى ناصل ، وتنصلت خرجت من الخضاب ، ونصل الدر من السلك ، قال بشر :

فأصبح ناصلا منها ضحيا نصول الدر أسلمه النظام

(٤) قنأ الشىء يقنأ قنوءا : اشتدت حمرته ، قال الأسود بن يعفر :

يسعى بها ذو تومتين مشمر قنأت أنامله من الفرصاد

وقنأه : حمره ، وقنأ لحيته : سودها بالخضاب . وترك الهمزة فيه لغة

لِحْيَتَهُ بِالْحِنَّاءِ فَجَاءَتْ كَضِرَامِ عَرْفَجٍ (١) فَعَجِبُوا مِنْ ذَلِكَ ، وَعَاوَدُوهُ يَوْمَ الْفِطْرِ فَإِذَا هُوَ قَدْ سَوَّدَ لِحْيَتَهُ فَازْدَادَ تَعَجُّبُهُمْ مِنْهُ ، وَكَانُوا لَا يَعْرِفُونَ الْخِضَابَ وَلَا اسْتِعْمَالَهُ ـ فَقَالُوا لِقَوْمِهِمْ : إِنَّا نُقَاتِلُ أَنْبِيَاءَ يَتَخَلَّقُونَ كَيْفَ شَاءُوا وَيَتَصَوَّرُونَ فِي كُلِّ صُورَةٍ أَحَبُّوا ، كَانَ مَلِكُهُمْ شَيْخًا فَقَدْ صَارَ شَابًّا ! وَالرَّأْيُ أَنْ نُقَارِبَهُ وَنُعْطِيَهُ مَا يَسْأَلُهُ فَمَا لَنَا بِهِ طَاقَةٌ ، فَأَذْعَنُوا عِنْدَ ذَلِكَ وَأَكْمَلُوا صُلْحَهُمْ مَعَ مُوسَى عَلَى أَنَّ أَمْوَالَ الْقَتْلَى يَوْمَ الْكَمِينِ وَأَمْوَالَ الْهَارِبِينَ إِلَى جِلِّيقِيَّةَ ، وَأَمْوَالَ الْكَنَائِسِ وَحُلِيَّهَا لِلْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ فَتَحُوا لَهُ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْفِطْرِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ فَمَلَكَهَا .

(١) العرفج ضرب من النبات وشجر سهلى سريع الاتقاد ، وهو لين أغبر الى الخضرة، له ثمرة خشناء كالحسك طيب الريح ، وله زهرة صفراء وليس له حب ولا شوك . ولهبه شديد الحمرة ، ويبالغ فى حمرته فيقال : كأن لحيته ضرام عرفجة ، وفى حديث أبى بكر رضى الله عنه : « خرج كأن لحيته ضرام عرفج »

***

غدر العجم وانتصار المسلمين

ثُمَّ إِنَّ عَجَمَ إِشْبِيلِيَةَ ٱنْتَقَضُوا عَلَى ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱجْتَمَعُوا مِنْ مَدِينَتَيْ بَاجَةَ وَلَبْلَةَ إِلَيْهِمْ، فَأَوْقَعُوا بِالْمُسْلِمِينَ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ نَحْوَ ثَمَانِينَ رَجُلًا، وَأَتَى فَلُّهُمُ ٱلْأَمِيرَ مُوسَى وَهُوَ بِمَارِدَةَ، فَلَمَّا أَنْ فَتَحَهَا وَجَّهَ ٱبْنَهُ عَبْدَ ٱلْعَزِيزِ بْنَ مُوسَى فِي جَيْشٍ إِلَيْهِمْ، فَفَتَحَ إِشْبِيلِيَةَ وَقَتَلَ أَهْلَهَا، وَنَهَضَ إِلَى لَبْلَةَ فَفَتَحَهَا، وَٱسْتَقَامَتِ ٱلْأُمُورُ فِيمَا هُنَالِكَ وَعَلَا ٱلْإِسْلَامُ، وَأَقَامَ عَبْدُ ٱلْعَزِيزِ بِإِشْبِيلِيَةَ، وَتَوَجَّهَ ٱلْأَمِيرُ مُوسَى مِنْ مَارِدَةَ فِي عَقِبِ شَوَّالٍ مِنَ ٱلْعَامِ ٱلْمُؤَرَّخِ يُرِيدُ طُلَيْطُلَةَ، وَبَلَغَ طَارِقًا خَبَرُهُ فَاسْتَقْبَلَهُ فِي وُجُوهِ ٱلنَّاسِ فَلَقِيَهُ فِي مَوْضِعٍ مِنْ كُورَةِ طَلَبِيرَةَ(١). وَقِيلَ: إِنَّ مُوسَى تَقَدَّمَ مِنْ مَارِدَةَ فَدَخَلَ جِلِّيقِيَّةَ مِنْ فَجٍّ نُسِبَ إِلَيْهِ فَخَرَقَهَا حَتَّى وَافَى طَارِقَ بْنَ زِيَادٍ صَاحِبَ مُقَدِّمَتِهِ بِمَدِينَةِ

(١) طلبيرة Talavera : مدينة من أعمال طليطلة الى الشمال الغربي منها كبيرة قديمة البناء على نهر تاجه بالضفة اليمنى منه ، وكانت حاجزا بين المسلمين والافرنج الى أن استولت الافرنجة عليها ، وكانت قد استولى عليها الخراب فاستجدها عبد الرحمن الناصر الأموي وكان لها حصون ونواح كثيرة وتسمى طلبيرة الملكة وكان بها آثار رومانية وأبراج عربية

(٢) فخرقها : فقطعها حتى بلغ أقصاها

اسْتُرْقَةَ(١) فَغَضَّ مِنْهُ عَلَانِيَةً ، وَأَظْهَرَ مَا فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ مِنْ حِقْدٍ . وَاللهُ أَعْلَمُ . وَقِيلَ : لَمَّا وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَيْهِ نَزَلَ إِلَيْهِ إِعْظَامًا لَهُ ، فَقَنَّعَهُ(٢) مُوسَى بِالسَّوْطِ وَوَبَّخَهُ عَلَى اسْتِبْدَادِهِ عَلَيْهِ وَمُخَالَفَتِهِ لِرَأْيِهِ ، وَسَارُوا إِلَى طُلَيْطُلَةَ فَطَالَبَهُ مُوسَى بِأَدَاءِ مَا عِنْدَهُ مِنْ مَالِ الْفَيْءِ وَذَخَائِرِ الْمُلُوكِ ، وَاسْتَعْجَلَهُ بِالْمَائِدَةِ فَأَتَاهُ بِهَا وَقَدْ خَلَعَ مِنْ أَرْجُلِهَا رِجْلًا وَخَبَّأَهُ عِنْدَهُ ، فَسَأَلَهُ مُوسَى عَنْهُ ، فَقَالَ لَا عِلْمَ لِي بِهِ وَهَكَذَا أَصَبْتُهَا ، فَأَمَرَ مُوسَى فَجُعِلَ لَهَا رِجْلٌ مِنْ ذَهَبٍ جَاءَ بَعِيدَ الشَّبَهِ مِنْ أَرْجُلِهَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ التَّعَمُّلُ(٣) وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى أَحْسَنَ مِنْهُ ، فَأَخَلَّ بِهَا .

***

وَقَالَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ : مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ صَاحِبُ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ لَخْمِيٌّ(٤) يُكْنَى أَبَا عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ، يَرْوِي عَنْ فتوحات موسى ابن نصير

(١) كان العرب يغزونها كثيرا وبها قتل شهيدا غازيا أبو عبد الله محمد بن طاهر بن محمد بن طاهر التدميرى الفقيه المحدث العالم العامل فى غزوة سنة ٣٧٨
(٢) قنعه بالسوط : غشاه به (٣) التعمل : التعنى فى العمل والتكلف فيه وعدم الاتقان والاجادة (٤) لخم حى باليمن ، وهو لخم بن عدى ابن الحرث بن مرة بن أدد ، ومنهم كانت ملوك العرب فى الجاهلية وملوك لخم كانوا نزلوا الحيرة وهم آل المنذر

تَمِيمٍ (١) ٱلدَّارِيِّ، وَرَوَى عَنْهُ يَزِيدُ بْنُ مَسْرُوقٍ ٱلْيَحْصُبِيُّ (٢).
وَقِيلَ: غَزَا مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ فِي ٱلْمُحَرَّمِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ فَأَتَى طَنْجَةَ ثُمَّ عَبَرَ عَلَى ٱلْأَنْدَلُسِ فَأَدَاخَهَا (٣)، لَا يَأْتِي عَلَى مَدِينَةٍ إِلَّا فَتَحَهَا وَنَزَلَ أَهْلُهَا عَلَى حُكْمِهِ، وَسَارَ إِلَى قُرْطُبَةَ، ثُمَّ قَفَلَ عَلَى ٱلْأَنْدَلُسِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ، فَأَتَى إِفْرِيقِيَّةَ وَسَارَ عَنْهَا سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ إِلَى ٱلشَّامِ يَؤُمُّ ٱلْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ، يَجُرُّ ٱلدُّنْيَا بِمَا ٱحْتَمَلَهُ مِنْ غَنَائِمِ ٱلْأَنْدَلُسِ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ

(١) هو أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة الدارى ، أسلم سنة تسع، وسكن بيت المقدس وأقطعه النبي صلى الله عليه وسلم بفلسطين قرية عينون من قرى بيت المقدس وكتب له كتابا ، وكان يسكن أولا المدينة ثم انتقل الى الشام بعد قتل سيدنا عثمان، ويكنى بابنته رقية لم يولد له غيرها . وهو أول من أسرج السراج فى المسجد ، وكان كثير التهجد، قام ليلة يصلى حتى أصبح يقرأ آية يرددها وهى : «أم حسب الذين اجترحوا السيئات... الآية» وتوفى رضى الله عنه سنة ٤٠ هـ (٢) نسبة الى يحصب بن مالك حى باليمن من حمير . ومسروق بن الأجدع بن مالك الهمدانى تابعى وكان من عباد أهل الكوفة توفى سنة ٦٣ (٣) داخ يدوخ دوخا: ذل وخضع ، وفى حديث ثقيف : « أداخ العرب ودان له الناس » ودوخ المكان :جال فيه ، وداخ البلاد: قهرها واستولى على أهلها ، ودوخها: سار فيها حتى عرفها ولم تخف عليه طرقها

وَالْأَمْتِعَةِ يَحْمِلُهَا عَلَى الْعَجَلِ وَالظَّهْرِ ، وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ أَلْفَ رَأْسٍ مِنَ السَّبْيِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ هَلَكَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَوَلِيَ سُلَيْمَانُ ، فَنَكَبَ مُوسَى نَكْبًا أَدَّاهُ إِلَى الْمَتْرَبَةِ ، فَهَلَكَ فِي نَكْبَتِهِ تِلْكَ بِوَادِي الْقُرَى(١) سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ

***

حول مائدة سليمان عليه السلام

« قَالَ ابْنُ حَيَّانَ » وَهٰذِهِ الْمَائِدَةُ الْمُنَوَّهُ بِاسْمِهَا الْمَنْسُوبَةُ إِلَى سُلَيْمَانَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِيمَا يَزْعُمُ رُوَاةُ الْعَجَمِ ، وَإِنَّمَا أَصْلُهَا أَنَّ الْعَجَمَ فِي أَيَّامِ مُلْكِهِمْ كَانَ أَهْلُ الْحِسْبَةِ(٢) مِنْهُمْ إِذَا مَاتَ أَحَدُهُمْ أَوْصَى بِمَالٍ لِلْكَنَائِسِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ عِنْدَهُمْ ذٰلِكَ الْمَالُ صَاغُوا مِنْهُ الْآلَاتِ الضَّخْمَةَ مِنَ الْمَوَائِدِ وَالْكَرَاسِيِّ وَأَشْبَاهِهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، تَحْمِلُ الشَّمَامِسَةُ وَالْقُسُوسُ

(١) وادبين المدينة والشام بين تيماء وخيبر ، وهو من أعمال المدينة كثير القرى وبهاسمى وادى القرى ، وفيه يقول جميل بن معمر :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بوادى القرى انى اذا لسعيد
وهل أرين جملا به وهى أيم ... ومارث من حبل الوصال جديد

(٢) الحسبة : الأجر ، واسم من احتساب الأجر على الله ، تقول : فعلته حسبة

فَوْقَهَا مَصَاحِفَ ٱلْأَنَاجِيلِ إِذَا أُبْرِزَتْ فِي أَيَّامِ ٱلْمَنَاسِكِ ، وَيَضَعُونَهَا عَلَى ٱلْمَذَابِحِ فِي ٱلْأَعْيَادِ لِلْمُبَاهَاةِ بِزِينَتِهَا ، فَكَانَتْ تِلْكَ ٱلْمَائِدَةُ بِطُلَيْطُلَةَ مِمَّا صِيغَ فِي هٰذَا ٱلسَّبِيلِ، وَتَأَنَّقَتْ ٱلْأَمْلَاكُ فِي تَفْخِيمِهَا ، يَزِيدُ ٱلْآخِرُ مِنْهُمْ عَلَى ٱلْأَوَّلِ حَتَّى بَرَّزَتْ[1] عَلَى جَمِيعِ مَا ٱتُّخِذَ مِنْ تِلْكَ ٱلْآلَاتِ وَطَارَ الذِّكْرُ مَطَارَهُ عَنْهَا ، وَكَانَتْ مَصُوغَةً مِنْ خَالِصِ ٱلذَّهَبِ مُرَصَّعَةً بِفَاخِرِ ٱلدُّرِّ وَٱلْيَاقُوتِ وَٱلزُّمُرُّدِ ، لَمْ تَرَ ٱلْأَعْيُنُ مِثْلَهَا ، وَبُولِغَ فِي تَفْخِيمِهَا مِنْ أَجْلِ دَارِ ٱلْمَمْلَكَةِ ، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ بِمَوْضِعٍ آلَةُ جَمَالٍ أَوْ مَتَاعُ مُبَاهَاةٍ إِلَّا دُونَ مَا يَكُونُ فِيهَا ، وَكَانَتْ تُوضَعُ عَلَى مَذْبَحِ كَنِيسَةِ طُلَيْطُلَةَ ، فَأَصَابَهَا ٱلْمُسْلِمُونَ هُنَالِكَ وَطَارَ ٱلنَّبَأُ ٱلْفَخْمُ عَنْهَا . وَقَدْ كَانَ طَارِقٌ ظَنَّ بِمُوسَى أَمِيرِهِ مِثْلَ ٱلَّذِي فَعَلَهُ مِنْ غَيْرَتِهِ عَلَى مَا تَهَيَّأَ لَهُ وَمُطَالَبَتِهِ لَهُ بِتَسْلِيمِ مَا فِي يَدِهِ إِلَيْهِ ، فَاسْتَظْهَرَ بِانْتِزَاعِ رِجْلٍ مِنْ أَرْجُلِ هٰذِهِ ٱلْمَائِدَةِ

(١) برّزت : فاقت

خَبَأَهُ عِنْدَهُ ، فَكَانَ مِنْ فَلَجِهِ(١) بِهِ عَلَى مُوسَى عَدُوِّهِ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ إِذْ تَنَازَعَا عِنْدَهُ بَعْدَ الْأَثَرِ فِي جِهَادِهِمَا مَاهُوَ مَشْهُورٌ . انْتَهَى .

***

وصف المائدة

وَقَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ إِنَّ الْمَائِدَةَ كَانَتْ مَصْنُوعَةً مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَكَانَ عَلَيْهَا طَوْقُ لُؤْلُؤٍ وَطَوْقُ يَاقُوتٍ وَطَوْقُ زُمُرُّدٍ ، كُلُّهَا مُكَلَّلَةٌ بِالْجَوَاهِرِ . انْتَهَى

وَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ حَيَّانَ مِنْ أَنَّ الَّذِي نَكَبَ مُوسَى ابْنَ نُصَيْرٍ هُوَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ صَوَابٌ ، وَأَمَّا مَاحَكَاهُ ابْنُ خَلِّكَانَ مِنْ أَنَّ الْمُنْكِبَ(٢) لَهُ الْوَلِيدُ فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ . وَاللهُ أَعْلَمُ

***

صلح موسى مع طارق والفتوحات

« رَجْعٌ إِلَى كَلَامِ ابْنِ حَيَّانَ » قَالُوا ثُمَّ إِنَّ مُوسَى اصْطَلَحَ مَعَ طَارِقٍ وَأَظْهَرَ الرِّضَا عَنْهُ وَأَقَرَّهُ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ

(١) الفلج : الظفر والفوز كالافلاج ، وفلج الرجل على خصمه ، وفلج أصحابه اذا علاهم وفاتهم ، وفلج بحجته وفى حجته ، وفلج سهمه وأفلج: فاز ، والاسم من كل ذلك الفلج والفلج بضم الفاء وسكون اللام وفتحها (٢) يقال نكبه اذا بلغ منه وأصابه بنكبة ومصيبة ، وليس فى المعاجم أنكبه

عَلَى رَسْمِهِ، وَأَمَرَهُ بِالتَّقَدُّمِ أَمَامَهُ فِي أَصْحَابِهِ، وَسَارَ مُوسَى خَلْفَهُ فِي جُيُوشِهِ، فَارْتَقَى إِلَى الثَّغْرِ الْأَعْلَى وَافْتَتَحَ سَرَقُسْطَةَ وَأَعْمَالَهَا، وَأَوْغَلَ فِي الْبِلَادِ، وَطَارِقٌ أَمَامَهُ لَا يَمُرَّانِ بِمَوْضِعٍ إِلَّا فُتِحَ عَلَيْهِمَا، وَغَنَّمَهُمَا اللهُ تَعَالَى مَا فِيهِ، وَقَدْ أَلْقَى اللهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْكَفَرَةِ فَلَمْ يُعَارِضْهُمَا أَحَدٌ إِلَّا بِطَلَبِ صُلْحٍ، وَمُوسَى يَجِيءُ عَلَى أَثَرِ طَارِقٍ فِي ذَٰلِكَ كُلِّهِ، وَيُكَمِّلُ ابْتِدَاءَهُ، وَيُوَثِّقُ لِلنَّاسِ مَا عَاهَدُوهُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا صَفَا الْقُطْرُ كُلُّهُ، وَطَأْمَنَ نُفُوسَ مَنْ أَقَامَ عَلَى سَلْمِهِ، وَوَطَّأَ لِأَقْدَامِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحُلُولِ بِهِ، أَقَامَ لِتَمْيِيزِ ذَلِكَ وَقْتاً، وَأَمْضَى[1] الْمُسْلِمِينَ إِلَى إِفْرَنْجَةَ، فَفَتَحُوا وَغَنِمُوا وَسَلِمُوا وَعَلَوْا وَأَوْغَلُوا، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى وَادِي رُدُونَةَ[2]، فَكَانَ أَقْصَى أَثَرِ الْعَرَبِ وَمُنْتَهَى مَوْطِئِهِمْ مِنْ أَرْضِ الْعَجَمِ. وَقَدْ دَوَّخَتْ بُعُوثُ طَارِقٍ وَسَرَايَاهُ[3] بَلَدَ إِفْرَنْجَةَ، فَمَلَكَتْ مَدِينَتَيْ

(١) أمضى المسلمين : أنفذهم وأرسلهم (٢) أظنه يريد به نهر (دوردونى) بفرنسا Dordogne الذى عليه عند مصبه مدينة (بورود) (برديل ، بردال ـ بالدال والذال فيهما) فقد كان الحد الشمالى للفتوحات العربية (٣) جمع سرية : كتيبة من الجيش قليلة العدد

بَرْشِلُونَةَ(١) وَأَرْبُونَةَ(٢)، وَصَخْرَةَ إِينْيُونَ، وَحِصْنَ لُودُونَ عَلَى وَادِي رُدُونَةَ، فَبَعُدُوا عَنِ ٱلسَّاحِلِ ٱلَّذِي مِنْهُ دَخَلُوا جِدًّا(٣).

وَذُكِرَ أَنَّ مَسَافَةَ مَا بَيْنَ قُرْطُبَةَ وَأَرْبُونَةَ مِنْ بِلَادِ إِفْرَنْجَةَ ثَلَثُمِائَةِ فَرْسَخٍ وَخَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ فَرْسَخًا. وَقِيلَ: ثَلَثُمِائَةِ فَرْسَخٍ وَخَمْسُونَ فَرْسَخًا(٤). وَلَمَّا أَوْغَلَ ٱلْمُسْلِمُونَ إِلَى أَرْبُونَةَ ٱرْتَاعَ لَهُمْ قَارِلَّةُ(٥) مَلِكُ ٱلْإِفْرَنْجَةِ بِٱلْأَرْضِ ٱلْكَبِيرَةِ وَٱنْزَعَجَ

---

(١) ثغر على ساحل البحر الأبيض بالشمال الشرقى من أسبانيا Barcelone وهى العاصمة الثانية بعد مدريد (٢) أربونة بلد فى طرف الثغر وأقصاه من أرض الأندلس، وطليطلة هى النصف فيما بين قرطبة وأربونة، وكانت كتب عمر بن عبد العزيز تنتهى الى أربونة، ثم غلب عليها الافرنج (وفى الأصل أريونة بالياء فى غير موضع وهو تحريف) (٣) اجتازت العرب جبال البرينيه على وعورة طرقها وصعوبة السير فيها ودخلوا أرض فرنسا واكتسحوها الى بواتييه وهى على بعد ٣٣٠ ك م من الجنوب الغربى لباريس، وأجلوا جميع أهل الجزيرة وأقصوهم الى آخر حدودها شمالا حتى لم يبق منهم الا بضع مئات كانوا مع ملك تسميه العرب بلاى ويسميه الأسبانيون بلايو Pelayo فالتجأ هذا العدد القليل الى مكان يعرف عند العرب بالصخرة ويعرف عند الأفرنج باسم جبل كوفا دونجا Covadonga وكانت بقية السيف من هؤلاء القاصين (وهم نحو ثلاثين رجلا) جرثومة البلاء وأصل الشقاء الذى أصاب العرب بعد ذلك. نجاتى

(٤) وقال ابن الفقيه ان بينهما ألف ميل. أى أكثر من ١٦٠٠ كيلومتر

(٥) لعله شارل مارتل

لِانْبِسَاطِهِمْ ، فَحَشَدَ لَهُمْ وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى حِصْنِ لُودُونَ وَعَلِمَتْ الْعَرَبُ بِكَثْرَةِ جُمُوعِهِ زَالَتْ عَنْ وَجْهِهِ ، وَأَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى صَخْرَةِ إِينِيُونَ فَلَمْ يَجِدْ بِهَا أَحَدًا ، وَقَدْ عَسْكَرَ الْمُسْلِمُونَ قُدَّامَهُ فِيمَا بَيْنَ الْأَجْبُلِ الْمُجَاوِرَةِ لِمَدِينَةِ أَرْبُونَةَ وَهُمْ بِحَالِ غِرَّةٍ[1] لَا عُيُونَ[2] لَهُمْ وَلَا طَلَائِعَ[3] ، فَمَا شَعَرُوا حَتَّى أَحَاطَ بِهِمْ عَدُوُّ اللهِ قَارِلَةُ ، فَاقْتَطَعَهُمْ عَنِ اللَّجَإِ إِلَى مَدِينَةِ أَرْبُونَةَ وَوَاضَعَهُمُ الْحَرْبَ: فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا اسْتُشْهِدَ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ ، وَحَمَلَ جُمْهُورُهُمْ عَلَى صُفُوفِهِ حَتَّى اخْتَرَقُوهَا ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ وَلَاذُوا بِحَصَانَتِهَا ، فَنَازَلَهُمْ بِهَا أَيَّامًا أُصِيبَ لَهُ فِيهَا رِجَالٌ ، وَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ الْمُقَامُ ، وَخَامَرَهُ[4] ذُعْرٌ وَخَوْفُ مَدَدٍ لِلْمُسْلِمِينَ فَزَالَ عَنْهُمْ رَاحِلًا إِلَى بَلَدِهِ ، وَقَدْ نَصَبَ فِي وُجُوهِ الْمُسْلِمِينَ حُصُونًا عَلَى وَادِي رُدُونَةَ شَكَّهَا[5] بِالرِّجَالِ

(١) أي غفلة وعدم استعداد (٢) العين : الجاسوس والرقيب (٣) جمع طليعة : القوم يبعثون لمطالعة خبر العدو (٤) خامره : داخله وخالطه (٥) شكها بالرجال : حصنها بهم

فصَيَّرَهَا ثَغْرًا بَيْنَ بَلَدِهِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَذٰلِكَ بِالْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ خَلْفَ الْأَنْدَلُسِ

***

نصر موسى ابن نصير

« وَقَالَ الْحِجَارِيُّ فِي الْمُسْهِبِ » : إِنَّ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ نَصَرَهُ اللّٰهُ نَصْرًا مَا عَلَيْهِ مَزِيدٌ، وَأَجْفَلَتْ[1] مُلُوكُ النَّصَارَى بَيْنَ يَدَيْهِ ، حَتَّى خَرَجَ عَلَى بَابِ الْأَنْدَلُسِ الَّذِي فِي الْجَبَلِ الْحَاجِزِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ ، فَاجْتَمَعَتْ الْإِفْرَنْجُ إِلَى مَلِكِهَا الْأَعْظَمِ قَارِلَّةَ ـ وَهٰذِهِ سِمَةٌ[2] لِمَلِكِهِمْ ـ فَقَالَتْ لَهُ : مَا هٰذَا الْخِزْيُ الْبَاقِي فِي الْأَعْقَابِ[3] ؟ كُنَّا نَسْمَعُ بِالْعَرَبِ وَنَخَافُهُمْ مِنْ جِهَةِ مَطْلَعِ الشَّمْسِ حَتَّى أَتَوْا مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَعَظِيمِ مَا فِيهَا مِنَ الْعُدَّةِ وَالْعَدَدِ بِجَمْعِهِمُ الْقَلِيلِ وَقِلَّةِ عُدَّتِهِمْ وَكَوْنِهِمْ لَا دُرُوعَ لَهُمْ . فَقَالَ لَهُمْ مَا مَعْنَاهُ : الرَّأْيُ عِنْدِي

(١) أجفلت الملوك : أسرعوا فى الهزيمة والهرب (٢) السمة: الهيئة والعلامة

(٣) الأعقاب : الذرية

أَلَّا تَعْتَرِضُوهُمْ فِي خَرْجَتِهِمْ هَذِهِ، فَإِنَّهُمْ كَالسَّيْلِ يَحْمِلُ مَنْ يُصَادِرُهُ، وَهُمْ فِي إِقْبَالِ أَمْرِهِمْ، وَلَهُمْ نِيَّاتٌ تُغْنِي عَنْ كَثْرَةِ الْعَدَدِ، وَقُلُوبٌ تُغْنِي عَنْ حَصَانَةِ الدُّرُوعِ، وَلَكِنْ أَمْهِلُوهُمْ حَتَّى تَمْتَلِئَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ، وَيَتَّخِذُوا الْمَسَاكِنَ، وَيَتَنَافَسُوا فِي الرِّيَاسَةِ، وَيَسْتَعِينَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَحِينَئِذٍ تَتَمَكَّنُونَ مِنْهُمْ بِأَيْسَرِ أَمْرٍ. قَالَ: فَكَانَ وَاللهِ كَذَلِكَ بِالْفِتْنَةِ الَّتِي طَرَأَتْ بَيْنَ الشَّامِيِّينَ وَالْبَلَدِيِّينَ وَالْبَرْبَرِ وَالْعَرَبِ وَالْمُضَرِيَّةِ وَالْيَمَانِيَّةِ، وَصَارَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَعِينُ عَلَى بَعْضٍ بِمَنْ يُجَاوِرُهُمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ. انْتَهَى.

***

فتوحات عبد الأعلى ابن موسى

وَقِيلَ إِنَّ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ أَخْرَجَ ابْنَهُ عَبْدَ الْأَعْلَى إِلَى تُدْمِيرَ فَفَتَحَهَا، وَإِلَى غَرْنَاطَةَ وَمَالَقَةَ وَكُورَةِ رَيَّةَ فَفَتَحَ الْكُلَّ. وَقِيلَ إِنَّهُ لَمَّا حَاصَرَ مَالَقَةَ، وَكَانَ مَلِكُهَا ضَعِيفَ

ٱلرَّأْيِ قَلِيلَ ٱلتَّحَفُّظِ ، كَانَ يَخْرُجُ إِلَى جِنَانٍ لَهُ بِجَانِبِ ٱلْمَدِينَةِ طَلَبًا لِلرَّاحَةِ مِنْ غُمَّةِ⁽¹⁾ ٱلْحِصَارِ مِنْ غَيْرِ نَصْبِ عَيْنٍ وَتَقْدِيمِ طَلِيعَةٍ ، وَعَرَفَ عَبْدُ ٱلْأَعْلَى بِأَمْرِهِ فَأَكْمَنَ لَهُ فِي جَنَبَاتِ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كَانَ يَنْتَابُهَا⁽²⁾ قَوْمًا مِنْ وُجُوهِ فُرْسَانِهِ ذَوِي رَأْيٍ وَحَزْمٍ ، أَرْصَدُوا لَهُ لَيْلًا فَظَفِرُوا بِهِ وَمَلَكُوهُ ، فَأَخَذَ ٱلْمُسْلِمُونَ ٱلْبَلَدَ عَنْوَةً وَمَلَؤُوا أَيْدِيَهُمْ غَنِيمَةً .

***

دخول موسى جليقية

وَقِيلَ كَانَتْ نَفْسُ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ تَنْزَعِجُ⁽³⁾ إِلَى دُخُولِ دَارِ ٱلْكُفْرِ جِلِّيقِيَّةَ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَعْمَلُ فِي ذَلِكَ وَيُعَدِّلُ لَهُ ، إِذْ أَتَاهُ مُغِيثٌ ٱلرُّومِيُّ رَسُولُ ٱلْوَلِيدِ ٱبْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ وَمَوْلَاهُ ، يَأْمُرُهُ بِالْخُرُوجِ عَنِ ٱلْأَنْدَلُسِ وَٱلْإِضْرَابِ عَنِ ٱلْوُغُولِ فِيهَا ، وَيَأْخُذُهُ بِالْقُفُولِ⁽⁴⁾ إِلَيْهِ ،

(١) أي ضيق وشدة (٢) ينتابها : يأتيها مرة بعد أخرى (٣) تطالبه بذلك وتشغله وتجعله قلقا غير هادئ - وفي حديث أنس : «رأيت عمر يزعج أبا بكر ازعاجا يوم السقيفة» أي يقيمه ولا يدعه يستقر حتى بايعه (٤) القفول : الرجوع

فَسَاءَهُ ذَلِكَ وَقَطَعَ بِهِ عَنْ إِرَادَتِهِ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْدَلُسِ بَلَدٌ لَمْ يَدْخُلْهُ الْعَرَبُ إِلَى وَقْتِهِ ذَلِكَ غَيْرُ جِلِّيقِيَّةَ (١)، فَكَانَ شَدِيدَ الْحِرْصِ عَلَى اقْتِحَامِهَا (٢) ، فَلَاطَفَ مُوسَى مُغِيثًا رَسُولَ الْخَلِيفَةِ وَسَأَلَهُ إِنْظَارَهُ (٣) إِلَى أَنْ يُنَفِّذَ عَزْمَهُ فِي الدُّخُولِ إِلَيْهَا وَالْمَسِيرِ مَعَهُ فِي الْبِلَادِ أَيَّامًا ، وَيَكُونُ شَرِيكَهُ فِي الْأَجْرِ وَالْغَنِيمَةِ ، فَفَعَلَ وَمَشَى مَعَهُ حَتَّى بَلَغَ الْمَفَازَةَ فَافْتَتَحَ حِصْنَ بَارُو وَحِصْنَ لُكَّ (٤) فَأَقَامَ هُنَالِكَ وَبَثَّ السَّرَايَا حَتَّى بَلَغُوا صَخْرَةَ بِلَايَ (٥) عَلَى الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ ، فَلَمْ تَبْقَ كَنِيسَةٌ إِلَّا هُدِّمَتْ وَلَا نَاقُوسٌ إِلَّا كُسِرَ ، وَطَاعَتِ الْأَعَاجِمُ فَلَاذُوا بِالسِّلْمِ وَبَذْلِ الْجِزْيَةِ ، وَسَكَنَتِ الْعَرَبُ الْمَفَاوِزَ . وَكَانَ الْعَرَبُ وَالْبَرْبَرُ كُلَّمَا مَرَّ قَوْمٌ مِنْهُمْ بِمَوْضِعٍ اسْتَحْسَنُوهُ حَطُّوا بِهِ وَنَزَلُوهُ قَاطِنِينَ ، فَاتَّسَعَ نِطَاقُ الْإِسْلَامِ بِأَرْضِ الْأَنْدَلُسِ وَخُذِلَ الشِّرْكُ .

---

(١) ناحية قرب ساحل البحر المحيط من جهة شمالى الأندلس فى أقصاه من جهة الغرب (٢) اقتحامها : دخولها بالقوة (٣) أى امهاله وتأخيره (٤) لك : مدينة من أعمال خص البلوط (٥) انظر صفحة ٣٢٤ جـ ١ صخرة جليقية

وَبَيْنَمَا مُوسَى كَذَلِكَ فِي اشْتِدَادِ الظُّهُورِ وَقُوَّةِ الْأَمَلِ إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ رَسُولٌ آخَرُ مِنَ الْخَلِيفَةِ يُكْنَى أَبَا نَصْرٍ، أَرْدَفَ بِهِ الْوَلِيدُ مُغِيثًا لَمَّا اسْتَبْطَأَ مُوسَى فِي الْقُفُولِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يُوَبِّخُهُ وَيَأْمُرُهُ بِالْخُرُوجِ ، وَأَلْزَمَ رَسُولَهُ إِزْعَاجَهُ ، فَانْقَلَعَ حِينَئِذٍ مِنْ مَدِينَةِ لُكَّ بِجِلِّيقِيَّةَ، وَخَرَجَ عَلَى الْفَجِّ(١) الْمَعْرُوفِ بِفَجِّ مُوسَى . وَوَافَاهُ طَارِقٌ فِي الطَّرِيقِ مُنْصَرِفًا مِنَ الثَّغْرِ الْأَعْلَى، فَأَقْفَلَهُ مَعَ نَفْسِهِ وَمَضَيَا جَمِيعًا وَمَعَهُمَا مِنَ النَّاسِ مَنِ اخْتَارَ الْقُفُولَ ، وَأَقَامَ مَنْ آثَرَ السُّكْنَى فِي مَوَاضِعِهِمُ الَّتِي كَانُوا قَدِ اخْتَطُّوهَا وَاسْتَوْطَنُوهَا، وَقَفَلَ مَعَهُمُ الرَّسُولَانِ : مُغِيثٌ وَأَبُو نَصْرٍ حَتَّى احْتَلُّوا(٢) بِإِشْبِيلِيَةَ ، فَاسْتَخْلَفَ مُوسَى ابْنَهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ عَلَى إِمَارَةِ الْأَنْدَلُسِ، وَأَقَرَّهُ بِمَدِينَةِ إِشْبِيلِيَةَ لِاتِّصَالِهَا بِالْبَحْرِ نَظَرًا لِقُرْبِهِ مِنْ مَكَارِهِ الْمَجَازِ ، وَرَكِبَ مُوسَى الْبَحْرَ إِلَى الْمَشْرِقِ بِذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَطَارِقٌ مَعَهُ ، وَكَانَ مُقَامُ طَارِقٍ بِالْأَنْدَلُسِ قَبْلَ دُخُولِ مُوسَى سَنَةً، وَبَعْدَ دُخُولِهِ سَنَتَيْنِ

(١) الفج : الطريق الواسع الواضح بين جبلين (٢) احتلوا باشبيلية : نزلوا بها .

وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَحَمَلَ مُوسَى الْغَنَائِمَ وَالسَّبْيَ[١] وَهُوَ ثَلاثُونَ أَلْفَ رَأْسٍ ، وَالْمَائِدَةَ مُنَوِّهًا بِهَا وَمَعَهَا مِنَ الذَّخَائِرِ وَالْجَوَاهِرِ وَنَفِيسِ الْأَمْتِعَةِ مَالَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُتَلَهِّفٌ عَلَى الْجِهَادِ الَّذِي فَاتَهُ ، آسِفٌ عَلَى مَالَحِقَهُ مِنَ الْإِزْعَاجِ ، وَكَانَ يُؤَمِّلُ أَنْ يَخْتَرِقَ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِ إِفْرَنْجَةَ ، وَيَقْتَحِمَ الْأَرْضَ الْكَبِيرَةَ حَتَّى يَتَّصِلَ بِالنَّاسِ إِلَى الشَّامِ ، مُؤَمِّلًا أَنْ يَتَّخِذَ مُخْتَرَقَهُ بِتِلْكَ الْأَرْضِ طَرِيقًا مَهْيَعًا[٢] يَسْلُكُهُ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فِي مَسِيرِهِمْ وَمَجِيئِهِمْ مِنَ الْمَشْرِقِ وَإِلَيْهِ عَلَى الْبَرِّ لَا يَرْكَبُونَ بَحْرًا . وَقِيلَ : إِنَّهُ أَوْغَلَ فِي أَرْضِ الْفَرَنْجَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَفَازَةٍ كَبِيرَةٍ وَأَرْضٍ سَهْلَةٍ ذَاتِ آثَارٍ ، فَأَصَابَ فِيهَا صَنَمًا عَظِيمًا قَائِمًا كَالسَّارِيَةِ مَكْتُوبًا فِيهِ بِالنَّقْرِ كِتَابَةً غَرِيبَةً[٣] قُرِئَتْ فَإِذَا هِيَ : يَا بَنِي إِسْمَعِيلَ انْتَهَيْتُمْ فَارْجِعُوا[٤] ، فَهَالَهُ ذَلِكَ وَقَالَ :

(١) السبي: الأسرى (٢) المهيع : الطريق الواسع المبسوط والواضح البين (٣) فى الأصل عربية وأظنها محرفة عن غريبة (٤) روى أنه عند اجتياز العرب جبال البرنات عثروا على حجر منقوش عليه نقوش غريبة توصلوا الى حل رموزها فاذا هى : يابنى اسماعيل ارجعوا من حيث أتيتم ، وان سألتم عن سبب فذلك كى يذبح بعضكم بعضا

مَا كُتِبَ هَذَا إِلَّا لِمَعْنًى كَبِيرٍ ، فَشَاوَرَ أَصْحَابَهُ فِي الْإِعْرَاضِ عَنْهُ وَجَوَازِهِ إِلَى مَا وَرَاءَهُ فَاخْتَلَفُوا عَلَيْهِ ، فَأَخَذَ بِرَأْيِ جُمْهُورِهِمْ ، وَانْصَرَفَ بِالنَّاسِ وَقَدْ أَشْرَفُوا عَلَى قَطْعِ الْبِلَادِ وَتَقَصِّي الْغَايَةِ

***

غنائم موسى ابن نصير

« وَحَكَى الرَّازِيُّ » : أَنَّ مُوسَى خَرَجَ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فِي رَجَبٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ أَسَنَّ وَلَدِهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُوسَى ، وَكَانَ مُوسَى فِي عَشَرَةِ آلَافٍ . قَالَ : وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ هُوَ الَّذِي أَغْزَى مُوسَى الْمَغْرِبَ فِي خِلَافَتِهِ ، فَفُتِحَ لَهُ فِي أَهْلِهِ الْبَرَابِرَةِ فُتُوحٌ كِبَارٌ ، حَتَّى لَقَدْ بَعَثَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فِي الْخُمُسِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ سَبِيَّةٍ ، ثُمَّ أَرْدَفَهَا بِعِشْرِينَ أَلْفًا أُخْرَى ، كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْبَرْبَرِ ، فَعَجِبَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَوْمَئِذٍ مِنْ كَثْرَةِ ذَلِكَ .

***

الداخلون الى الأندلس

وَزَعَمَ ابْنُ حَبِيبٍ أَنَّهُ دَخَلَ الْأَنْدَلُسَ رَجُلٌ

وَاحِدٌ مِنْ أَصَاغِرِ ٱلصَّحَابَةِ وَهُوَ ٱلْمُنَيْذِرُ(١) قَالَ : وَدَخَلَهَا مِنَ ٱلتَّابِعِينَ ثَلَاثَةٌ : مُوسَى ٱلْأَمِيرُ ، وَعَلِيُّ ٱبْنُ رَبَاحٍ(٢) ٱللَّخْمِيُّ ، وَحَيْوَةُ بْنُ رَجَاءٍ ٱلتَّمِيمِيُّ ، وَقِيلَ : إِنَّ ثَالِثَهُمْ إِنَّمَا هُوَ حَنَشُ(٣) بْنُ عَبْدِ ٱللهِ ٱلصَّنْعَانِيُّ صَنْعَاءِ ٱلشَّامِ ، وَإِنَّهُمْ قَفَلُوا عَنْهَا بِقُفُولِ مُوسَى . وَأَهْلُ سَرَقُسْطَةَ يَزْعُمُونَ أَنَّ حَنَشًا مَاتَ عِنْدَهُمْ وَلَمْ يَقْفُلْ لِلْمَشْرِقِ ، وَقَبْرُهُ لَدَيْهِمْ مَشْهُورٌ يَتَبَرَّكُونَ بِهِ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَٱللهُ أَعْلَمُ .

وَقِيلَ إِنَّ ٱلتَّابِعِينَ أَرْبَعَةٌ بِأَبِي عَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلْحُبْلِيِّ(٤)

---

(١) هو المنيذر الأسلمي ، وقيل اسمه منذر وكان يسكن افريقية

(٢) هو علي بن رباح بن قصير اللخمي أبو عبد الله المصري ، روى عنه ابنه موسى ، وتوفي سنة ١١٧ ويقال ان قبر ابنه موسى المتوفى سنة ١٦٣ بسرقسطة بأزاء قبر حنش

(٣) هو حنش بن عبد الله (او ابن علي) السبئي الصنعاني ثم الأفريقي ، روى عن علي وابن عباس توفي سنة ١٠٠ هـ وكان ثقة صالحا

(٤) عبد الله بن يزيد المعافري الحبلي أبو عبد الرحمن المصري ، روى عن أبي ذر وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وكان ثقة وتوفي بافريقية سنة ١٠٠ هـ (وفي الأصل في غير موضع : الجيلي وهو تحريف) والحبلي نسبة الى بني الحبلي بطن من الأنصار ثم من الخزرج ، والحبلي لقب سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج لقب به لعظم بطنه ، و بنو الحبلي هؤلاء من ولده .

ٱلْأَنْصَارِيِّ ، وَٱسْمُهُ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ يَزِيدَ . وَٱللهُ أَعْلَمُ .
وَخَمَّسَهُمْ بَعْضُهُمْ بِحَيَّانَ بْنِ أَبِي جَبَلَةَ مَوْلَى بَنِي عَبْدِ ٱلدَّارِ ، وَكَانَ فِي دِيوَانِ مِصْرَ ، فَبَعَثَ بِهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلْفُقَهَاءِ لِيُفَقِّهُوا أَهْلَهَا ، وَكَانَ رَوَى عَنْ عَمْرِو بْنِ ٱلْعَاصِ وَٱبْنِ عَبَّاسٍ وَٱبْنِ عُمَرَ ، وَحَدَّثَ عَنْهُ عَبْدُ ٱلرَّحْمَنِ(١) بْنُ زِيَادِ بْنِ أَنْعَمَ وَغَيْرُهُ ، وَغَزَا مَعَ مُوسَى حِينَ ٱفْتُتِحَ ٱلْأَنْدَلُسَ وَٱنْتَهَى مَعَهُ إِلَى حِصْنٍ مِنْ حُصُونِ ٱلْعَدُوِّ يُقَالُ لَهُ قَرْقَشُونَةُ ، وَقِيلَ : بَلْ قَفَلَ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ فَتُوُفِّيَ بِهَا بَعْدَ ٱلْعِشْرِينَ وَمِائَةٍ(٢)

***

آثار قرقشونه

وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ بَيْنَ قَرْقَشُونَةَ هٰذِهِ وَبَيْنَ بَرْشِلُونَةَ(٣) مَسَافَةَ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، وَفِيهَا ٱلْكَنِيسَةُ ٱلْمُعَظَّمَةُ عِنْدَ ٱلْفِرَنْجِ ٱلْمُسَمَّاةُ شَنْتْ مَرِيَّةَ ، وَقَدْ حَكَى ٱبْنُ حَيَّانَ أَنَّ فِيهَا سَبْعَ سَوَارٍ(٤) مِنْ فِضَّةٍ خَالِصَةٍ لَمْ يَرَ ٱلرَّاءُونَ مِثْلَهَا ،

(١) عبدالرحمن بن أنعم الشعبانى أبو أيوب قاضى افريقية توفى سنة ١٥٦ أو سنة ١٦٢ (٢) توفى سنة ١٢٥ (٣) الذى فى المعجم : وبين قرقشونة وقرطبة ٢٥ يوما (٤) سوار . جمع سارية ، الأسطوانة «العمود»

لا يُحِيطُ ٱلْإِنْسَانُ بِذِرَاعَيْهِ عَلَى وَاحِدَةٍ مِنْهَا مَعَ طُولٍ مُفْرِطٍ.
وَحَنَشٌ ٱلصَّنْعَانِيُّ ٱلْمَذْكُورُ تَابِعِيٌّ جَلِيلٌ، كَانَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ بِالْكُوفَةِ، وَقَدِمَ مِصْرَ بَعْدَ قَتْلِهِ فَصَارَ عِدَادُهُ فِي ٱلْمِصْرِيِّينَ ، وَكَانَ فِيمَنْ قَامَ مَعَ ٱبْنِ ٱلزُّبَيْرِ عَلَى عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَعَفَا عَنْهُ . وَكَفَى ٱلْأَنْدَلُسَ شَرَفًا دُخُولُهُ لَهَا . وَعَلِيُّ بْنُ رَبَاحٍ بَصْرِيٌّ تَابِعِيٌّ يُكْنَى أَبَا عَبْدِ ٱللّٰهِ وَهُوَ لَخْمِيٌّ ، وُلِدَ عَامَ ٱلْيَرْمُوكِ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ ـ قَالَ ٱبْنُ مُعِينٍ أَهْلُ مِصْرَ يَقُولُونَهُ بِفَتْحِ ٱلْعَيْنِ ، وَأَهْلُ ٱلْعِرَاقِ يَقُولُونَهُ بِضَمِّهَا ـ وَرَوَى ٱللَّيْثُ عَنِ ٱبْنِهِ مُوسَى بْنِ عَلِيٍّ ، وَكَانَتْ لِعَلِيِّ بْنِ رَبَاحٍ عِنْدَ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ مَكَانَةٌ ، وَهُوَ ٱلَّذِي زَفَّ ٱبْنَتَهُ أُمَّ ٱلْبَنِينَ لِزَوْجِهَا ٱلْوَلِيدِ ، ثُمَّ عَتَبَ عَلَيْهِ عَبْدُ ٱلْعَزِيزِ فَأَغْزَاهُ إِفْرِيقِيَّةَ . وَأَمَّا ٱلْمُنَيْذِرُ ٱلصَّحَابِيُّ فَلَمْ يَنْسُبْهُ ٱبْنُ حَبِيبٍ ، وَذَكَرَهُ ٱبْنُ عَبْدِ ٱلْبَرِّ فِي ٱلصَّحَابَةِ وَقَالَ إِنَّهُ ٱلْمُنَيْذِرُ ٱلْإِفْرِيقِيُّ ، وَرَوَى عَنْهُ أَبُو عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلْحُبُلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا ٱلْمُنَيْذِرُ ٱلْإِفْرِيقِيُّ ـ وَكَانَ سَكَنَ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَكَانَ صَاحِبَ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ

أَنَّهُ سَمِعَهُ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : « مَنْ قَالَ رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا فَأَنَا ٱلزَّعِيمُ لَهُ فَلَآخُذَنَّ بِيَدِهِ فَلَأُدْخِلَنَّهُ ٱلْجَنَّةَ » . وَرَوَاهُ عَنْهُ ٱبْنُ عَبْدِ ٱلْبَرِّ بِسَنَدِهِ إِلَيْهِ ، وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى فِي حَقِّ ٱلْمُنَيْذِرِ مَزِيدُ بَيَانٍ .

***

قتل صاحب قرطبة

وَلَمَّا قَفَلَ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ إِلَى ٱلْمَشْرِقِ وَأَصْحَابُهُ سَأَلَ مُغِيثًا أَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِ ٱلْعِلْجَ صَاحِبَ قُرْطُبَةَ ٱلَّذِي كَانَ فِي إِسَارِهِ ؛ فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ وَقَالَ : لَا يُؤَدِّيهِ لِلْخَلِيفَةِ سِوَايَ ـ وَكَانَ يُدِلُّ(١) بِوَلَائِهِ مِنَ ٱلْوَلِيدِ ـ فَهَجَمَ عَلَيْهِ مُوسَى فَانْتَزَعَهُ مِنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنْ سِرْتَ بِهِ حَيًّا مَعَكَ ٱدَّعَاهُ مُغِيثٌ ، وَٱلْعِلْجُ لَا يُنْكِرُ قَوْلَهُ وَلٰكِنِ ٱضْرِبْ عُنُقَهُ ، فَفَعَلَ ، فَاضْطَغَنَهَا(٢) عَلَيْهِ مُغِيثٌ وَصَارَ أَلْبًا(٣) مَعَ طَارِقٍ ٱلسَّاعِي عَلَيْهِ . وَٱسْتَخْلَفَ مُوسَى

(١) يدل : يثق بمحبته فيجترئ عليه (٢) اضطغنها : أضمرها وحقدها
(٣) الألب : القوم يجتمعون على عداوة انسان ظلما قال رؤبة :
قد أصبح الناس علينا ألبا فالناس في جنب وكنا جنبا
وألب اليه القوم أتوه من كل جانب ، وتألبوا : اجتمعوا

عَلَى طَنْجَةَ وَمَا يَلِيهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ابْنَهُ الْآخَرَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَقَدْ كَانَ - كَمَا مَرَّ - اسْتَخْلَفَ بِإِفْرِيقِيَّةَ أَكْبَرَ أَوْلَادِهِ عَبْدَ اللهِ ، فَصَارَ جَمِيعُ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ بِيَدِ أَوْلَادِهِ . وَابْنُهُ عَبْدُ اللهِ الَّذِي خَلَّفَهُ بِإِفْرِيقِيَّةَ هُوَ الْفَاتِحُ لِجَزِيرَةِ مَيُورْقَةَ . وَسَارَ مُوسَى فَوَرَدَ الشَّامَ . وَاخْتَلَفَ النَّاسُ هَلْ كَانَ وُرُودُهُ قَبْلَ مَوْتِ الْوَلِيدِ أَوْ بَعْدَهُ ؟ فَمَنْ يَقُولُ بِالثَّانِي قَالَ : قَدِمَ عَلَى سُلَيْمَانَ حِينَ اسْتُخْلِفَ، وَكَانَ مُنْحَرِفًا عَلَيْهِ ، فَسَبَقَ إِلَيْهِ طَارِقٌ وَمُغِيثٌ بِالشَّكِيَّةِ مِنْهُ وَرَمَيَاهُ بِالْخِيَانَةِ ، وَأَخْبَرَاهُ بِمَا صَنَعَ بِهِمَا مِنْ خَبَرِ الْمَائِدَةِ وَالْعِلْجِ صَاحِبِ قُرْطُبَةَ ، وَقَالَا لَهُ : إِنَّهُ قَدْ غَلَّ[1] جَوْهَرًا عَظِيمَ الْقَدْرِ أَصَابَهُ وَلَمْ تَحْوِ الْمُلُوكُ مِنْ بَعْدِ فَتْحِ فَارِسَ مِثْلَهُ . فَلَمَّا وَافَى سُلَيْمَانَ وَجَدَهُ ضَغِينًا عَلَيْهِ فَأَغْلَظَ لَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ بِالتَّأْنِيبِ وَالتَّوْبِيخِ ، فَاعْتَذَرَ لَهُ بِبَعْضِ الْعُذْرِ ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْمَائِدَةِ فَأَحْضَرَهَا ، فَقَالَ لَهُ : زَعَمَ طَارِقٌ أَنَّهُ الَّذِي

(١) غل الشيء : أخذه خفية ودسه فى متاعه . وغل يغل غلولا وأغل : خان ، وخص به بعضهم الخيانة فى الفيء والمغنم

أَصَابَهَا دُونَكَ ، قَالَ : لَا وَمَا رَآهَا قَطُّ إِلَّا عِنْدِى ، فَقَالَ طَارِقٌ : فَلْيَسْأَلْهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الرِّجْلِ الَّتِى تَنْقُصُهَا ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ : هَكَذَا أَصَبْتُهَا وَعَوَّضْتُهَا رِجْلًا صَنَعْتُهَا لَهَا ، فَحَوَّلَ طَارِقٌ يَدَهُ إِلَى قَبَائِهِ(١) فَأَخْرَجَ الرِّجْلَ، فَعَلِمَ سُلَيْمَانُ صِدْقَهُ وَكَذِبَ مُوسَى ، فَحَقَّقَ جَمِيعَ مَا رُمِىَ بِهِ عِنْدَهُ ، وَعَزَلَهُ عَنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ وَأَقْصَاهُ وَحَبَسَهُ، وَأَمَرَ بِتَقَصِّى حِسَابِهِ ، فَأَغْرَمَهُ غُرْمًا عَظِيمًا كَشَفَهُ فِيهِ حَتَّى اضْطُرَّ إِلَى أَنْ سَأَلَ الْعَرَبَ مَعُونَتَهُ ، فَيُقَالُ إِنَّ لَخْمًا حَمَلَتْ عَنْهُ فِى أَعْطِيَتِهَا تِسْعِينَ أَلْفًا ذَهَبًا ، وَقِيلَ حَمَّلَهُ سُلَيْمَانُ غُرْمَ مِائَتَىْ أَلْفٍ ، فَأَدَّى مِائَةَ أَلْفٍ وَعَجَزَ فَاسْتَجَارَ بِيَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ(٢)

---

(١) القباء : كساء يلبس فوق الملابس (٢) يزيد بن المهلب ابن أبى صفرة الأزدى ، كان أبوه واليا بخراسان وتوفى سنة ٨٣ وكان قد استخلف ولده يزيد مكانه وهو ابن ثلاثين سنة فمكث نحو ست سنوات ثم عزله عبد الملك بن مروان برأى الحجاج بن يوسف وصار يزيد فى يد الحجاج (وكان الحجاج زوج أخته هند بنت المهلب ، وكان يكره يزيد لما يرى فيه من النجابة) فعذبه حتى هرب من حبسه الى الشام يريد سليمان بن عبد الملك فشفع له الى أخيه الوليد فأمنه ثم ولاه سليمان خراسان حين أفضت اليه الخلافة ولما توفى سليمان حبسه عمر بن عبد العزيز فهرب من حبسه حتى مات عمر فخالف يزيد وخلع يزيد بن عبد الملك فوجه اليه أخاه مسلمة فقتله سنة ١٠٢

أَسِيرِ سُلَيْمَانَ ، فَاسْتَوْهَبَهُ مِنْ سُلَيْمَانَ فَوَهَبَهُ إِيَّاهُ إِلَّا أَنَّهُ عَزَلَ ابْنَهُ عَبْدَ اللهِ عَنْ إِفْرِيقِيَّةَ

« وَقَالَ الرَّازِيُّ » : إِنَّ الَّذِي أَزْعَجَ مُوسَى عَنِ الْأَنْدَلُسِ أَبُو نَصْرٍ رَسُولُ الْوَلِيدِ، فَقَبَضَ عَلَى عِنَانِهِ وَثَنَاهُ قَافِلًا، وَقَفَلَ مَعَهُ مَنْ أَحَبَّ الْمَشْرِقَ ، وَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ قَطَنُوا بِبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ لِطِيبِهَا فَأَقَامُوا فِيهَا .

***

الغنائم وموت الوليد

وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّارِيخِ إِلَى أَنَّ مُوسَى إِنَّمَا قَدِمَ عَلَى الْوَلِيدِ ، وَأَنَّ سُلَيْمَانَ وَلِيَّ الْعَهْدِ لَمَّا سَمِعَ بِقُرْبِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ مِنْ دِمَشْقَ ، – وَكَانَ الْوَلِيدُ مَرِيضًا – كَتَبَ – أَيْ سُلَيْمَانُ – إِلَى مُوسَى يَأْمُرُهُ بِالتَّرَبُّصِ(١) رَجَاءَ أَنْ يَمُوتَ الْوَلِيدُ قَبْلَ قُدُومِ مُوسَى ، فَيَقْدَمَ مُوسَى عَلَى سُلَيْمَانَ فِي أَوَّلِ خِلَافَتِهِ بِتِلْكَ الْغَنَائِمِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي مَا رُئِيَ وَلَا سُمِعَ مِثْلُهَا ، فَيَعْظُمَ بِذَلِكَ مَقَامُ سُلَيْمَانَ عِنْدَ النَّاسِ ، فَأَبَى مُوسَى مِنْ ذَلِكَ وَمَنَعَهُ دِينُهُ مِنْهُ، وَجَدَّ فِي

(١) التربص : الانتظار والتمهل

ٱلسَّيْرِ حَتَّى قَدِمَ وَٱلْوَلِيدُ حَيٌّ، فَسَلَّمَ لَهُ ٱلْأَخْمَاسَ وَٱلْمَغَانِمَ وَٱلتُّحَفَ وَٱلذَّخَائِرَ، فَلَمْ يَمْكُثِ ٱلْوَلِيدُ إِلَّا يَسِيرًا بَعْدَ قُدُومِ مُوسَى وَتُوُفِّيَ،

***

تعذيب موسى وقتل ابنه

وَٱسْتُخْلِفَ سُلَيْمَانُ فَحَقَدَ عَلَيْهِ وَأَهَانَهُ وَأَمَرَ بِإِقَامَتِهِ فِي ٱلشَّمْسِ حَتَّى كَادَ يَهْلِكُ، وَأَغْرَمَهُ أَمْوَالًا عَظِيمَةً، وَدَسَّ إِلَى أَهْلِ ٱلْأَنْدَلُسِ بِقَتْلِ ٱبْنِهِ ٱلَّذِي ٱسْتَخْلَفَهُ عَلَى ٱلْأَنْدَلُسِ وَهُوَ عَبْدُ ٱلْعَزِيزِ بْنُ مُوسَى ـ وَكَانَ تَوَلَّى ٱلْأَنْدَلُسَ بَعْدَ قُفُولِ أَبِيهِ عَنْهَا بِاسْتِخْلَافِهِ إِيَّاهُ كَمَا سَبَقَ، فَضَبَطَ سُلْطَانَهَا وَضَمَّ نَشَرَهَا[1] وَسَدَّ ثُغُورَهَا، وَٱفْتَتَحَ فِي وِلَايَتِهِ مَدَائِنَ كَثِيرَةً مِمَّا كَانَ قَدْ بَقِيَ عَلَى أَبِيهِ

(١) النشر بفتح الشين: القوم المتفرقون الذين لا يجمعهم رئيس، وجاء القوم نشرا أي متفرقين، وانتشرت الأبل والغنم تفرقت عن غرة من راعيها، والنشر المنتشر، ويقال: ضم الله نشرك، ولم شعثك، أي ما انتشر من أمرك. ومثله جمع الله شملك، وفي حديث عائشة في أبيها رضي الله عنهما: «فرد نشر الأسلام على غره» أي رد ما انتشر من أمر الأسلام الى حالته التي كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، تعني أمر الردة وكفاية أبيها اياه، رضي الله عنه. ــ وفي الاصل نشز، وهو تحريف ــ نجاتي

مُوسَى مِنْهَا ، وَكَانَ مِنْ خَيْرِ الْوُلَاةِ إِلَّا أَنَّ مُدَّتَهُ لَمْ تَطُلْ لِوُثُوبِ الْجُنْدِ بِهِ وَقَتْلِهِمْ إِيَّاهُ عَقِبَ سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ فِي خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ الْمُوقِعِ بِأَبِيهِ مُوسَى لِأَشْيَاءَ نَقَمُوهَا[1] عَلَيْهِ ـ مِنْهَا ـ زَعَمُوا ـ تَزَوُّجُهُ لِزَوْجَةِ لُذَرِيقَ الْمُكَنَّاةِ أُمَّ عَاصِمٍ ، وَكَانَتْ قَدْ صَالَحَتْ عَلَى نَفْسِهَا وَأَمْوَالِهَا وَقْتَ الْفَتْحِ ، وَبَاءَتْ[2] بِالْجِزْيَةِ ، وَأَقَامَتْ عَلَى دِينِهَا فِي ظِلِّ نِعْمَتِهَا إِلَى أَنْ نَكَحَهَا الْأَمِيرُ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، فَحَظِيَتْ عِنْدَهُ[3] ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ سَكَنَ بِهَا فِي كَنِيسَةٍ بِإِشْبِيلِيَةَ ، وَإِنَّهَا قَالَتْ لَهُ : لِمَ لَا يَسْجُدُ لَكَ أَهْلُ مَمْلَكَتِكَ كَمَا كَانَ يَسْجُدُ لِلُذَرِيقَ ـ زَوْجِهَا الْأَوَّلِ ـ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ ؟ فَقَالَ لَهَا : إِنَّ هٰذَا حَرَامٌ فِي

(١) نقموها : أنكروها وكرهوا اتيانها (٢) باءت بالجزية : أقرت بها واعترفت ورضيت بأدائها خاضعة ، وباء بذنبه احتمله واعترف به
(٣) قيل ان قس باجة هو الذى عقد زواجها به ، وهذا مما يدل على رضا الأسبان واغتباطهم بحكم العرب فقد سوغوا لهم أن يعتنقوا ما أرادوا من دين ولم يكرهوهم أبدا على اعتناق الاسلام ما داموا يدفعون الجزية ، ولما لقى المسيحيون من عدل وحسن معاملة ومراعاة دخل الكثير منهم فى دين الله طائعا مختارا . فكان فتح العرب للأندلس نعمة على أهلها خاصة ونورا اهتدى به أهل أوربة عامة . نجاتى

دِينِنَا ، فَلَمْ تَقْنَعْ مِنْهُ بِذَلِكَ ، وَفَهِمَ لِكَثْرَةِ شَغَفِهِ بِهَا أَنَّ عَدَمَ ذَلِكَ مِمَّا يُزْرِى[1] بِقَدْرِهِ عِنْدَهَا ، فَاتَّخَذَ بَابًا صَغِيرًا قُبَالَةَ مَجْلِسِهِ يَدْخُلُ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْهُ فَيَنْحَنُونَ ، وَأَفْهَمَهَا أَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ مِنْهُمْ تَحِيَّةٌ لَهُ فَرَضِيَتْ بِذَلِكَ ، فَنُمِيَ[2] الْخَبَرُ إِلَى الْجُنْدِ مَعَ مَا انْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ مِنْ دَسِيسَةِ سُلَيْمَانَ لَهُمْ فِي قَتْلِهِ فَقَتَلُوهُ ، سَامَحَهُ اللهُ تَعَالَى . وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ أَنَّهُمْ وَجَدُوا فِي الْحَجَرِ بَعْدَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْكِتَابَةِ الَّتِي هِيَ « ارْجِعُوا يَا بَنِي إِسْمَاعِيلَ » الخ مَا مَعْنَاهُ : وَإِنْ سَأَلْتُمْ لِمَ تَرْجِعُونَ ؟ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ تَرْجِعُونَ لِيَضْرِبَ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ . انْتَهَى .

***

أرجوزة الغزال

« قَالَ ابْنُ حَيَّانَ[3] » وَلِيَحْيَى بْنِ حَكَمٍ الشَّاعِرِ الْمَعْرُوفِ بِالْغَزَالِ[4] فِي فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ أُرْجُوزَةٌ حَسَنَةٌ مُطَوَّلَةٌ ذَكَرَ

(١) زرى عليه عابه ، وأزرى به : أدخل عليه عيبا ، وتنقصه
(٢) نمى اليه الحديث : ارتفع وبلغ . وأنمى الحديث : أذاعه على وجه النميمة . ورجحوا أن نميته ـ بالتخفيف ـ : رفعته على وجه الاصلاح ، وهذه محمودة ، ونميته ـ بالتشديد ـ : بلغته على جهة النميمة ؛ وهذه ممقوتة
(٣) حيان بن خلف القرطبي توفى سنة ٤٦٩ (٤) لقب بالغزال لجماله ، وأدرك الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم وتوفى حوالى سنة ٢٥٠

فِيهَا ٱلسَّبَبَ فِي غَزْوِهَا نَظْماً، وَتَفْصِيلَ ٱلْوَقَائِعِ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِهَا، وَعِدَادَ ٱلْأُمَرَاءِ عَلَيْهَا وَأَسْمَاءَهُمْ، فَأَجَادَ وَتَقَصَّى، وَهِيَ بِأَيْدِي ٱلنَّاسِ مَوْجُودَةٌ. انْتَهَى.

***

فذلكة لما تقدم وَقَدْ عَرَفْتَ بِمَا سَبَقَ تَفْصِيلَ مَا أَجْمَلَهُ ٱبْنُ خَلْدُونَ. وَالرِّوَايَاتُ فِي فَتْحِ ٱلْأَنْدَلُسِ مُخْتَلِفَةٌ، وَقَدْ ذَكَرْنَا نَحْنُ بِحَسَبِ مَا ٱقْتَضَاهُ ٱلْوَقْتُ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ، وَأَشَرْنَا إِلَى بَعْضِ ٱلِاخْتِلَافِ فِي ذَلِكَ، وَلَوْ بَسَطْنَا ٱلْعِبَارَةَ فِي ٱلْفَتْحِ لَكَانَ وَحْدَهُ فِي مُجَلَّدٍ أَوْ أَكْثَرَ. وَعُلِمَ مِمَّا أَلْمَعْنَا[1] بِهِ مِنْ كَلَامِ ٱبْنِ خَلْدُونَ ٱلسَّابِقِ ذِكْرُ ٱلْوُلَاةِ لِلْأَنْدَلُسِ مِنْ لَدُنِ ٱلْفَتْحِ، وَهُمْ مِنْ قِبَلِ بَنِي مَرْوَانَ بِالْمَشْرِقِ ٱلْمُنْفَرِدِينَ بِإِمَامَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ قَبْلَ تَفَرُّقِهِمْ، إِلَى أَنِ ٱنْقَرَضَتْ دَوْلَتُهُمُ ٱلْعَظِيمَةُ ٱلَّتِي هِيَ أَلْفُ شَهْرٍ، فَاقْتَطَعَ ٱلْأَنْدَلُسَ عَنْ بَنِي ٱلْعَبَّاسِ

(١) ألمعنا أشرنا، ونوهنا

ٱلدَّائِلِينَ(١) عَلَى بَنِي مَرْوَانَ ٱلنَّاسِخِينَ(٢) لَهُمْ(٣) فَلَّ ٱلْمَرْوَانِيِّينَ عَبْدُ ٱلرَّحْمَٰنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ أَبْنِ مَرْوَانَ ، وَٱقْتَعَدَهَا دَارَ مَمْلَكَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ لِنَفْسِهِ وَلِأَعْقَابِهِ ، وَجَمَعَ بِهَا شَمْلَ بَنِي أُمَيَّةَ وَمَوَالِيهِمْ ، وَأَوْرَثَهَا بَنِيهِ حِقْبَةً(٤) مِنَ ٱلدَّهْرِ ، بَعْدَ أَنْ قَاسَى فِي ذَٰلِكَ خُطُوبًا(٥)، وَٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ ثُمَّ عَلَى ذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ أَهْلُ ٱلْأَنْدَلُسِ أَجْمَعُونَ رِضًا بِهِمْ دُونَ بَنِي ٱلْعَبَّاسِ، بَعْدَ أَنْ حَاوَلَ بَنُو ٱلْعَبَّاسِ مُلْكَهَا، بِأَنْ وَلَّوْا بَعْضَ رُؤَسَاءِ ٱلْعَرَبِ، وَأَمَرُوهُمْ بِٱلْقِيَامِ عَلَى عَبْدِ ٱلرَّحْمَٰنِ وَٱلدُّعَاءِ لِلْعَبَّاسِيِّينَ ٱلْقَاطِعِينَ جُرْثُومَةَ(٦) دَوْلَةِ بَنِي مَرْوَانَ فَلَمْ يَتَيَسَّرْ ذَٰلِكَ، وَظَفِرَ عَبْدُ ٱلرَّحْمَٰنِ بِمَنْ نَصَبَ لَهُ ٱلْحَرْبَ فِي ذَٰلِكَ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ آلَافًا ، وَذَٰلِكَ فِي مُدَّةِ ٱلْمَنْصُورِ كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ تَعَالَى عِنْدَ ذِكْرِ عَبْدِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلدَّاخِلِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ .

---

(١) من الدولة فى الحرب وهى أن تدال احدى الفئتين على الأخرى ، و يقال كانت لنا عليهم الدولة أى الغلب ،تقول اللهم أدلنى على فلان أى انصرنى عليه . والدولة أيضا : الانتقال من حال الشدة الى الرخاء ، ودال يدول : صار ذا شهرة (٢) الناسخين : المزيلين (٣) الفل: الجماعة أو المنهزمون (٤) الحقبة: المدة (٥) الخطوب : الأهوال والحوادث . (٦) جرثومة : أصل

وَسَنَذْكُرُ قَرِيبًا وُلَاةَ ٱلْأَنْدَلُسِ مِنْ حِينِ ٱلْفَتْحِ إِلَى إِمَارَةِ الدَّاخِلِ وَإِنْ سَبَقَ فِي كَلَامِ ٱبْنِ خَلْدُونَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَتْ وِلَادَةُ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ مِنَ ٱلْهِجْرَةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ ٱلصَّلَاةِ وَأَجَلُّ ٱلسَّلَامِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. ٱنْتَهَى.

وَقَالَ ٱلْحِجَارِيُّ(١) فِي ٱلْمُسْهِبِ: يُحْكَى أَنَّ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ أَلْقَى بِنَفْسِهِ عَلَى يَزِيدَ بْنِ ٱلْمُهَلَّبِ لِمَكَانِهِ مِنْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُكَلِّمَهُ فِي أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ: أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ فَاصْغَ(٢) إِلَيَّ، قَالَ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ. فَقَالَ لَهُ: لَمْ أَزَلْ أَسْمَعُ عَنْكَ أَنَّكَ مِنْ أَعْقَلِ ٱلنَّاسِ وَأَعْرَفِهِمْ بِمَكَايِدِ ٱلْحُرُوبِ وَمُدَارَاةِ ٱلدُّنْيَا، فَقُلْ لِي كَيْفَ حَصَلْتَ فِي يَدِ هَذَا الرَّجُلِ بَعْدَ

(١) نسبة الى وادى الحجارة: كورة بالأندلس وينسب اليها جماعة، منهم: محمد بن ابراهيم بن حيون، وسعيد بن مسعدة الحجارى، معجم البلدان ج ٣ ص ٢١٧ (٢) صغا اليه يصغو ويصغى، وصغى يصغى «كرضى» مال. وأصغى: استمع، وأصغى اليه: مال بسمعه

مَا مَلَكْتَ ٱلْأَنْدَلُسَ ، وَأَلْقَيْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ ٱلْبَحْرَ ٱلزَّخَّارَ ، (١) وَتَيَقَّنْتَ بُعْدَ ٱلْمَرَامِ وَٱسْتِصْعَابَهُ ، وَٱسْتَخْلَصْتَ بِلَادًا أَنْتَ ٱخْتَرَعْتَهَا ، وَٱسْتَمْلَكْتَ رِجَالًا لَا يَعْرِفُونَ غَيْرَ خَيْرِكَ وَشَرِّكَ ، وَحَصَلَ فِي يَدِكَ مِنَ ٱلذَّخَائِرِ وَٱلْأَمْوَالِ ، وَٱلْمَعَاقِلِ وَٱلرِّجَالِ ، مَا لَوْ أَظْهَرْتَ بِهِ ٱلِامْتِنَاعَ مَا أَلْقَيْتَ عُنُقَكَ فِي يَدِ مَنْ لَا يَرْحَمُكَ ؟ ثُمَّ إِنَّكَ عَلِمْتَ أَنَّ سُلَيْمَانَ وَلِيُّ عَهْدٍ ، وَأَنَّهُ ٱلْمُوَلَّى بَعْدَ أَخِيهِ ، وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى ٱلْهَلَاكِ لَا مَحَالَةَ ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ خَالَفْتَهُ وَأَلْقَيْتَ بِيَدِكَ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ، وَأَحْقَدْتَ مَالِكَكَ وَمَمْلُوكَكَ ، - قَالَ : يَعْنِي سُلَيْمَانَ وَطَارِقًا - وَمَا رِضَا هٰذَا ٱلرَّجُلِ عَنْكَ إِلَّا بَعِيدٌ ، وَلٰكِنْ لَا آلُو (٢) جُهْدًا . فَقَالَ مُوسَى : يَا بْنَ ٱلْكِرَامِ ، لَيْسَ هٰذَا وَقْتَ تَعْدِيدٍ ، أَمَا سَمِعْتَ إِذَا جَاءَ

(١) زخر البحر « كمنع » وتزخر : طمى وامتلأ ، وزخر الوادى : مد جدا وارتفع وطمى سيله وكثر ماؤه وارتفعت أمواجه ، ويقال : فلان بحر زاخرو بدر زاهر (٢) لا آلو جهدا : لا أدخر وسعاولا أمنعه

اَلْحَيْنُ(١) غَطَّى عَلَى اَلْعَيْنِ . فَقَالَ : مَا قَصَدْتُ بِمَا قُلْتُ لَكَ تَعْدِيدًا وَلَا تَبْكِيتاً(٢)، وَإِنَّمَا قَصَدْتُ تَلْقِيحَ(٣) اَلْعَقْلِ ، وَتَنْبِيهَ اَلرَّأْيِ ، وَأَنْ أَرَى مَا عِنْدَكَ . فَقَالَ مُوسَى: أَمَا رَأَيْتَ اَلْهُدْهُدَ يَرَى اَلْمَاءَ تَحْتَ اَلْأَرْضِ عَنْ بُعْدٍ وَيَقَعُ فِي اَلْفَخِّ وَهُوَ بِمَرْأَى عَيْنِهِ(٤) ؟ ثُمَّ كَلَّمَ فِيهِ سُلَيْمَانَ فَكَانَ مِنْ جَوَابِهِ : إِنَّهُ قَدِ اشْتَمَلَ رَأْسَهُ(٥) بِمَا تَمَكَّنَ لَهُ مِنَ اَلظُّهُورِ ، وَانْقِيَادِ اَلْجُمْهُورِ، وَاَلتَّحَكُّمِ فِي اَلْأَمْوَالِ

(١) الحين : الهلاك والأجل ، ولأبى العلاء المعرى :

اذا نزل المقدور لم يك للقطا نهوض ولا للمخدرات اباء

(٢) التبكيت : التأنيب والتقريع(٣) من المجاز : جرب الأمور فلقحت عقله ، والنظر فى العواقب تلقيح العقول ، وفلان ملقح : منقح مجرب مهذب (٤) وأنشدوا فى مثل ذلك لأبى عمر الزاهد :

اذا أراد الله أمرا بامرئ وكان ذا عقل ورأى وبصر
وحيلة يفعلها فى دفع ما يأتى به محتوم أسباب القدر
غطى عليه سمعه وعقله وسله من ذهنه سل الشعر
حتى اذا أنفذ فيه حكمه رد اليه عقله ليعتبر

(٥) كناية عن التعاظم والاغترار ، ومثله قولهم : ركب رأسه ، اذا مضى على وجهه بغير روية لايطيع مرشدا. ويقال : جعل أمره على ذراعه ، أى يصنع ماشاء

وَالْأَبْشَارِ (١) عَلَى مَا لَا يَمْحُوهُ إِلَّا السَّيْفُ ، وَلَكِنْ قَدْ وَهَبْتُ لَكَ دَمَهُ ، وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ غَيْرُ رَافِعٍ عَنْهُ الْعَذَابَ حَتَّى يَرُدَّ مَا غَلَّ (٢) مِنْ مَالِ اللهِ . قَالَ : وَآلَتْ حَالُهُ (٣) إِلَى أَنْ كَانَ يُطَافُ بِهِ لِيَسْأَلَ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ مَا يَفْتَكُّ بِهِ نَفْسَهُ ، وَفِي تِلْكَ الْحَالِ مَاتَ وَهُوَ مِنْ أَفْقَرِ النَّاسِ وَأَذَلِّهِمْ بِوَادِي الْقُرَى سَائِلًا مَنْ كَانَ نَازِلًا بِهِ . وَقَالَ أَحَدُ غِلْمَانِهِ مِمَّنْ وَفَى لَهُ فِي حَالِ الْفَقْرِ وَالْخُمُولِ : لَقَدْ رَأَيْتُنَا نَطُوفُ مَعَ الْأَمِيرِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ عَلَى أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ، فَوَاحِدٌ يُجِيبُنَا ، وَآخَرُ يَحْتَجِبُ عَنَّا ، وَلَرُبَّمَا دَفَعَ إِلَيْنَا عَلَى جِهَةِ الرَّحْمَةِ الدِّرْهَمَ وَالدِّرْهَمَيْنِ ، فَيَفْرَحُ بِذَلِكَ الْأَمِيرُ لِيَدْفَعَهُ إِلَى الْمُوَكَّلِينَ بِهِ ، فَيُخَفِّفُونَ عَنْهُ مِنَ الْعَذَابِ (٤) ، وَلَقَدْ

(١) أى الناس (٢) غل : خان واختلس (٣) آلت حاله : انتهت
(٤) مما يناسب هذا مع تقدم ذكر الهدهد قول أبى الحسن على بن الحسين ابن على بن أبى الطيب صاحب دمية القصر ، ذيل يتيمة الدهر (قتل سنة ٤٦٧) :

لاتنكرى ياعز ان ذل الفتى ذو الأصل واستعلى خسيس المحتد
ان البزاة رءوسهن عواطل والتاج معقود برأس الهدهد

رَأَيْتُنَا أَيَّامَ ٱلْفُتُوحِ ٱلْعِظَامِ بِٱلْأَنْدَلُسِ نَأْخُذُ ٱلسُّلُوبَ(١) مِنْ قُصُورِ ٱلنَّصَارَى، فَنَفْصِلُ مِنْهَا مَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ ٱلذَّهَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَنَرْمِي بِهِ، وَلَا نَأْخُذُ إِلَّا ٱلدُّرَّ ٱلْفَاخِرَ، فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْعِزُّ وَٱلذُّلُّ وَٱلْغِنَى وَٱلْفَقْرُ . قَالَ : وَكَانَ لَهُ مَوْلًى قَدْ وَفَى لَهُ وَصَبَرَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ ضَاقَ ذَرْعُهُ(٢) بِٱمْتِدَادِ ٱلْحَالِ ، فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يُسْلِمَهُ(٣) وَهُوَ بِوَادِي ٱلْقُرَى فِي أَسْوَإِ حَالٍ ، وَشَعَرَ بِذَلِكَ مُوسَى فَخَضَعَ لِلْمَوْلَى ٱلْمَذْكُورِ ، وَقَالَ لَهُ : يَافُلَانُ ، أَتُسْلِمُنِي فِي هَذِهِ ٱلْحَالَةِ ؟ فَقَالَ لَهُ ٱلْمَوْلَى ــ مِنْ شِدَّةِ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ ٱلضَّجَرِ ــ : قَدْ أَسْلَمَكَ خَالِقُكَ وَمَالِكُكَ ٱلَّذِي هُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ

(١) السلب ما يسلب وما يأخذه أحد القرنين فى الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه من ثياب وسلاح ودابة وغير ذلك، وفى الحديث : «من قتل قتيلا فله سلبه » وجمعه أسلاب ، ولأبى تمام :

ان الأسود أسود الغاب همتها ... يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

(٢) ضاق ذرعه بالأمر ، وذراعه . وضاق به ذرعا : اذا لم يطقه ولم يصبر عليه ، ويقال مالك علىّ ذراع وذرع أى طاقة . واقصد بذرعك، واربع على ظلعك ، أى ارفق بنفسك ، ولا تحملها مالا طاقة لها به (٣) يخذله

فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، وَجَعَلَ يَرْفَعُهُمَا إِلَى ٱلسَّمَاءِ خَاضِعاً مُهَيْنِماً(١) بِشَفَتِهِ . فَمَا سَفَرَتْ(٢) تِلْكَ ٱللَّيْلَةُ إِلَّا عَنْ قَبْضِ رُوحِهِ ، — رَحْمَةُ ٱللهِ عَلَيْهِ — فَقَدْ كَانَ لَهُ مِنَ ٱلْأَثَرِ مَا يُوجِبُ أَنْ يُتَرَحَّمُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ فِعْلَ سُلَيْمَانَ بِهِ وَبِوَلَدِهِ ، وَكَوْنَهُ طَرَحَ رَأْسَ ٱبْنِهِ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ ٱلَّذِى تَرَكَهُ نَائِباً عَنْهُ بِالْأَنْدَلُسِ — وَقَدْ جِيءَ بِهِ مِنْ أَقْصَى ٱلْمَغْرِبِ — بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ وَصَمَاتِهِ(٣) ٱلَّتِى تُعَدُّ عَلَيْهِ طُولَ ٱلدَّهْرِ ، لَا جَرَمَ(٤) أَنَّ ٱللهَ تَعَالَى لَمْ يُمَتِّعْهُ بَعْدَهُ بِمُلْكِهِ وَشَبَابِهِ .

***

بلاغة موسى ابن نصير

وَذَكَرَ ٱبْنُ حَيَّانَ أَنَّ مُوسَى كَانَ عَرَبِيًّا فَصِيحًا وَقَدْ سَبَقَ مِنْ مُرَاجَعَةِ يَزِيدَ بْنِ ٱلْمُهَلَّبِ مَا يَدُلُّ عَلَى بَلَاغَتِهِ ، وَيَكْفِى مِنْهَا مَا ذَكَرَهُ ٱبْنُ حَيَّانَ : أَنَّهُ كَتَبَ

(١) مهينما : متكلما بصوت خفى (٢) السفر بياض النهار ، وسفر الصبح وأسفر : أضاء وانكشف ، وخرجوا فى السفر أى فى بياض الفجر ، وأسفر الليل عن الصباح اذا انجلى عنه وانكشف أثره (٣) وصماته : عيوبه وهفواته التى أخذت عليه وعدت من سقطاته (٤) لاجرم : أى حقا

إِلَى ٱلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ فِيمَا هَالَهُ مِنْ فُتُوحِ ٱلْأَنْدَلُسِ وَغَنَائِمِهَا : إِنَّهَا لَيْسَتِ ٱلْفُتُوحَ وَلَكِنَّهَا ٱلْحَشْرُ.

وَقَالَ ٱلْحِجَارِيُّ : إِنَّ مُنَازَعَةً جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ ٱللهِ ٱبْنِ يَزِيدَ(١) بْنِ أَسِيدٍ بِمَحْضَرِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَلْجَأَتْهُ إِلَى أَنْ قَالَ شِعْرًا مِنْهُ :

جَارَيْتَ غَيْرَ سَئُومٍ(٢) فِي مُطَاوَلَةٍ
لَوْ نَازَعَ ٱلْحَقْلَ لَمْ يَنْزِعْ إِلَى حَصَرِ

---

(١) أظنه عبد الله بن يزيد بن أسيد بن ساعدة الأنصارى من التابعين

(٢) سئوم : ذى سأم وضجر ، والمطاولة فى الأصل: مصدر طاولنى فطلته أى كنت أشد منه طولا ، والمطاولة أيضا التطاول والمماطلة ، مستعار المنازعة فى الحديث والجدال . وقد تكون محرفة عن «مصاولة» وهى المواثبة والمقاتلة ، قال الفرزدق :

قبيلان دون المحصنات تصاولا   تصاول أعناق المصاعيب من عل

أو محرفة عن « مقاولة » وهى المشاركة فى القول ، و يقال: قاولته فى أمره ، وتقاولنا أى تفاوضنا . والحصر ضرب من العى وضيق الصدر ، قال النمر بن تولب :

أعذنى رب من حصر وعى   ومن نفس أعالجها علاجا

ومما ذموا به العى قول الشاعر :

وما بى من عى ولا أنطق الخنا   اذا جمع الأقوام فى الخطب محفل

وَتَقَدَّمَ مَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ كَابْنِ حَيَّانَ أَنَّ مُوسَى مَوْلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ . « وَكَذَا ذَكَرَهُ الْحِجَارِيُّ : تَجَهَّزَ مَعَ أُمِّ الْبَنِينَ بِنْتِ عَبْدِ الْعَزِيزِ(١) حِينَ ابْتَنَى(٢) بِهَا الْوَلِيدُ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَكَانَتْ تُنْمِي مَكَانَتَهُ عِنْدَ الْوَلِيدِ إِلَى أَنْ بَلَغَ مَا بَلَغَ . وَأَشْهَرُ مَنْ كَانَ فِي صُحْبَةِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ مِنْ مَوَالِيهِ طَارِقٌ الْمَشْهُورُ بِالْفُتُوحِ الْعَظِيمَةِ وَطَرِيفٌ ، وَقَدْ جَرَى ذِكْرُهُمَا فِي كِتَابِنَا هٰذَا بِمَا اقْتَضَاهُ الاخْتِصَارُ .

وحصر في كلامه وفي خطبته عي ، وقد تكون « حصر » محرفة عن ضجر وهو القلق ، وضيق نفس مع كلام . والحفل : الجمع من الناس . وحفل القوم واحتفلوا : اجتمعوا واحتشدوا ـ والبيت في الأصل محرف في غير موضع و ربما كان أصله هكذا :

جاريت غير سؤوم في مصاولة لو نازع الحفل لم ينزع الى ضجر

اهـ نجاتي

(١) هي ابنة عبد العزيز بن مروان المتوفى سنة ٨٥ وأخت أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز (٢) بنى على أهله و بأهله وابتنى : دخل بها ، وكان الأصل فيه أن الداخل بأهله كان يضرب عليها قبة ليلة دخوله بها فقيل لكل داخل بأهله : بان

***

أولاد موسى ابن نصير

وَقَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ ـ بَعْدَ ذِكْرِهِ ٱلْخِلَافَ فِي أَنَّ مُوسَى هَلْ هُوَ لَخْمِيٌّ صَرِيحٌ أَوْ بِالْوَلَاءِ أَوْ بَرْبَرِيٌّ أَوْ مَوْلًى لِعَبْدِ ٱلْعَزِيزِ ٱبْنِ مَرْوَانَ ؟ ـ مَا صُورَتُهُ : وَكَانَ فِي عَقِبِهِ نَبَاهَةٌ فِي ٱلسَّلْطَنَةِ ؛ وَلِيَ ٱبْنُهُ عَبْدُ ٱلْعَزِيزِ سَلْطَنَةَ ٱلْأَنْدَلُسِ، وَعَبْدُ ٱلْمَلِكِ سَلْطَنَةَ ٱلْمَغْرِبِ ٱلْأَقْصَى ، وَعَبْـدُ ٱللهِ سَلْطَنَةَ إِفْرِيقِيَّةَ ؛ وَذَكَرَ ٱلْحِجَارِيُّ : أَنَّ أَصْلَهُ مِنْ وَادِي ٱلْقُرَى بِالْحِجَازِ ، وَأَنَّهُ خَدَمَ بَنِي مَرْوَانَ بِدِمَشْقَ، وَتَنَبَّهَ شَأْنُهُ ، فَصَرَّفُوهُ فِي مَمَالِكِهِمْ إِلَى أَنْ وَلِيَ أَفْرِيقِيَّهَ وَمَا وَرَاءَهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فِي زَمَنِ ٱلْوَلِيدِ ٱبْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ، فَدَوَّخَ[1] أَقَاصِيَ ٱلْمَغْرِبِ ، وَدَخَلَ ٱلْأَنْدَلُسَ مِنْ جَبَلِ مُوسَى ٱلْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ ٱلْمُجَاوِرِ لِسَبْتَةَ ، وَدَوَّخَ بِلَادَ ٱلْأَنْدَلُسِ ، ثُمَّ أَوْفَدَهُ ٱلْوَلِيدُ إِلَى ٱلشَّامِ ، فَوَافَقَ مَرَضَهُ ثُمَّ مَوْتَهُ وَخِلَافَةَ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ ، فَعَذَّبَهُ وَٱسْتَصْفَى[2] أَمْوَالَهُ ، وَآلَ أَمْرُهُ إِلَى أَنْ وَجَّهَهُ إِلَى قَوْمِهِ بِوَادِي ٱلْقُرَى لَعَلَّهُمْ

---

(١) دوخ البلاد : قهرها (٢) استصفى أمواله : أخذها كلها

يعطِفُونَ عَلَيْـهِ وَيُؤَدُّونَ عَنْهُ ، فَمَاتَ بِهَا . وَقَدْ نَصَّ ٱبْنُ بَشْـكُوَالَ[1] عَلَى أَنَّهُ مَاتَ بِوَادِي ٱلْقُرَى . أَمَّا مَعَارِفُهُ ٱلسُّلْطَانِيَّةُ فَيَـكْفِيهِ وِلَايَةُ مَا خَلْفَ مِصْرَ إِلَى ٱلْبَحْرِ ٱلْمُحِيطِ بَيْنَ بَرَّيِ ٱلْبَرْبَرِ وَٱلْأَنْدَلُسِ ، وَأَمَّا ٱلْأَدَبِيَّةُ فَقَدْ جَاءَتْ عَنْهُ بَلَاغَةٌ فِي ٱلنَّثْرِ وَٱلنَّظْمِ تُدْخِلُهُ مَعَ نَزَارَتِهَا[2] فِي أَصْحَابِ دُرِّ ٱلْـكَلَامِ . وَذَكَرَ ٱبْنُ بَشْـكُوَالَ أَنَّهُ مِنَ ٱلتَّابِعِينَ ٱلَّذِينَ رَوَوُا ٱلْحَدِيثَ ، وَأَنَّ رِوَايَتَهُ عَنْ تَمِيمٍ ٱلدَّارِيِّ ، وَذِكْرُهُ فِي كُتُبِ ٱلْأَئِمَّةِ مِنَ ٱلْمُصَنِّفِينَ أَنْبَهُ وَأَوْعَبُ مِنْ أَنْ يُخَصَّصَ بِذِكْرِهِ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، وَهُوَ غُرَّةُ ٱلتَّوَارِيخِ ٱلْأَنْدَلُسِيَّةِ ، وَذِكْرُهُ إِلَى ٱلْآنَ جَدِيدٌ فِي أَلْسُنِ ٱلْخَاصَّةِ وَٱلْعَامَّةِ مِنْ أَهْلِهَا .

---

(١) هو أبو القاسم خلف بن عبـد الملك بن مسعود بشكوال بن يوسف الخزرجي الأنصاري القرطبي Ibn Paxcual، كان من علماء الأندلس وله التصانيف المفيدة ، منها كتاب الصلة الذى جعله ذيلا على تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ـ ولد سنة ٤٩٤ وتوفى بقرطبة سنة ٥٧٨ ، وتوفى والده أبو مروان بن مسعود سنة ٥٣٣ و (بشكوال) مأخوذ من Pascual ومعناها المنتسب لعيد الفصح ، ولا يزال بأسبانيا أسرات كثيرة تسمى بهذا الاسم (٢) نزارتها : أى قلتها

***

أخلاق موسى ابن نصير

وَمِنْ مُسْتَهِبِ الْحِجَارِيِّ : كَانَ قَدْ جَمَعَ — رَحِمَهُ اللّٰهُ — مِنْ خِلَالِ الْخَيْرِ مَا أَعَانَهُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ بِهِ عَلَى مَا بَنَى لَهُ مِنَ الْمَجْدِ الْمُشَيَّدِ ، وَالذِّكْرِ الشَّهِيرِ الْمُخَلَّدِ ، الَّذِي لَا يُبْلِيهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَلَا يُعَفِّي(١) جَدِيدَهُ بِلَى الْأَعْصَارِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَغْلِبُ عَلَيْهِ مَا لَا يَكَادُ رَئِيسٌ يَسْلَمُ مِنْهُ ، وَهُوَ الْحِقْدُ وَالْحَسَدُ ، وَالْمُنَافَسَةُ لَا تَخْلُو مِنْ ذٰلِكَ . وَأُنْشِدَ بَعْضُ الرُّؤَسَاءِ : * وَلَيْسَ رَئِيسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحِقْدَا *

فَقَلَبَهُ الرَّئِيسُ وَقَالَ : « مَنْ يَتْرُكُ الْحِقْدَا » ثُمَّ قَالَ: إِنَّ السَّيِّدَ إِذَا تَرَكَ إِضْمَارَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْمُجَازَاةَ عَلَيْهِمَا اجْتُرِئَ عَلَيْهِ ، وَنُسِبَ لِلضَّعْفِ وَالْغَفْلَةِ ، وَهَلْ رَأَيْتَ صَفْقَةً أَخْسَرَ(٢) مِنْ غَفْلَةِ رَئِيسٍ أَحْقَدَهُ غَيْرُهُ ، فَنَسِيَ ذٰلِكَ أَوْ تَنَاسَاهُ ، وَعَدُوُّهُ لَا يَغْفُلُ عَنْهُ ، وَحَاسِدُهُ لَا يَنْفَعُهُ عِنْدَهُ إِلَّا الرَّاحَةُ مِنْهُ ، وَهُوَ فِي وَادٍ آخَرَ عَنْهُ ، وَلِلّٰهِ دَرُّ الْقَائِلِ(٣) :

(١) يعفى : يمحو ، وعفت الرياح الآثار اذا درستها ومحتها ، والعفاء الدروس والهلاك وذهاب الأثر (٢) الصفقة : عقد البيع (٣) هو أبو الطيب المتنبي وقبله :

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

وَوَضْعُ ٱلنَّدَى فِي مَوْضِعِ ٱلسَّيْفِ بِالْعُلَا
مُضِرٌّ كَوَضْعِ ٱلسَّيْفِ فِي مَوْضِعِ ٱلنَّدَا

وَلٰكِنَّ ٱلْأَصْوَبَ أَنْ يَكُونَ ٱلرَّأْيُ مِيزَانًا لَا يَزِنُ ٱلْوَافِيَ لِنَاقِصٍ، وَلَا يَزِنُ ٱلنَّاقِصَ لِوَافٍ، وَيُدَبِّرَ أَمْرَهُ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ ٱلزَّمَانُ، وَيُقَدِّرَ فِيهِ حُسْنَ ٱلْعَاقِبَةِ(١) . وَنَصَّ ٱبْنُ بَشْكُوَالَ عَلَى أَنَّ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ مَاتَ بِوَادِي ٱلْقُرَى سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ، وَغَزَا ٱلْأَنْدَلُسَ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ، وَدَخَلَهَا سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ، وَقَفَلَ عَنْهَا إِلَى ٱلْوَلِيدِ بْنِ

---

(١) وصف أعرابى حقودا فقال : يحقد حقد من لاينحل عقده ، ولا يلين كيده . وقال يحيى بن جعفر لعبد الملك بن صالح : انك حقود ، فقال : ان كان الحقد عندك بقاء الخير والشر انهما عندى لثابتان . فلما قام قال يحيى : مارأيت من احتج للحقد حتى حسنه سواه . وقيل لرجل : انك لحقود ، فقال :

وان امرأ لم يحقد الوتر لم يكن ... لديه لدى النعمى جزاء ولاشكر

وقال ابن الرومى :

وما الحقد الا توءم الشكر فى الفتى ... و بعض السجايا ينتسبن الى بعض
اذا الأرض أدت ريع ما أنت زارع ... من البذر فيها فهى ناهيك من أرض

ولأبى العيناء :

اذا أنا لم أمدح على الخير أهله ... ولم أذمم الجبس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه ... وشق لى الله المسامع والفما ؟

عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بِالْغَنَائِمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ ، وَذَكَرَ أَنَّ وِلَايَتَهُ عَلَى ٱلْأَنْدَلُسِ بِالْمُبَاشَرَةِ مُذْ دَخَلَهَا إِلَى حِينِ خُرُوجِهِ مِنْهَا سَنَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَمَكَثَ فِيهَا مَوْلَاهُ طَارِقٌ سَنَةً ٱنْتَهَى .

وَقَدْ تَقَدَّمَ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ . وَذَكَرَ ٱبْنُ بَشْكُوَالَ أَيْضًا أَنَّ ٱبْنَ حَبِيبٍ قَالَ عَنْ رَبِيعَةَ : غَلَّ ٱلنَّاسُ كُلُّهُمْ يَوْمَ فَتْحِ ٱلْأَنْدَلُسِ إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ فَقَطْ كَانُوا مِنَ ٱلتَّابِعِينَ : حَنَشٌ ٱلصَّنْعَانِيُّ ، وَأَبُو عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلْحُبُلِيُّ ، وَٱبْنُ شِمَاسَةَ(١) ، وَعَيَّاشُ(٢) بْنُ عُقْبَةَ . انْتَهَى .

قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ : وَمِمَّنْ دَخَلَ ٱلْأَنْدَلُسَ مِنْ غَيْرِ هٰؤُلَاءِ ٱلْأَرْبَعَةِ مِنَ ٱلتَّابِعِينَ عَلِيُّ بْنُ رَبَاحٍ ٱللَّخْمِيُّ ، وَمُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ فَاتِحُ ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَحِبَّانُ بْنُ أَبِي جَبَلَةَ ٱلْقُرَشِيُّ(٣) مَوْلَاهُمْ ، وَعَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْغَافِقِيُّ(٤) صَاحِبُ ٱلْأَنْدَلُسِ

(١) هو عبد الله بن شماسة المهرى أبو عمر والمصرى ، يروى عن زيد ابن ثابت وأبى ذر ، وروى عنه يزيد بن حبيب توفى بعد المائة (٢) عياش ابن عقبة بن كايب الحضرمى أبو عقبة المصرى توفى سنة ١٦٠ وفى الأصل عياض (٣) حبان ابن أبى جبلة القرشى مولاهم المصرى ، روى عن عمرو بن العاص وابنه عبد الله توفى بافريقية سنة ١٢٢ . وفى الأصل جيان وهو تحريف . تجانى (٤) روى عن ابن عمر ، وروى عنه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، قتله الروم بالأندلس سنة ١١٥

ٱلْمَذْكُورُ فِي سَلَاطِينِهَا، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَوْسِ بْنِ ثَابِتٍ ٱلْأَنْصَارِيُّ(١) وَزَيْدُ بْنُ قَاصِدٍ ٱلسَّكْسَكِيُّ(٢)، وَٱلْمُغِيرَةُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ ٱلْكِنَانِيُّ(٣) وَعَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْمُغِيرَةِ ٱلْكِنَانِيُّ، وَحَيْوَةُ بْنُ رَجَاءٍ ٱلتَّمِيمِيُّ، وَعَبْدُ ٱلْجَبَّارِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ ٱلرَّحْمَٰنِ بْنِ عَوْفٍ(٤)، وَمَنْصُورُ بْنُ خُزَامَةَ، وَعَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ خَطَّابٍ.

وَذَكَرَ ٱبْنُ حَبِيبٍ أَنَّ عِدَّةَ مَنْ دَخَلَ ٱلْأَنْدَلُسَ مِنَ ٱلتَّابِعِينَ

(١) غزا المغرب والأندلس مع موسى بن نصير وكان من أهل الدين والفضل معروفا بالفقه وروى عن أبي هريرة، ولي افريقية سنة ٩٣ وقال ابن عبد الحكم انه كان على بحر تونس سنة ١٠٢ ولما قتل يزيد بن أبي مسلم والي افريقية اجتمع رأي أهلها عليه فولوه أمورهم وذلك في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان الى أن ولي بشر بن صفوان الكلبي افريقية وكان على مصر فخرج اليها واستخلف أخاه حنظلة (٢) السكاسك: حيان من اليمن الأول من كندة وجدهم القيل سكسك بن أشرس بن ثور « وهو كندة » بن عفير بن عدي بن الحرث بن مرة بن أدد، واسم سكسك حبيس وهو أخو السكون وحاشد ومالك بني أشرس، والثاني من حمير وهم بنو زيد بن وائلة بن حمير ولقب زيد السكاسك، وهي غير سكاسك كندة. (٣) روى عن أبي هريرة وروى عنه سعيد بن سلمة (٤) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني أحد الأعلام، روى عن أبيه وأسامة بن زيد، وروى عنه ابنه عمر وعروة والشعبي وغيرهم وكان ثقة فقيها كثير الحديث توفي سنة ٩٤ هـ.

سِوَى مَنْ لَا يُعْرَفُ نَحْوُ عِشْرِينَ رَجُلًا . وَفِي كِتَابِ ٱبْنِ بَشْكُوَالَ : إِنَّهُ دَخَلَ ٱلْأَنْدَلُسَ مِنَ ٱلتَّابِعِينَ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ رَجُلًا ، وَهُمْ أَسَّسُوا قِبْلَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْجَامِعِ بِقُرْطُبَةَ . وَسَمَّى ٱلْحِجَارِيُّ فِي ٱلْمُسْهِبِ هٰؤُلَاءِ ٱلْمُتَقَدِّمِينَ . وَذَكَرَ ٱبْنُ سَعِيدٍ أَنَّهُ لَمْ يَتَحَقَّقِ ٱلْمَوَاضِعَ ٱلَّتِي تَخْتَصُّ بِهٰؤُلَاءِ ٱلتَّابِعِينَ مِنْ بِلَادِ ٱلْأَنْدَلُسِ ، مَعَ جَزْمِهِ بِأَنَّهُمْ دَخَلُوا ٱلْأَنْدَلُسَ وَسَكَنُوا بِهَا . وَسَيَأْتِي ذِكْرُ ٱلتَّابِعِينَ ٱلدَّاخِلِينَ ٱلْأَنْدَلُسَ بِمَا هُوَ أَشْمَلُ مِنْ هٰذَا . وَقَدْ تَقَدَّمَ غُلُولُ مَنْ عَدَا ٱلتَّابِعِينَ مِنَ ٱلْغَنَائِمِ . وَقَالَ ٱللَّيْثُ بْنُ سَعِيدٍ — بَعْدَ ذِكْرِهِ أَنَّ طَارِقًا أَصَابَ بِٱلْأَنْدَلُسِ مَغَانِمَ كَثِيرَةً مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ — : إِنْ كَانَتِ ٱلطِّنْفِسَةُ[1] لَتُوجَدُ مَنْسُوجَةً بِقُضْبَانِ ٱلذَّهَبِ ، وَتُنْظَمُ ٱلسِّلْسِلَةُ مِنَ ٱلذَّهَبِ بِٱللُّؤْلُؤِ وَٱلْيَاقُوتِ وَٱلزَّبَرْجَدِ ، وَكَانَ ٱلْبَرْبَرُ رُبَّمَا وَجَدُوهَا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ حَمْلَهَا ، حَتَّى يَأْتُوا بِٱلْفَأْسِ فَيَضْرِبُوا بِهِ وَسَطَهَا ، فَيَأْخُذَ أَحَدُهُمْ نِصْفَهَا وَٱلْآخَرُ ٱلنِّصْفَ ٱلْآخَرَ لِنَفْسِهِ ، وَيَسِيرُ مَعَهُمْ جَمَاعَةٌ

(١) الطنفسة : البساط والنمرقة فوق الرحل

وَٱلنَّاسُ مُشْتَغِلُونَ بِغَيْرِ ذَلِكَ . وَعَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ : لَمَّا ٱفْتُتِحَتِ ٱلْأَنْدَلُسُ أَصَابَ ٱلنَّاسُ فِيهَا غَنَائِمَ ، فَغَلُّوا مِنْهَا غُلُولًا كَثِيرًا حَمَلُوهُ فِي ٱلْمَرَاكِبِ ، وَرَكِبُوا ٱلْبَحْرَ فَسَمِعُوا مُنَادِيًا يَقُولُ : ٱللَّهُمَّ غَرِّقْ بِهِمْ ، وَتَقَلَّدُوا ٱلْمَصَاحِفَ ، فَمَا نَشِبُوا(١) أَنْ أَصَابَتْهُمْ رِيحٌ عَاصِفٌ ، وَضَرَبَتِ ٱلْمَرَاكِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا حَتَّى تَكَسَّرَتْ وَغُرِّقَ بِهِمْ . وَأَهْلُ مِصْرَ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ وَيَقُولُونَ : أَهْلُ ٱلْأَنْدَلُسِ لَيْسَ هُمُ ٱلَّذِينَ غَرِقُوا ، وَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ سَرْدَانِيَةَ (٢) ، فَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ ٱلْحَالِ .

***

ذخائر طليطلة ومائدة سليمان

وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ ٱلتَّارِيخِ أَنَّهُ وُجِدَ فِي طُلَيْطُلَةَ حِينَ فُتِحَتْ مِنَ ٱلذَّخَائِرِ وَٱلْأَمْوَالِ مَا لَا يُحْصَى ، فَمِنْ ذَلِكَ مِائَةٌ وَسَبْعُونَ تَاجًا مِنَ ٱلذَّهَبِ ٱلْأَحْمَرِ مُرَصَّعَةً بِٱلدُّرِّ وَأَصْنَافِ ٱلْحِجَارَةِ ٱلثَّمِينَةِ ، وَوُجِدَ فِيهَا أَلْفُ سَيْفٍ مُلُوكِيٍّ ، وَوُجِدَ فِيهَا مِنَ ٱلدُّرِّ وَٱلْيَاقُوتِ أَكْيَالٌ ، وَمِنْ أَوَانِي ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ مَا لَا يُحِيطُ بِهِ وَصْفٌ ، وَمَائِدَةُ سُلَيْمَانَ ، وَكَانَتْ فِيمَا

(١) فما نشبوا : فما لبثوا (٢) سردانية : جزيرة فى بحر الغرب كبيرة وقد غزاها المسلمون وملكوها سنة ٩٢ هـ فى عسكر موسى بن نصير

يُذْكَرُ مِنْ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ . وَزَعَمَ بَعْضُ ٱلْعَجَمِ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ لِسُلَيْمَانَ وَإِنَّمَا أَصْلُهَا أَنَّ ٱلْعَجَمِ أَيَّامَ مُلْكِهِمْ كَانَ أَهْلُ ٱلْحَسَنَةِ فِي دِينِهِمْ إِذَا مَاتَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْصَى بِمَالٍ لِلْكَنَائِسِ ، فَإِذَا ٱجْتَمَعَ عِنْدَهُمْ مَالٌ لَهُ قَدْرٌ صَاغُوا مِنْهُ ٱلْآلَةَ مِنَ ٱلْمَوَائِدِ ٱلْعَجِيبَةِ ، وَٱلْكَرَاسِيِّ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ، تَحْمِلُ ٱلشَّمَامِسَةُ(١) وَٱلْقُسُوسُ فَوْقَهَا ٱلْأَنَاجِيلَ فِي أَيَّامِ ٱلْمَنَاسِكِ(٢) ، وَيَضَعُونَهَا فِي ٱلْأَعْيَادِ لِلْمُبَاهَاةِ ، فَكَانَتْ تِلْكَ ٱلْمَائِدَةُ بِطُلَيْطُلَةَ مِمَّا صُنِعَ فِي هٰذَا ٱلسَّبِيلِ ، وَتَأَنَّقَ ٱلْمُلُوكُ فِي تَحْسِينِهَا ، يَزِيدُ ٱلْآخِرُ مِنْهُمْ فِيهَا عَلَى ٱلْأَوَّلِ ، حَتَّى بَرَّزَتْ(٣) عَلَى جَمِيعِ مَا ٱتُّخِذَ مِنْ تِلْكَ ٱلْآلَاتِ ، وَطَارَ(٤) ٱلذِّكْرُ بِهَا كُلَّ مَطَارٍ ، وَكَانَتْ مَصُوغَةً مِنَ ٱلذَّهَبِ ٱلْخَالِصِ مُرَصَّعَةً بِفَاخِرِ ٱلدُّرِّ وَٱلْيَاقُوتِ وَٱلزَّبَرْجَدِ ، وَقِيلَ إِنَّهَا مِنْ زَبَرْجَدَةٍ خَضْرَاءَ ، حَافَاتُهَا وَأَرْجُلُهَا مِنْهَا ، وَكَانَ لَهَا

(١) شمامسة : جمع شماس وهو دون القس. والكلمة سريانية معناها : خادم (٢) النسك والمنسك : العبادة والطاعة وكل ماتقرب به الى الله تعالى (٣) برزت : فاقت (٤) طار الذكر بها : ذاع صيتها

ثَلْثُمِائَةٍ وَخَمْسٌ وَسِتُّونَ رِجْلًا ، وَكَانَتْ تُوضَعُ فِي كَنِيسَةِ طُلَيْطُلَةَ ، فَأَصَابَهَا طَارِقٌ . انْتَهَى . وَقَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا مَرَّ عَنِ ابْنِ حَيَّانَ مَا فِيهِ نَظِيرُ هَذَا ، وَذَكَرْنَا فِيمَا مَضَى مِنْ أَمْرِ الْمَائِدَةِ وَغَيْرِهَا مَا فِيهِ بَعْضُ تَخَالُفٍ ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّا نَنْقُلُ كَلَامَ الْمُؤَرِّخِينَ وَإِنْ خَالَفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَمُرَادُنَا تَكْثِيرُ الْفَائِدَةِ . وَبِالْجُمْلَةِ ، فَالْمَائِدَةُ جَلِيلَةُ الْمِقْدَارِ وَإِنْ حَصَلَ الْخِلَافُ فِي صِفَتِهَا وَجِنْسِهَا وَعَدَدِ أَرْجُلِهَا ، وَهِيَ مِنْ أَجَلِّ مَا غُنِمَ بِالْأَنْدَلُسِ عَلَى كَثْرَةِ مَا حَصَلَ فِيهَا مِنَ الْغَنَائِمِ الْمُتَنَوِّعَةِ الْأَجْنَاسِ ، الَّتِي ذِكْرُهَا إِلَى الْآنَ شَائِعٌ بَيْنَ النَّاسِ . فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا اسْتَقَرَّ قَدَمُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَتَتَامَّ[1] فَتْحُهَا ، صَرَفَ أَهْلُ الشَّامِ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْعَرَبِ هِمَمَهُمْ إِلَى الْحُلُولِ بِهَا ، فَنَزَلَ بِهَا مِنْ جَرَاثِيمِ[2] الْعَرَبِ وَسَادَاتِهِمْ جَمَاعَةٌ أَوْرَثُوهَا أَعْقَابَهُمْ ، إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ

(١) تتام : تم وكمل (٢) جراثيم : أصول . وروى عن بعضهم : الأزد جرثومة العرب فمن أضل نسبه فليأتهم

مَا كَانَ ؛ فَأَمَّا الْعَدْنَانِيُّونَ فَمِنْهُمْ خِنْدِفٌ[1] وَمِنْهُمْ قُرَيْشٌ ، وَأَمَّا بَنُو هَاشِمٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ ابْنُ غَالِبٍ فِي فَرْحَةِ الْأَنْفُسِ : بِالْأَنْدَلُسِ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ كُلُّهُمْ مِنْ وَلَدِ إِدْرِيسَ ابْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ بَنُو حَمُّودٍ مُلُوكُ الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ انْتِثَارِ[2] سِلْكِ بَنِي أُمَيَّةَ .

***

بنو أمية وغيرهم بالأندلس

وَأَمَّا بَنُو أُمَيَّةَ فَمِنْهُمْ خُلَفَاءُ الْأَنْدَلُسِ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ وَيُعْرَفُونَ هُنَالِكَ إِلَى الْآنَ بِالْقُرَشِيِّينَ ، وَإِنَّمَا عَمَّوْا نَسَبَهُمْ إِلَى أُمَيَّةَ فِي الْآخِرِ لَمَّا انْحَرَفَ النَّاسُ عَنْهُمْ ، وَذَكَرُوا

(١) قال ابن الكلبي : ولد إلياس بن مضر عمرا وهو مدركة ، وعامرا وهو طابخة ، وعميرا وهو قمعة ، وأمهم خندف ، وهي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وكان إلياس قد خرج في نجعة له فنفرت ابله من أرنب فخرج اليها عمرو فأدركها فسمى مدركة ، وخرج عامر فتصيدها وطبخها فسمى طابخة ، وانقمع عمير في الخباء فسمى قمعة ، وخرجت أمهم تسرع فقال لها إلياس أين تخندفين فقالت مازلت أخندف في أثركم فلقبت بخندف « والخندفة ضرب من السير » فذهب لها اسما ولولدها نسبا (٢) انتثار : انفراط وتفرق

أَفْعَالَهُمْ فِي ٱلْحُسَيْنِ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ . وَأَمَّا بَنُو زُهْرَةَ (١) فَمِنْهُمْ بِإِشْبِيلِيَةَ أَعْيَانٌ مُتَمَيِّزُونَ

(١) زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن النضر ابن كنانة أبو حى من قريش وهم أخوال النبى ﷺ ، ومنهم أمه السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة . ومنهم سيدنا سعد بن أبى وقاص بن مالك بن وهب بن عبد مناف بن زهرة توفى سنة ٥٥ رضى الله عنه . وسيدنا عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة توفى بالمدينة سنة ٣١ رضى الله عنه . ومنهم بالأندلس أبو القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا بن زكريا بن مفرج بن يحي بن زياد بن عبد الله بن خالد بن سعد بن أبى وقاص القرشى الزهرى المعروف بابن الأفليلى من أهل قرطبة « افليل قرية من قرى الشام » ولى الوزارة للمستكفى بالله وكان حافظة للأشعار واللغة قائما عليها عالما بالأخبار وأيام الناس ومن أشد الناس انتقادا للكلام والتمييز بين غثه وسمينه مع صدق لهجة وطهارة مغيب وصفاء ضمير وحسن محاضرة ولد سنة ٣٥٢ وتوفى سنة ٤٤١ وصلى عليه محمد ابن جهور بن محمد بن جهور رحمه الله تعالى . ومنهم أبو مروان عبد الملك بن عيسى بن عبد الملك بن نوح بن عيسى بن عبد الملك بن سليمان بن عيسى بن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان من أهل قرطبة ولد سنة ٣٢٥ . وداود بن عبد الله بن عيسى بن حبيب بن اسحق بن ابراهيم بن عبد الجبار بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف من أهل بطليوس كان فقيها فاضلا . وطاهر بن محمد بن طاهر بن عبد الرحمن القرشى الزهرى من ولد أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف يعرف بابن ناهض وسكن سرقسطة كان محدثا فاضلا حسن الخط

***

المخزوميون بالأندلس

وَأَمَّا ٱلْمَخْزُومِيُّونَ (١) فَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ ٱلْمَخْزُومِيُّ ٱلْأَعْمَى ٱلشَّاعِرُ ٱلْمَشْهُورُ مِنْ أَهْلِ حِصْنِ ٱلْمُدَوَّرِ (٢). وَمِنْهُمُ ٱلْوَزِيرُ ٱلْفَاضِلُ فِي ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ أَبُو بَكْرِ بْنُ زَيْدُونَ، وَوَالِدُهُ ٱلَّذِي هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ أَبُو ٱلْوَلِيدِ (٣) بْنُ زَيْدُونَ وَزِيرُ مُعْتَضِدِ بَنِي عَبَّادٍ. قَالَ ٱبْنُ غَالِبٍ: وَفِي ٱلْأَنْدَلُسِ مَنْ يُنْسَبُ إِلَى

---

(١) مخزوم: أبو حي من قريش وهو ابن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب. ومنهم سيف الله خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم رضي الله عنه (٢) حصن حصين مشهور بالأندلس بالقرب من قرطبة غرباً لهم فيه عدة وقائع مشهورة، وأكثر مايقال فيه (مدور) بفتح الميم وضم الدال مخففة وسكون الواو، وهناك حصن المدور بضم الميم وفتح الدال وتشديد الواو المفتوحة، وهو الى الشمال من الأول بفحص البلوط بأسبانيا الوسطى وفى الشعر مايدل على أن الشاعر من فحص المدور (بالتشديد) والشاعر المذكور كان حيا بعد سنة ٥٤٠ (٣) هو عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون كان من أهل النباهة والاجلال والمعرفة باللغة وآدابها متفننا فى ضروب العلم جم الرواية. ولد سنة ٣٥٤ وتوفى بألبيرة فى توجهه اليها لتفقد ضيعة كانت له بها ونقل الى قرطبة فدفن بها سنة ٤٠٥ اه نجاتى

جُمَحَ (١) وَإِلَى بَنِي عَبْدِ ٱلدَّارِ (٢) وَكَثِيرٌ مِنْ قُرَيْشٍ ٱلْمَعْرُوفُونَ بِالْفِهْرِيِّينَ مِنْ بَنِي مُحَارِبِ بْنِ فِهْرٍ (٣)، وَهُمْ مِنْ قُرَيْشِ ٱلظَّوَاهِرِ (٤) وَمِنْهُمْ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ قَطَنٍ سُلْطَانُ ٱلْأَنْدَلُسِ (٥) ، وَمِنْ وَلَدِهِ بَنُو ٱلْقَاسِمِ ٱلْأُمَرَاءِ ٱلْفُضَلَاءِ ، وَبَنُو ٱلْجَدِّ ٱلْأَعْيَانُ ٱلْعُلَمَاءِ . (٦) وَمِنْ بَنِي مُحَارِبِ بْنِ فِهْرٍ

---

(١) بنو جمح من قريش ، وهم بنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب ابن لؤى (٢) أبو بطن من قريش وهو عبد الدار بن قصى بن كلاب ، وهو أكبر ولد أبيه وأحبهم اليه ، وكان قد جعل له الحجابة والسقاية والندوة والرفادة ، ومنهم عثمان بن طلحة بن أبى طلحة عبد الله بن العزى ابن عثمان بن عبد الدار صاحب مفتاح الكعبة . والنسبة اليهم عبدرى ، والدار اسم صنم (٣) فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، وقريش كلهم ينسبون الى فهر (٤) قريش الظواهر : هم النازلون بظهر جبال مكة ، وقريش البطاح هم النازلون ببطاح مكة ، وهم أشرف وأكرم من قريش الظواهر ، قال الكميت .

فحللت معتلج البطا ح وحل غيرك بالظواهر

ومعتلج البطاح بطن مكة ، وذلك أن بنى هاشم و بنى أمية وسادة قريش كانوا نزولا ببطن مكة ، وكان من دونهم نزولا بظواهر جبالها (٥) عبد الملك بن قطن بن عصمة بن أنيس بن عبد الله بن حجوان بن عمر بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر الفهرى أمير الاندلس وليها سنة ١١٥ بعد عبد الرحمن العكى من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسى أمير افريقية وقتل بالاندلس سنة ١٢٥ (٦) ابن الجد هو أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرح الفهرى من

يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفِهْرِيُّ(١) سُلْطَانُ الْأَنْدَلُسِ الَّذِي غَلَبَهُ

أهل اشبيلية سمع من جده الحافظ أبي بكر وغيره وكان ذا رياسة عظيمة في بلده ووجاهة عند الأمراء متمكنة أورثها عقبه مع الفضل الكامل والستر والظاهر جوادا برا كثيرا لمعروف والخير يزين علو قدره تواضعه، وقل أن تجد فاضلا في عصره الا أخذ عنه واستفاد منه توفي رحمه الله سنة ٦١٨ . وهنالك الوزير الفقيه الكاتب أبوالقاسم بن الجد من أعيان الأندلس وأدبائه « وهو أقدم من سابقه » وقد أثنى عليه الفتح بن خاقان وأتى بكثير من نظمه ونثره ، ومنه فصول من رسالة كتبها عن أمير المسلمين الى ابن حمدين في أمر أبي الفضل بن عياض . وكان معاصرا للفتح بن خاقان المتوفى سنة ٥٣٥ و بينهما مكاتبات تجد شيئا منها في قلائد العقيان . وعبيد الله بن الجد الفهري من أهل لبلة كان من ذوى العلم والعناية بتحقيق مسائله ، وقد اختصر كتاب الأشراف للقاضي عبد الوهاب . أحمد نجاتي (١) هو يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري «وأبو عبيدة اسمه مرة توفي سنة ١٠٧ » وعبد الرحمن بن حبيب كان مع أبيه حبيب في العساكر القاصدة لقتال خوارج البربر بنواحي طنجة وهرب في جماعة المنهزمين ودخل الأندلس من مجاز الخضراء قبل دخول بلج بن بشر وثعلبة بن سلامة فأثار الفتن قبل قتل عبد الملك بن قطن أميرها وكانت له في الحروب بها أخبار الى أن وصل حسام بن ضرار الكلبي أبو الخطار أميرا عليها ففرق جموع الفتن ورد الأمور الى الاستقامة وأخرج عبد الرحمن بن حبيب من الأندلس الى افريقية بعد سنة ١٢٥. وحبيب بن أبي عبيدة كان من وجوه أصحاب موسى بن نصير الذين دخلوا معه الأندلس وبقي بعده فيها مع وجوه القبائل الى أن خرج منها مع من خرج برأس عبد العزيز بن موسى ابن نصير الى سليمان بن عبد الملك ثم رجع حبيب بعد ذلك الى افريقية وولي الجيش المقاتل لخوارج البربر ثم قتل في تلك الحرب سنة ١٢٣

عَلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيُّ الدَّاخِلُ . وَجَدُّ يُوسُفَ عُقْبَةُ[١] بْنُ نَافِعٍ الْفِهْرِيُّ صَاحِبُ الْفُتُوحِ بِإِفْرِيقِيَّةَ ، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ : وَلَهُمْ بِالْأَنْدَلُسِ عَدَدٌ وَثَرْوَةٌ .

***

المنتسبون الى كنانة

وَأَمَّا الْمُنْتَسِبُونَ إِلَى عُمُومِ كِنَانَةَ فَكَثِيرٌ ، وَجُلُّهُمْ فِي طُلَيْطُلَةَ وَأَعْمَالِهَا ، وَلَهُمْ يُنْسَبُ الْوَقَّشِيُّونَ[٢] الْكِنَانِيُّونَ الْأَعْيَانُ الْفُضَلَاءُ ، الَّذِينَ مِنْهُمُ الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ[٣] ، وَالْوَزِيرُ أَبُو جَعْفَرٍ ، وَمِنْهُمْ أَبُو الْحُسَيْنِ

أو ١٢٤ ومن قريش الفهريين بالأندلس الأمام الثقة الفقيه المالكى الزاهد أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الطرطوشى العالم الجليل الأديب رحل الى المشرق سنة ٤٧٦ وأخذ عن كثير من أفاضله وسكن الشام مدة ودرس بها وهو صاحب كتاب سراج الملوك وغيره من المؤلفات الممتعة . ولد سنة ٤٥١ ، وتوفى سنة ٥٢٥ بمدينة الاسكندرية (١) عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية ابن الحرث بن عامر بن فهر القرشى الفهرى ، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن خالة عمرو بن العاص ولاه عمرو افريقية لما كان على مصر فغزا البربر سنة ٤١ ثم افتتح كثيرا من بلادهم ، وهو الذى بنى مدينة القيروان سنة ٥٠ وأقام بها ثلاث سنين ، وقتل عقبة سنة ٦٣ (٢) نسبة الى وقش وهى مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة (٣) هو أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام بن سعيد بن خالد الكنانى الحافظ الوقشى الفقيه الجليل كان اماما عالما فى كل فن محدثا نسابة أديبا مؤرخا محققا ، ثم اتهم برأى المعتزلة وظهر له تأليف فى القدر والقرآن وغير ذلك من أقاويلهم و زهد فيه الناس وترك الحديث عنه جماعة من كبار مشايخ

ابْنُ جُبَيْرٍ الْعَالِمُ صَاحِبُ الرِّحْلَةِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي مَحَلِّهِ . وَأَمَّا هُذَيْلُ بْنُ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ فَذَكَرَ ابْنُ غَالِبٍ أَنَّ مَنْزِلَهُمْ بِجِهَةِ أَرْيُولَةَ[1] مِنْ كُورَةِ تُدْمِيرَ .

***

بنو تميم بالأندلس

وَأَمَّا تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ[2] بْنِ أُدِّ بْنِ طَابِخَةَ بْنِ إِلْيَاسَ ابْنِ مُضَرَ فَذَكَرَ ابْنُ غَالِبٍ أَيْضًا أَنَّهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَمِنْهُمْ أَبُو الطَّاهِرِ[3] صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ اللُّزُومِيَّةِ . وَأَمَّا ضَبَّةُ بْنُ أُدِّ بْنِ طَابِخَةَ فَذَكَرَ أَنَّهُمْ قَلِيلُونَ بِالْأَنْدَلُسَ . فَهَؤُلَاءِ خِنْدِفٌ مِنَ الْعَدْنَانِيَّةِ . وَأَمَّا قَيْسُ عَيْلَانَ[4] بْنُ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ مِنَ الْعَدْنَانِيَّةِ

الأندلس . ودخل العدو بلنسية وهو بها فالتزم قضاء المسلمين بها ثم خرج الى مدينة دانية وتوفى بهاسنة ٤٨٨ . ومن كنانة دكين بن ربيعة بن رفر ابن دكين بن الحرث بن مروان بن أسد بن كنانة المحاربى المؤدب من أهل قرطبة أدب الحكم بن هشام وكان عالما فاضلا

(١) أوريولة : مدينة بشرقى الأندلس من ناحية تدمير على نهر مرسية والى الشمال منها و بساتينها متصلة ببساتين مرسية (٢) مر « وفى الأصل مرة ، وهو خطأ » (٣) هو محمد بن يوسف بن عبد الله التميمى من أهل سرقسطة سكن قرطبة ، كان مقدما فى اللغة والأدب شاعرا محسنا ، وله مقامات من انشائه أخذت عنه واستحسنت ، توفى بقرطبة سنة ٥٣٨ (٤) وعيلان أبو قيس هو الياس بن مضر بن نزار ، وقيل الصواب قيس

فَفِي ٱلْأَنْدَلُسِ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى ٱلْعُمُومِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى سُلَيْمِ (١) بْنِ مَنْصُورِ بْنِ عِكْرِمَةَ بْنِ خَصَفَةَ بْنِ قَيْسٍ، كَعَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ حَبِيبٍ ٱلسُّلَمِيِّ (٢) ٱلْفَقِيهِ صَاحِبِ ٱلْإِمَامِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ، وَكَٱلْقَاضِي أَبِي حَفْصٍ (٣) ٱبْنِ عُمَرَ قَاضِي قُرْطُبَةَ . وَمِنْ قَيْسٍ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى

عيلان مضافا ، و يؤيد الأول قول سحبان :

لقدعلمت قيس بن عيلان أنني اذا قلت أما بعد أني خطيبها

وقول زفر بن الحرث :

الا انما قيس بن عيلان بقة اذا وجدت ريح العصير تغنت

و يؤيد الثاني قول الآخر :

الى حكم من قيس عيلان فيصل وآخر من حي ربيعة عالم

وقول الأخطل

ضجوا من الحرب اذعضت غوار بهم وقيس عيلان من أخلاقها الضجر

و (عيلان) في الأصل اسم للذكر من الضباع ، ويقال هو في الأصل اسم فرسه فأضيف اليه وعرف به كما عرف قيس كبة في بجيلة بفرس له اسمه كبة ، وقيل غير ذلك (١) أبو قبيلة من قيس عيلان (٢) كان فقيها محدثا عالما لغويا أديبا ويقال انه لقي الأمام مالكا آخر عمره ، وكان يقال : فقيه الأندلس عيسى بن دينار ، وعالمها عبد الملك بن حبيب ، و راويها يحيى ابن يحيى . توفي الأمام أبو مروان عبد الملك بن حبيب سنة ٢٣٨ — وابنه عبيدالله كان رجلا صالحا فاضلا توفي بالأندلس في نيف وتسعين ومائتين (٣) هو عمر بن عبد الله بن عمر السلمي أبو حفص الأغماتي نزيل فاس روى عن جده لأمه عبد الله بن علي اللخمي سبط أبي عمر بن عبد البر ، كان عالما أديبا ولي قضاء تلمسان ، ثم قضاء فاس و ولي أيضا قضاء اشبيلية ونال دنيا عريضة وكان خطيبا مفوها توفي سنة ٦٠٣

هَوَازِنَ بْنِ مَنْصُورِ بْنِ عِكْرِمَةَ ، قَالَ ابْنُ غَالِبٍ وَهُمْ بِإِشْبِيلِيَةَ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى بَكْرِ ابْنِ هَوَازِنَ ، قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَلَهُمْ مَنْزِلٌ بِجَوْفِيٍّ بَلَنْسِيَةَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْهَا ، وَبِإِشْبِيلِيَةَ وَغَيْرِهَا مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ .

***

بنوحزم بالأندلس

وَمِنْهُمْ بَنُو حَزْمٍ (١) وَهُمْ بَيْتٌ غَيْرُ الْبَيْتِ الَّذِي مِنْهُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَزْمٍ الْحَافِظُ الظَّاهِرِيُّ (٢) وَهُوَ فَارِسِيٌّ

---

(١) قال فى بغية الملتمس : أبو بكر يحيى بن حزم شيخ من شيوخ الأدب ، وله فى ذلك ذكر ، وهو الذى خاطبه أبو عامر بن شهيد برسالة التوابع والزوابع التى سماها شجرة الفكاهة ، وهو من بيت آخر غير بيت الفقيه أبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم . والذى فى مطمح الأنفس أن صلة ابن شهيد كانت بأبى المغيرة الوزير الكاتب عبد الوهاب بن حزم . وابن خلكان يقول فى ترجمته : ابن شهيد . و بينه و بين ابن حزم الظاهرى مكاتبات ومداعبات. وسنحقق هذا الموضوع بما يشفى فى غير هذا الموضع ان شاء الله. نجاتى (٢) هو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبى سفيان ، وجده يزيد أول من أسلم من أجداده ، وجده خلف أول من دخل الأندلس من آبائه، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ ، وتوفى سنة ٤٥٦ وهو أشهر من أن يذكر

ٱلْأَصْلِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى سَعْدِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ ، وَذَكَرَ ٱبْنُ غَالِبٍ أَنَّ مِنْهُمْ بِغَرْنَاطَةَ كَثِيرًا كَبَنِي جُودِيٍّ[1] ، وَقَدْ رَأَسَ بَعْضُ بَنِي جُودِيٍّ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى سَلُولَ : ٱمْرَأَةٌ نُسِبَ إِلَيْهَا بَنُوهَا[2] وَأَبُوهُمْ مُرَّةُ بْنُ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ ٱبْنِ هَوَازِنَ .

***

بنو ربيعة بالأندلس

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى كِلَابِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ ٱبْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ .

---

(١) جودى بن أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد السعدى من أهل ألبيرة ولاه محمد بن بشير بن محمد المعافرى قاضى الجماعة بقرطبة قضاء بلده ألبيرة فى مدة الحكم بن هشام « ومحمد بن بشير قاضى الجماعة كان قاضيا صالحا عدلا تضرب بعدله الأمثال توفى سنة ١٩٨ » وسعيد بن جودى ابن سوادة بن جودى بن أسباط أمير الغرب كان أيضا من الفضلاء الأعيان وجدهم أسباط كان من أهل الدين والعلم والفقه والورع والصلاح تولى قضاء ألبيرة فى مدة الأمير عبد الرحمن ومدة هشام وابنه الحكم

(٢) سلول : ابنة ذهل بن شيبان بن ثعلبة ومنهم عبد الله بن همام السلولى الشاعر وفيهم يقول السموءل .

وانا أناس لانرى القتل سبة ‍ ‍ ‍ اذا ما رأته عامر وسلول

يريد عامر بن صعصعة ،

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى نُمَيْرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، قَالَ أَبْنُ غَالِبٍ : وَهُمْ بِغَرْنَاطَةَ كَثِيرٌ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى قُشَيْرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ أَبْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ .

وَمِنْهُمْ بَلْجُ (١) بْنُ بِشْرٍ صَاحِبُ ٱلْأَنْدَلُسِ وَآلُهُ ، وَبَنُو رَشِيقٍ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى فَزَارَةَ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ بَغِيضِ أَبْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ عَيْلَانَ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى أَشْجَعَ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطَفَانَ ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْأَشْجَعِيُّ سُلْطَانُ ٱلْأَنْدَلُسِ (٢) .

(١) أحد قواد عرب الشام كان شجاعا فارسا وكان واليا على طنجة وما والاها ، فتكاثرت عليه الجنود من خوارج البربر هناك ، فغادرهم الى الأندلس في جماعة من أصحابه وادعى ولايتها وشهد له من كان معه ، وكان الأمير حينئذ بالأندلس عبد الملك بن قطن فوقع في ذلك اختلاف وفتنة الى أن ظفر بلج بعبد الملك فسجنه ثم قتله ، ومات بعده بزمن يسير سنة ١٢٥

(٢) قدمه الهيثم بن عبيد الكلابي والي الأندلس عند موته وتخيره لذلك وكان فاضلا ، فصلى بالناس شهرين الى أن قدم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي واليا من قبل عبيد الله بن الحبحاب والي افريقية والمغرب فدخلها في شهر صفر سنة ١١٣.

وَفِي ثَقِيفٍ اخْتِلَافٌ : فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّهَا قَيْسِيَّةٌ(١) وَإِنَّ ثَقِيفاً هُوَ قَسِيُّ(٢) بْنُ مُنَبِّهِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ.

وَمِنْهُمْ بِالْأَنْدَلُسِ جَمَاعَةٌ ، وَإِلَيْهِمْ يَنْتَسِبُ الْحُرُّ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّقَفِيُّ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ(٣) ، وَقِيلَ إِنَّهَا مِنْ بَقَايَا ثَمُودَ . انْتَهَى قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ وَجَمِيعُ مُضَرَ.

وَأَمَّا رَبِيعَةُ بْنُ نِزَارٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ ابْنِ نِزَارٍ ، قَالَ فِي فَرْحَةِ الْأَنْفُسِ : إِنَّ إِقْلِيمَ هَؤُلَاءِ مَشْهُورٌ بِاسْمِهِمْ بِجَوْفِيِّ مَدِينَةِ وَادِي آشٍ ، انْتَهَى . وَالْأَشْهَرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَسَدٍ أَبَدًا بَنُو أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ ابْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى مُحَارِبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَدِيعَةَ

---

(١) أى من قيس عيلان (٢) لقب ثقيف وهو قسى بن منبه ، قيل لأنه مر على أبى رغال وكان مصدقا فقتله فقيل قسا قلبه قسيا فسمى قسيا ، قال شاعرهم ☆ نحن قسى وقسا أبونا ☆ وأم ثقيف «قسى» هى أميمة بنت سعد بن هذيل بن مدركة . وفى الأصل « قيس » بدل قسى ، وهو تحريف خاطىء ، وكم فيه من تحريف . اه : « أحمد نجاتى »

(٣) كان أمير الأندلس ثم عزل عنها بعنبسة بن سحيم سنة ١٠٦

ٱبْنِ لُـكَيْزٍ(١) بْنِ أَفْصَى بْنِ دُعْمِيٍّ(٢) بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدِ ٱبْنِ رَبِيعَةَ ،

***

قَالَ ٱبْنُ غَالِبٍ فِي فَرْحَةِ ٱلْأَنْفُسِ :

وَمِنْهُمْ بَنُو عَطِيَّةَ(٣) أَعْيَانُ غَرْنَاطَةَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ بنو عطية

(١) لـكيز هو ابن أفصى ، وهما أفصيان : أفصى بن دعمى بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ،وأفصى بن عبد القيس بن أفصى ابن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة . وأفصى فى اللغة معناه تخلص من خير أو شر ، أو التخلص من الضيق والبلية ، وتفصى من الديون خرج منها وتخلص.وفى الأصل بدل (لـكيز) بكير، وهوخطأ : «نجاتى»

(٢) من معانى الدعمى فى اللغة الشىء الشديد

(٣) ينسبون الى عطية الداخل بالأندلس ، وهو عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكرم المحاربى الحضرى من ولد زيد بن محارب بن خصفة ابن قيس عيلان ، وهم أسرة نبيلة جمعت بين العلم والوجاهة ،ومنهم أفراد معرفون بالفضل والأدب ، وسنفرد للتعريف بهم مقالا خاصا ، ومن أشهرهم الامام القاضى أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبد الرءوف بن عبد الله بن تمام بن عطية الفقيه الحافظ والمحدث المشهور ، وكان مع هذا أديبا نحويا شاعرا بليغا كاتبا مجيدا واسع المعرفة غزير الأدب جامعا لـكثير من العلوم ، وله تفسير ضخم أربى فيه على كل متقدم ، ولد سنة ٤٨١ وتوفى بمدينة لورقة سنة ٥٤٢ . وله من قصيدة :

وليلة جبت فيها الجزع مرتديا ... بالسيف أسحب أذيالا من الظلم
كأنما الليل زنجى بكاهله ... جرح فيثعب أحيانا له بدم

وكان أبوه غالب فقيها زاهدا وعالما محدثا فاضلا ، وكان ربما أيقظ ابنه

إِلَى ٱلنَّمِرِ بْنِ قَاسِطِ بْنِ هِنْبِ بْنِ أَفْصَى بْنِ دُعْمِيِّ بْنِ جَدِيلَةَ ٱبْنِ أَسَدٍ كَبَنِي عَبْدِ ٱلْبَرِّ ٱلَّذِينَ مِنْهُمُ ٱلْحَافِظُ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ ٱلْبَرِّ(١). وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى تَغْلِبَ بْنِ وَائِلِ بْنِ قَاسِطِ ٱبْنِ هِنْبٍ كَبَنِي حَمْدِيسٍ(٢) أَعْيَانِ قُرْطُبَةَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ

عبدالحق فى الليلة مرتين يقول له قم يابنى اكتب كذا وكذا فى موضع كذا من تفسيرك ،وله فيه نكت كثيرة. ولد سنة ٤٤١ وتوفى سنة ٥١٨ «أحمد نجاتى»

(١) هو الأمام يوسف بن عبد البر بن محمد بن عبد البر بن عاصم القرطبي النمرى امام عصره فى الحديث والأثر وما يتعلق بهما ، وله مؤلفات ممتعة وكتب قيمة ، ولد سنة ٣٦٨ وتوفى سنة ٤٦٣ ، وتوفى والده أبو محمد عبد الله « أوعبد البر » بن محمد سنة ٣٨٠ ـ وكان والد الحافظ أبو محمد عبد الله بن يوسف من أهل الأدب البارع والبلاغة وله رسائل وشعر ،و ينسب اليه قوله :

لاتكثرن تأملا واحبس عليك عنان طرفك
فلربما أرسلته فرماك فى ميدان حتفك

وتوفى سنة ٤٨٠ (٢) أظنها حمدين « وحمديس وحمدين كلاهما مختوم بعلامة تعظيم »و بنو حمدين من أهل قرطبة ، ومنهم حمدين بن محمد بن على بن محمد ابن عبد العزيز بن حمدين التغلبي قاضى الجماعة بقرطبة ، ويكنى أبا جعفر ولى قضاء بلده بعد أبى عبد الله بن الحاج الشهيد فى شعبان سنة ٥٢٩ ثم صرف عن القضاء بأبى القاسم بن رشد سنة ٥٣٢ ، ثم أعيد ثانية بعد استعفاء ابن رشد ،وكان أبو الحسين بن سراج يقول : لاتزال قرطبة دار عصمة ونعمة ماملك أزمتها أحد من بنى حمدين ، وصارت اليه الرياسة عند اختلال أمر الملثمين ودعى له بالامارة بسنة ٥٣٩ وتسمى بأمير المسلمين المنصور بالله ، ولكن مالبث أن تعاورته المحن وتقلبت به الأحوال حتى توفى بمدينة مالقة سنة ٥٤٨

يَنْتَسِبُ إِلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ كَالْبَكْرِيِّينَ أَصْحَابِ أُونْبَةَ(١) وَشَلْطِيش(٢) الَّذِينَ مِنْهُمْ أَبُو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ(٣) صَاحِبُ التَّصَانِيفِ. انْتَهَتْ رَبِيعَةُ.

***

اياد بن نزار ومن ينتسب اليهم

وَأَمَّا إِيَادُ بْنُ نِزَارٍ — وَقَدْ يُقَالُ إِنَّهُ ابْنُ مَعَدٍّ وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ — فَيَنْتَسِبُ إِلَيْهِمْ بَنُو زُهْرٍ(٤) الْمَشْهُورُونَ بِإِشْبِيلِيَةَ

(١) أظنها محرفة عن أونبة « بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح النون بعدها باء موحدة » قرية في غربي الأندلس على خليج البحر المحيط وبها توفي الامام ابن حزم وهي في الأصل (أوتنة) (٢) بليدة غربي اشبيلية على البحر (٣) هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو من أهل شلطيش سكن قرطبة وكان بحرا في اللغة والأنساب توفي سنة ٤٨٧ . ومن ذريته عبد الله بن محمد بن أبي عبيد البكري وهو كجده علما ومعرفة توفي بقرطبة سنة ٥٨١ (٤) في الأصل زهرة بالتاء وهو خطأ، و بنو زهر ينسبون الى أبي العلاء زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن عبد الملك بن خلف بن زهر الأيادي ، نشأ بشرق الأندلس ، وكانت بقايا داره لاتزال بجفن شاطبة معروفة به الى أن تملكها الروم وأجلوا عنها المسلمين سنة ٦٤٥ وكان عالما محدثا مائلا الى علم الطب الذي أخذه عن أبيه فكان في وقته طبيبا نطاسيا يشار اليه بالبنان حتى كان أهل المغرب يفاخرون به و بأهل بيته ، وكانت اليه رياسة بلده ومشاركة ولاته في التدبير ، وكان مع هذا أديبا شاعرا ، ومن شعره « وهو مما ينم عن صناعته »

ياراشقي بسهام مالها غرض ... الا الفؤاد ومامنه لها عوض
وممرضي بجفون كلها غنج ... صحت وفي طبعها التمريض والمرض
جد لي ولو بخيال منك يطرقني ... فقد يسد مسد الجوهر العرض

وَغَيْرُهُمْ . انْتَهَتْ الْعَدْنَانِيَّةُ وَهُمُ الصَّرِيحُ مِنْ وَلَدِ إِسْمٰعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

***

القحطانية وَاخْتُلِفَ فِي الْقَحْطَانِيَّةِ هَلْ هُمْ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ أَوْ مِنْ وَلَدِ هُودٍ عَلَى مَا هُوَ مَعْرُوفٌ ، وَظَاهِرُ صَنِيعِ الْبُخَارِيِّ الْأَوَّلُ ، وَالْأَكْثَرُ عَلَى خِلَافِهِ ، وَالْقَحْطَانِيَّةُ هُمُ الْمَعْرُوفُونَ بِالْيَمَانِيَّةِ ، وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُضَرِيَّةِ وَسَائِرِ الْعَدْنَانِيَّةِ الْحُرُوبُ بِالْأَنْدَلُسِ ، كَمَا كَانَ يَقَعُ بِالْمَشْرِقِ ، وَهُمُ الْأَكْثَرُ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَالْمُلْكُ فِيهِمْ أَرْسَخُ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَإِنَّ الْقُرَشِيَّةَ قَدَّمَتْهُمْ

توفى بقرطبة سنة ٥٢٥ وعقبه كلهم أهل بيت شرف منهم العلماء والرؤساء والحكماء ومنهم الوزراء الذين نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامرهم، ومن أفضلهم أبو بكر محمد بن عبدالملك بن زهر وكان ضليعا فى اللغة وآدابها شاعرا رقيقا وهو القائل :

وموسدين على الأكف خدودهم قد غالهم نوم الصباح وغالنى
مازلت أسقيهم وأشرب فضلهم حتى ثملت ونالهم مانالنى
والخمر تعرف كيف تأخذ ثارها انى أملت اناءها فأمالنى

وقد نبغ فى الموشحات نبوغا عظيما وله منها كل مرقص مطرب يسيل رقة وعذوبة ولد سنة ٥٠٧ وتوفى سنة ٥٩٥ : ولنا مع بنى زهر حديث مستفيض سنقدمه للقراء قريبا ان شاء الله : « أحمد نجاتى »

عَلَى ٱلْفِرْقَتَيْنِ ، وَٱسْمُ ٱلْخِلَافَةِ لَهُمْ بِالْمَشْرِقِ . وَكَانَ عَرَبُ ٱلْأَنْدَلُسِ يَتَمَيَّزُونَ بِالْعَمَائِرِ وَٱلْقَبَائِلِ وَٱلْبُطُونِ وَٱلْأَفْخَاذِ[1] إِلَى أَنْ قَطَعَ ذٰلِكَ ٱلْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ ٱلدَّاهِيَةُ ٱلَّذِي مَلَكَ سَلْطَنَةَ ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَقَصَدَ بِذَلِكَ تَشْتِيتَهُمْ وَقَطْعَ ٱلْتِحَامِهِمْ وَتَعَصُّبِهِمْ فِي ٱلِاعْتِزَاءِ[2] ، وَقَدَّمَ ٱلْقُوَّادَ عَلَى ٱلْأَجْنَادِ ، فَيَكُونُ فِي جُنْدِ ٱلْقَائِدِ ٱلْوَاحِدِ فِرَقٌ مِنْ كُلِّ قَبِيلٍ ، فَٱنْحَسَمَتْ[3] مَادَّةُ ٱلْفِتَنِ وَٱلِاعْتِزَاءِ بِالْأَنْدَلُسِ ، إِلَّا مَاجَاءَتْ عَلَى غَيْرِ هٰذِهِ ٱلْجِهَةِ .

***

قَالَ ٱبْنُ حَزْمٍ : جِمَاعُ أَنْسَابِ ٱلْيَمَنِ مِنْ جَرْمٍ[4] بْنِ — أنساب اليمن

(١) العمائر جمع العمارة وهي أصغر من القبيلة أو الحي العظيم الذي يقوم بنفسه ينفرد بظعنها واقامتها ونجعتها . وقال ابن الأثير وغيره هي فوق البطن من القبائل أولها الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ (٢) الاعتزاء الانتساب ، وعزاه الى أبيه يعزوه : نسبه اليه ، وعزا لفلان واعتزى وتعزى : انتسب صدقا كان أو كذبا ــ وهو من العزة « كعدة » أي العصبة من الناس والجماعة المنتسبة بعضهم الى بعض اما في الولادة واما في المظاهرة والتعاون (٣) انحسمت : انقطعت (٤) جرم : بطن في طيء وهو ثعلبة بن عمرو بن الغوث ابن جلهمة وهو طيء بن أدد ، واليه ينتسب أبو عبد الله محمد بن مالك النحوي المصري ، وجرم بفتح الجيم جد جاهلي من طيء من بنيه بنو حيان . واسمه جرم بن عمرو بن الغوث كما في الأعلام ص ١٨١ اهـ منصور .

كَهْلَانَ وَحِمْيَرَ(١) بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ بْنِ عَابَرَ ابْنِ شَالَخَ بْنِ أَرْفَخْشَذَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ ، وَقِيلَ قَحْطَانُ ابْنُ الْهَمَيْسَعِ(٢) بْنِ تَيْهَانَ بْنِ نَابِتِ بْنِ إِسْمٰعِيلَ ، وَقِيلَ قَحْطَانُ بْنُ هُودِ بْنِ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ رَبَاحِ بْنِ جَارِفِ بْنِ عَادِ بْنِ عَوْصِ بْنِ إِرَمَ بْنِ سَامٍ ، وَالْخُلْفُ فِي ذَلِكَ مَشْهُورٌ . فَمِنْهُمْ كَهْلَانُ بْنُ سَبَإِ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ . وَمِنْهُمُ الْأَزْدُ(٣) بْنُ الْغَوْثِ بْنِ نَبْتِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ ، وَإِلَيْهِمْ يَنْتَسِبُ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِئٍ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ

---

(١) أو حمير بن سبأ بن يشجب ، ومنهم كانت الملوك قديما : قال الهمدانى : حمير فى قحطان ثلاثة الأكبر والأصغر والأدنى ، فالأدنى حمير بن الغوث ابن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة وهو حمير الأصغر ابن سبأ الأصغر بن كعب بن سهل بن زيد بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حذار بن قطن ابن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير الأكبر بن سبأ الأكبر ابن يشجب ، والله أعلم بصحة ذلك (٢) الذى عليه أكثر علماء النسب أن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ولد مالكا بطن ، وعامرا بطن ، وعوفا بطن ، وسعدا بطن و وائلة وهميسع قبيلة ، وعمرو وفيه البيت والعدد ، وأعقب هميسع من ولده أيمن بن هميسع وهو جد ذى رعين والهميسع معناه فى اللغة الحميرية القوى من الرجال الذى لا يصرع (٣) والأنصار كلهم من الأزد .

ٱلْإِلْبِيرِيُّ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي ٱلْمُهَلَّبِ ، وَمِنَ ٱلْأَزْدِ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى غَسَّانَ(١) وَهُمْ بَنُو مَازِنِ بْنِ ٱلْأَزْدِ ـ وَغَسَّانُ مَاءٌ شَرِبُوا مِنْهُ . وَذَكَرَ ٱبْنُ غَالِبٍ أَنَّ مِنْهُمْ بَنِي ٱلْقُلَيْعِي(٢) مِنْ أَعْيَانِ غَرْنَاطَةَ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ بِصَالِحَةَ قَرْيَةٍ عَلَى طَرِيقِ مَالَقَةَ . وَمِنَ ٱلْأَزْدِ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى ٱلْأَنْصَارِ عَلَى ٱلْعُمُومِ وَهُمُ ٱلْجَمُّ ٱلْغَفِيرُ(٣) بِالْأَنْدَلُسِ ، قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ : وَٱلْعَجَبُ أَنَّكَ تَعْدَمُ

---

(١) يقال أزد شنوءة وأزد عمان وأزد السراة ، وهناك أزدغسان ، قال حسان بن ثابت :

اما سألت فانا معشر نجب الأزد نسبتنا والماء غسان

ومن أزد غسان بنو جفنة رهط الملوك (٢) نسبة الى القليعة، وقليعة «بالتصغير» قرية حصينة بالمغرب على حجر صلد فى سفح جبل منقطع عنه و بها آبار طيبة ونخيل ، ومنها الولى الصالح عبد القادر بن محمد بن سليمان القليعى المغربى ، وولده أبو جعفر توفى ببلده سنة ١٧١ ودفن عند والده بمقبرتهم المعروفة بالأبيض اه تاج. قلت : وهناك يحيى بن محمد بن حسين الغسانى القليعى من أهل غرناطة ويكنى أبازكريا رحل الى المشرق وأخذ عن علمائه وكان خيرا فاضلا ثقة وكان من كبار أهل غرناطة جليل القدر حسن الهيئة والسمت توفى سنة ٤٤٢ وأحمد بن خلف بن عبد الملك بن غالب الغسانى الغرناطى القليعى يكنى أباجعفر بن القليعى روى عن أبى زكريا القليعى السابق وأبى مروان بن سراج وغيرهما وكان ثقة صدوقا أخذ الناس عنه وتوفى سنة ٤٩٨ ومحمد بن أحمد بن خلف « ابن السابق » كان يكنى أبا بكر كان من أهل العلم والفضل ولى قضاء بلده عن اجماع أهله على ذلك وتوفى وهو يتولاه أول صفر سنة ٥١٠ ودفن بروضة أبيه . وكان بيت القليعى من نباهة الذكر وعلو القدر بحيث كان موضع اجلال أهل غرناطة. وفى الأصل (القسيغى) محرفة . اه «نجاتى» (٣) الجم الغفير : الجمع الكثير

هٰذَا ٱلنَّسَبَ بِالْمَدِينَةِ وَتَجِدُ مِنْهُ بِالْأَنْدَلُسِ فِي أَكْثَرِ بُلْدَانِهَا مَا يَشِذُّ عَنِ ٱلْعَدَدِ كَثْرَةً ، وَلَقَدْ أَخْبَرَنِي مَنْ سَأَلَ عَنْ هٰذَ ٱلنَّسَبِ بِالْمَدِينَةِ ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْـهُ إِلَّا شَيْخًا مِنَ ٱلْخَزْرَجِ وَعَجُوزًا مِنَ ٱلْأَوْسِ . قَالَ ٱبْنُ غَالِبٍ : وَكَانَ جُزْءُ ٱلْأَنْصَارِ بِنَاحِيَةِ طُلَيْطُلَةَ ، وَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْقَبَائِلِ بِالْأَنْدَلُسِ فِي شَرْقِهَا وَمَغْرِبِهَا . ٱنْتَهَى .

***

الخزرج بالأندلس

وَمِنَ ٱلْخَزْرَجِ بِالْأَنْدَلُسِ أَبُو بَكْرٍ عُبَادَةُ بْنُ عَبْدِ ٱللّٰهِ ٱبْنِ مَاءِ ٱلسَّمَاءِ مِنْ وَلَدِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ صَاحِبِ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ ٱلْمَشْهُورُ بِالْمُوَشَّحَاتِ(١) ، وَإِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ يَنْتَسِبُ بَنُو ٱلْأَحْمَرِ سَلَاطِينُ غَرْنَاطَةَ ٱلَّذِينَ كَانَ لِسَانُ ٱلدِّينِ بْنُ ٱلْخَطِيبِ أَحَدَ وُزَرَائِهِمْ ، وَعَلَيْهِمُ ٱنْقَرَضَ مُلْكُ ٱلْأَنْدَلُسِ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱسْتَوْلَى ٱلْعَدُوُّ عَلَى ٱلْجَزِيرَةِ جَمِيعًا كَمَا يُذْكَرُ . وَمِنْ أَهْلِ ٱلْأَنْدَلُسِ

(١) هو عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة بن أفلح بن الحسين بن يحيي بن سعيد بن قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي ، كان يكنى أبابكر و يسكن قرطبة وكان أديبا شاعرا مقدما، أخذ عن أبي بكر الزبيدي وغيره، وأخذ عنه الأديب أبو محمد غانم بن الوليد المالقي ، وتوفي بمالقة سنة ٤١٩

مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الْأَوْسِ أَخِي الْخَزْرَجِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى غَافِقِ بْنِ عَكٍّ بْنِ عُدْثَانَ[١] بْنِ أَزَانَ بْنِ الْأَزْدِ ، وَقَدْ يُقَالُ عَكٌّ بْنُ عَدْنَانَ بِالنُّونِ فَيَكُونُ أَخَاهُ مَعَدُّ بْنُ عَدْنَانَ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ[٢] . قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : مِنْ غَافِقٍ أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ أَبِي الْخِصَالِ الْكَاتِبُ[٣] ، وَأَكْثَرُ

(١) فى التاج: عدثان بن أدد بن الهميسع أبو عك وهو أبو قبائل اليمن كلها وقال فى موضع آخر : عك بن عدثان بن عبد الله بن الأزد ، وفى الأصل (عدنان) محرفة

(٢) المسألة مختلف فيها بين علماء النسب، قال الجوهرى والليث: عك بن عدنان « بالنون» أخو معد، ومثله فى كتاب المعارف فى الأنساب لابن قتيبة وطبقات محمد بن سلام ، و يستدلون على ذلك بقول عباس بن مرداس السلمى :

وعك بن عدنان الذين تلعبوا بغسان حتى طردوا كل مطرد

وقال بعض النسابين انما هو معد بن عدنان ، فأما عك فهو ابن عدثان من ولد قحطان « وعدنان من ولد اسماعيل » وقال ابن حبيب : وفى الأزد عدنان « بالنون » بن عبد الله بن الأزد ، اه ملخصا من التاج . « نجاتى »

(٣) هو ذو الوزارتين محمد بن مسعود بن أبى الخصال الغافقى من أهل شقورة سكن قرطبة ، كان مفخرة وقته وجمال جماعته متفننا فى العلوم مستبحرا فى الآداب كاتبا بليغا شاعرا مجيدا مؤلفا مفيدا هذا الى حسن عشرة وسعة مبرة وكرم خلال وحدة ذهن حتى كان أحد رجال الكمال فى وقته ، توفى سنة ٥٤٠ وكان مولده سنة ٤٦٥ وقد أورد الفتح بن خاقان فى قلائد العقيان كثيرا من نثره ونظمه . وابنه عبد الملك بن محمد سمع أباه وغيره ورحل حاجا فأدى الفريضة وتوفى شهيدا وثكله أبوه وله فيه رثاء مؤثر « توفى حوالى سنة ٥٣٠ » ودفن بالمرية وكان من نجباء الأبناء وبررتهم رحمه الله .

جِهَاتِ شَقُورَةَ(١) يَنْتَسِبُونَ إِلَى غَافِقٍ ، وَمِنْ كَهْلَانَ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى هَمْدَانَ وَهُوَ أَوْسِلَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ ابْنِ أَوْسِلَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْخِيَارِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ ، وَمَنْزِلُ هَمْدَانَ مَشْهُورٌ عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنْ غَرْنَاطَةَ ، وَمِنْهُمْ أَصْحَابُ غَرْنَاطَةَ بَنُو أَضْحَى(٢) . وَمِنْ كَهْلَانَ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى مَذْحِجٍ ، وَمَذْحِجٌ اسْمُ أَكَمَةٍ حَمْرَاءَ بِالْيَمَنِ ، وَقِيلَ اسْمُ(٣) أُمِّ مَالِكٍ وَطَيِّئٍ ابْنَيْ أُدَدَ بْنِ زَيْدِ ابْنِ كَهْلَانَ

(١) مدينة شمالى مرسيــة : ينسب اليها عبــد العزيز بن على بن موسى ابن عيسى الغافقى الفقيــه الحافظ العلامــة أبو الأصبغ توفى سنة ٥٣١

(٢) من بنى أضحى الوزير الحسيب الفقيه المشاور أبو الحسن على بن أضحى ، وقد ذكره الفتح بن خاقان وأثنى عليه وأتى بشىء من كلامه وكان معاصرا له . قلت وقدمدحه أبو بكر المخزومى الشاعر الأعمى بقصيدة جمع فيها بين الهزل والجد ولم تخل من غمزات ظريفة كعادته ، منها :

عجبا للزمان يطلب هضمى ... وملاذى منه على بن أضحى

وكان فقيها أديبا شاعرا بليغا مبرزا فى نثره ونظمه ، عدلا فى قضائه وحكمه

(٣) مذحج : شعب عظيم فيه قبائل وأفخاذ و بطون ، قيل اسمه مالك ابن أدد ، وقيل هو مالك بن زيد بن كهلان ، وقيل هو اسم لمالك وطيىء سميا بذلك لأن أمهما لما هلك بعلها أذحجت على ابنيها مالك وطيىء هذين فلم تتزوج بعد أدد « يقال أذحجت المرأة على ولدها أى أقامت » وقيل مذحج اسم أكمة حمراء باليمن ولدت مدلة « بضم الميم وكسر الدال » أم مالك وطيىء ابنيها عندها ، أو سموا مذحجا لأنهم نزلوا عندها ، وقيل سميت المرأة باسم الأكمة ثم سميت بها القبيلة . اهـ ملخصا من التاج وغيره . « نجاتى »

***

قَالَ اُبْنُ غَالِبٍ : بَنُو سِرَاجٍ(١) اُلْأَعْيَانُ مِنْ

بنو سراج أعيان قرطبة

(١) أسرة كانت غرة فى جبين قرطبة ودرة فى تاجها ، جمعت بين العلم والأدب والوجاهة والحسب ، فكانوا بيت خير وفضل ونباهة ونبل منهم من جمعوا بين قوتى السيف والقلم والحكم والحكم ، وبعد استيلاء الأسبان على قرطبة هاجروا الى غرناطة فكانوا من أنبل أسراتها وأشرف ساداتها فكان منهم الوزراء والقواد والقضاة والحكام والعلماء الأعلام ، والمعروف أنهم كانوا من سادات موالى بنى أمية ومن مشهورى الموالى بالأندلس ، وكان عندهم عن الخلفاء آثار قديمة كثيرة ، غير أن أبا الحسن سراج بن عبد الملك من أعيانهم كان ينتفى من ولائهم رقا وانعاما ويقول ان جدهم هو سراج ابن قرة الكلابى الوافد على رسول الله ﷺ . وكان أبو مروان عبد الملك ابن سراج « المتوفى سنة ٤٨٩ » يقول انهم عرب من كلب بن وبرة أصابهم سباء . ومن أشهرهم أبو الزناد سراج بن سراج بن محمد بن سراج كان فقيها حاذقا ثقة صادقا عظيم العناية بالعلم والأدب وأقام بسرقسطة وتوفى سنة ٤٢٢ وأبو القاسم سراج بن عبد الله كان قاضى الجماعة بقرطبة ولى القضاء بها سنة ٤٤٨ الى أن فارق الدنيا فلم تنع عليه سقطة ولا حفظت له زلة ، بل كان عدلا صالحا عفيفا نقى الضمير سليم العقيدة طيب الطعمة ، وتوفى سنة ٤٥٦ . ومنهم الوزير الأستاذ أبو الحسين سراج بن عبد الملك كان شديد العناية بالعلم واللغة والآداب حسن الخلق كامل المروءة ، وهو القائل :

بث الصنائع لا تحفل بموقعها من آمل شكر الاحسان أو كفرا
فالغيث ليس يبالى أينما انسكبت منه الغمائم تربا جاد أو حجرا

ومولده سنة ٤٣٩ وتوفى سنة ٥٠٨ ، فطفىء من العلم سراجه ، وأعيا على الناس علاجه ، رحمه الله .

أَهْـلِ قُرْطُبَةَ يَنْتَسِبُونَ إِلَى مَذْحِجٍ . وَمَنْزِلُ طَيٍّ بِقِبْلِيِّ مُرْسِيَةَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى مُرَادِ بْنِ مَالِكِ ابْنِ أُدَدَ ، وَحِصْنُ مُرَادٍ بَيْنَ إِشْبِيلِيَةَ وَقُرْطُبَةَ مَشْهُورٌ ، وَقَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَأَعْرِفُ بِمُرَادٍ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى عَنْسِ(١) بْنِ مَالِكِ بْنِ أُدَدَ ، وَمِنْهُمْ

وكان بنو سراج الغرناطيون من أكرم بيوتات العرب الباقية بالأندلس لعهد عطل جيدها من حلية الاسلام ، وخلوها من حمر الأعلام وهى من أشهر القبائل العربية الأندلسية عند الأفرنج وأرفعها ذكرا وأبعدها صيتا . ويزعم الأسبان أن ابنة أحد الملوك من بنى الأحمر « واسمهافهيمة » علقت بأحد بنى سراج حتى شغفها حبا فكانا يجتمعان تحت ستار الليل فى زاوية من بستان القصر ، وكان فى قصر الحمراء قاعة تسمى قاعة بنى سراج . وقد ألف « الفيكونت دوشاتو بريان » الكاتب الفرنسي الشهير رواية سماها « وقائع آخر بنى سراج » وقد ترجمها الى العربية أمير البيان الكاتب القدير والشاعر المجيد صاحب السعادة الأمير شكيب أرسلان فأهدى الى الناطقين بالضاد ذخيرة ثمينة. وهذا ما وسعه المقام الآن . وعندى لبنى سراج حديث طويل ، ولبعض أعيانهم لدى سيرة شائقة وسأخصهم بمقالة طويلة أرخى فيها للقلم عنانه ان شاء الله تعالى : وتجد لبعض أفرادها ذكرا منتثرا فى أثناء نفح الطيب وكتابى الفتح بن خاقان.
« أحمد يوسف نجاتى » :

(١) أبو قبيلة من اليمن من مذحج وفيها قيل :

لامهل حتى تلحق بعنس — أهل الرياط البيض والقلنس

ومنهم سيدنا عمار بن ياسر رضى الله عنه

بَنُو سَعِيدٍ(١) مُصَنِّفُو كِتَابِ الْمُغْرِبِ ، وَقَلْعَةُ بَنِي سَعِيدٍ مَشْهُورَةٌ فِي مَمْلَكَةِ غَرْنَاطَةَ . وَمِنْ مَذْحِجٍ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى زُبَيْدٍ(٢). قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَهُوَ مُنَبِّهُ بْنُ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أُدَدَ . وَمِنْ كَهْلَانَ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى مُرَّةَ بْنِ أُدَدَ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ ، قَالَ ابْنُ غَالِبٍ :

(١) بيت بنى سعيد العنسى بيت مشهور فى الأندلس بقلعة يحصب نزلها جدهم الأعلى عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر رضى الله عنه ، وكان بيت رياسة وقيادة ووزارة وقضاء وكتابة. ومن أعيانهم أحمد بن عبد الملك بن سعيد «بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن ابن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر » كان كاتبا شاعرا أديبا توفى سنة ٥٥٠ ومنهم حاتم بن سعيد بن خلف بن سعيد ، وكان صاحب سيف وقلم وعلم وأدب ولد سنة ٥٣٥ وتوفى بغرناطة سنة ٥٩٢ ومنهم محمد بن عبد الله بن أحمد بن على بن سعيد بن خلف بن سعيد بن خلف بن محمد بن عبد الله بن سعد بن الحسن بن عثمان بن الحسن بن عبد الله العنسى الغرناطى رحل الى الشرق وجاب أقطاره وعنى بالرواية أتم عناية ، وذهب ضحية حوادث التتار بالمشرق سنة ٦٣٠ (٢) زبيد بطن من مذحج وهو منبه الأكبر بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك وهو جماع مذحج ، وزبيد الأصغر هو منبه بن ربيعة بن سلمة بن مازن ابن ربيعة بن زبيد الأكبر — ومن زبيد سيدنا عمرو بن معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زبيد الأصغر ، كنيته أبو ثور قدم فى وفد زبيد وأسلم سنة تسع وشهد الفتوح وقتل بالقادسية وقيل بنهاوند رضى الله عنه

مِنْهُمْ بَنُو ٱلْمُنْتَصِرِ ٱلْعُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى عَامِلَةَ[1] وَهِيَ ٱمْرَأَةٌ مِنْ قُضَاعَـةَ ، وَلَدَتْ لِلْحَرِثِ بْنِ عَـدِيٍّ بْنِ ٱلْحَرِثِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ أُدَدَ ، فَنُسِبَ وَلَدُهَا مِنْهُ إِلَيْهَا . قَالَ ٱبْنُ غَالِبٍ مِنْهُمْ بَنُو سِمَاكٍ[2] ٱلْقُضَاةُ مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ ، وَقَوْمٌ زَعَمُوا أَنَّ عَامِلَةَ هُوَ ٱبْنُ سَبَإٍ ٱبْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ ، وَقِيلَ هُمْ مِنْ قُضَاعَةَ . وَمِنْ كَهْلَانَ خَوْلَانُ بْنُ عَمْرِو بْنِ ٱلْحَارِثِ بْنِ مُرَّةَ[3] ، وَقَلْعَةُ خَوْلَانَ مَشْهُورَةٌ بَيْنَ ٱلْجَزِيرَةِ ٱلْخَضْرَاءِ وَإِشْبِيلِيَةَ ، وَمِنْهُمْ بَنُو عَبْدِ ٱلسَّـلَامِ أَعْيَانُ غَرْنَاطَةَ . وَمِنْهُمْ مَنْ

---

(١) بنو عاملة حي باليمن نسبوا الى أمهم عاملة بنت مالك بن وديعة بن قضاعة أم الزاهر ومعاوية ابني الحارث بن عدى نفسه . ومنهم عدى بن الرقاع العاملي الشاعر وغيره ، ويزعم نسابو مضر أنهم من ولد قاسط قال الأعشى:

أعامل حتى متى تذهبين ... الى غير والدك الأكرم
ووالدكم قاسط فارجعوا ... الى النسب الفاخر الأقدم

(٢) ومنهم الوزير الفقيه صاحب الأحكام أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن سماك العاملي ، وقد أثنى عليه الفتح بن خاقان وكان معاصرا له وأورد شيئا من نظمه ونثره في قلائد العقيان ، وكان فقيها محدثا توفي سنة ٥٤٠ .

(٣) والمشهور خولان بن عمرو بن الحافي بن قضاعة بن مالك بن عمرو ابن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ . وفي خولان كانت النار التي تعبدها اليمن

يَنْتَسِبُ إِلَى الْمَعَافِرِ (١) بْنِ يَعْفُرَ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ مُرَّةَ ، وَمِنْهُمُ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى لَخْمِ (٢) بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ مُرَّةَ ، مِنْهُمْ بَنُو عَبَّادٍ أَصْحَابُ إِشْبِيلِيَةَ وَغَيْرِهَا ، وَهُمْ مِنْ وَلَدِ النُّعْمَانِ ابْنِ الْمُنْذِرِ صَاحِبِ الْحِيرَةِ ، وَمِنْهُمْ بَنُو الْبَاجِيِّ (٣) أَعْيَانُ

(١) وقيل معافر بن أد . وقال سيبويه : معافر بن مر — فيما يزعمون — أخو تميم بن مر . ومن معافر بالأندلس : عبيد الله بن عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله ابن ابراهيم بن يوسف بن حسين بن سعيد بن محمد بن بشير بن شراحيل المعافرى من أهل قرطبة ، توفى سنة ٤٩٨ ، وأصل جده الأعلى محمد بن بشير قاضى الجماعة بقرطبة من جند باغة من عرب مصر ، ونزل باجة بغربى الأندلس . وكان ابنه سعيد بن محمد أيضا قاضى الجماعة بقرطبة

(٢) قال ابن الكلبي وغيره : لخم اسمه مالك ، وجذام اسمه عامر وهما أخوان فجذم مالك أصبع عامر فسمى جذاما ، ولخم عامر مالكا فسمى لخما ، واللخم اللطم . ومنهم كانت ملوك العرب فى الجاهلية . وهم آل عمرو بن عدى ابن نصر اللخمى . وكان ملوك لخم قد نزلوا الحيرة وهم آل المنذر

(٣) منهم أبو محمد عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد الملك بن على ابن محمد بن أحمد بن أبى محمد الراوية عبد الله بن محمد بن على بن شريعة ابن رفاعة بن صخر بن سماعة اللخمى الباجى الاشبيلى كان عالما مقرئا وكان يقرىء القرآن الكريم بمسجد سلفه النبيه فى اشبيلية و يؤم الناس به ، ولد سنة ٥٣٢ وتوفى سنة ٦٢٠ ومنهم أبو الأصبغ عبد العزيز بن على بن عبد الله بن عبد العزيز

إِشْبِيلِيَةَ ، وَبَنُو وَافِدٍ[1] الْأَعْيَانُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى جُذَامَ مِثْلُ ثَوَابَةَ بْنِ سَلَامَةَ[2] صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ ،

ابن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله الراوية وكان فقيها حافظا ثقة، وتوفى سنة ٦٢١ ودفن بروضة سلفه بمسجد الباجي . ومنهم الراوية أبو مروان محمد ابن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله اللخمي الباجي الاشبيلي قاضي الجماعة بها ، روى عن أبي بكر بن الجد وغيره وكان فاضلا متواضعا، وامتحن في الفتنة عند مقتل ابن أخيه والى اشبيلية أبي مروان أحمد بن محمد بن أحمد على يدى عبد الله بن الأحمر سنة ٦٣١ فرحل الى المشرق حتى توفى بمصر سنة ٦٣٢ (١) منهم أبو بكر يحيى ابن عبد الرحمن بن وافد اللخمي قاضي الجماعة بقرطبة كان فقيها حافظا بصيرا بالأحكام مع الورع والفضل والدين والتواضع والمروءة ، استقضاه الخليفة هشام بن الحكم بقرطبة مرتين فقضى بين الناس أحسن قضاء وأعدله، وسار فيهم أحسن سيرة ، وكان يؤذن في مسجده ويقيم الصلاة فيه مدة قضائه ، ثم نالته محنة شديدة من قبل البربر حين تغلبهم على قرطبة فحبس بها حتى مات سنة ٤٠٤ رحمه الله . ومنهم أبو مطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد بن مهند اللخمي من أهل طليطلة ورحل الى قرطبة فلقى بها أبا القاسم خلف بن عباس الزهراوى وأخذ عنه علم الطب (وكان مع تقدمه فى ذلك فقيها عالما متفننا) وله في الطب تآليف حسنة وله في الفلاحة مجموع مفيد، وكان عارفا بوجوهها وهو الذى تولى غرس جنة المأمون بن ذى النون الشهيرة بطليطلة ، ولد سنة ٣٨٩ وتوفى سنة ٤٦٧ (٢) ثوابة بن سلامة الجذامي ولى الأندلس بعد خلع أبي الخطار وأقام واليها سنة وأشهرا ، وتوفى في عقب سنة ١٢٨ فأرادت اليمن أن تعيد أبا الخطار وأبت ذلك مضر

وَبَنِي هُودٍ مُلُوكِ شَرْقِيِّ الْأَنْدَلُسِ. وَمِنْهُمُ الْمُتَوَكِّلُ بْنُ هُودٍ الَّذِي صَحَّتْ لَهُ سَلْطَنَةُ الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ الْمُوَحِّدِينَ ، وَمِنْهُمْ بَنُو مَرْدَنِيشَ أَصْحَابُ شَرْقِيِّ الْأَنْدَلُسِ .

***

جزام وكهلان قَالَ ابْنُ غَالِبٍ: وَكَانَ لِجُذَامٍ جُزْءٌ مِنْ قَلْعَةِ رَبَاحٍ، وَاسْمُ جُذَامٍ عَامِرٌ، وَاسْمُ لَخْمٍ مَالِكٌ، وَهُمَا ابْنَا عَدِيٍّ . وَمِنْ كَهْلَانَ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى كِنْدَةَ(١) وَهُوَ ثَوْرُ بْنُ عُفَيْرِ ابْنِ عَدِيِّ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ أُدَدَ، وَمِنْهُمْ يُوسُفُ ابْنُ هَرُونَ الرَّمَادِيُّ الشَّاعِرُ(٢) . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى

(١) فى نسب كندة اختلاف كثير ، والذى جزم به أكثر شراح الحماسة وديوان امرىء القيس أن كندة بن ثور وأن ثورا والد كندة لا لقبه . واختلفوا فى سبب تسميته كندة ، فقيل لأنه كند أباه النعمة (أى كفرها) ولحق بأخواله ، أو من كنده اذا عقه ، وقيل لكونه كان بخيلا ، من قولهم أرض كنود أى لا تنبت شيئا

(٢) هو أبو عمر يوسف بن هرون الكندى ، شاعر قرطبى كثير الشعر سريع القول ، كان مشهورا عند الخاصة والعامة هنالك لسلوكه فى فنون من الشعر مسالك تتفق عند جميع الطبقات ، حتى

تُجِيبَ ، وَهِيَ ٱمْرَأَةُ أَشْرَسَ بْنِ ٱلسَّكُونِ بْنِ أَشْرَسَ[١] بْنِ كِنْدَةَ . وَمِنْ كَهْلَانَ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى خَثْعَمِ بْنِ أَنْمَارِ ٱبْنِ أَرَاشِ بْنِ عَمْرِو بْنِ ٱلْغَوْثِ بْنِ نَبْتِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ ٱبْنِ كَهْلَانَ ، وَمِنْهُمْ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي نِسْعَةَ سُلْطَانُ ٱلْأَنْدَلُسِ[٢] ، وَقَدْ قِيلَ : أَنْمَارُ بْنُ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ . ٱنْتَهَتْ كَهْلَانُ :

***

وَأَمَّا حِمْيَرُ بْنُ سَبَإِ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ فَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى ذِي رُعَيْنٍ، قَالَ ٱبْنُ غَالِبٍ: وَذُو رُعَيْنٍ هُمْ وَلَدُ عَمْرِو بْنِ حِمْيَرٍ فِي بَعْضِ ٱلْأَقْوَالِ ، وَقِيلَ هُوَ مِنْ وَلَدِ سَهْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَيْسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ جُشَمَ حمير بن سبأ

كان كثير من شيوخ الأدب فى وقته يقولون : بدىء الشعر بكندة وختم بكندة ، يعنون امرأ القيس والمتنبي والرمادى وكانا متعاصرين ، وتوفى الرمادى سنة ٤٠٣ (١) أمه رملة بنت أسد بن ربيعة ، (٢) ولى الأندلس من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمى صاحب افريقية سنة ١١٠ وعزله بعد خمسة أشهر بحذيفة بن الأحوص القيسى

اُبْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ وَائِلِ بْنِ الْغَوْثِ بْنِ قَطَنِ بْنِ عَرِيبِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ أَيْمَنَ بْنِ الْهَمَيْسَعَ بْنِ حِمْيَرٍ . قَالَ : وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْخَنَّاطُ الْأَعْمَى الشَّاعِرُ ، قَالَ الْحَازِمِيُّ فِي كِتَابِ النَّسَبِ : وَاسْمُ ذِي رُعَيْنٍ عَرِيمُ بْنِ زَيْدٍ بْنِ سَهْلٍ ، وَوَصَلَ النَّسَبَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى ذِي أَصْبَحَ ، قَالَ ابْنِ حَزْمٍ : هُوَ ذُو أَصْبَحَ [1] بْنُ مَالِكِ بْنِ زَيْدٍ ، مِنْ وَلَدِ سَبَإٍ الْأَصْغَرِ ابْنِ زَيْدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ ، وَوَصَلَ النَّسَبَ . وَذَكَرَ الْحَازِمِيُّ أَنَّ ذَا أَصْبَحَ مِنْ كَهْلَانَ ، وَأَخْبَرَ أَنَّ مِنْهُمْ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ الْإِمَامَ ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُمْ مِنْ حِمْيَرٍ ، وَالْأَصْبَحِيُّونَ [2] مِنْ أَعْيَانِ قُرْطُبَةَ . وَمِنْهُمْ مَنْ

(١) وقيل هو الحرث بن عوف بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة ، وقال ابن حزم : هو مالك بن زيد بن الغوث من ولد سبأ الخ

(٢) منهم أبو عبد الله أحمد بن عبد الله بن أبي طالب غصن بن طالب ابن زياد بن عبد الحميد بن الصباح بن يزيد بن زياد بن مليح بن جبر الأصبحي القرطبي، ولي القضاء بقرطبة بعد أحمد بن بقي، وتوفي سنة ٣٢٧

يَنْتَسِبُ إِلَى يَحْصُبَ (١)، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ : إِنَّهُ أَخُو ذِي أَصْبَحَ ، وَهُمْ كَثِيرٌ بِقَلْعَةِ بَنِي سَعِيدٍ ، وَقَدْ تُعْرَفُ مِنْ أَجْلِهِمْ فِي التَّوَارِيخِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ بِقَلْعَةِ يَحْصُبَ (٢) . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى هَوَازِنَ (٣) بْنِ عَوْفِ ابْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ وَائِلِ بْنِ الْغَوْثِ ، قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَمَنْزِلُهُمْ بِشَرْقِيِّ إِشْبِيلِيَةَ . وَالْهَوَازِنِيُّونَ (٤) مِنْ أَعْيَانِ إِشْبِيلِيَةَ .

(١) منهم أبو جعفر أحمد بن بقاء بن مروان بن نميل اليحصبي نزل بمرسية وتوفى سنة ٥٤٤. ومنهم جمال العصر وفخر الأفق و ينبوع المعرفة ومعدن الافادة وصدر رجال المغرب القاضي عياض ذائع الذكر، توفى سنة ٥٤٤، وحفيده محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى كان من جلة القضاة وعدولهم وأشراف العلماء وسراتهم. توفى بغرناطة سنة ٦٤٥، وأبو عبد الله محمد بن عياض ابن موسى ولد الامام أبي الفضل عياض كان فقيها جليلا أديبا كاملا ولى قضاء غرناطة وتوفى سنة ٦٧٥ (٢) منها سعيد بن مقرون بن عفان المحدث وله رحلة وسماع . ومنها النابغة بن ابراهيم بن عبد الواحد توفى سنة ٣١٣ (٣) المعروف أن حى اليمن اسمه هوزن (لا هوازن) وهو أبو بطن من ذى الكلاع ، وهو هوزن بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدى ابن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة بن سبأ الأصغر ، أما هوازن فقبيلة من قيس ، وهو هوازن بن سعد بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس عيلان . اه نجاتى (٤) ومنهم أبو القاسم اسمعيل بن اسحق ابن أبراهيم بن زياد بن أسود بن زياد بن نافع بن معاوية بن عوف

وَمِنْهُـمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى قُضَاعَةَ (١) بْنِ مَالِكِ بْنِ حِمْـيَرٍ ـ وَقَدْ قِيـلَ إِنَّهُ قُضَـاعَةُ بْنُ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ وَلَيْسَ بِمَرْضِيٍّ ـ وَمِنْ قُضَـاعَةَ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى مَهْرَةَ ـ كَالْوَزِيرِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَمَّارٍ الَّذِي وَثَبَ عَلَى مَلِكِ مُرْسِيَةَ ـ وَهُوَ مَهْرَةُ بْنُ حَيْدَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ.

ابن صعصعة بن بكر بن هوازن ويعرف بابن الطحان ، كان عالما فقيها محدثا مؤرخا أديبامفيدا ، ولد سنة ٣٠٥ وتوفى سنة ٣٨٤(وهوازن كما عرفت قبيلة من قيس لامن اليمن) ومن هوزن اليمنية الحسن بن عمر ابن الحسن بن عمر الهوزنى الاشبيلى كان فقيها عارفا من أهل بيت فضل ونبل ، روى عنه الحافظ أبو بكر بن العربى ، وتوفى سنة ٥١٢ . نجاتى

(١) المعروف أن قضاعة لقب عمرو بن مالك بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير ، وقيل قضاعة بن معد بن عدنان وأن مالك بن مرة زوج أمه فنسب الى زوج أمه وهى عادة عند العرب معروفة بينهم . وقال أبو جعفر بن حبيب النسابة : لم تزل قضاعة فى الجاهلية والاسلام تعرف بمعد ، حتى كانت الفتنة بالشام بين كلب وقيس عيلان أيام مروان بن الحكم فمال كلب يومئذ الى اليمن وانتمت الى حمير استظهارا منهم بهم الى قيس ، ولهذا قال محمد بن سلام البصرى النسابة لما سئل انزار أكثر أم اليمن ؟ فقال : ان تمعددت قضاعة فنزار أكثر ، وان تيمنت فاليمن . هذا والخلاف فى قضاعة طويل عريض من قديم . ومن قضاعة بالأندلس عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يونس القضاعى من أهل أندة (وهى دار القضاعيين بالأندلس) ويعرف بابن خيرون ، كان راوية جليلا فقيها حافظا أديبا وله حظ من قرض الشعر ، وتوفى سنة ٥١٠ ،

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى خُشَيْنِ (١) بْنِ تَنُوخَ ، قَالَ أَبْنُ غَالِبٍ :وَهُوَ أَبْنُ (٢) مَالِكِ بْنِ فَهْمِ بْنِ نَمِرِ بْنِ وَبَرَةَ بْنِ تَغْلِبَ. قَالَ ٱلْحَازِمِيُّ : تَنُوخُ (٣) هُوَ مَالِكُ بْنُ فِهْرِ بْنِ فَهْمِ (٤) بْنِ تَيْمِ ٱللهِ أَبْنِ أَسَدِ بْنِ وَبَرَةَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى بَلِيٍّ (٥) بْنِ عَمْرِو

(١) ممن ينتسب الى خشين أبو عبد الله محمد بن عبيد الله بن أحمد ابن محمد بن هشام بن عبد الرحمن بن غالب بن نصر بن سالم الخشني من أهل رندة وسكن مالقة ويعرف بابن العويص ، أخذ عن كثيرين، منهم أبو عبد الله بن أبي الخصال وأخوه أبو مروان وأبو القاسم بن جهور وغيرهم ، كان مقرئا ماهرا ولغويا نحويا أديبا جليلا قضى حياته فى التعليم ونشر الأدب توفى بمالقة سنة ٥٧٦ (٢) وقيل هو وائل بن النمر بن وبرة ابن تغلب بن حلوان ، وهم رهط أبي ثعلبة جرثوم بن ناشب الخشني رضي الله عنه اشتهر بكنيته (وفى اسمه أقوال قيل جرثم ، وقيل جرهم ، وقيل ابن ناشم ، وقيل ابن ناشر) شهد الحديبية وبايع تحت الشجرة بيعة الرضوان وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه يوم خيبر ، وأرسله الى قومه فأسلموا، ونزل الشام ومات أول امرة معاوية ، وقيل أيام يزيد ، وقيل توفى سنة ٧٥ أيام عبد الملك بن مروان .ومنهم بالأندلس محمد بن عبد السلام الخشني القرطبي توفى سنة ٢٨٦ ، وولده محمد بن محمد الأمير أبو الحسن توفى سنة ٣٣٣ (٣) من تنخ بالمكان أقام به لأنهم اجتمعوا وتحالفوا فأقاموا فى مواضعهم . وقال ابن قتيبة فى المعارف : تنوخ ونمر وكاب ثلاثتهم اخوة (٤) وفهم بن عمرو بن قيس عيلان منهم تأبط شرا (ثابت بن جابر بن سفيان) أحد فتاك العرب وشعرائها .ومنهم أبو الحرث الامام الليث بن سعد فقيه مصر وامامها توفى سنة ١٧٥ .وفى الأزد فهم ابن غنم بن دوس بن عدثان منهم جذيمة بن مالك بن فهم الملك الأبرش المشهور (٥) بلى (كغنى) وهو ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة

ٱبْنِ ٱلْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ ، وَمِنْهُمُ ٱلْبَلَوِيُّونَ ٱلْإِشْبِيلِيَّةُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى جُهَيْنَةَ(٢) بْنِ أَسْوَدَ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ عَمْرِو بْنِ ٱلْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ ، قَالَ ٱبْنُ غَالِبٍ : وَبِقُرْطُبَةَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى كَلْبِ(٣) بْنِ وَبَرَةَ بْنِ تَغْلِبَ بْنِ حُلْوَانَ كَبَنِي أَبِي عَبْدَةَ ٱلَّذِينَ مِنْهُمْ بَنُو جَهْوَرٍ مُلُوكُ قُرْطُبَةَ وَوُزَرَاؤُهَا . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى عُذْرَةَ(٤) بْنِ سَعْدٍ هُذَيْمِ ٱبْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْوَدَ(٥) بْنِ أَسْلَمَ بْنِ عَمْرِو بْنِ ٱلْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ ، وَمِنْهُمْ أَعْيَانُ ٱلْجَزِيرَةِ ٱلْخَضْرَاءِ بَنُو عُذْرَةَ .

***

وَمِنْ أَهْلِ ٱلْأَنْدَلُسِ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، مِنْهُمُ الحضرميون

(٢) وقيل جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم . ومن جهينة بالأندلس أبو محمد موسى بن محمد بن موسى بن سهل بن عمران بن صبيح بن عبد الله الجهنى القرطبي الفقيه المحدث وأصله من بياسة ولد سنة ٣٢٨ وتوفى سنة ٣٩٠ (٣) منهم أبو القاسم خلف بن سعيد بن عبد الله بن عثمان الطبي القرطبي من ذرية الأبرش الكلبي وزير عبد الملك بن مروان رحل الى المشرق واستفاد كثيرا من علومه وأفادها وتوفى سنة ٤٠٠ ، (٤) منهم أبو الحسن الخضر بن رضوان بن محمد العذرى الغرناطى كان من أهل المعرفة بالعربية وقعد للتعليم بها وكان موصوفا بالنزاهة وتوفى ببلده غرناطة سنة ٥٢٣ (٥) أظنه محرفا عن سود

اُلْحَضْرَمِيُّونَ بِمُرْسِيَةَ وَغَرْنَاطَةَ وَإِشْبِيلِيَةَ وَبَطَلْيُوسَ(١) وَقُرْطُبَةَ ، قَالَ اُبْنُ غَالِبٍ : وَهُمْ كَثِيرٌ بِالْأَنْدَلُسِ . وَفِيهِ خِلَافٌ قِيلَ إِنَّ حَضْرَمَوْتَ هُوَ اُبْنُ(٢) قَحْطَانَ ، وَقِيلَ هُوَ حَضْرَمَوْتُ اُبْنُ قَيْسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ جُشَمَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ وَائِلِ بْنِ اُلْغَوْثِ بْنِ جَيْدَانَ بِالْجِيمِ اُبْنِ قَطَنِ بْنِ اُلْعَرِيبِ بْنِ اُلْغَرْزِ بْنِ نَبْتِ بْنِ أَيْمَنَ بْنِ اُلْهَمَيْسَعَ بْنِ حِمْيَرٍ ، كَذَا نَسَقَ اُلنَّسَبَ اُلْحَازِمِيُّ . وَمِنْ أَهْلِ اُلْأَنْدَلُسِ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى سَلَامَانَ(٣) ، وَمِنْهُمُ اُلْوَزِيرُ لِسَانُ اُلدِّينِ بْنُ اُلْخَطِيبِ حَسْبَمَا ذُكِرَ فِي مَحَلِّهِ .

---

(١) بطليوس : بفتحتين وسكون اللام و ياء مضمومة أو مفتوحة وسين مهملة مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربى قرطبة ينسب إليها خلق كثير ، منهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى النحوى اللغوى (٢) وقيل هو عامر بن قحطان، وقيل هو ابن قحطان بن عامر (٣) هو سلمان، وأهل الحديث يفتحون اللام بطن من مراد وهو سلمان بن يشكر بن ناجية بن مراد ، منهم عبيدة (بفتح العين) بن عمرو (وقيل ابن قيس) الكوفى السلمانى أسلم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وتوفى عليه الصلاة والسلام وهو فى الطريق و روى عن على وابن مسعود ، و روى عنه الشعبى والنخعى وابن سيرين، وكان يوازى شريحا فى العلم والقضاء توفى سنة ٧٢ . اه نجاتى

***

أسماء ملوك الأندلس

وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَسْرُدَ هُنَا أَسْمَاءَ مُلُوكِ ٱلْأَنْدَلُسِ مِنْ لَدُنِ ٱلْفَتْحِ إِلَى آخِرِ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ وَإِنْ تَقَدَّمَ، وَيَأْتِي ذِكْرُ جُمْلَةٍ مِنْهُمْ بِمَا هُوَ أَتَمُّ مِمَّا هُنَا، فَنَقُولُ: طَارِقُ ٱبْنُ زِيَادٍ مَوْلَى مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ، ثُمَّ ٱلْأَمِيرُ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ — وَكِلَاهُمَا لَمْ يَتَّخِذْ سَرِيرًا لِلسَّلْطَنَةِ — ثُمَّ عَبْدُ ٱلْعَزِيزِ بْنُ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ — وَسَرِيرُهُ إِشْبِيلِيَةُ — ثُمَّ أَيُّوبُ بْنُ حَبِيبٍ ٱللَّخْمِيُّ — وَسَرِيرُهُ قُرْطُبَةُ، وَكُلُّ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ فَسَرِيرُهُ قُرْطُبَةُ وَٱلزَّهْرَاءُ[1] وَٱلزَّاهِرَةُ بِجَانِبِهَا إِلَى أَنِ ٱنْقَضَتْ دَوْلَةُ بَنِي مَرْوَانَ عَلَى مَا يُنَبَّهُ عَلَيْهِ — ثُمَّ ٱلْحُرُّ بْنُ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلثَّقَفِيُّ، ثُمَّ ٱلسَّمْحُ بْنُ مَالِكٍ ٱلْخَوْلَانِيُّ، ثُمَّ عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْغَافِقِيُّ، ثُمَّ عَنْبَسَةُ بْنُ سُحَيْمٍ ٱلْكَلْبِيُّ، ثُمَّ عُذْرَةُ ٱبْنُ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْفِهْرِيُّ، ثُمَّ يَحْيَى بْنُ سَلَمَةَ ٱلْكَلْبِيُّ، ثُمَّ

---

(١) مدينة صغيرة قرب قرطبة اختطها عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى وهو يومئذ ملك تلك البلاد فى سنة ٣٢٥

عُثْمَانُ بْنُ أَبِي نِسْعَةَ الْخَثْعَمِيُّ ، ثُمَّ حُذَيْفَةُ بْنُ الْأَحْوَصِ الْقَيْسِيُّ ، ثُمَّ الْهَيْثَمُ بْنُ عُبَيْدٍ الْكِلَابِيُّ ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَشْجَعِيُّ ، ثُمَّ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قَطَنٍ الْفِهْرِيُّ ، ثُمَّ بَلْجُ بْنُ بِشْرِ (١) بْنِ عِيَاضٍ الْقُشَيْرِيُّ ، ثُمَّ ثَعْلَبَةُ بْنُ سَلَامَةَ الْعَامِلِيُّ ، ثُمَّ أَبُو الْخَطَّارِ حُسَامُ بْنُ ضِرَارٍ الْكَلْبِيُّ (٢) ، ثُمَّ ثَوَابَةُ بْنُ سَلَامَةَ الْجُذَامِيُّ ، ثُمَّ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الْفِهْرِيُّ . وَهٰهُنَا انْتَهَى الْوُلَاةُ الَّذِينَ مَلَكُوا الْأَنْدَلُسَ مِنْ غَيْرِ مُوَارَثَةٍ أَفْرَادًا ، عَدَدُهُمْ عِشْرُونَ فِيمَا ذَكَرَ ابْنُ سَعِيدٍ ، وَلَمْ يَتَعَدَّوْا فِي السِّمَةِ لَفْظَ الْأَمِيرِ . قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : مُدَّتُهُمْ مُنْذُ تَارِيخِ الْفَتْحِ - مِنْ لُذَرِيقَ سُلْطَانِ الْأَنْدَلُسِ النَّصْرَانِيِّ وَهُوَ يَوْمُ الْأَحَدِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ إِلَى يَوْمِ الْهَزِيمَةِ عَلَى يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الْفِهْرِيِّ، وَتَغَلُّبِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْمَرْوَانِيِّ عَلَى سَرِيرِ

(١) كذا بالأصل ، وابن عياض القشيرى هو كلثوم بن عياض والى افريقية من قبل هشام بن عبدالملك ، وليهاسنة ١٢٣ وقتله البربر سنة ١٢٤ وتقدم فى صفحة ١٣٥ مانصه : ثم دخل بلج بن بشر القشيرى بجند الشام ناجيامن وقعة كلثوم بن عياض . فليحرر (٢) فى بعض المراجع القيسى

ٱلْمُلْكِ قُرْطُبَةَ ، وَهُوَ يَوْمُ ٱلْأَضْحَى لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي ٱلْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ - سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَخَمْسَةُ أَيَّامٍ . ٱنْتَهَى .

***

ثُمَّ كَانَتْ دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ ؛ أَوَّلُهُمْ عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ، ثُمَّ ٱبْنُهُ هِشَامٌ ٱلرَّضِيُّ ، ثُمَّ ٱبْنُهُ ٱلْحَكَمُ بْنُ هِشَامٍ ، ثُمَّ ٱبْنُهُ عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلْأَوْسَطُ ثُمَّ ٱبْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ ، ثُمَّ ٱبْنُهُ ٱلْمُنْذِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ أَخُوهُ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ ٱبْنُ ٱبْنِهِ عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلنَّاصِرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ ، ثُمَّ ٱبْنُهُ ٱلْحَكَمُ ٱلْمُسْتَنْصِرُ - وَكُرْسِيُّهُمَا ٱلزَّهْرَاءُ ، ثُمَّ هِشَامُ بْنُ ٱلْحَكَمِ - وَفِي أَيَّامِهِ بَنَى حَاجِبُهُ ٱلْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ ٱلزَّاهِرَةَ - ، ثُمَّ ٱلْمَهْدِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ ٱلْجَبَّارِ بْنِ ٱلنَّاصِرِ ، وَهُوَ أَوَّلُ خُلَفَاءِ ٱلْفِتْنَةِ ، وَهُدِّمَتْ فِي أَيَّامِهِ ٱلزَّهْرَاءُ وَٱلزَّاهِرَةُ ، وَعَادَ ٱلسَّرِيرُ إِلَى قُرْطُبَةَ . ثُمَّ ٱلْمُسْتَعِينُ سُلَيْمَانُ بْنُ ٱلْحَكَمِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ ٱلنَّاصِرِ .

ملوك بنى أمية وكراسيهم

***

دولة بنى حمود وبنى أمية الثانية

ثُمَّ تَخَلَّلَتْ دَوْلَةُ بَنِي حَمُّودٍ الْعَلَوِيِّينَ، وَأَوَّلُهُمْ النَّاصِرُ عَلِيُّ بْنُ حَمُّودٍ الْعَلَوِيُّ الْإِدْرِيسِيُّ، ثُمَّ أَخُوهُ الْمَأْمُونُ الْقَاسِمُ بْنُ حَمُّودٍ. ثُمَّ كَانَتْ دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ الثَّانِيَةُ، وَأَوَّلُهَا الْمُسْتَظْهِرُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ النَّاصِرِ، ثُمَّ الْمُسْتَكْفِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ، ثُمَّ الْمُعْتَمِدُ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ النَّاصِرِ، وَهُوَ آخِرُ خُلَفَاءِ الْجَمَاعَةِ بِالْأَنْدَلُسِ؛ وَحِينَ خُلِعَ أَسْقَطَ مُلُوكُ الْأَنْدَلُسِ الدَّعْوَةَ لِلْخِلَافَةِ الْمَرْوَانِيَّةِ، وَاسْتَبَدَّتْ مُلُوكُ الطَّوَائِفِ كَابْنِ جَهْوَرٍ فِي قُرْطُبَةَ، وَابْنِ عَبَّادٍ بِإِشْبِيلِيَةِ، وَغَيْرِهِمَا، وَلَمْ يَعُدْ نِظَامُ الْأَنْدَلُسِ إِلَى شَخْصٍ وَاحِدٍ، إِلَى أَنْ مَلَكَهَا يُوسُفُ بْنُ تَاشِفِينَ الْمُلَثَّمُ مِنْ بَرِّ الْعُدْوَةِ، وَفَتَكَ فِي مُلُوكِ الطَّوَائِفِ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ مَا خَلَصَتْ لَهُ وَلَا لِوَلَدِهِ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ، لِأَنَّ بَنِي هُودٍ نَازَعُوهُ فِي شَرْقِهَا بِالثَّغْرِ، إِلَى أَنْ جَاءَتْ دَوْلَةُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَبَنِيهِ، فَمَا صَفَتْ

لِعَبْدِ ٱلْمُؤْمِنِ بِمُحَمَّدِ بْنِ مَرْدَنِيشَ ٱلَّذِى كَانَ يُنَازِعُهُ فِى شَرْقِىِّ ٱلْأَنْدَلُسِ ، ثُمَّ صَفَتْ لِيُوسُفَ بْنِ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ بِمَوْتِ ٱبْنِ مَرْدَنِيشَ ، ثُمَّ لِمَنْ بَعْدَهُ مِنْ بَنِيهِ ، وَحَضْرَتُهُمْ مَرَّاكُشُ. وَكَانَتْ وُلَاتُهُمْ تَتَرَدَّدُ عَلَى ٱلْأَنْدَلُسِ وَمَمَالِكِهَا ، وَلَمْ يُوَلُّوا عَلَى جَمِيعِهَا شَخْصًا وَاحِدًا لِعِظَمِ مَمَالِكِهَا ، إِلَى أَنِ ٱنْقَرَضَتْ مِنْهَا دَوْلَتُهُمْ بِالْمُتَوَكِّلِ مُحَمَّدِ بْنِ هُودٍ مِنْ بَنِى هُودٍ مُلُوكِ سَرَقُسْطَةَ وَجِهَاتِهَا ، فَمَلَكَ مُعْظَمَ ٱلْأَنْدَلُسِ بِحَيْثُ يُطْلَقُ عَلَيْهِ ٱسْمُ ٱلسُّلْطَانِ ، وَلَمْ يُنَازِعْهُ فِيهَا إِلَّا زَيَّانُ بْنُ مَرْدَنِيشَ فِى بَلَنْسِيَةَ مِنْ شَرْقِىِّ ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَٱبْنُ هِلَالَةَ فِى طَبِيْرَةَ[1] مِنْ غَرْبِىِّ ٱلْأَنْدَلُسِ ، ثُمَّ كَثُرَتْ عَلَيْهِ ٱلْخَوَارِجُ قُرَيْبَ مَوْتِهِ ، وَلَمَّا قَتَلَهُ وَزِيرُهُ ٱبْنُ ٱلرُّمَيْمِىِّ بِالْمَرِيَّةِ زَادَ ٱلْأَمْرُ إِلَى أَنْ مَلَكَ بَنُو ٱلْأَحْمَرِ . وَكَانَ

(١) هى مدينة بغرب الأندلس (من بلاد البرتقال التى منها لشبونة وشنترين وقُلُمْرِية) ومن طبيرة أبو بكر محمد بن مفضل بن حسن بن عبد الرحمن بن محمد بن مهيب اللخمى أصله من طبيرة وولد بأويولة سنة ٥٨١ وسكن المرية وولى الخطبة بها وكان أديبا شاعرا صالحا وتوفى بمدينة سبتة سنة ٦٤٥ : «نجاتى»

غَرْبُ أَهْــلِ ٱلْأَنْدَلُسِ فِي ٱلْمِائَةِ ٱلسَّابِعَةِ يَخْطُبُونَ لِصَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةَ ٱلسُّلْطَانِ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ ٱلْوَاحِدِ بْنِ أَبِي حَفْصٍ ، ثُمَّ تَقَلَّصَتْ(١) تِلْكَ ٱلظِّلَالُ ، وَدَخَلَ ٱلْجَزِيرَةَ ٱلِانْحِلَالُ ، إِلَى أَنِ ٱسْتَوْلَى عَلَيْهَا حِزْبُ ٱلضَّلَالِ ، وَٱللهُ وَارِثُ ٱلْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْوَارِثِينَ . وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي هَـذَا ٱلْكِتَابِ جُمْلَةً مِنْ أَخْبَارِ مُلُوكِ ٱلْأَنْدَلُسِ مِمَّا يَصْلُحُ لِلْمُذَاكَرَةِ ، وَرُبَّمَا سَرَّحْتُ(٢) طَرْفَ ٱلْقَلَمِ فِي بَعْضِهِمْ .

---

(١) تقلص : انقبض ، انزوى ، ونقص ، وذهب . وقلصوا عن الدار : خفوا
(٢) سرحت طرف القلم . أرسلته وتركت له العنان

* ترجمله في كتاب المغرب في حلى المغرب « ج ١ ص ٤١ » بما يأتي
« الوزير أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله بن محمد الغمر بن يحي بن عبد الغافر بن أبي عبدة الكلبي مولى بني أمية
كان من وزراء الدولة العامرية ، قديم الرئاسة ، موصوفا بالدهاء والسياسة ولم يغير أمر توجيه المملكة ، حتى أنه بقي يؤذن على باب مسجده ، ولم يتحول عن داره ، وأحسن ترتيب الجند ، فتمشت دولته ، وكان حرما يلجأ اليه كل خائف ومخلوع عن ملكه الى أن مات في صفر سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، فولي بعده ابنه .

قلت : وأبوه محمد بن جهور كان من أهل الأدب والشعر ومن بيت وزارة واجلال ومن شعره :

***

وَبَنُو جَهْوَرٍ اُلْمُشَارُ إِلَيْهِمْ قَرِيباً كَانُوا وُزَرَاءَ اُلْأَمَوِيِّينَ، الوزير أبو الحزم
ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا اُنْتَثَرَ سِلْكُ اُلْخِلَافَةِ اُسْتَبَدَّ بِقُرْطُبَةَ اُلْوَزِيرُ
أَبُو اُلْحَزْمِ* بْنُ جَهْوَرٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَعَدَّى اُسْمَ اُلْوِزَارَةِ .
قَالَ فِي اُلْمَطْمَحِ : اُلْوَزِيرُ اُلْأَجَلُّ جَهْوَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ

أبلغت فى حبيك أسماعى　　فصرت لاأصغى الى الداعى
من صمم أورثنيه الأسى　　وحرقة تشعل أوجاعى
كافتنى الصبر وأنى به　　وكيف بالصبر للمتاع ؟ !
جزعت فى الحب على أننى　　فى الخطب جلد غير مجزاع

وابنه أبو الوليد محمد بن جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله الخ، كان كثير العناية بالعلم والاهتمام به وبسماعه من الشيوخ وروايته عنهم، وكان حافظا للقرآن الكريم مجودا لحروفه كثير التلاوة له، ولى ما كان يتولاه أبوه قبله وحذا حذوه فى السياسة وحسن التدبير غير مخل بشىء من ذلك، وتوفى بمدينة شلطيش معتقلا بها من قبل المعتمد على الله محمد بن عباد فى ١٥ شوال سنة ٤٤٣ .

وهناك أبو مروان عبد الملك بن جهور : كان وزيرا جليلا وشاعرا أديبا وكاتبا مجيدا وكان فى أيام عبد الرحمن الناصر، ومما ينسب اليه

ان كانت الأبدان نائية　　فنفوس أهل الظرف تأتلف
يارب مفترقين قد جمعت　　قلبيهما الأقلام والصحف

ومن شعره رجع كتاب ورد اليه يصفه ويذكر شوقه :

أتانى كتاب منك أحلى من المنى　　وأعذب من وصل محا آية الصد
فجدد لى شوقا اليك مذكرا　　فأذكى الذى فى القلب من لوعة الوجد
وانى على أضعاف ماقد وصفته　　لديك من الشوق المبرح والجهد
فلو أننى أقوى أطير صبابة　　جعلت جوابى نحو أرضكم قصدى

جَهْوَرٍ ، أَهْلُ بَيْتِ وِزَارَةٍ ، اُشْتَهَرُوا كَاشْتِهَارِ ٱبْنِ هُبَيْرَةَ(١) فِي فَزَارَةَ ، وَأَبُو ٱلْحَزْمِ أَمْجَدُهُمْ فِي ٱلْمَكْرُمَاتِ ، وَأَنْجَدُهُمْ فِي ٱلْمُلِمَّاتِ(٢) ، رَكِبَ مُتُونَ(٣) ٱلْفُنُونِ فَرَاضَهَا(٤) ، وَوَقَعَ

عليك سلام من محب متيم ... يراك بعين القلب فى القرب والبعد

« أحمد نجاتى »

(١) هو أبو خالد يزيد بن عمر بن هبيرة بن مُعية بن سكين بن خديج بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة. كان من ولاة العراق وجمع له المصران الكوفة والبصرة ، وولى قنسرين للوليد بن يزيد بن عبد الملك . وفى سنة ١٢٨ وجه مروان بن محمد يزيد واليا على العراق لحرب من بها من الخوارج ، ثم استظهرت عليه جيوش خراسان الداعية لبنى العباس سنة ١٣٢ فهزمت عسكره ، وظهر أمر بنى العباس وقويت شوكتهم وأدبرت دولة بنى مروان ، ولحق يزيد بمدينة واسط فتحصن بها فوجه اليه السفاح أخاه المنصور لحربه وحصر يزيد بواسط شهورا ثم أمنه وافتتح البلد صلحا وجرت السفارة بينهما حتى كتب له المنصور أمانا وأمضاه السفاح له ، وكان رأى أبى جعفر المنصور الوفاء له بما أعطاه ، غير أن أبا مسلم الخراسانى خوف السفاح منه وأوغر صدره عليه فألح على أخيه المنصور فى قتله واشتد فى ذلك ، فقتل رحمه الله . وكان يزيد شجاعا مقداما كريما حازما مدبرا مهيب الطلعة مرهوب الجانب . وقد رثاه أبو عطاء السندى بقوله :

الا ان عينا لم تجد يوم واسط ... عليك بجارى دمعها لجمود

عشية قام النائحات وشققت ... جيوب بأيدى مأتم وخدود

فان تمس مهجور الفناء فربما ... أقام به بعد الوفود وفود

وانك لم تبعد على متعهد ... بلى كل من تحت التراب بعيد

(٢) الملمات: المصائب والحوادث النازلة وأنجدهم: أشجعهم (٣) متون : جمع متن وهو الظهر ، والمراد تمكن منها . وقد تكون (الفنون) محرفة عن (الفتون) أو (الفتن) وهو أظهر فيكون معنى العبارة أنه قهرها واستولى عليها وذلل صعبها (٤) راضها : ذللها وسهلها

فِي بُحُورِ الْمِحَنِ(١) فَخَاضَهَا ، مُنْبَسِطٌ غَيْرُ مُنْكَمِشٍ ، لَا طَائِشُ(٢) اللِّسَانِ وَلَا رَعِشٌ ، وَقَدْ كَانَ وَزَرَ(٣) فِي الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ فَشَرُفَتْ بِجَلَالِهِ ، وَاعْتَرَفَتْ بِاسْتِقْلَالِهِ(٤) ، فَلَمَّا انْقَرَضَتْ ، وَعَاقَتِ الْفِتَنُ وَاعْتَرَضَتْ ، تَحَيَّزَ(٥) عَنِ التَّدْبِيرِ مُدَّتَهَا ، وَخَلَّى لِخِلَافِهِ(٦) أَعْبَاءَ(٧) الْخِلَافَةِ وَشِدَّتَهَا ، وَجَعَلَ يَقْبَلُ مَعَ أُولَئِكَ الْوُزَرَاءِ وَيُدْبِرُ ، وَيُدِيرُ الْأَمْرَ مَعَهُمْ وَيُدَبِّرُ ، غَيْرَ مُظْهِرٍ لِلِانْفِرَادِ ، وَلَا مُتَصَرِّفٍ(٨) فِي مَيْدَانِ ذَلِكَ الطِّرَادِ ،

---

(١) المحن : البلايا (٢) الطائش : الأهوج ، والرعش: المتلجلج ، يصفه بسدادالقول وصوابه وتجنبه هجر القول ، و بالشجاعة والجراءة. و يقال فلان رعش اليدين : أي جبان . وهو سبط الباع واللسان : أي قوي قادر بليغ. انبسط الى الناس: هش اليهم وأحسن لقاءهم. وتكمش الجلد وانكمش: تقبض واجتمع (٣) يقال : استوزره فتوزر له ، ووزر فلان للأمير يزر وزارة. وقد تكون (بجلاله) محرفة عن (بخلاله) (٤) استقل الشيء : حمله ورفعه ، واستقل الطائر في طيرانه : نهض وارتفع في الهواء محلقا ، والاستقلال بالأمر : الاستبداد به والانفراد ، يقال : هو مستقل بنفسه أي ضابط لأمره ، وهو لا يستقل بكذا أي لا يطيقه ولا يقوى عليه (٥) تحيز : تنحى وابتعد (٦) في المطبع أخلافه ، وهو جمع خلف (٧) أعباء :أحمال ومهمات وأثقال (٨) في المطبع ولا مقصر ، وهو الظاهر للمعنى والسياق وللازدواج في السجع . والطراد مطاردة الأقران والفرسان وحمل بعضهم على بعض في الحرب وغيرها

إِلَى أَنْ بَلَغَتِ ٱلْفِتْنَةُ مَدَاهَا ، وَسَوَّغَتْ(١) مَا شَاءَتْ رَدَاهَا ، وَذَهَبَ مَنْ كَانَ يَخِدُّ(٢) فِي ٱلرِّيَاسَةِ وَيَخُبُّ(٣) ، وَيَسْعَى فِي ٱلْفِتْنَةِ وَيَدِبُّ ، وَلَمَّا ٱرْتَفَعَ ٱلْوَبَالُ(٤) ، وَأَدْبَرَ ذٰلِكَ ٱلْإِقْبَالُ ، رَاسَلَ(٥) أَهْلَ ٱلتَّقْوَى مُسْتَمِدًّا بِهِمْ ، وَمُعْتَمِدًا عَلَى بَعْضِهِمْ ، تَحَيُّلًا مِنْهُ وَتَمْوِيهاً(٦) ، وَتَدَاهِياً(٧) عَلَى أَهْلِ ٱلْخِلَافَةِ وَذَوِيهَا وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ تَقْدِيمَ ٱلْمُعْتَمِدِ هِشَامٍ ، وَأَوْمَضَ(٨) مِنْهُ

(١) سوغت أو (بالبناء للمجهول): أجازت، وسوغه جوزه، وسوغ له كذا: أعطاه اياه. وسوغ له الشيء: أذن له فى تداوله ، وسوغ له ما أصاب: أجازه له. ويقال: أسغ لى غصتى، أى أمهلنى ولا تعجلنى (٢) فى المطمح يخد (وهو مضارع وخد كوعد، أى أسرع، ووخد الفرس: ضرب من سيره) وهو أنسب بالفعل بعده (يخب) (٣) الخبب ضرب من العدو والاسراع فى المشى وخب النبات: طال وارتفع وفلان يخب فى الفتنة ويوضع. وخب يخب خبا بالكسر فهو خب (بالكسر والفتح) اذا خدع وسعى بين الناس بالفساد ، والخب : الخداع الخبيث المنكر المفسد (٤) الوبال : الشدة والثقل والمكروه والعذاب (٥) كانت بالأصل (رأى) وفى المطمح (راسل) وهو الصواب (٦) من المجاز موه الحديث اذا زخرفه وزوره ونمقه ليخدع به ، وموه عليه الخبر اذا أخبره بخلاف ما سأله والتمويه: التلبيس، وموه باطله اذا زينه وأراه فى صورة الحق ، والأصل فيه موه الشيء اذا طلاه بفضة أو ذهب وتحته شبه أو نحاس أو حديد (٧) من الدهاء وهو النكر والمكر وجودة الرأى ، وفلان داهية أى منكر بصير بالأمور - وداهاه: أصابه بداهية (٨) أومض البرق : لمع لمعا خفيفا

لِأَهْلِ قُرْطُبَةَ بَرْقٌ خُلَّبٌ[1] يُشَامُ[2]، بَعْدَ سُرْعَةِ ٱلْتِيَاثِهَا[3]، وَتَعْجِيلِ ٱنْتِكَاثِهَا[4]، فَأَنَابُوا[5] إِلَى ٱلْإِجَابَةِ، وَأَجَابُوا إِلَى ٱسْتِرْعَائِهِ[6] ٱلْوِزَارَةَ وَٱلْحِجَابَةَ، وَتَوَجَّهُوا مَعَ ذَلِكَ ٱلْإِمَامِ، وَأَلَمُّوا بِقُرْطُبَةَ أَحْسَنَ إِلْمَامٍ، فَدَخَلُوهَا بَعْدَ فِتَنٍ كَثِيرَةٍ، وَٱضْطِرَابَاتٍ مُسْتَثِيرَةٍ، وَٱلْبَلَدُ مُقْفِرٌ[7]، وَٱلْجَلَدُ مُسْفِرٌ[8]،

(١) فى المطمح خلابة، وهى الخداع، أو الخديعة باللسان، وخلبت عقله، وخلبته عقله اذا سلبته اياه، و برق خلب: لاغيث معه (٢) يشام: ينظر اليه (٣) الالتياث: الالتباس والاختلاط وصعوبة الأمر وشدته (٤) انتكاثها: انتقاضها (٥) أنابوا: رجعوا (٦) استرعاه الشيء: استحفظه اياه، ومنه المثل: من استرعى الذئب فقد ظلم، أى من ائتمن خائنا فقد وضع الأمانة فى غير موضعها (٧) مقفر: خال من الناس (٨) الجلد الأرض الصلبة المستوية المتن. والجلد أيضا الشدة والقوة والصبر والصلابة. ولعل كلمة مسفر هنا من السفر وهو الكنس والكشط والازالة، ويقال سفرت الريح الغيم عن وجه السماء سفرا: كشطته وفرقته فانسفر و زال، وسفرت التراب: ذهبت به كل مذهب، ومن ذلك قول أبى صخر الهذلى

لليلى بذات البين دار عرفتها   وأخرى بذات الجيش آياتها سفر

قال السكرى: درست فصارت رسومها أغفالا، وقال ابن جنى: ينبغى أن يكون السفر من قولهم سفر البيت: كنسه، وكأنه كنست الكتابة من الطرس. وأسفر الصبح: أضاء وأشرق لونه، وسفرت المرأة اذا كشفت عن وجهها النقاب. وأسفرت الشجرة: صار ورقها سفيرا تسقطه الرياح، وذلك اذا تغير لونه وابيض، وأسفرت الحرب: اشتدت، فالغرض هنا وصف البلد والأرض بالخلو ممن يمكن مشاركته فى الرياسة حتى صار خلاء من الرؤساء والكبار، وأن الصبر قد نفد والقوة زالت

فَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ يَسِيرٍ حَتَّى حِيدَ[1] وَاضْطَرَبَ أَمْرُهُ فَخُلِعَ ، وَاخْتُطِفَ مِنَ الْمُلْكِ وَانْتُزِعَ ، وَانْقَرَضَتِ الدَّوْلَةُ الْأَمَوِيَّةُ وَارْتَفَعَتِ الدَّوْلَةُ الْعَلَوِيَّةُ ،

***

استيلاء أبى الحزم على قرطبة

وَاسْتَوْلَى عَلَى قُرْطُبَةَ عِنْدَ ذٰلِكَ أَبُو الْحَزْمِ ، وَدَبَّرَ أَمْرَهَا بِالْجِدِّ وَالْعَزْمِ ، وَضَبَطَهَا ضَبْطًا أَمَّنَ خَائِفَهَا ، وَرَفَعَ طَارِقَ تِلْكَ الْفِتْنَةِ وَطَائِفَهَا ، وَخَلَا لَهُ الْجَوُّ فَطَارَ ، وَقَضَى اللُّبَانَاتِ[2] وَالْأَوْطَارَ ، فَعَادَتْ لَهُ قُرْطُبَةُ إِلَى أَكْمَلِ حَالَتِهَا ، وَانْجَلَى بِهِ نُورُ جَلَالَتِهَا ، وَلَمْ تَزَلْ بِهِ مُشْرِقَةً ، وَغُصُونُ الْآمَالِ فِيهَا مُورِقَةً ، إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلٰثِمِائَةٍ ، فَانْتَقَلَ الْأَمْرُ إِلَى ابْنِهِ أَبِي الْوَلِيدِ ، وَاشْتَمَلَ مِنْهُ عَلَى طَارِفٍ وَتَلِيدٍ[3] ،

ويبدو لى أن الأولى أن تكون كلمة (مسفر) محرفة عن (مصفر) بالصاد — وصفر الاناء والمكان (كفرح) اذا خلا فهو صفر . والصفر : الشيء الخالى ، وأصفر الرجل اذا افتقر وخلت يده من المال فكانت صفرا . وأصفر البيت وصفره : أخلاه . وكل هذا من جناية السجع والقصد الى ترصيعه والتجنيس فيه . وقد شغف ذلك كتاب هذا العصر حتى ألقوا عليه أرواقهم «أحمد نجاتى»

(١) فى المطمح (جبذ) أى جذب وقد تكون محرفة عن (ضير) أى أوذى لتكون مع يسير قبلها فقرتى سجع (٢) اللبانات : الحاجات والاغراض (٣) الطارف : الجديد ، والتليد : القديم ، والغرض أنه ولى الأمر كله

***

وَكَانَ لِأَبِي الْحَزْمِ ، أَدَبٌ وَوَقَارٌ وَحِلْمٌ ، سَارَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ وَعُدِمَ فِيهَا الْمِثَالُ ، وَقَدْ أَثْبَتُّ مِنْ شِعْرِهِ مَا هُوَ لَائِقٌ ، وَفِي سَمَاءِ الْحُسْنِ رَائِقٌ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي تَفْضِيلِ الْوَرْدِ : أدب أبي الحزم

الْوَرْدُ أَحْسَنُ مَا رَأَتْ عَيْنٌ وَأَزْ
كَى(١) مَا سَقَى مَاءُ السَّحَابِ الْجَائِدُ(٢)

خَضَعَتْ نَوَاوِيرُ(٣) الرِّيَاضِ لِحُسْنِهِ
فَتَذَلَّلَتْ تَنْقَادُ وَهِيَ شَوَارِدُ(٤)

وَإِذَا تَبَدَّى الْغُصْنُ(٥) فِي أَغْصَانِهِ
يَزْهُو(٦) فَذَا مَيْتٌ وَهَـٰذَا حَاسِدُ

(١) زكا النبات : نما وراع ، وزكا : تنعم وكان في خصب ، وزكا الرجل: صلح ـ ، وذكا المسك ذكاء فهو ذكي وذاك : ساطع ريحه ، وأصل الذكاء في الريح شدتها من طيب أو غيره ، وخصه العرف بالطيبة (٢) السحاب الجائد : الغزير المطر (٣) نواوير جمع نوارة : الزهرة ، والنور : الزهر أو الأبيض منه (٤) شوارد : متفرقة ، وشردت الدابة : نفرت واستعصت وذهبت على وجهها (٥) كذا بالأصل ولعلها الغض صفة للورد ، والغض والغضيض : الحديث ، والثمر أول ما يبدو ، والطلع الناعم حين يظهر ، والطرى الناضر من كل شيء ، والطرف الغضيض: الفاتر ، والغضة من النساء : الرقيقة الجلد الظاهرة الدم ، وكل ناضر غض نحو الشباب وغيره ــ وفي المطمح (الورد) وهو أظهر (٦) الزهو : المنظر الحسن ، والنبات الناضر ، وهز الريح النبات غب الندى ، والكبر

وَإِذَا أَتَى وَفْدُ ٱلرَّبِيعِ مُبَشِّرًا
بِطُلُوعِ وَفْدَتِهِ فَنِعْمَ ٱلْوَافِدُ

لَيْسَ ٱلْمُبَشِّرُ كَالْمُبَشَّرِ بِاسْمِهِ
خَبَرٌ عَلَيْهِ مِنَ ٱلنُّبُوَّةِ شَاهِدُ

وَإِذَا تَعَرَّى ٱلْوَرْدُ مِنْ أَوْرَاقِهِ
بَقِيَتْ عَوَارِفُهُ(١) فَهُنَّ خَوَالِدُ

ٱنْتَهَى ٱلْمَقْصُودُ مِنْهُ . وَكَأَنَّهُ عَارَضَ بِهٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتِ فِي تَفْضِيلِ ٱلْوَرْدِ قَوْلَ ٱبْنِ ٱلرُّومِيِّ فِي تَفْضِيلِ ٱلنَّرْجِسِ عَلَيْهِ مِنْ قَصِيدَةٍ :

والتيه والعظمة والفخر، ورجل مزهو : معجب بنفسه ، وزها النبت: طلعت ثمرته ، وزها الطل النور: زاده حسن منظر . وشيء زاهي اللون : مشرقه والزهوة : بريق أي لون كان . وزها الزرع: زكا ونما . وفي بعض المراجع (ذلت) بدل يزهو فالضمير راجع الى أنوار الرياض في البيت قبله كما يروى (بطلوع صفحته) بدل وفدته في البيت بعده (١) جمع عارفة وهي المعروف ، يقال : أولاه عارفة أي معروفا ، والعرف الجود واسم مايبذل ويعطى من الصنائع . والعرف : الريح مطلقا ، وأكثر استعماله في الطيبة كقول مسلم بن الوليد :

ثناء كعرف الطيب يهدى لأهله   وليس له الا بني خالد أهل

وعرف الرجل عرافة : طابت ريحه وذكت .

لِلنَّرْجِسِ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَإِنْ أَبَى

آبٍ وَحَادَ عَنِ الْحَقِيقَةِ حَائِدُ(١)

وَهِيَ مَشْهُورَةٌ . وَرَدَّ عَلَى ابْنِ الرُّومِيِّ بَعْضُهُمْ(٢)

بِقَوْلِهِ :

(١) أول هذه الأبيات :

خجلت خدود الورد من تفضيله　　خجلا تورّدها عليه شاهد

للنرجس الفضل المبين اذا بدا　　بين الرياض طريفه والتالد الخ

وكان ابن الرومى متعصبا للنرجس كثير الذم للورد ، وقد ناقضه جماعة من البغداديين وغيرهم فى هذا المذهب وذهبوا الى تفضيل الورد فما دانوه وما استطاعوه . وكان كسرى أنو شروان مستهترا بالنرجس وكان يقول : هو ياقوت أصفر بين در أبيض على زمرد أخضر . وتشبه العيون بالنرجس لذبوله كما قال ابن المعتز :

وسنان قد خدع النعاس جفونه　　فحكى بمقلته ذبول النرجس

أوفى الشكل دون اللون كقول أبى نواس :

لدى نرجس غض القطاف كأنه　　اذا ما منحناه العيون عيون

مخالفة فى شكلهن فصفرة　　مكان سواد والبياض جفون

(٢) هو أحمد بن يونس الكاتب ويروى .... (راقد) بدل فاسد وقد حكم بينهما فعدل سعيد بن هاشم الخالدى فقال :

منحت النرجس البلدى ودى　　ومالى باجتناب الورد طاقه

كلا الأخوين معشوق وانى　　أرى التفضيل بينهما حماقه

هما فى عسكر الأزهار هذا　　مقدمة يسير وذاك ساقه

يَا مَنْ يُشَبِّهُ نَرْجِسًا بِنَوَاظِرٍ
دُعْجٍ(١) تَنَبَّهْ إِنَّ فَهْمَكَ فَاسِدُ

الخ . وَهِيَ أَيْضًا مَشْهُورَةٌ

« رَجْعٌ إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ » وَكَانَتْ لِأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بَيْنَ زَمَانِ الْفَتْحِ وَمَا بَعْدَهُ وَقَائِعُ فِي الْكُفَّارِ شَفَتِ الصُّدُورَ مِنْ أَمْرَاضِهَا ، وَوَفَتِ النُّفُوسَ بِأَغْرَاضِهَا ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَى مَا كَانَ لِمِلَّةِ الْكُفْرِ مِنْ جَوَاهِرِهَا وَأَعْرَاضِهَا ، ثُمَّ وَقَعَ الِاخْتِلَافُ ، بَعْدَ ذَلِكَ الِائْتِلَافِ ، فَعَصَفَتْ رِيحُ الْعَدُوِّ وَالْحُرُوبُ سِجَالٌ(٢) ، وَأَعْيَا(٣) الْعِلَاجُ حُكَمَاءَ الرِّجَالِ ، فَصَارَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ يَتَذَكَّرُونَ مُوسَى بْنَ نُصَيْرٍ وَطَارِقَ، وَمَنْ بَعْدَهُمَا مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ رَاعَتِ(٤) الْعَدُوَّ الْكَافِرَ مِنْهُمْ طَوَارِقُ(٥) .

---

(١) دعج : شديدة السواد مع سعتها (٢) سجال : تارة لهم وتارة عليهم (٣)أعيا :أعجز (٤) أىأفزعت وخوفت (٥) أى حوادث مفاجئة ،وطرق الباب : دقهوقرعهومنهسمىالآتى بالليل طارقا . وحذف تنوين طارق للسجع أو اعل الأصل . زمن موسى الخ

***

كتاب أبى المطرف الى أبى جعفر

وَمَا أَحْسَنَ مَا أَعْرَبَ الْإِمَامُ الْكَاتِبُ الْقَاضِى أَبُو الْمُطَرِّفِ بْنُ عُمَيْرَةَ ، عَمَّا يَشْمَلُ هٰذَا الْمَعْنَى وَغَيْرَهُ ، فِي كِتَابٍ بَعَثَ بِهِ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ أُمَيَّةَ ، حِينَ حَلَّ الرُّزْءُ بِبَلَنْسِيَةَ ، وَهُوَ :

أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الْمُصَرِّحُ(١) بِالْوَجْدِ
أَمَالَكَ مِنْ بَادِي الصَّبَابَةِ مِنْ بُدِّ ؟
وَهَلْ مِنْ سُلُوٍّ يُرْتَجَى لِمُتَيَّمٍ
لَهُ لَوْعَةُ(٢) الصَّادِي وَرَوْعَةُ ذِي الصَّدِّ ؟

---

(١) صرح بما فى نفسه وصارح : أبداه وأظهره ، والتصريح تبيين الأمر وكشفه ، وفى المثل : عند التصريح تستريح . وقد تكون المصرح محرفة عن المبرح ، من البرح وهو الشدة والأذى والعذاب الأليم والمشقة . و برح به الهم والوجد تبريحا اذا جهده ونال منه . وتباريح الشوق تو هجه وشدائده (٢) اللوعة حرقة فى القلب وألم يجده المرء من حب أوهم أو مرض أو حزن ونحو ذلك ، وقد لاعه الحب : أمرضه ، والالتياع : الاحتراق من الهم . واللاعة مايجده الانسان لولده أو حميمه من الحرقة وشدة الحب ، والروعة الخوف والفزع

يَحِنُّ إِلَى نَجْدٍ وَهَيْهَاتَ حَرَّمَتْ
صُرُوفُ(١) اللَّيَالِي أَنْ يَعُودَ إِلَى نَجْدِ(٢)

فَيَا جَبَلَ الرَّيَّانِ لَا رِيَّ بَعْدَ مَا
بَدَتْ غِيَرُ الْأَيَّامِ عَنْ ذٰلِكَ الْوِرْدِ(٣)

وَيَا أَهْلَ وُدِّى ، وَالْحَوَادِثُ تَقْتَضِى
خُلُوِّىَ عَنْ أَهْلٍ يُضَافُ إِلَى الْوُدِّ

أَلَا مُتْعَةً(٤) يَوْمًا بِعَارِيَةِ الْمُنَى
فَإِنَّا نَرَاهَا كُلَّ حِينٍ إِلَى الرَّدِّ

---

(١) صروف : حوادث ونوائب (٢) مأخوذ من قول أعرابى من بنى طهية «بالتصغير» .

أحن الى نجد وانى لآيس طوال الليالى من قفول الى نجد

(٣) جبل الريان فى بلاد العرب ، وفيه يقول جرير :

ياحبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا
وحبذا نفحات من يمانية تأتيك من قبل الريان أحيانا

وللشريف الرضى:

أيا جبل الريان ان تعر منهم فانى سأكسوك الدموع الجواريا
ويا قرب ما أنكرتم العهد بيننا نسيتم وما استودعتم السر ناسيا
فياليتنى لم أعل نشزا اليكم حراما ولم أهبط من الأرض واديا

وكنى هنا بنجد وجبل الريان وهما من البلاد العربية عن بلاده وطنه بالأندلس

(٤) المتعة والمتاع : التمتع بالشىء والانتفاع به ، ومايتبلغ به ويتزود من الزاد ونحوه . وأمتعه الله بكذا : أبقاه لينتفع به فيما يحب من الانتفاع والسرور بمكانه ، وأطال له ذلك وملاه به

أَمِنْ بَعْدِ رُزْءٍ(١) فِي بَلَنْسِيَةٍ ثَوَى
بِأَحْنَائِنَا (٢) كَالنَّارِ مُضْمَرَةَ الْوَقْدِ
يُرَجِّي اناسٌ جُنَّةً(٣) مِنْ مَصَائِبٍ
تُطَاعِنُ فِيهِمْ بِالْمُثَقَّفَةِ الْمُلْدِ(٤) ؟
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَهَا مِنْ مَطَالِعٍ(٥)
مُعَادٍ إِلَى مَا كَانَ فِيهَا مِنَ السَّعْدِ ؟
وَهَلْ أَذْنَبَ الْأَبْنَاءُ ذَنْبَ أَبِيهِمُ
فَصَارُوا إِلَى الْإِخْرَاجِ مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ؟

(١) الرزء : الكارثة والمصيبة (٢) جمع حنو وهو كل مافيه اعوجاج أو شبهه من البدن كعظم الحجاج (تحت الحاجب) واللحى والضلع الخ ويقال : طوى عليه أحناء صدره ، وربما كانت محرفة عن (بأحشائنا) (٣) جنة : وقاية وكل ما وقى به من الدروع والسلاح (٤) ملد : جمع أملد وهو المهتز الناعم اللين المستوى القائم ، والمثقف المعدل. والمثقفة الملد: كناية عن الرماح (٥) مطالع الشمس والكواكب: مشارقها، يقولون طالعه سعيد يعنون الكوكب

***

وصف الكتاب

مَرْحَباً بِالسِّحَاءَةِ(١) ، وَمَا أَعَارَتْ أُفُقِي مِنَ الْإِضَاءَةِ ، وَرَدَتْ تَسْحَرُ النُّهَى(٢) ، وَتَسْحَبُ ذَيْلًا عَلَى السُّهَا(٣) . وَتَهُزُّ مِنَ الْمَسَرَّةِ أَعْطَافًا ، وَتَرِدُ مِنْ نُجُومِ الْمَجَرَّةِ نِطَافًا(٤) ،

---

(١) سحاءة القرطاس وسحايته وسحاوته: ماسحى منه أى أخذ ، وقد سحا من القرطاس اذا أخذ منه شيئا قليلا، وسحا الكتاب يسحوه و يسحيه اذا شده بسحاءة (وهى مايقشر عن ظاهره ليشد به) وسحوت القرطاس والجلد قشرت منه شيئا رقيقا ، وفى الأثر : «أتربوا الكتاب وسحوه من أسفله » يصف الكاتب رسالة ألقيت اليه ممن يكتب له (٢) تسحر النهى : أى تأخذ بالعقول وتؤثر فيها كما تشاء (٣) السها : كوكب صغير خفى الضوء يكون مع الكوكب الأوسط من بنات نعش ، وكانوا يمتحنون به قوة ابصارهم، وفى المثل: أريها السها وتريني القمر ، يتمثل به فى الخطأ ، وقيل فيه:

كأن سهاها عاشق بين عود ... فآونة يبدو وآونة يخفى

(٤) النطاف: جمع نطفة وهو الماء الصافى قل أو كثر ، وفى الأصل (المجردة) بدل (المجرة) محرفة، ولطيف قول ظافر الحداد :

كأن نجوم الليل لما تبلجت ... توقد جمر فى خلال رماد
حكى فوق ممتد المجرة شكلها ... فواقع تطفو فوق لجة وادى

وقول الآخر :

وكأن المجر جدول ماء ... نور الأقحوان فى جانبيه

عَامَتْ مِنَ ٱلظُّلْمَةِ فِي مَوْجِهَا ، ثُمَّ غَلَبَتِ ٱلشُّهْبَ عَلَى أَوْجِهَا(١) فَقَلْبُ ٱلْعَقْرَبِ(٢) يَجِبُ، وَسُهَيْلٌ(٣) بِدَارِهِ يَحْتَجِبُ، وَٱلطَّرْفُ(٤) غَضِيضٌ ، وَجَنَاحُ ٱلطَّائِرِ مَهِيضٌ(٥) ، وَصَاحِبُ ٱلْأَخْبِيَةِ(٦)

(١) الأوج ضد الهبوط ، وهو من اصطلاحات المنجمين ، وهى كلمة معربة معناها العلو

(٢) العقرب برج فى السماء ، وجب قلبه وجيبا : خفق واضطرب . ومما قيل فى العقرب :

كواكب العقرب عشرون والـ ... قلب لمن يعجب من ضبطها
وقلبها يحكى على خفقه ... واسطة تلعب فى سمطها

(٣) سهيل نجم يمانى يقول فيه البحترى :

كأن سهيلا شخص ظمآن جانح ... من الليل فى نهر من الماء يكرع

وقال أبو العلاء :

وسهيل كوجنة الحب فى اللو ... ن وقلب المحب فى الخفقان

(٤) الطرف كوكبان يقدمان الجبهة بين يديها سميا بذلك لأنهما عينا الأسد ينزلها القمر ومما قيل فى وصف الطرف :

الطرف طرف للخليفة أشهب ... لا يقتفيه سلاهب وصلادم
أجرى اللجين لسرجه ولجامه ... ونجومه المتدرجات براجم

وقلب العقرب الكوكب النير الأحمر الذى وراء الاكايل وهم يستحسنونه . وغض طرفه: خفضه وكسره فهو غضيض (٥) يريد النسر الطائر وهو كوكب يشبه بالنسر الطائر ، ومما قيل فيه :

وطير لايضم له جناحا ... تعالى فى السماء وما يطير
نهارا باقيا لاأود فيه ... وليلا لا يعرس اذ يسير

وهاض العظم : كسره بعد جبر (٦) الأخبية كواكب مستديرة هى احدى منازل القمر ، وقيل فيها من أبيات :

يَقْرِضُ ، وَٱلذَّابِحُ[1] عَنْ ذَبِيحَتِهِ يُعْرِضُ ، وَرَامِحُ ٱلسِّمَاكَيْنِ[2] يَخُونُهُ ٱلسِّلَاحُ ، وَوَاقِعُ ٱلنَّسْرَيْنِ[3] يَوَدُّ

وبعدها أخبية خنس قصيرات الطنب
كجؤجؤ البطة مع منقارها اذا انتصب

(١) سعد الذابح منزل من منازل القمر أحد السعود ، وهما كوكبان غير نيرين بينهما قدر ذراع وفى نحر أحدهما نجم صغير لقربه منه كأنه يذبحه فسمى لذلك ذابحا ، وقيل :

وثلاثة وسمت بسعد ذابح هو فى السعود كحادث لاثنين
وسموه بالسمتين وهو فلا يرى منه سوى السكين والحلين

والنجم الصغير هو ذبحته .

(٢) السماكان أحدهما الأعزل والآخر الرامح ، وسمى رامحا لكوكب صغير بين يديه يقال له راية السماك ، وسمى الآخر أعزل لأنه لاشىء بين يديه كأنه عندهم لاسلاح معه . قال كعب بن زهير يصف ناقته :

فلما استبان الفرقدان زجرتها وهب سماك ذو سلاح وأعزل

وقال أبو العلاء :

لاتطلبن بآلة لك رتبة قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما هذا له رمح وهذا أعزل

وقال محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان (وكان من أفصح المحدثين وأوصفهم للأزمنة والنجوم) من قصيدة طويلة :

وفى يمين شمال ال عوا سماك عتيد
مسدد صدر رمح فيه سنان رصيد
ورامح مستعد وأعزل مستقيد
سلم مدى الدهر هذا وذاك قرن عنيد

(٣) النسر الواقع نجم كأنه كاسر جناحيه من خلفه حيال النسر الطائر قرب بنات نعش ، ولما كان بحذائه النسر الطائر سمى واقعا ، والنسر الواقع شامى ،

لَوْ أَنَّهُ يُخْفِيهِ ٱلصَّبَاحُ ، بَلَاغَةٌ تَفْتِنُ كُلَّ لَبِيبٍ ، وَتَرْعَى رَوْضَ كُلِّ أَدِيبٍ ، وَتَغُضُّ عَلَى رَغْمِ ٱلْعَدُوِّ مِنْ حَبِيبٍ (١) ، إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ (٢) لَسِحْرًا ، وَيَاأَيُّهَا ٱلْجَوَادُ وَجَدْنَاكَ بَحْرًا ،

والطائر حده مابين النجوم الشامية واليمانية وهو معترض غير مستطيل ، وهو نير ومعه كوكبان غامضان وهو بينهما وقاف كأنهما له جناحان قد بسطهما ، وكأنه يهم أن يطير وهو معهما معترض مصطف ولذلك جعلوه طائرا ، وأما الواقع فهو ثلاثة كواكب كالأثافي فكوكبان مختلفان ليسا على هيئة النسر الطائر فهما له كالجناحين ولكنهما منضمان اليه كأنه طائر وقع :

وانقض منهن نسر ... للأخريات طرود
كأنه حين أهوى ... لهن باز صيود
ومن آخر يهوى ... فقلت أين تريد؟
ميامنا لغوور ... والغور منه بعيد اهـ

هذا وقد وجه الكاتب بأسماء هذه الكواكب وجعل فى كل منها تورية رشحها بما يناسبها ، وجعل رسالة الممدوح أرقى من هذه الأجرام العلوية فهى تخجل منها وتعرف أنها لا تجاريها اهـ « أحمد نجاتى »

(١) ورى بحبيب عن اسم أبى تمام الطائى حبيب بن أوس ورشح لذلك بقوله عدو ، ويشير الى قوله :

من كان مرعى عزمه وهمومه ... روض الأمانى لم يزل مهزولا

(٢) أول من قاله النبى ﷺ . وحديثه معروف ، يعنى أن بعض البيان يعمل فى النفوس عمل السحر لقوة تأثيره فى سامعه وسرعة قبول القلب له ، فالبليغ يبلغ بحسن بيانه مايبلغ الساحر بلطف حيلته فى سحره .

أَدَرَيْتَ أَيَّ بُرًى(١) بَرَيْتَ، وَبِأَيِّ قَمَرٍ اهْتَدَيْتَ لَيْلَةَ سَرَيْتَ؟ افْتَتَحْتَ بِأَبْيَاتِكَ الْحِسَانِ، وَنَظَمْتَهَا نَظْمَ الْجُمَانِ(٢)، فَعَوَّذْتَ سَبْعَتَهَا(٣) بِالسَّبْعِ، وَعَرَفْتُ مِنْهَا بَرَاعَةَ ذَلِكَ الطَّبْعِ ثُمَّ نَثَرْتَ عَلَى الْقِرْطَاسِ شُذُورَ(٤) النُّثُورِ، بَلْ مِنْ جَوَاهِرِ(٥) النُّحُورِ، مَا اسْتَوْقَفَ النُّظَّارَ، وَبَهْرَجَ(٦) اللُّجَيْنَ(٧) وَالنُّضَارَ،

ويضرب مثلا فى استحسان المنطق وايراد الحجة البالغة والتعجب من قوة أثره فى النفس (١) جمع بروة وهى نحاته القلم المبرى (يقال برى القلم يبريه، وقوم يقولون براه يبروه) وتسمى أيضا براية. بدأ بوصف قلم الكاتب ثم انبرى لوصف رسالته (٢) اللؤلؤ أو هنوات أشكال اللؤلؤ تعمل من فضة، معرب (٣) فى الأصل (سننها) وأرى أنها محرفة عن سبعتها، يريد سبعة أبيات بدأ بها المكتوب اليه رسالته، ثم اتبعها بشىء من المنثور وعززذلك بأربعة أبيات أخرى سيذكرها الكاتب بعد. «أحمد نجاتى».
(٤) جمع شذر: قطع من الذهب تلقط من معدنه من غير اذابة، ومما يصاغ من الذهب فرائد يفصل بها اللؤلؤ والجوهر ويطلق أيضا على اللؤلؤ الصغار على التشبيه بالشذر لبياضها، واحدته شذرة. ويقال شذر كلامه بشعر اذا فصله به (على المثل) (٥) يظهر أن أصل العبارة هكذا: ثم نثرت على القرطاس من شذور النثور، بل جواهر النحور (أو: بل من جواهر البحور) الخ
(٦) بهرجه رده لرداءته، البهرج الباطل والردىء من كل شىء، ودرهم بهرج: زائف، ومن المجاز، كلام بهرج، وعمل بهرج: أى ردىء غير مقبول كأنه طرح فلا يتنافس فيه (وهو لفظ معرب) والبهرجة أن يعدل بالشىء عن الجادة القاصدة الى غيرها، وبهرج بهم الطريق اذا أخذ بهم فى غير المحجة. ومن ذلك قول أبى محجن الثقفى لسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما: أما اذا بهرجتنى فلا أشربها أبدا (يعنى الخمر) يريد هدرتنى باسقاط الحد عنى (٧) اللجين: الفضة، والنضار: الذهب

وَرَأَيْتُكَ اُسْتَمْدَدْتَ وَلَكَ الْبَاعُ الْأَمَدُّ(١)، وَأَعَرْتَ مَحَاسِنَكَ ، وَالْعَارِيَةُ تُرَدُّ. وَجِئْتَ بِاللَّأْلَاءَةِ(٢) تَرُوقُ أَرْبَعَتُهَا ، وَتَخْرَسُ(٣) بِهَا قَعْقَعَةُ(٤) الْأَشْعَارِ وَجَعْجَعَتُهَا(٥) ، فَأَدَّتْ مِنْ حُسْنِهَا مَا يَسُرُّ ، وَاُجْتَمَعَ لِمَنْ رَوَى الْقِطْعَتَيْنِ مَا نُظِمَ فِيهِمَا وَهُوَ الدُّرُّ . وَأَجْرَيْتَ خَبَرَ الْحَادِثَةِ الَّتِي مَحَقَتْ بَدْرَ التَّمَامِ ، وَذَهَبَتْ بِنَضَارَةِ الْأَيَّامِ . فَيَامَنْ حَضَرَ يَوْمَ الْبَطْشَةِ ، وَعُزِّيَ فِي أُنْسِهِ بَعْدَ تِلْكَ الْوَحْشَةِ ، أَحَقًّا إِنَّهُ دُكَّتِ الْأَرْضُ ، وَنَزَفَ(٦) الْمَعِينُ وَالْبَرْضُ(٧) ، وَصَوَّحَ(٨)

(١) الأمد : شديد الطول واستمد طلب المدد ، واستمد : أخذ مدة من المداد على القلم (٢) اللؤلؤة أى الدرة تتلألأ أى تضىء وتلمع . واللألاء أيضا صاحب الدر وبائعه ، ويريد به هنا الأبيات الأربعة كأنها عقد من اللؤلؤ ذو أربعة سموط (٣) فى الأصل تحرس وأرى أنها محرفة عن تخرس بالخاء المعجمة . «أحمد نجاتى» (٤) قعقعة : صوت، وحركة الشىء اليابس الصلب مع صوت (٥) هى فى الأصل صوت الرحى ، وأصوات الابل اذا اجتمعت (٦) نزف المعين : قل الماء الجارى الذى تراه العين وغاض (٧) البرض : الماء القليل ضد الغمر (٨) صوح النبت وتصوح: تم يبسه وجف ، أو أصابته آفة أو حر فيبس ، وقال أبو على البصير (الفضل بن جعفر)

لعمر أبيك ما نسب المعلى ... الى كرم وفى الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت ... وصوح نبتها رعى الهشيم

رَوْضُ ٱلْمُنَى ، وَصَرَّحَ ٱلْخَطْبُ وَمَا كَنَى ؟ أَبِنْ لِى كَيْفَ فُقِدَتْ رَجَاحَةُ ٱلْأَحْلَامِ (١) ، وَعُقِدَتْ مَنَاحَةُ (٢) ٱلْإِسْلَامِ ، وَجَاءَ ٱلْيَوْمُ ٱلْعَسِرُ ، وَأُوقِدَتْ نَارُ ٱلْحُزْنِ فَلَا تَزَالُ تَسْتَعِرُ حُلْمٌ مَا نَرَى ؟ بَلْ مَا رَأَى ذَا حَالِمٌ ، طوفَانٌ يُقَالُ عِنْدَهُ لَا عَاصِمَ ، مَنْ يُنْصِفُنَا مِنَ ٱلزَّمَانِ ٱلظَّالِمِ ، أَللّٰهُ بِمَا يَلْقَى ٱلْفُؤَادُ عَالِمٌ . بِاللّٰهِ أَىَّ نَحْوٍ (٣) تَنْحُو ، وَمَسْطُورٍ تُثْبِتُ وَتَمْحُو ، وَقَدْ حُذِفَ ٱلْأَصْلِىُّ وَٱلزَّائِدُ ، وَذَهَبَتِ ٱلصِّلَةُ وَٱلْعَائِدُ . وَبَابُ ٱلتَّعَجُّبِ طَالَ ، وَحَالُ ٱلْبَائِسِ لَا تَخْشَى ٱلِانْتِقَالَ . وَذَهَبَتْ عَلَامَةُ ٱلرَّفْعِ ، وَفُقِدَتْ سَلَامَةُ ٱلْجَمْعِ . وَٱلْمُعْتَلُّ أَعْدَى ٱلصَّحِيحَ ، وَٱلْمُثَلَّثُ (٤) أَرْدَى ٱلْفَصِيحَ . وَٱمْتَنَعَتِ

(١) الأحلام : العقول (٢) المناحة : موضع النوح. وكنا فى مناحة فلان أى مأتمه (٣) شرع من هنا يستعمل توجيهات نحوية ، بعد أن أكثر من تكلف التوجيهات الفلكية (٤) كذا بالأصل ، وأرى أنه تحريف عن : الملثلث ، والللثلة العجمة وعدم ابانة الكلام والحبسة فى المنطق . والللاثة البطىء فى كل أمر كلما ظننت أنه قد أجابك الى القيام فى حاجتك تقاعس ، قال رؤبة * لاخير فى ود امرىء ملثلث * يريد بالملثلث هنا الأفرنج الذين تغلبوا على العرب وقسوا فى معاملتهم (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) صدق الله العظيم . «أحمد نجاتى»

اَلْعُجْمَةُ مِنَ الصَّرْفِ ، وَأَمِنَتْ زِيَادَتُهَا مِنَ الْحَذْفِ . وَمَالَتْ قَوَاعِدُ الْمِلَّةِ ، وَصِرْنَا إِلَى جَمْعِ الْقِلَّةِ . وَلِلشِّرْكِ صِيَالٌ وَتَخَمُّطٌ(١) ، وَلِقِرْنِهِ فِي شَرَكِهِ تَخَبُّطٌ . وَقَدْ عَادَ الدِّينُ إِلَى غُرْبَتِهِ ، وَشَرِقَ(٢) الْإِسْلَامُ بِكُرْبَتِهِ ، كَأَنْ لَمْ يُسْمَعْ بِنَصْرِ ابْنِ نُصَيْرٍ ، وَطَرْقِ طَارِقٍ بِكُلِّ خَيْرٍ . وَنَهَشَاتِ حَنَشٍ(٣) وَكَيْفَ أَعْيَتِ الرُّقَى ، وَأَذَالَتْ(٤) بِلَيْلِ السَّلِيمِ

(١) التخمط : التكبر والغضب والأخذ والقهر بغلبة ، وتخمط : غضب وثار وأجلب ، شبه بهدير الفحل ، وتخمط الفحل هدر للصيال وتخمط البحر اذا زخر والتطم واضطربت أمواجه ، قال أوس بن حجر :

اذا مقرم منا ذرا حد نا به   تخمط فينا ناب آخر مقرم

وقال آخر :

اذا تخمط جبار ثنوه الى   ما يشتهون ولا يثنون ان خمطوا

(٢) شرق الاسلام : كاد أن يغرب و يذهب . وأصل الشرق الغصة

(٣) يريد حنش بن عبد الله الصنعانى توفى سنة ١٠٠ وسيذكره بعد (٤) كذا بالأصل وأرى أنها محرفة عن أدالت بالدال المهملة من الدولة فى الحرب وهى أن تدال احدى الفئتين على الأخرى ويهزم أحد الجيشين الآخر ، والدولة (بالضم) انتقال النعمة من قوم الى قوم ، والدولة الاستيلاء والغلبة ، وأدالنا الله من عدونا أى جعل لنا الدولة والغلبة ونصرنا عليه ، والسليم اللديغ سمى سليما لأنهم تطيروا

يَوْمَ الْمُلْتَقَى . وَلَمْ تُخْبَرْ عَنِ الْمَرْوَانِيَّةِ وَصَوَائِفِهَا(١) وَفَتَى مَعَافِرٍ وَتَعْفِيرِهِ لِلْأَوْثَانِ(٢) وَطَوَائِفِهَا . لِلَّهِ ذَلِكَ السَّلَفُ ، لَقَدْ طَالَ الْأَسَى عَلَيْهِمْ وَالْأَسَفَ . وَبَقِيَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ ، وَالرَّبُّ الَّذِي قَوْلُهُ الْفَصْلُ ، وَبِيَدِهِ الْفَضْلُ . رَبَّنَا أَمَرْتَ فَعَصَيْنَا ، وَنَهَيْتَ فَمَا انْتَهَيْنَا ، وَمَا كَانَ ذَلِكَ جَزَاءَ إِحْسَانِكَ إِلَيْنَا ، أَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَا أَعْلَنَّا وَمَا أَخْفَيْنَا ، وَالْمُحِيطُ بِمَا لَمْ نَأْتِ وَمَا أَتَيْنَا ، لَوْ أَنَّنَا فِيكَ أَحْبَبْنَا وَقَلَيْنَا(٣) ، لَمْ

من اللديغ فقلبوا المعنى ، كما قالوا للفلاة مفازة تفاؤلا بالفوز والسلامة ، ويقال : بات بليلة السليم وهو اللديغ والجريح الذى أشفى على الهلكة فلم يذق جفنه غمضا ، والرقى جمع رقية وهى العوذة التى يرقى بها صاحب الآفة كاللدغ والحمى والصرع وغير ذلك ، يعنى أن ذلك البطل واخوانه قهروا أعداءهم هؤلاء فبدلوهم من نهار أنسهم وفرحهم وأيام سرورهم ومرحهم ليالى كئيبة أطالها هم ناصب وحزن مسهد (١) جمع صائفةوهى غزوة الروم والفرنجة لأنهم كانوا يغزون صيفا لمكان البرد والثلج ، ويقال : هم يغزون الصائفة ويمتارون الصائفة ، وهى الغزوة والميرة بالصيف . هذا وقدورى الكاتب بأسماء هؤلاء الغزاة ولمح بها الى الأصل المنقولةعنه والمعنى المأخوذةمنه (٢) الأوثان : الأصنام، وقال ابن الأثير : الفرق بين الوثن والصنم أن الوثن كل ماله جثة مصنوعة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمى تعمل وتنصب فتعبد ، والصنم الصورة بلا جثة ، ومنهم من لم يفرق بينهما (٣) قلينا : أبغضنا وكرهنا

ثُرِنَا مِنَ الْفُرْقَةِ مَا رَأَيْنَا ، وَلَمْ تُسَلِّطْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّنَا عَلَيْنَا ، لَكِنْ أَنْتَ أَرْحَمُ مِنْ أَنْ تُؤَاخِذَنَا بِمَا جَنَيْنَا ، وَأَكْرَمُ مِنْ أَلَّا تَهَبَ حُقُوقَكَ إِلَيْنَا . وَأَشَرْتَ أَيُّهَا الْأَخُ الْكَرِيمُ إِلَى اسْتِرَاحَةٍ إِلَيَّ ، وَتَنَسُّمٍ (١) بِمَا لَدَيَّ ، لِتُبْرِدَ - كَمَا زَعَمْتَ - حَرَّ نَفَسٍ ، وَتَقْدَحَ زِنَادَ قَبَسٍ (٢) ، وَهَيْهَاتَ صَلِدَ (٣) الزَّنْدُ ، وَذَوَى الْعَرَارُ (٤) وَالرَّنْدُ . وَأَقْشَعَ الشُّؤْبُوبُ (٥) ، وَرَكَدَ (٦)

(١) تنسم النسيم اذا تشممه كتنسم العليل والمحزون اياه فيجدان لذلك خفة وراحة ويحسان هزة وفرحا ، وتنسم المكان بالطيب أرج به (٢) القبس : النار أو شعلة منها تقتبس أى تؤخذ من معظم النار ، ومن سجعات أساس البلاغة : ما أنا الا قبسة من نارك ، وقبصة من آثارك (٣) صلد الزند : صوت ولم يوقد ، وقدح فلان فأصلد ، أى لم يور ، ويضرب مثلا لمن يحاول الأمر فيعجز عنه ويعيا دونه (٤) ذوى النبات : ذبل ويبس ونشف ماؤه ، العرار : النرجس البرى ، قال الصمة ابن عبد الله القشيرى :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

والرند : نبات من شجر البادية طيب الرائحة يستاك به ، وقد يسمون العود الذى يتبخر به رندا - أو هو الآس (٥) الشؤبوب . الدفعة من المطر . وأقشع : انكشف وتفرق (٦) الركود: السكون والثبات ، وركدت ريحهم أى زالت دولتهم وأخذ أمرهم يتراجع ، وطفقت ريحهم تتراكد

مَا كَانَ يُظَنُّ بِهِ الْهُبُوبُ . فَالْقَلَمُ دَفِينٌ لَا يُحْشَرُ ، وَمَيِّتٌ لَا يُنْشَرُ . وَالطَّبْعُ قَدْ نَكَصَ الْقَهْقَرَى(١) وَقَلَّ مَنْزِلُهُ أَنْ يُدْعَى لَهُ النَّقَرَى(٢) ، فَهَا هُوَ لَا يَمْلِكُ مَبِيتاً ، وَلَا يَجِدُ لِقَلَمِهِ تَثْبِيتاً . وَأَنْتَ - أَبْقَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ - بِمُقْتَبَلِ الْآدَابِ ، طَائِرُ هَيْعَةِ(٣) الشَّبَابِ ، وَأَيْنَ سِنُّ السُّمُوِّ مِنْ سِنِّ الِانْحِطَاطِ ، وَوَقْتُ الْكَسَلِ مِنْ وَقْتِ النَّشَاطِ ؟ وَقَدْ رَاجَعْتُكَ لَا دَاخِلًا فِي حَلْبَتِكَ(٤) ، بَلْ قَاضِياً حَقَّ

(١) نكص القهقرى : رجع الى الوراء (٢) النقرى : الدعوة الخاصة ، وانتقر الرجل اذا دعا بعضا دون بعض ، فكأنه انتقرهم أى اختارهم واصطفاهم من بينهم ، قال طرفة بن العبد :

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر

(واذا ضاق منزله عن النقرى فهو عن الجفلى أضيق) « أحمد نجاتى »

(٣) أصل الهيعة الصوت الشديد والصيحة يفزع المرء منها ويخافها من عدو ،وفى الحديث« خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع هيعة طار اليها » وعبارة الكاتب مأخوذة من هذا الحديث الشريف مشيرة اليه ، فالغرض منها أن المرسل اليه لقوته ونشاطه متى دعاه داعى الشباب الى عمل جليل يضعف الشيب عنه أسرع باجابة دعائه وتلبية ندائه . اهـ . «أحمد نجاتى» . (٤) الحلبة : الدفعة من الخيل فى الرهان خاصة وخيل تجتمع للسباق من كل أوب ، والحلبة أيضا مجال الخيل للسباق ، تقول : فلان يركض فى كل حلبة من حلبات المجد

رَغْبَتِكَ ، وَاللهُ تَعَالَى يَجْعَلُكَ بِوَسِيلَةِ الْعِلْمِ مُتَرَقِّياً ، وَبِجُنَّةِ الطَّاعَةِ مُتَوَقِّياً ، وَلِهَنَاءِ الْأَنْفُسِ مُسْتَقْبِلًا وَمُتَلَقِّياً ، بِمَنِّهِ وَالسَّلَامُ . انْتَهَى .



﴿ انتهى الجزء الثانى من كتاب نفح الطيب ﴾
ويليه الجزء الثالث وأوله
﴿ كتاب أبى المطرف الى سلطان إفريقية ﴾

استدراكات على الجزء الأول

رقم	صفحة	سطر	
١	٩	١١	اسم الكتاب (فتح المتعال ..) فى بعض المراجع (فى أوصاف فعل النبي صلى الله عليه وسلم) وفى بعضها (نعل) وهو الذى آثرناه — وقد عنى العلماء ولاسيما بالأندلس بوصف نعله صلى الله عليه وسلم وأكثروا القول فيها نظما ونثرا ، فمن ذلك ما رواه أبو عبد الله التجيبي قال : أنشدنا أبو الحسن على بن ابراهيم بن سعد الخير لنفسه ببلنسية (ووجدت أنا هذه الأبيات بخط ابن سعادة هذا) وأنشدناها أبو الربيع ابن سالم قال وأنشدناها غير واحد ممن سمعها منه — يعنى من قائلها — : يا لاحظا تمثال نعل نبيه ... قبل مثال النعل لا متكبرا والثم به فلطالما علقت به ... قدم النبي مروحا ومبكرا أو لا ترى أن المحب مقبل ... طللا وان لم يلف عنه مخبرا وكان ابن سعادة هذا عالما فاضلا ومقرئا محدثا وورعا زاهدا توفى غريقا فى البحر حوالى سنة ٥٨٠ هـ
٣	١٠	٧	الوفق عند أئمة الحرف والمشتغلين بأسرار الحروف والأسماء الحسنى ونحوها ، هو شكل قد توافقت أضلاعه وأقطاره ، ولعلماء المغرب عناية بذلك من قديم الى اليوم ، وانظر كتاب شمس المعارف للبونى وغيره
٣	١٢	١٢	ابن خاتمة الأنصارى ، هو أبو جعفر أحمد بن على بن محمد ابن على بن محمد بن خاتمة الأنصارى من أهل المرية ، عالم أديب دمث الطباع عذب المحضر ناظم ناثر توفى بعد سنة ٧٧٠ هـ ووقع فى صفحة ٨٠ ، و ٣٠٣ (ابن حاتمة)
٤	١٤		المولى أحمد بن شاهين ترى ترجمته فى كتاب (ريحانة الألبا) للشهاب الخفاجى ، وكان معاصرا له ، وبينهما مكاتبة

رقم	صفحة	سطر
٥	١٦	قبة النسر بجامع دمشق يقول فيها برهان الدين القيراطى (مضمنا عجزى بيتيه عجزى بيتين لأبى الطيب المتنبي) : يقول لنا نسر بجامع جلق أنا الطائر المحكى والآخر الصدى وقد أطرب الأسماع مطرب جنكها وغنى به من لا يغنى مغردا وقد احترق الجامع سنة ١٣١١ هـ ولم يبق فيه شيء من الآثار القديمة فأعيد بناؤه على حاله الحاضرة اليوم
٦	١٩	باب الفرج باب كان من أبواب المسجد من جهة شمالى البلد وهو محدث، أحدثه الملك العادل نور الدين وسماه بهذا الاسم تفاؤلا لما وجد من الفرج بفتحه ، وقد رمم سنة ٦٠٦ هـ
٧	٢١	آخر بيت : يحسن أن يضبط الفعل (يطوى) بالبناء للمعلوم ، يعنى أنه لو كان ما أهدى اليه من جنس ما يسير ويطوى الأرض ويقطع المسافات لعلا حتى يكون مكانه فوق هذه المنزلة السماوية رفعة قدر وجلال منزلة
٨	٢٢	المولى العمادى هو المولى عبد الرحمن بن عماد الدين الشامى الحنفى وكان مفتى الشام ، ذكره الشهاب الخفاجى فى (ريحانة الألبا) وكان بينهما صداقة ومراسلة
٩	٢٤	(مقصورة حازم) هو الامام أبو الحسن حازم بن محمد ابن حسين بن حازم الأنصارى ، وقد شرح هذه المقصورة الخطيب الشريف أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسينى قاضى الجماعة بغرناطة شرحا مفيدا ممتعا فى جزءين سماه : رفع الحجب المنشورة على محاسن المقصورة . ولد الشريف شارح المقصورة سنة ٦٩٧ وتوفى سنة ٧٦٠ — ولنا بعد كلام على هذه المقصورة وأغراضها وشروحها ان شاء الله «أحمد تيمور»
١٠	٢٦	السطر الأول (حمام) مشدد الميم الاولى من (حمام) كما هو ظاهر
١١	٣١	رقم (٢) هامش (يعنى قلبه الساكن)

رقم	صفحة	سطر	
١٢	٣٧	٣	وتباين أدواتهم ، لعله محرف عن (أذواقهم)
١٣	٤٠	٢	حتى أضاءت بوسمه ، أولى منه أن يكون (برسمه)
١٤	٤١	١	يجوز أن تكون (غيوثها النافعة) محرفة عن (الناقعة)
١٥	٤٣	١١	(وصدر) لعل فيه تورية ، والمعنى الثانى صدره صلى الله عليه وسلم الذى ملئ حكمة
١٦	٤٩		البيت الأول : الأولى فى ضبطه فتح الظاء (يشكو ظلامه) أى ظلام الحيرة
١٧	٥٠	٣	(كم واحد) لعله (كم واجد) بالجيم المعجمة أى غنى ذى سعة وقدرة
١٨	٥٤	٦	غرناطة هي بفتح الغين ، وقد ضمت خطأ مطبعيا
١٩	٥٥	١	مرج غرناطة ، علق عليه سهوا بالهامش ، والمقصود مرج غرناطة كما هو ظاهر وان سبقه الحديث عن دمشق الشام ، وأصل المرج كل أرض واسعة ذات نبات وكلأ كثير تمرج فيها الدواب ، أى ترتع ذهابا وجيئة ، وقد كانت ضواحى غرناطة وأرباضها أنيقة أريضة .
٢٠	٥٦	٤	(سامه) آخر البيت يجوز أن يكون من سامه الأمر اذا كلفه اياه
٢١	٦٥	٧	ابن الزقاق هو أبو الحسن على بن عطية الله بن مطرف بن سلمة الأندلسى البلنسى اللخمى ، كان شاعرا بارعا وأديبا جليلا ، امتدح كبار عصره فأجاده . توفى سنة ٥٢٨
٢٢	٦٦	٤	يقرأ البيت (بحيا) بالتنوين
٢٣	٦٨		الحائك الأمى اسمه ابراهيم ، وقيل كان معمارا ، وقيل كان حجاما ، وهو غلام النويرى المصرى كان عاميا مطبوعا تقع له التوريات المليحة المتمكنة ولا سيما فى الأزجال ، وكثير من شعره فى أغراض خليعة من المجون واللهو
٢٤	٧١		الأبيات فى آخر الصفحة لأبى فراس الحمدانى

رقم	صفحة	سطر	
٢٥	٧٢	١٠	علاء الدين الوداعى (هو الأديب على بن المظفر بن ابراهيم ابن عمر بن يزيد الـكندى الشامى مولده سنة ٦٤٠ وتوفى سنة ٧١٦ كان كاتبا لابن وداعة فنسب اليه . وكان شيعيا واشتغل شاهدا بديوان الجامع الأموى وله كتاب أسماه التذكرة الـكندية فى عدة فنون فهو موسوعة عربية جامعة هى الآن بين سمع الأرض وبصرها ، كانت فى ٥٠ مجلدا
٢٦	٧٧	٦	يجوز أن يكون عجز البيت (وجازت الحد جدا)
٢٧	٨٢		آخر سطر فى الشرح بالهامش حصل قلب مطبعى وتقديم وتأخير وأصـل العبارة : نزع الدولة منك وحولها الى يوم اللقاء
٢٨	٨٣	١٣	يصح أن يكون (البتات) محرفا عن (الثبات) ــ والسطر الأول كان محرفا فى الأصل بجعل كلمة (حارث) (حادث)
٢٩	٨٦	٥	(خليل) هو الشاعر المشهور خليل بن أيبك الصفدى ، وهناك أيضا المولى الفاضل الأمير خليل شاعر غير نبيه الذكر كالصفدى من شعراء القرن التاسع
٣٠	٩٠		ابن قطرال المغربى هو أبو الحسن على بن عبد الله بن محمد ابن يوسف بن يوسف بن أحمد الأنصارى القرطبى مولده سنة ٥٦٣ ولى قضاء مدينة أبدة من عمل جيان فأسره العدو بها حين تغلبوا عليها سنة ٦٠٩ ، ثم تخلص من الأسر وولى قضاء شاطبة مدة ثم قضاء شريش ثم قرطبة ثم أعيد الى قضاء مدينة شاطبة وخطابتها ، وانتقل منها فى آخر سنة ٦٣٦ لتغلب العدو فى صدر هذا العام على بلنسية وشاطبة فولى قضاء مدينة سبتة بالمغرب ثم قضاء فاس ، وكان ابن قطرال من أكمل الرجال علما وعملا وبلاغة وأدبا ، وتوفى بمراكش سنة ٦٥١ بعد ولايته قضاء مدينة أغمات ،

رقم	صفحة	سطر
٣١	٩٤	ابن أبى الأصبع هو زكى الدين عبد العظيم بن عبد الواحد ابن ظافر بن عبد الله بن محمد الأديب أبو محمد بن أبى الأصبع الشاعر المصرى العدوانى البديعى المشهور، امام فى الأدب والبلاغة وشاعر رائق الشعر وله تصانيف حسنة فى الأدب وعلم البديع توفى بمصر سنة ٦٥٤ .
٣٢	١٠١	ابن فضل الله العمرى القاضى أبو العباس هو شهاب الدين ابن فضل الله أحمد بن يحيى بن فضل الله بن يحيى ينتهى نسبه الى عبد الله بن عمر بن الخطاب. كان فى عصره امام أهل الأدب وحجة الكتاب وأحد رجالات الزمان كتابة وعلما وأدبا ، ترجمه الصلاح الصفدى فى تذكرته وبالغ فى الثناء عليه ، ولد بدمشق سنة ٧٠٠ وله مؤلفات جمة نافعة من أشهرها كتاب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار فى عشرين مجلدا ، طبعت منه المكتبة المصرية جزءا ، ولعل الزمان يسمح بطبع سائره بهمة نصير الأدب والعلم وناشر لواء الثقافة حضرة صاحب المعالى (على زكى باشا العرابى) وزير المعارف الجليل أيده الله
٣٣	١٠٢	آخر سطر رقم (٦) بالشرح ، فيه خطأ مطبعى وأصله (لعله : كما يريد)
٣٤	١٠٣	ابن جابر الأندلسى . هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن جابر الضرير الأندلسى ناظم البديعية المشهورة
٣٥	١٠٤	ابن الصاحب : هو الشيخ بدر الدين بن الصاحب الشاعر الأديب المصرى من شعراء البديع والتورية فى القرن الثامن ، ولد سنة ٧١٦ وتوفى سنه ٧٨٨ وله فى النيل مقطعات كثيرة منها قوله

النيل ألبس حلة حمراء فى تخليقه
وله أصابع زينب قد ختمت بعقيقه

ومنها قوله مع حسن التضمين :

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا كالروض تطفو على نهر أزاهره
وللوفاء عمود من أصابعه مخلق تملأ الدنيا بشائره

رقم	صفحة	سطر	
			وانما اخترنا هاتين القطعتين لأنهما تشرحان بيتى ناصر الدين ابن النقيب فى أول صفحة ١٠٣ وارجع الى خطط المقريزى ، وحسن المحاضرة، والنجوم الزاهرة لتعرف اصطلاح ذلك العصر فى النيل والاحتفال به .
٣٦	١٠٦	٨	كان فى الأصل (.. لم ينسكب بارداء) فرأينا أن نستبدل بها (بأرزاء) ويصح نصب كلمة شوق فى أول عجز البيت بعده كما يصح رفعه .
٣٧	١٠٧		العارف بالله الشبلى ـ هو أبو بكر دلف بن جحدر ، وقيل جعفر بن يونس (وهو هكذا مكتوب على قبره) الصالح المشهور الخراسانى الأصل البغدادى المولد والنشأة ، كان اماما جليل القدر مالكى المذهب ، وصحب الشيخ أبا القاسم الجنيد ومن فى عصره من الصلحاء رضى الله عنهم ، وكان مع هذا رقيق الشعر وان كان مقلا توفى سنة ٣٣٤ ببغداد (والشبلى منسوب الى شبلة قرية من قرى أشروسنة وهى بلدة عظيمة وراء سمرقند من بلاد ماوراء النهرين . وهناك شاعر متأخر يسمى الشبلى وهو أبو حفص عمر بن الحسام الدمشقى الشافعى وكان رجلا صالحا ، وأكثر شعره فى التوسل الى الله والحث على العمل الصالح توفى سنة ٧٤٩ .
٣٨	١٠٨		يحسن ضبط (عمرة) فى السطر السابع بسكون الميم للسجع والجناس التام الذى يقصده المؤلف كثيرا .
٣٩	١١٠		يصح أن تكون كلمة (يتاح) محرفة عن (يباح) أى يمنح
٤٠	١١١		فى الأصل كان السطر الثالث (فضلك مدن لخير مدن) كما فى التعليق ولكن حرفها الكاتب ـ ويصح ضبط (الحى والميت والجماد) بالسطر العاشر بالجر على البدل من القلوب ، . ويجب تحريك الميم من(مطاياهم) فى عجز البيت سطر ١٢
٤١	١١٢		يشير معنى البيت السادس الى قولهم : ثلاثة تنفى عن القلب الحزن الماء والخضرة والوجه والحسن ويصح ضبط كلمة (نداء) فى أول البيت العاشر بالنصب على أنه مفعول مطلق

رقم	صفحة	سطر	
٤٣	١١٤		أبو جعفر الرعينى الغرناطى : هو أحمد بن عبد الولى بن أحمد وهو من بيت علم ودين وعفاف وأدب، وكانوا فى غرناطة فى كل ذلك نظراء بنى عطية المشهورين بأشبيلية وبنى الباذش بغرناطة ، وكان أبو جعفر هذا على درجة عظيمة من التقوى ومزيد العناية بالقرآن الكريم وحفظه وتجويده وتفسيره توفى سنة ٧٥ رحمه الله. وهناك شرف الدين بن رضوان الغرناطى أبو جعفر توفى سنة ٧٦٣
٤٣	١١٨	٢	فى الأصل عجز البيت ... شاهدتها بالخطو) بالواو وذلك أحسن
٤٤	١٤١	٥	الصالحية قرية كبيرة ذات أسواق وجامع فى لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق ، وفيها قبور جماعة من الصالحين ، وكان يسكنها جماعة من الصالحين حتى لاتكاد تخلو منهم وأكثر أهلها ناقلة البيت المقدس على مذهب أحمد بن جنبل
٤٥	١٥١	١٣	الأولى ضبط (منى ومنحاً) بفتح ميم منحاً وسكون الحاء للسجع وليكون بينها وبين (المنحى) فى القرينة السابقة جناس تام يتحراه المؤلف
٤٦	١٥٤		(ابن دقيق العيد) هو الامام الجليل العلامة شيخ الاسلام أبو الفتح تقى الدين بن دقيق العيد القشيرى المنفلوطى المصرى المالكى الشافعى أحد الأئمة الأعلام وقاضى القضاة ، ولد بناحية ينبع سنة ٦٢٥ وكان اماما مجتهدا متفننا فقيها محدثا أصوليا أديبا نحويا شاعرا ذكيا رقيقا غواصا على المعانى الدقيقة وافر العقل تام الورع سمحا جوادا ، وكان مالكيا ثم صار شافعيا ، ومن شعره رحمه الله — :

كم ليلة فيك وصلنا السرى   لانعرف الغمض ولانستريح
وكلت العيس وجد السرى   واتسع الكرب وضاق الفسيح
وكادت الأنفس مما بها   تزهق والأرواح منا تطيح
واختلف الأصحاب ماذا الذى   يزيل من شكواهم أو يريح
فقيل تعريسهم(١) ساعة   وقيل بل ذكراك وهو الصحيح

وقد رد على هذه الأبيات ردا لطيفا ابن نباتة المصرى بأبياته التى فى صفة ١٨٨ من هذا الكتاب . وأبيات ابن دقيق العيد التى فى صفحة ١٥٥ يروى البيت الأول منها :

(١) التعريس : أن ينزل القوم المسافرون آخر الليل للاستراحة

رقم	صفحة	سطر	
			اذا كنت فى نجد وطيب نسيمها تذكرت أهلى باللوى فمحجر وان كنت فيهم ذبت شوقا ولوعة .. الخ . وتوفى رضى الله عنه سنة ٧٠٢ .
٤٧	١٤٤	٧	شمس الدين الطيبى ، هو أحمد بن أبى المحاسن ولد ببخارى سنة ٦٤٩ وتوفى بطرابلس سنة ٧١٠
٤٨	١٥٦		(السطر الأول) البيت لأبى الطيب المتنبى . والبدر بن حبيب هو بدر الدين حسن بن حبيب الحلبى ولد سنة ٧١٠ وتوفى سنة ٧٧٧
٤٩	١٦٣	٦	البيت مأخوذ من قول البحترى : ضحوك الى الأبطـال وهو يروعهم وللسيف حـد حين يسطو ورونق
٥٠	١٧١	٨	البيت لأبى شريح العمير (شاعر قديم) وقبله : فان أهلك فقد أبقيت بعدى قـوافى تعجب المتمثلينـا
١	١٧٢	٩	البيت لأبى الفتح البستى
٥٢	١٧٥	١٣	أول كلمة فى السطر هى (الباطن) لا الباطل كما فى الأصل
٥٣	١٨٢	٧	يصح ضبط (تندب) فى البيت بالسكون ويحرك بالـكسر لالتقاء الساكنين
٥٤	١٨٤		المهذب بن سعد الموصلى (كتب بن اسعد محرفة) هو أبو الحسن على بن سعد بن على بن عبد الواحد بن عبدالقاهر بن أحمد ابن مسهر الموصلى الملقب مهذب الدين ، كان شاعرا بارعا رئيسا مقدما تنقل فى أكثر ولايات الموصل ومدح الخلفاء والملوك والأمراء وله ديوان شعر كان فى مجلدين وتوفى سنة ٥٤٣
٥٥	١٨٥		القاضى بهاء الدين السنجارى (هو أبو السعادات أسعد بن يحيى بن موسى بن منصور السلمى السنجارى الفقيه الشافعى الشاعر المنعوت بالبهاء اشتهر بالشعر وخدم به الملوك ونال جوائزهم وطاف البلاد ومدح الأكابر وكان له ديوان شعر فى مجلد كبير) ولد سنة ٥٣٣ وتوفى بسنجار سنة ٦٢٢
٥٦	١٠٣		(ناصر الدين ابن النقيب) هو الحسن بن شاور بن طرخان بن الحسن الـكنانى المعروف بالنفيسى شاعر مشهور وشعره جيد فى عصره منسجم فيه التورية الرائقة اللائقة المتمكنة غالبا. وهو أحد فرسان تلك الحلبة الذين كانوا من شعراء مصر فى ذلك العصر توفى سنة ٦٨٧ والبيت الأول من بيتيه أول الصفحة المشهور فيه (تغليقه) بالغين المعجمة .

رقم	صفحة	سطر	
٥٧	١٩١		شمس الدين بن الصائغ ولد سنة ٧١٠ وتوفى سنة ٧٧٦
٥٨	١٩٢		الصدر بن الأدمى (هو قاضى القضاة صدر الدين على بن القاضى أمين الدين بن الأدمى من حلبة أدباء مصر والشام فى القرن الثامن والتاسع (ولد سنة ٧٦٨)
٥٩	٢٠١		(صفوان بن ادريس) هو أبو بحر صفوان بن ادريس بن ابرهيم بن عبد الرحمن بن عيسى بن ادريس التجيبي الأندلسى الكاتب من أهل مرسية كان من صفوة الأدباء البلغاء ومهرة الكتاب الشعراء أجاد المنظوم والمنثور وجمع ماصدر عنه فى كتاب قيم سماه (عجالة المتحفز وبداهة المستوفز) وكان من الفضل والدين بمكان، وتوفى دون الأربعين فقد ولد سنة ٥٦١ وتوفى سنة ٥٩٨ وثكله والده وصلى عليه ودفن بمرسية رحمه الله .
٦٠	٢٢٠		البيت السادس يريد بالطائى فيه أبا عبادة البحترى لسبق ذكره فى هذه الأبيات ، ويريد بنسر الجو الكوكب المسمى بالنسر وسيأتى القول فيه .
٦١	٢٤٧		البيتان سطر ٧ ، ٨ هما للباخرزى الأديب الفاضل أبى الحسن على بن الحسن بن على بن أبى الطيب الشاعر المشهور والكاتب البليغ ، وهو صاحب كتاب (دمية القصر وعصرة أهل العصر) جعله ذيلا لكتاب يتيمة الدهر للثعالبى . وديوان شعره مجلد كبير تغلب فيه الاجادة . وأبوه الحسن كان أديبا فاضلا . قتل الباخرزى بمجلس الأنس بباخرز سنة ٤٦٧ وذهب دمه هدرا (وباخرز ناحية من نواحى نيسابور بينها وبين هراة تشتمل على قرى ومزارع وقد خرج منها جماعة من الفضلاء)
٦٢	٢٥٠	٦	(ماميه) (الأولى حذف شدة الياء)هو محمد بن احمد الرومى المعروف بماماى ابن أخت الخيالى نزيل دمشق الشام وهو من أصل رومى ولهذا جمع شعره بين التفكير اليونانى وحسن الذوق الشامى لأنه نشأ بالشام فصقل طبعه ، وله ديوان شعر قد يعتريه فى بعضه ملل وفتور أغلبه فى التصوف والغزل .
٦٣	٢٥٦	٤	مدينة (أربونة) بلد فى طرف الثغر من أرض الأندلس بينها وبين قرطبة ألف ميل ـ ويعزو بعض المؤرخين الى الحر بن عبد الرحمن الذى ولى الأندلس سنة ٩٧ أنه فتح اقليم آربونة (نربونة Narbonne) من بلاد الغال ولكن المحققين ينسبون ذلك الى خلفه السمح بن مالك الخولانى الذى تولى

رقم صفحة سطر

الأندلس سنة ١٠٠ هـ (سنة ٧١٨ م) فقد استولى على أربونة بعد حصار ٢٨ يوما فخضعت له المدن التابعة لها ثم أوغل فى أرض الفرنج (فرنسا) حيث امتد الفزع الى مافوق نهر الرون واستولى على مدائن كثيرة وعاد الى أربونة ومعه غنائم كثيرة وسبى ، ولما تولى عبد الرحمن الغافقى ولايته الثانية سنة ١١٣ أخذ يعد القوة والأهبة لفتح بلادالغال (التى خلف جبال البرانس من الشمال) وكانت تعرف بالأرض الكبيرة (وهى فرنسا الآن) وكانت هذه البلاد حين قصدها مقسمة الى أقاليم منها اقليم سبتمانيا فى الجنوب الشرقى وقصبته أربونة وكان قد دخل فى حيازة المسلمين من جبال البرت الى نهر الرون وفى زمن يوسف بن عبد الرحمن الفهرى سنة ١٢٩ قسم البلاد الى خمسه أقاليم منها اقليم سبتمانياومن مدنه الشهيرة أربونة وقرقشونة، وبطيراس ، أغادة ، ومغلونة، ونيموسة، ولوطبة ولم تهدأ ثورات الفرنجة بل كانوا كلماسنحت لهم فرصة يشنون الغارات على هذه الجهات فيستولون على بعضها وقد تسترد ثم يستعيدون أخذها ففى سنة ١٨٠ (سنة ٧٩٧ م) أرسل لويس اكيتانة جيشا استولى على أربونة وجيرونة وهدد مدن الحد الشرقى وخضعت له مدن بنبلونة ووشقة ولاردة وكان من ذلك أن هبت ثورة فى برشلونة أعقبها سقوط المدينة فى يد من أهداها الى شرلمان ، ثم كان بعد ذلك ما كان .

٦٤ ٢٥٧ ١٣ مدينة (برديل) علق على هذه المدينة سهوا تلافيناه فى الجزء الثانى والثالث فى غير موضع وقلنا ان هذه المدينة هى مدينة (بوردو) الشهيرة وأن العرب قد سموها بحسب التسمية اللاتينية (برديل وبردال) بالدال المهملة والذال المعجمة فى كلا الاسمين، وبهاكانوايسمون (خليج غسقونية) بحر برديل . كذلك تلافينا سهو التعليق الذى بصفحة ٢٥٩ رقم (١) بالهامش على (دوكرا) فواضح من الكلام أنها بالشمال الغربى عند (شنت ياقب) التى علقنا عليها بما فيه كفاية فى الجزء ين الثانى والثالث ــ فنرجو العذر والتنبه لذلك) وقد وردت مدينة نربونة (أربونة) مصحفة فى صفحة ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ والخطب فى ذلك سهل) وكذاورد ضبط مدينة (طليطلة فى بعض الصفحات بكسر الطاء الثانية وهو خطأ

رقم	صفحة	سطر	
			مطبعى ، والصواب ضم الطاءين وفتح اللام ، وقد تفتح الطاء الثانية) وفى صفحة ٢٥٨ ضبط كلمة (البرت) بكسر الباء والأولى ضمها ، ويعنى بجبل البرت جبال البرانس .
٦٥	٢٦٢		علق أسفل الصفحة (رقم ٢) على مدينة (شنت مرية) فزيدت خطأ كلمة (شرقى قرطبة) فيحسن محوها فان بينها وبين قرطبة مسافة بعيدة بل هى شرقى مجريط ووادى الحجارة، على أن هناك شنتمريه الشرق وشنتمرية الغرب . ويريد بحوز اغريطة فى آخر الصفحة مدينة مجريط (مدريد) وفى صفحة ٢٦٣ بالسطر الثانى (لورقة) وهى مدينة بشرقى الأندلس من أعمال تدمير ، وكان بها حصن ومعقل محكم ، قال ياقوت وأرضها جرز لايرويها الامار كض عليها من الماء كأرض مصر وفى هذه الصفحة سطر ٤ (وادى ابره) Abroh Ébro بنقطتين فوق الهاء زائدتين. وقد تضبط أحيانا فى بعض الصفحات مدينة (اشبيلية) بتشديد الياء ، ولكن نص ياقوت على أن ياءها مخففة. وفى صفحتى ٢٦٧ ، ٢٦٨ اسم (طالقة) وهى ناحية من أعمال اشبيلية ، وممن ينسب اليها عباس بن محمد ابن عبد العظيم السليحى (سليح بطن من قضاعة) الطالقى المحدث توفى سنة ٣٥٩ .
٦٦	٢٦٣	٩	عبد الله بن عبد الحكم الأندلسى هو من أهل قرطبة وكان أديبا أخباريا تاريخيا يحكى عنه ابن حيان فى كتابه .
٦٧	٢٧٣	١١	(الشاهبلوط ، وعربه المولدون المتأخرون باسم (قسطل) أو (قصطل) (معرب كستانه) ويسميه أهل مصر بأبى فروة ، قال الشاعر : ياحبذا القصطل المجرد من قشر بعيد الجفاف فى الشجر كأنه أوجه الصقالبة الـ بيض وفيها تجعد الكبر
٦٨	٢٦٠	٤	أحمد بن محمد بن موسى بن بشير بن حماد بن لقيط الكنانى الرازى أندلسى وأصله من مدينة الرى وله فى أخبار ملوك الأندلس وتاريخهم وغزواتهم كتاب كبير ، وألف فى صفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها كتابا على نحو مابدأ به أحمد بن أبى طاهر فى أخبار بغداد ، وله كتاب فى أنساب مشهورى الأندلس فى خمسة مجلدات ضخمة من أحسن الكتب وأوسعها . وفد أبوه

رقم صفحة سطر

محمد بن موسى على الامام محمد وكان من ذوى اللسن والخطابة وولد ابنه أحمد هذا سنة ٢٧٤ وكان كثير الرواية حافظا للأخبار والآثار أديبا بليغا شاعرا توفى سنة ٣٤٤

٦٩ ٢٦٨ ٤ (اسم اسبانيا والأندلس) الذى يثبته نظرية تشعب الشعوب أن سكان جنوب الأندلس الأولين كانوا من الجنس السامى الذى نزح من غرب آسيا قبل الميلاد بزمن عريق فى القدم وانتشروا فى ضفتى دجلة والفرات وفينيقية وفلسطين ومصر ثم فى قرطاجة واسبانيا ، ثم دخلها الرومان فالقوط وكان من ذلك مزيج من السكان ذو مزاج خاص زاد وتلون بلون آخر حين اختلط بهم العرب الفاتحون الساميـون . وقد قسم الرومان الأندلس الى ولايتين يفصلهما نهر ابرو وسموهما هسبانيا الخارجة وهسبانيا الداخلة، ثم سموا البلاد كلها هسبانيا يريدون المملـكة ذات الولايتين ، أو المقسمة الى قسمين . وقيل ان اطلاق اسم (اسبانيا) عليها كان زمن الفينيقيين قبل الرومان وان كلمة (اسبان Span) فينيقية معناها المحتجب أو المستور لأن هذه البلاد كانت بعيدة عن الفينيقيين محجوبة عن أنظارهم فى أقصى الأرض جهة الغرب وقيل انما سموها بذلك لأنهم رأوا فيها أرانب كثيرة ، والأرنب بلغتهم (اسبان) أيضا ، ثم حكم البلاد الرومان سنة ١٣٤ م وبقيت خاضعة لحكمهم الى سنة ٤٠٦ م . (اذ أغار على رومة ثم اسبانيا قبائل مختلفة بربرية وفدت من شمال أوربة ، ومنهم (السواف Suéves) (والفندال Vandales) ثم جاء القوط (ويقال لقوط اسبانيا : الويزيقوط Visigothes) أى قوط المغرب فصدوا قبائل السواف الى الشمال والفندال الى الجنوب فأخذ من اسمهم اسم (فندالسيا Vandalicia) للجهة التى احتلوها فحرفه الاسبانيون الى أندالوشيا ثم عربه العرب بلفظ الأندلس) . واختار الرومان الاسم الفينيقى لأسبانيا فان وسام أدريان Adrien) العاهل الرومانى (من سنة ١١٧ — سنة ١٣٨ م) صورت فيه اسبانيا بصورة سيدة بجانبها أرنب :

رقم	صفحة	سطر	
٧٠	٢٧٠		ماذكره من أن مضيق الزقاق كان موضعه برزخا يصل مابين سكان العدوتين وحكاية الاسكندر الخ دعوى ينكرها العلم والواقع ، نعم كان البلدان متصلين بذلك اللسان ولكن الذى أزاله وصير موضعه ماء فاصلا هو قوة الطبيعة عقب ثورة بركانية شديدة دكت له أرضه دكا كما اندكت له الأرض التى كانت بين بلاد الأناضول والأستانة ، فصار موضعها الآن مضيق البوسفور الذى وصل البحر الأسود بالدردنيل وذلك قبل أن يؤرخ التاريخ من زمان موغل فى القدم — وما تقوى عليه يد خالق الأكوان تعجز عنه يد الانسان
٧١	٢٧٩	٩	مدينة دلاية (Dalias) بينها وبين المرية نحو ٤ كيلومترات وهى الى الجنوب الشرقى لمدينة برجة بجنوب الأندلس ، وممن ينسب الى دلاية أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذرى المرى ويعرف بابن الدلائى العالم المحدث الأديب توفى سنة ٤٧٨ وفى هذه السنة دخل الأذفونش مدينة طليطلة .
٧٢	٢٨٠		السطر الأول (أكشونية) مدينة يتصل عملها بعمل أشبونة وهى غربى قرطبة ، وكانت كثيرة الخيرات برية بحرية قد يلقى بحرها على ساحلها العنبر الفائق الذى لا يقصر عن الهندى. وممن ينسب اليها أبو مضر محمد بن ابراهيم بن مزين الأودى من أهل أكشونية ولاه عبد الرحمن بن معاوية قضاء الجماعة بقرطبة سنة ١٧٠ وأقام أشهرا ثم استعفى فأعفاه ورحل حاجا فأدى الفريضة وسمع فى رحلته من الامام مالك وعاد وتوفى سنة ١٨٣ ومنهم أحمد بن حيون الأكشونى سمع من محمد ابن عمر بن لبابة المتوفى سنة ٣١٤ ومنهم قاسم بن أصبغ بن أبى الأسود بن عبد الواحد المعروف بابن الملاح كان من أهل الرواية والحديث أديبا بليغ اللسان جيد القلم كان من أهل باجة وتحول منها الى أكشونية . وكان واليا على أكشونية فى أول فتح الأندلس أبو الصباح البيانى اليحصبى ومن ذريته مسرة ابن خلف بن فرج بن خلف بن عزير بن عبيد الله اليحصبى من أهل شنتمرية الشرق وابنه أبو مروان عبد الملك بن مسرة القرطبى كان من مفاخر الأندلس وأعلامها وجامعا بين فنون العلم والأدب والفقه والحديث والخط الحسن والفضل والدين

رقم صفحة سطر

والورع والتواضع والهدى الصالح على منهاج السلف المتقدم رفيع الذكر جليل القدر توفى سنة ٥٥٢ ومن ذريته أيضا أبو عبد الله محمد بن على بن عبد العزيز بن جابر بن أوس بن حفص بن أوس بن عزيز بن اسمعيل بن معمر بن حسان بن سلمة بن حيي أبي الصباح (والى أكشونية) بن يحيى بن الجبير اليحصبى ، من أهل قرطبة ، روى عن عبد الملك بن مسرة وغيره وكان فقيها محدثا أديبا وولى الخطبة بالجامع الأعظم وتوفى سنة ٥٨٤ . وممن تولى قضاء أكشونية أبو بكر محمد بن خالد بن وهب بن الصغير التميمى القرطبي توفى سنة ٣٢٩. هذا وقد تحرف كلمة (أكشونية) بكلمة (أشكونية كما فى صفحة ٢٨٣ مع أن أشكونية المشهورة ليست بالأندلس وانما هى بأسيا من نواحى بلاد الروم الشرقية من الثغر غزاها سيف الدولة بن حمدان فقال شاعره أبو العباس الصفرى (وشدد الياء ضرورة) :

وحلت بأشكونية كل نكبة
ولم يك وفد الموت عنها بناكب
جعلت رباها للخوامع مرتعا
ومن قبل كانت مرتعا للكواكب

الخوامع : جمع خامع وخامعة أى الضبع ، يقال أكلته الخوامع أى الضباع اسم لازم لها لأنها تخمع خماعا اذا مشت أى عرجاء يشير الشاعر بذلك الى كثرة لحوم القتلى فوق هذه الربا فكانت لحومها جزرا لها ترتع فيها عائثة . « أحمد يوسف نجاتى »

٧٣ ٢٨١ فى السطر الأخير حجر الشاذنة (بالذال المعجمة) ويسمى حجر الدم كان يستعمل فى مداواة العين وخشونة الأجفان على طرق مختلفة . وفى صفحة ٢٨٢ حجر المرقيشيثا (بالثاء لا بالنون) قال ابن البيطار هو صنف من الحجارة يستخرج منه النحاس منها ذهبية وفضية ونحاسية وحديدية وكل صنف يشبه الجوهر الذى نسب اليه فى لونه وكلها يخالطها كبريت وهي تقدح النار مع الحديد النقي ، وهو من الأحجار التى لها قوة شديدة جدا يستعمل مخلوطا فى المراهم المحللة للقيح والرطوبة. و (حجر الطلق ٢٨٢ حجر براق يتحلل اذا دق ، وكانوا يعملون منه مضاوى ،

رقم صفحه سطر

للحمامات فيقوم مقام الزجاج ، ويسمونه كوكب الأرض لأن له بصيصا وبريقا ، ويوجد بجزيرة قبرس شبيها بالشب اليمانى ، وبالأندلس نوع منه يسمى عرق العروس لايؤثر فيه الدق مهما كان ولا يتكسر وان أمر عليه حجر الماس كسره من موضعه ، وكانوا يعالجون به الأورام ونزيف الدم والقروح التى تهيج بأطراف المجذومين .

٧٤ ٢٨٣ فى السطر الثانى (وحبال حمة) وكذا بالأصل وأرى أنها محرفة عن جبال حمة أى حامة ، وحامة من أعمال مالقة جنوبى الأندلس غربى المرية وجنوبى جبال شلير ، والى الجنوب الغربى من بجانة. وبهذه الصفحة سطر ٨ (بطرنة) (ولم يذكرها ياقوت) وهى قرية بشرقى بلنسية ، وممن كان أصله منها أبو عبد الله محمد بن حسن بن أحمد بن محمد بن موسى بن سعيد بن سعود الأنصارى المعروف بابن الوزير وغلبت عليه الشهرة بابن البطرنى كان فقيها مقرئا كاتبا ولى قضاء بعض الكور ولد بمدينة بلنسية سنة ٥٧٣ وتوفى بتونس سنة ٦٣٧ ووالده أبو على حسن ابن أحمد المعروف أيضا بابن الوزير البطرنى كان فقيها مقرئا ولى قضاء بعض الجهات ، ولد سنة ٥٤٧ وتوفى سنه ٦٢٤ ولما قصد الأسبان مدينة بلنسية سنة ٤٥٦ خرج اليهم أهلها بملابسهم الحريرية وكانوا قد أفسدهم الترف وفل من غرب حدتهم فانهزموا أمام الأسبان فى وقعة بطرنة وفى ذلك يقول الشاعر :

لبسوا الحديد الى الوغى ولبستم حلل الحرير عليكم ألوانا
ما كان أقبحهم وأحسنكم بها لو لم يكن ببطرنة ما كانا

« أحمد نجاتى »

٧٠ ٢٨٠ (لبلة) قصبة كورة كبيرة بالأندلس يتصل عملها بعمل أكشونية وهى شرق من أكشونية وغرب من قرطبة بينها وبين قرطبة على طريق اشبيلية ٤٤ فرسخا وبين اشبيلية ٤٢ ميلا وهى مدينة برية وبحرية غزيرة الفضائل والثمر والزرع والشجر وتعرف لبلة بالحمراء ومنها يجلب الجنطيانا أحد عقاقير العطارين وينسب اليها كثير من أهل العلم والأدب .

رقم	صفحة	سطر
٧٦	٢٩٠	زعم المؤلف تبعا لغيره أن اسم (لذريق) سمة لملوك القوط وهو وهم خاطئ وضلال قديم وانما هو علم شخصي لآخر ملوكهم الا أنه كسائر الأعلام قد يسمى به آخرون . ومثل ذلك ما كان يظن أن اسم (الفونس) لقب لا اسم كقيصر وكسرى حتى ان ابن خلكان يقول : انه اسم لأكبر ملوك الفرنجة وهو صاحب طليطلة ، والا فالأفرنج يقولون الفونس الأول والثاني والثالث لأنه علم شخصي . والفونس السادس هو صاحب واقعة الزلاقة مات بجراحه منها سنة ١١٠٩ م
٧٧	٢٩٢	بالسطر الأول (إلبيرة) بكسر همزة القطع فى أولها وسكون اللام وكسر الباء بينها وبين قرطبة ٩٠ ميلا الى الجنوب الشرقي منها وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار وفيها معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس وكان الكتان الجيد يصنع فى جميع نواحيها والحرير الفائق ، وينسب اليها كثير من أهل الأدب والعلم فى كل فن . وفى سطر ٨ (جبل شلير) وشلير على صيغة التصغير وقد حرفت هنا .
٧٨	٢٩٤	ممن ينسب الى جليانة أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن حطيئة القيسى من أهل المرية ويعرف بالجلياني لأن أصله منها وحدث عنه أبو عمر الخضر بن عبد الرحمن القيسى المتوفى سنة ٥٤٠ وروى عن طاهر بن هشام الأزدى المتوفى سنة ٤٧٧ ومن اقليم جليانة عبد الرحمن بن زياد ولى أحكام وادى آش وتوفى سنة ٤٨١ .
٧٩	٢٩٨	أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن غالب البلوى المالقى المعروف بابن الشيخ كان منقطع القرين فى العبادة والزهد وافر الحظ من علوم اللغة والأدب والفقه والأصول ، ومن ميزاته أنه بنى فى بلده مالقة خمسة وعشرين مسجدا من خالص ماله وعمل فيها بيده وغزا عدة غزوات مع المنصور بالمغرب ومع صلاح الدين بالشام ، ولد سنة ٥٢٧ وتوفى سنة ٦٠٤ . وفى هذه الصفحة أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن على المنشرى (منشر قرية من قرى مالقه) ولى الصلاة والخطبة بجامع مالقة وكان ورعا صالحا أديبا ناظما ناثرا ومن شعره:

رقم صفحة سطر

الموت حصاد بلا منجـل يسطو على القاطن والمنجـلى
لايقبل العـذر على حالة ماكان من مشكل أو من جلى

ولد سنة ٥٢١ وتوفى سنة ٥٩٨ هـ وفى صفحة ٢٩٧ سطر ٢ (وادى عذراء)وأظنها عذرة Abra قال الادريسى عذرة مدينة صغيرة لاسوق لها ومن عذرة الى قرية يلسانة عشرون ميلا ، وهى ثغر على البحر الأبيض يصب على مقربة منها نهير ينبع من جبل شلير المشهور جبل غرناطة .

«أحمد يوسف نجاتى»

٨٠ ٢٩٩ (أبو عبد الله بن عبد الملك) هو محمد بن أحمد بن عبد الملك ابن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن محمد ابن على بن شريعة بن رفاعة اللخمى الباجى الأشبيلى كان من أهل العلم والفضل أديبا مع نباهة السلف وجلالة البيت ولى قضاء اشبيلية ثم صرف عنه بأبى محمد عبد الحق بن عبد الله ابن عبد الحق فى سنة ٦٠٥ وتوفى سنه ٦٠٦ .

٨١ ٣٠٠ (شنترين) Santaren مدينة تتصل أعمالها بأعمال باجة فى غربى الأندلس ثم غربى قرطبة واقعة على نهر تاجه قريب انصبابه فى البحر المحيط وهى مدينة حصينة واستردها الفرنجة فى سنة ٥٤٣ وممن ينسب اليها أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة البـكرى الشنترينى جال بلاد الأندلس وامتدح الولاة والرؤساء وكان أديبا ماهرا شاعرا مفلقا مخترعا مولدا ضليعا فى اللغة وعلومها وآدابها ومن شعره :

أسعد بمالك فى الحياة ولا تـكن تبقى عليه حذار فقر حادث
فالبخل بين الحادثين وانما مال البخيل لحادث أو وارث

توفى سنة ٥٠٧ ومنها أبو القاسم خلف بن يوسف بن فرتون الشنترينى المعروف بابن الأبرش كان عالما بالآداب واللغات مقدما فى معرفتها واتقانها مع الدين والفضل والخير والتواضع توفى بقرطبة سنة ٥٣٢ . وفى السطر الثانى من صفحة ٣٠١ ينبغى جر (قرطبة) بالفتحة

٨٢ ٣٠٦ أبو بكر بن (القبطرنة) بفتح القاف وسكون الباء وضم الطاء وسكون الراء ثم نون فتاء تأنيث) وقد حرف الضبط فى هذه الصفحة، هو عبد العزيز بن سعيد بن عبد العزيز الـكاتب من

رقم	صفحة	سطر
		أهل بطليوس كان من أجلاء الأدباء ورؤسائهم كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا كتب للمتوكل على الله بن الأفطس ولابن تاشفين من بعده ، وكان أبو الوليد بن الدباغ يقول : أبو بكر بن القبطرنة وأبو محمد بن عبدون هما أديباغرب الأندلس ، توفى بعد سنة ٥٢٠ . وأخوه أبو محمد طلحة بن سعيد بن عبد العزيز كان أحد الأدباء الأذكياء وتوفى فى حياة أخيه أبى بكر عبد العزيز وكان صاحبا لأبى بكر بن العربى وقد رثاه ابن العربى حين مماته. (وأبوالحسين بن سراج) هو سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن سراج القرطبي خاتمة أولى البيان بقرطبة وصدر أعيانها العلماء وعلمائها الأعيان واليه كانت الرحلة بعد أبيه أبى مروان فى اللغة والأدب، وقل مشهور بالأندلس الا وقد أخذ عنه أو عن أبيه ، وكان من أكمل أهل عصره مروءة وصيانة وأوسعهم مالا وجاها وأكثرهم مهابة واجلالا ، وتوفى سنة ٥٠٨ وقد كتبنا كلمة موجزة فى هذا الجزء عن بنى سراج ووعدنا أن نوفيهم حقهم من القول وانا لفاعلون ان شاء الله (أحمد يوسف نجاتى)
٨٣	٣٠٧	(أبو عامر بن شهيد) هو أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن سعيد الأشجعى (من ولد الوضاح بن رزاح الذى كان مع الضحاك يوم مرج راهط وهو جد بنى وضاح من أهل مرسية واليه ينتسبون، وأسر الوضاح فى يوم المرج ومن عليه مروان بن الحكم) وكان أبو عامر من أفاضل الأدباء وذوى البلاغة والبيان شاعرا كاتبا متصرفا فى فنون الكلام ومن قوله :

ألمت بالحب حتى لو دنا أجلى ... لما وجدت لطعم الموت من ألم
وذادنى كرمى عما وهمت به ... ويلى من الحب أو ويلى من الكرم

ومنه :

كتبت لها أننى عاشق ... على مهرق الكتم بالناظر
فردت على جواب الهوى ... بأحور فى مائه حائر
منعمة نطقت بالجفون ... فدلت على دقة الخاطر
كأن فؤادى اذا أعرضت ... يعلق فى مخلبي طائر

رقم صفحة سطر

وقد جمع شعره بين الجد النافع والهزل المروح، وكان له من علم الطب نصيب وافر وتوفى سنة ٤٢٦ وصلى عليه أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور وكان حين وفاته حامل لواء الشعر والبلاغة بالأندلس ، ولم يعقب وانقرض عقب الوزير أبيه بموته رحمه الله

٨٤ ٣١١ فى التعليق على وادى اشبيلية شيء من الغموض . فلعل قوله آخر الصفحة (واديها الفرج) أي الواسع المنكشف ، وفرج الوادى مابين عدوتيه وهو بطنه ، والفرجة الخلاص من الهم والراحة من حزن أو مرض . واشبيلية على شاطىء نهر الوادي الكبير فى أجمل بقاع الأندلس وأعدلها هواء وأطيبها ماء وأخصبها تربة وأزكاها غرسا ، وفيها يقول الشاعر :

هواؤها فى جميع الدهر معتدل طيبا وان حل فصل غير معتدل
ماان يبالى الذى يحتل ساحتها بالسعد ألا تحل الشمس بالحمل

وكانت من أحسن مدن الأندلس وأعظمها مدنية وحضارة وثروة وعلما وصناعة بعد سقوط قرطبة فى أيدى الأسبان ولاسيما فى مدة المعتمد على الله بن عباد فقد كانت فى أيامه عاصمة العواصم الأندلسية ومظهر المدنية الراقية فكان فيها القصور الشاهقة والمبانى الرفيعة والدور الواسعة :

ديار قد بعدن مراد طرف تسافر فى مسافتها العيون
يضيق مدى نطاق الوصف عنها وتحسر فى محاسنها الظنون

وكنت ترى فى أماكنها العامة التماثيل البديعة مصنوعة من المرمر كما هو الحال الآن فى البلاد التى لها في الحضارة قدم راسخة ، وفى بعض تلك التماثيل يقول الشاعر الأندلسى :

ودمية مرمر تزهو بجيد تناهى فى التورد والبياض
لها ولد ولم تعرف حليلا ولا ألمت بأوجاع المخاض
ونعلم أنها حجر ولكن تتيمنا بألحاظ مراض

لهذا كانت اشبيلية مدينة الطرب والسرور ومرتع الأنس والحبور فكانت الحياة بها مرحة باسمة ذات بهجة وانشراح لاعبوس فيها فكانوا يقولون : من لم ير اشبيلية لم ير غريبة ، وكانت العرب تسميها حمص تشبيها لها بحمص الشام فى حضارتها وعمرانها وطيبها

رقم	صفحه	سطر
٨٥	٣١٣	أبو الحسن على بن موسى بن عبد الملك بن سعيد العنسى المؤرخ الأديب والكاتب القدير والشاعر البديع صاحب المصنفات الممتعة والمؤلفات المفيدة ولد بمدينة غرناطة سنة ٦١٠ وتوفى بتونس نحو سنة ٦٨٥ وتجد ترجمته مبسوطة فى نفح الطيب، وفي كتاب الاحاطة فى أخبار غرناطة
٨٦	٣١٦	أبو القاسم عباس بن فرناس شاعر أديب مشهور كان فى أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن ، ومن شعره فى صفة روضة : ترى وردها والأقحوان كأنه بها شفة لعساء ضاحكها ثغر ومحمد بن أحمد بن فرناس الغرناطى كان مقرئا نحويا وتوفى بالمرية سنة ٥١٧
٨٧	٣١٩	شنترة (Centra) مدينه من أعمال لشبونة ، وكانت حصون العرب بها على قمم الجبال لاتزال باقية آثارها و بجانب بعضها مسجد كذلك أبقى الزمان أثرا منه وعلى مقبرة منه دفن فيه القوم عظاما وجدوها لم يدروا أهى للمسلمين أم المسيحيين فوضعوا على رجام القبر صورة الصليب وصورة الهلال . وممن ينسب الى شنترة الأمام أبو القاسم سلمة بن أمية بن وديع التجيبى أصله من شنترة من الغرب وسكن اشبيلية كان ثقة فاضلا أديبا توفى سنة ٤٤٢
٨٨	٣٢١	(غافق) حصن بالأندلس من أعمال فحص البلوط منها أبو الحسن على بن محمد بن الحبيب بن الشماخ الغافقى تولى الأحكام ببلده غافق مدة طويلة وتوفى سنة ٥٠٣ وأبوه أبو عبد الله محمد ابن الحبيب بن طاهر بن على بن شماخ كان من أهل الفضل والنبل والدين والخير تولى القضاء ببلده ، رحل الى المشرق وحج سنة ٤٢١ ولقى بمصر القاضى عبد الوهاب المالكى ، وتوفى سنة ٤٥٩ . وفى آخر هذه الصفحة اسطبة Astapa بفتح فسكون ففتح ، وضبطت هنا ضبطاً محرفاً وهى من أعمال قرطبة، وممن ينسب الى أصطبة أبو الأصبغ عثمان بن سعيد بن البشر بن غالب بن فيض اللخمى من أهل شذونة من ساكنى اصطبة وكان فقيهها وصاحب الصلاة فيها وكان شيخاً صالحاً فقيهاً محدثاً توفى بأسطبة سنة ٣٧٣ ومنهم أبو عبد الله محمد بن يحيى من أهل قرطبة وأصله من أصطبة ، كان مقرئاً مجوداً صوفياً توفى سنة ٦٠٠ . وممن ينسب الى رندة أبو عبد الله محمد ابن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن هشام بن عبد الرحمن

رقم صفحه سطر

ابن غالب بن نصر بن سالم الخشنى من أهل رندة وسكن مالقة
وكان مقرئاً ماهراً وأديباً لغوياً نحوياً توفى سنة ٥٧٦ .
وأبوالحسن عبيد الله بن عاصم بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن
محمد الأسدى من أهل رندة وامام جامعها وخطيبها توفى بعد
سنة ٦٣٥

٨٩ ٣٢٢ بيانه وهى قصبة كورة قبرة وهى كبيرة حصينة على ربوة
يكتنفها أشجار وأنهار وبينها وبين قرطبة ثلاثون ميلا. وبياسة
مدينة معدودة فى كورة جيان بينها وبين أبدة فرسخان
وزعفرانها هو المشهور فى بلاد المغرب دخلها الروم سنة ٥٤٢
وأخرجوا منها سنة ٥٥٢ . والقصير بالسطر الأول بصيغة
التصغير . وحصن القصر ثغر الى الجنوب عند مصب نهر بطليوس
فى البحر الأبيض . وممن ينسب الى طلمنكة أبو بكر عبد الله بن
أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب المعافرى الطلمنكى ،
وأبوه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى عيسى لب بن
يحيى بن محمد المعافرى الطلمنكى سكن قرطبة ورحل الى المشرق
وكان أحد الأئمة فى علوم القرآن الكريم قراءته واعرابه
وأحكامه ومعانيه وناسخه ومنسوخه وفى علوم الحديث والسنة
وكان سيفاً مصلتاً على أهل الأهواء والبدع قامعاً لهم غيوراً
على الشريعة الغراء وقصد طلمنكة بلده آخر عمره (بعد أن
انتفع الناس بعلمه وفضله فى كثير من بلاد الأندلس) فتوفى
بها سنة ٤٢٩

٩٠ أبدة مدينة من كورة جيان تعرف بأبدة العرب اختطها عبد
الرحمن بن الحكم بن هشام بن معاوية بن هشام بن عبد الملك
وتممها ابنه محمد بن عبد الرحمن ، و (لوشة) مدينة غربى
ألبيرة قبل قرطبة منحرفة يسيرا وهى مدينة طيبة على نهر سنجل
(شنيل) وبينها وبين قرطبة عشرون فرسخا وبين غرناطة
عشرة فراسخ وهى من عمل غرناطة وممن ينسب اليها أبو
عبد الله محمد بن عبد الرحمن المذحجى من أهل غرناطة وأصله
من لوشة عملها وكان فقيها مشاورا توفى نحو سنة ٥٤٠ . وممن
ينسب الى أندرش أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن عبد
الله بن أحمد الأنصارى من أهل المرية ويعرف بالأندرشى
ولى القضاء بمدينة دلاية وبمدينة أندرش وغيرهما وأراد أن

رقم صفحه سطر

يتوجه الى مالقة فرض فى طريقه وتوفى على ظهر البحر وأنزل بالمنكب ميتا ودفن بحذاء أبيه بمقبرة باب بجانة من ظاهر المرية وذلك سنة ٦٢١ - وأبو عبد الله محمد بن عيسى ابن غانم بن عبد الله بن وهب بن محمد الغسانى يعرف بالأندرشى وكان مولده ببرجة بنى حسان من كورة ألبيرة سنة ٣٢٠ وكان له أصهار بأندرش يكثر زيارتهم وقصدهم فنسب اليها و (بلش) قريبة من ساحل البحر الأبيض شرق مالقة والى الشرق الجنوبى منها ثغر حصن، والى الشرق منه ثغر حصن المنكب والى الشرق منه مدينة شلوبين . ومدينة رية الى الغرب من مالقة بانحراف الى الشمال يسيرا . ومن أهل بلش الفقيه يوسف بن حبارة كان خيرا حافظا فاضلا وأبو بكر فرج ابن سلام القرطبى الأديب المتطبب رحل الى المشرق ولقى بها الجاحظ وروى عنه وعاد فتوفى بمدينة بلش من عمل رية وبها قبره. وبحمة المرية عين حارة كانت تقصد للعلاج ، وقد زارها للتداوى بها من علته الفالجية الامام عبد الحق بن غالب من بنى عطية . وقد كتبنا عنهم كلمة فى الجزء (الثانى)

٩١ ٣٢٣ مدينة مشهورة شرقى قرطبة تتصل أعمالها بأعمال طركونة منحرفة عن قرطبة الى ناحية الجوف ينسب الى كورتها عدة مدن وحصون

٩٢ ٣٢٤ فى السطر الأول يابرة وأظنها محرفة عن (يابرة) بالياء أول الكلمة وضم الباء وهى بلدة فى غربى الأندلس الى الشمال من باجة والى الشرق من قصر على دانس ينسب اليها أبو بكر عبدالله بن طلحة بن محمد بن عبدالله اليابرى توفى بمكة سنة ٥٢٣ وأبو القاسم خلف بن فتح بن نادر اليابرى توفى سنة ٤٣٩ ومنها أبو محمد عبدالله بن رضا بن خالد بن عبدالله بن رضا الكاتب من أهل يابرة من الغرب وهو من رهط الأخطل الشاعر المشهور وكان من أهل الأدب البارع والشعر الحسن وبلاغة اللسان والتصرف فى العلوم توفى سنة ٤٢٩ باشبيلية . وشلب مدينة بغربى الأندلس الجنوبى الى الغرب من حصن القصر وكانت قاعدة ولاية أشكونية وكان لأهلها مزيد العناية بالأدب وفرط اشتغال بالشعر حتى كان سهلا عليهم فاشيا فيهم ، والله أعلم . وكتب فى غرة شعبان سنة ١٣٥٥ ، ١٧ اكتوبر سنة ١٩٣٦ . « أحمد يوسف نجاتى »

فهرس

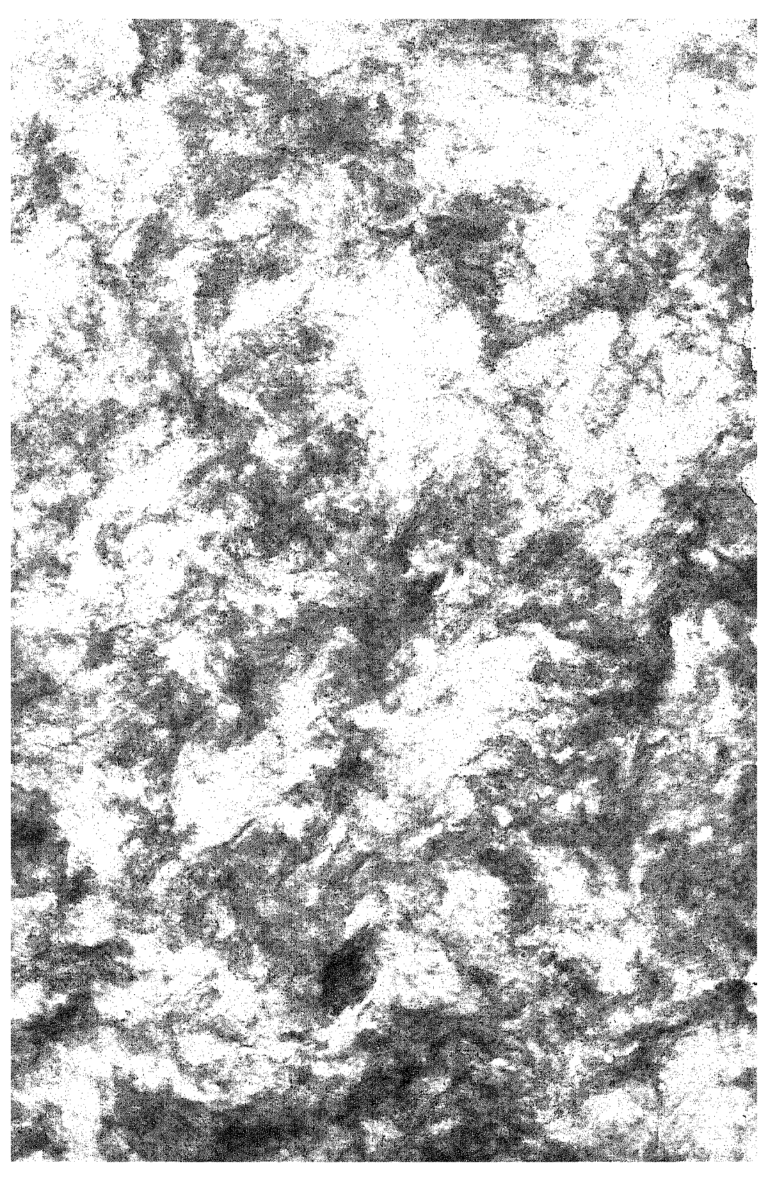
الجزء الثانى من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
تأليف العلامة احمد المقرى المغربى المالكى الأشعرى

الشكر

أجد واجبا فى عنقى أن أشكر هنا لحضرات أعضاء لجنة مراجعى مشروع احياء الأدب العربى بوزارة المعارف ؛ وخاصة حضرة أستاذنا الثبت العالم اللغوى الكبير ، المحقق المدقق . « أحمد يوسف نجاتى » أستاذ اللغة العربية بدار العلوم ، وزملائى الأفاضل رجالات قسم التصحيح بدار المأمون وعلى رأسهم الأستاذ الأديب الشيخ عبد الرحمن محمد عبد المتعال ، وحضرات مصححى دار احياء الكتب العربية بمطبعة عيسى الحلبى — مالهم من فضل وجهد وعناية فى هذا الكتاب ، مكررا مالوزارة المعارف ، ومعالى وزيرها الهمام ، ووكيلها المفضال ، وكبار رجالها الأمجاد ، من أثر خالد ، فى إحياء الأدب العربى ، فى هذا العهد الميمون الزاهر ، عهد حضرة صاحب الجلالة ، مليكنا فاروق الأول — حرسه الله — وعهد استقلال مصر ، وتحريرها ، بزعامة حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل ، مصطفى النحاس باشا . مد الله فى حياته النافعة لخير مصر والمصريين ووفقهم الله جميعا لخير اللغة والدين والوطن .

احمد فريد رفاعى

دار المأمون فى { ١٥ من شعبان سنة ١٣٥٥
٣١ من اكتوبر سنة ١٩٣٦ }




Bibliotheca Alexandrina
04799927